صبري جريس



تاريخ الصهيونية

الجزء الأول
١٨٦٢ - ١٩١٧

مركز الابحاث
منظمة التحرير الفلسطينية

هذا الكتاب

هو الاول من ثلاثة اجزاء ، تبحث في تاريخ الصهيونية ، منذ نشوئها في منتصف القرن التاسع عشر وحتى الاعلان عن اقامة اسرائيل ، على جزء من ارض فلسطين ، ليلة ١٤ ـ ١٥ ايار (مايو) ١٩٤٨ ٠

والكتاب هو ، اساسا ، قصة الصهيونية داخليا ، ابتداء من اسباب نشوئها وانتشارها ، مرورا بزعمائها وعقيدتها ، في مختلف مراحلها ، وتنظيماتها واحزابها ومؤسساتها ، وانتهاء بمساعيها الهادفة الى السيطرة على فلسطين وجوارها ٠ والفترة التي يتناولها بالبحث هي مرحلة نشوء الصهيونية ، عقيدة وتنظيما ، ثم تسلل الصهيونيين الى فلسطين ـ حتى صدور وعد بلفور ودخول الجيش البريطاني الى القدس في اواخر سنة ١٩١٧ ٠

الثمن: ١٥ ل.ل.
او ما يعادلها

Sabri Jiryis

A History of Zionism

Vol. 1 : *Zionist Infiltration into Palestine (1862 - 1917)*

Research Center
Palestine Liberation Organization
Beirut, Lebanon

1977
1981

صبري جريس

تاريخ الصّهيونية

(١٨٦٢ - ١٩٤٨)

مركز الابحاث
منظمة التحرير الفلسطينية

الطبعة الأولى : ١٩٧٧
الطبعة الثانية : ١٩٨١

مركز الابحاث
منظمة التحرير الفلسطينية
بيروت

الجزء الأول
التسلل الصهيوني الى فلسطين
(١٨٦٢ - ١٩١٧)

المحتويات

مقدّمة

هذا الكتاب هو الاول من ثلاثة اجزاء ، تبحث في تاريخ الصهيونية ، منذ نشوئها في منتصف القرن الماضي وحتى الاعلان عن اقامة اسرائيل ، على جزء من ارض فلسطين ، ليلة ١٤ ـ ١٥ أيار (مايو) ١٩٤٨ ٠

والحركة الصهيونية ، التي اقامت اسرائيل ، ولا تزال تعمل لدعمها ، من اشد الحركات خطورة ، لا على الفلسطينيين وحدهم ، وانما على العرب ايضا ٠ وان كانت قد تحولت اليوم الى عامل شبه ثانوي ، تابع لاسرائيل ، فان في الاطلاع على تاريخها ، النظري والعملي ، في ماضيه ، فائدة جمة للمهتمين بالصراع العربي ـ الصهيوني ، في حاضره ومستقبله٠ ويعتبر تاريخ الصهيونية ايضا ، مقدمة لا غنى عنها ، لفهم طبيعة النظام الاسرائيلي ، ونقاط قوته وضعفه ، بكافة نواحيها ، مما يسهل بالتالي عملية استكشاف مداه ومستقبله ٠ وبالاضافة الى ذلك ، يشكل هذا التاريخ ، في فلسطين على الاقل ، جزءا من تاريخ القضية الفلسطينية ٠

وتاريخ الصهيونية واسع ومتشعب ، ومتداخل في تاريخ العديد من الشعوب والدول ، ويمتد على فترة طويلة نسبيا ، وصدرت عنه ، خلال الخمسين سنة الاخيرة ، المئات من المراجع والكتب والكراريس ، على اختلاف انواعها ، خصوصا باللغتين العبرية والانكليزية ، يكاد القارىء يتوه فيها ، ويحتاج الى وقت غير قصير لكي يجد طريقه بينها ٠ وعلى الرغم من ذلك ، وعلى ما في الامر من غرابة ، فقليلة هي ـ على حد علمنا ـ المؤلفات التي تعالج تاريخ الصهيونية بشكل شامل وجدي ، اذ يكتفي معظمها بمعالجة تاريخ حقبة معينة من الزمن ، او تاريخ النشاط الصهيوني في بلد معين ، او تاريخ منظمة او حزب او مؤسسة صهيونية ، هنا وهناك٠ غير ان هناك ، من ناحية ثانية ، عددا لا بأس به من الكتب او المراجع الوثائقية ، او مذكرات زعماء صهيونيين عديدين ، خصوصا بالعبرية ، تقدم للمهتم بهذا الموضوع مواد خام مهمة ، تعوض على النقص في

الدراسات الشاملة حوله · وينبغي الاشارة هنا ايضا الى ان معظم الوثائق الاساسية حول هذا الموضوع المتعلقة بالفترة التي نعالجها ، قد نشرت ، بشكل او بآخر ، مما يسهل عملية الدراسة ·

ولم يكن قصدي ، عند وضع هذا الكتاب ، اضافة كتاب آخر الى تلك الكتب العديدة ، التي تعالج هذا الموضوع ، بل كان الهدف متابعة المعالم الرئيسية والمهمة في تاريخ الصهيونية ، بمعظم جوانبه ، بما يفيد القارىء ، ويمكنه من تكوين صورة واضحة عن هذه الحركة ، والوقوف على اسباب نشوئها وانتشارها ، ثم نجاحها ، من حين الى آخر ، وبالتالي تقييم المعطيات التي مكنتها من اقامة اسرائيل · ومن هذا الاطار ، وحتى لا يضطر القارىء الى متابعة نواح ذات اهمية اكاديمية فقط ، او يجهد نفسه في قراءة مواد جانبية ، لا علاقة لها بصلب الموضوع ، وضع هذا الكتاب من خلال النظر الى الصهيونية ، بواسطة منظار اليوم · ولهذا لم اعلق اهمية كبرى على تلك النواحي ، من تاريخ الصهيونية ، المتعلقة بنشاط التنظيمات او الاشخاص ، او بالاحداث ، التي كانت كبيرة ، او مهمة ، في حينه ، ولكن يظهر اليوم انها كانت ، على المدى الطويل ، عديمة التأثير ، فأشرت اليها بايجاز فقط ، واحيانا تجاهلتها · وفي مقابل ذلك ، حرصت على متابعة نشاط اي فئة او شخص ، بدا لي انهما أثرا في تاريخ الصهيونية ، خارج فلسطين او داخلها ، وان كانا من المغمورين في حينه · وفي الحالات الاستثنائية ، عندما اتضح ان التطورات التي حدثت في ناحية ما ، او المواقف التي اتخذتها فئات او اشخاص معينون ، كانت من الاهمية بمكان ، خرجت عن الاطر التي وضعتها ، الزمنية او الموضوعية ، وحاولت تتبع تلك التطورات من جذورها · كذلك ركزت ، عند البحث في العقيدة الصهيونية ، في كل مراحلها ، على تلك النواحي منها ، التي وضعت موضع التنفيذ ، او عقيدة تلك الفئات او الزعماء ، الذين اثروا فعليا في مسار الصهيونية ونشاطها ، وتغاضيت عن اولئك الذين ظهر ان اراءهم كانت ، في نهاية الامر ، ذات قيمة اكاديمية فقط ·

ومن هذه المنطلقات ، فهذا الكتاب ، اساسا ، هو قصة الصهيونية داخليا ، ابتداء من اسباب نشوئها وانتشارها ، مرورا برجالاتها وعقيدتها ، في مختلف مراحلها ، وتنظيماتها واحزابها ومؤسساتها ، وانتهاء بمساعيها الهادفة الى السيطرة على فلسطين وجوارها ، التي وصلت الى نهاية مرحلتها الاولى والرئيسية ، يوم الاعلان عن اقامة اسرائيل · غير انه لم يكن بد ، بالطبع ، لاستكمال الصورة ، من متابعة الاوضاع الدولية

والعربية ، التي مكنت الصهيونية ، او سمحت لها ، بتحقيق جزء كبير من اهدافهـــا ٠

ويلاحظ القارىء ان عبارة « ارض ـ اسرائيل » ،وهو الاسم الذي يطلقه الصهيونيون على فلسطين وجوارها ، وكذلـك عبارتي « امــة يهوديــة » و « شعب يهودي » ترد كثيرا فـــي الكتـــاب ٠ ولا يعنـــي هـــذا ، بالطبـــع ، موافقـــة علـــى مضمون تلـــك العبارات ، او علـــى المفاهيم التي ينسبها الصهيونيون لها ٠ ولكني اثـــرت الاحتفاظ بهـــذه العبارات ، التي ترد خصوصا في الاقتباسات من المصادر العبرية ، التزاما بنص الاقتباسات وروحهـــا ٠

وتجدر الاشارة الى ان الكلمات العبرية او اليهودية، الواردة في الكتاب، كتبت بحسب لفظها ٠ كما نقل حرف « جيمل » بالعبرية (g) الى « غ » بالعربية ، وليس « ج » ، مثلا : « بن ـ غوريون » بدلا من « بن ـ جوريون » ٠

وكما اشرت في بداية هذه المقدمة ، سيلي هذا الجزء ، جزءان آخران : الثاني بعنوان « الوطن القومي اليهودي في فلسطين ، ١٩١٨ ـ ١٩٣٩ » ، والثالث بعنوان « الدولة القادمة ، ١٩٤٠ ـ ١٩٤٨ » ٠

ص٠ ج٠

بيروت
أيار (مايو) ١٩٧٦

توطئة

[١]

نشأت الصهيونية ونمت بين يهود روسيا وبولونيا ، وباقي دول اوروبا الشرقية ، خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، حيث كانت تعيش أنذاك اكثرية اليهود في العالم · وتعود اسباب نشوئها الى عوامل عديدة ، سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية ودينية ، منها ما يتعلق باوضاع اليهود واليهودية الذاتية خلال تلك الفترة ، التي كانت بحد ذاتها تتمة لما سبقها من تطور في هذه المجالات ، خلال القرون السابقة ، ومنها ما يتعلق بالاوضاع العامة في البلدان التي كان اليهود يعيشون فيها ، والتغييرات التي حدثت في اوروبا وروسيا ، خاصة خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر · ولم تكن الصهيونية ، من حيث اسباب او تاريخ ظهورها ، الا احدى مشتقات المسألة اليهودية ، التي خلقها حكام وشعوب قسم من الدول المذكورة ، بينما ساهم القسم الاخر ، بمساعدة بعض الفئات اليهودية احيانا ، في بقائها حية او دعمها ·

تبدأ المرحلة الاولى من المسألة اليهودية ، بمفهومها الذي شكل مقدمة نشوء الصهيونية على الاقل،مع طرد اليهود من اسبانيا سنة ١٤٩٢،لاسباب دينية اساسا ـ وكان الصراع الديني بين اليهودية والمسيحية محتدما منذ اجيال ـ وتنتهي مع نشوب الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩ · وكان عدد اليهود في اسبانيا ، قبيل طردهم منها ، قد ازداد بشكل ملحوظ ، كما تحسنت اوضاعهم ـ بعد ان اصبح البلد ملجأ لهم ، بفضل روح التسامح الديني للحكم العربي هناك · ويمتاز تاريخ اليهود في اوروبا ، عامة ، خلال هذه المرحلة ، بطردهم من بلد لينتقلوا الى آخر.(١) ، ومن هناك الى بلد ثالث ، ثم السماح لهم بالرجوع الى بلدهم الاول من جهة ، وفرض مختلف القيود عليهم ، او منحهم بعض الامتيازات من جهة اخرى ـ فاوروبا المسيحية ، خاصة خلال العصور الوسطى ، لم تحسن معاملة اليهود ، على اي حال · كذلك ساعد على استمرار هذا التنقل ، من ناحية ثانية ، سعي اليهود

انفسهم وراء سبل العيش ، وانتقالهم حينذاك الى مراكز التجارة الرئيسية في العالم · واسفرت عمليات الطرد والتنقل هذه عن قيام مراكز يهودية جديدة ، في عدد من بلدان العالم · فاليهود الذين طردوا من اسبانيا (وهم الذين عرفوا فيما بعد باسم اليهود السفاراديم ، نسبة الى « سفاراد » ـ اسبانيا بالعبرية ـ ويطلق عليهم ، عامة ، اسم « اليهود الشرقيين ») توجهوا الى المناطق التي كانت خاضعة للحكم العثماني في اوروبا وآسيا ، بينما وصل بعضهم الى فلسطين (خاصة صفد) وشمال افريقيا · كذلك توجه قسم آخر الى ايطاليا ، ومن هناك انتشر ، فيما بعد ، في فرنسا وهولندا وانكلترا واميركا · واما يهود النمسا والمانيا (وهم الذين عرفوا باسم اليهود الاشكناز ، نسبة الى « اشكناز » ـ الاسم القديم لالمانيا بالعبرية ـ ويطلق عليهم ايضا اسم « اليهود الغربيين ») فقد أضطروا ، نتيجة للضغوط التي وجهت اليهم ، الى ترك بلدانهم تلك والتوجه الى بولونيا ، التي كثر عدد اليهود فيها ، بحيث زاد ، مع منتصف القرن السابع عشر ، على عدد اليهود في كل دول اوروبا الاخرى · ورافق هذه التطورات ، من ناحية ثانية ، انتقال مركز الثقل داخل اليهودية ، من طائفة السفاراديم الى الاشكناز (٢) ·

تختلف اوضاع اليهود والمعاملة التي لاقوها ، خلال هذه الفترة ، من بلد لاخر · ففي ايطاليا ، مثلا ، كانت اوضاعهم مرهونة ، الى حد كبير ، بموقف الباباوات منهم · وكانت هذه المواقف تتغير من عهد بابا الى عهد آخر ، وتتراوح بين المحافظة على حقوقهم ومنع المس بهم من جهة ، او فرض رقابة على طباعة كتبهم الدينية واجبارهم على اعتناق المسيحية من جهة أخرى (٣) · وكانت البندقية ، احدى المدن الايطالية التي لم تكن خاضعة وقتئذ لسلطة البابوات ، اول من اذخل نظام الغيتو في حياة اليهود، عندما اصدر مجلس المدينة ، سنة ١٥١٦ ، أمرا اجبر بموجبه اليهود في المدينة على السكن في حي مغلق خاص بهم (٤) · وقد انتشر هذا النظام ، فيما بعد ، في اكثر من مدينة او بلد اوروبي ، وتم « تطويره » وتوسيعه ، بحيث اضيفت الى القيود المفروضة على سكن اليهود ، قيود اخرى تتعلق بعملهم وبنوعيته ، ثم حصر تكاثرهم الطبيعي ، بواسطة فرض القيود على عدد الزيجات بينهم · ولقد اعتقد واضعو ذلك النظام انهم يعملون بذلك على « خدمة المسيحية » وعلى « اتقاء شر اليهود » ، غير انهم ، في نهاية المطاف،ساعدوا اليهودية بقيودهم تلك، ومن حيث لا يدرون ، على الاحتفاظ بجوهرها خلال تقلبات القرون الوسطى ، ومنعوا اندماج اليهود بالشعوب

التي عاشوا بينها (٥) ، بحيث وجدت الصهيونية ، في محاولاتها تسخير المشاعر الدينية اليهودية لخدمة اغراضها ، ارضية صالحة للعمل بين يهود الغيتو المتدينين والمنغلقين على أنفسهم ·

اما في المناطق الالمانية والنمساوية ، وعلى الرغم من ان عدد اليهود ازداد هناك (٦) ، فان اوضاعهم لم تختلف ، اجمالا ، عن تلك التي كانت سائدة في ايطاليا ، بحيث كثرت عمليات طردهم من مكان الى آخر · وفي سنة ١٦١٦ ، فرض نظام الغيتو على يهود فرانكفورت ، بناء على اتفاق خاص بذلك بين مجلس المدينة وسكانها اليهود ، واما في سنة ١٦٢٤ فقد فرض هذا النظام في مدينة فينا ايضا ، ولكن هذه المرة بناء على طلب اليهود انفسهم (٧) · واستمرت اوضاع اليهود، في المناطق الالمانية ، على ما كانت عليه حتى سنة ١٧٨٢ ، عندما أمر القيصر يوسف الثاني بالغاء معظم القيود التي فرضت عليهم ، والسماح لهم بتعاطي اي عمل يختارونه · وسمح لهم ، في بعض المناطق ، باستملاك الاراضي او استئجارها (٨) ·

غير ان اسوأ معاملة تعرض لها اليهود ، خلال هذه الفترة ، كانت تلك التي « خصتهم » بها اسبانيا والبرتغال · وعلى الرغم من ان اكثرية اليهود كانت قد طردت من هذين البلدين ، فقد بقيت فيهما اعداد غير قليلة من اليهود المتنصرين (« انوسيم » ـ Marranos) ، الذين كانوا قد اجبروا على اعتناق المسيحية ، ففعلوا ذلك ظاهريا ، ولكنهم استمروا يؤمنون بيهوديتهم باطنيا ، وينقلونها الى ابنائهم من بعدهم · وقد نشطت محاكم التفتيش ، التي تبنتها الكنيسة الكاثوليكية (والتي لم تلغ رسميا الا سنة ١٨٢٠) ، في مطاردة هؤلاء « الكفرة » من اليهود المتنصرين ، حيث كانت تحكم عادة بحرقهم ، وفي احسن الحالات بطردهم الى خارج البلاد ، بعد مصادرة املاكهم (٩) ·

ومقابل الدول التي اشرنا لها ، وجدت دول اخرى تصرفت بشكل مختلف · فبريطانيا التي عرفت الحياة البرلمانية والاساليب شبه الديموقراطية في الحكم في وقت مبكر ، سمحت لليهود بالعودة اليها ، سنة ١٦٥٦ ، بعد ان كانوا قد طردوا منها سنة ١٢٩٠ (١٠) · كذلك استمرت فرنسا في استقبال اليهود الذين يفدون اليها ، خصوصا المتنصرين منهم ، فيعودون الى اعتناق ديانتهم علنا · ومع مرور الوقت ، تكونت في البلد طائفة سفارادية نشيطة (١١) · اما في هولندا ، فقد حظي اليهود بمعاملة حسنة للغاية ، بالنسبة لباقي الدول ، اذ اصبح البلد ، خاصة بعد ظهور

البروتستانتية ملجأ لليهود الهاربين من اضطهاد الكاثوليكية ، من كل انحاء اوروبا ، حيث منحوا معظم الحقوق التي كان سكان البـــلاد الاصليون يتمتعون بها ، بالاضافة الى الاعتراف بادارة ذاتية للطوائف اليهودية ٠ وقد نشط اليهود ، في تلك الفترة ، في حركة التجارة الهولنديـــة ، وانضم بعضهم الى اولئك الذين توجهوا لاقامة المستعمرات الهولنديـة في اميركا الشمالية والجنوبية ٠ ومن بين هؤلاء جاء اليهود الذين استوطنوا نيويورك سنة ١٦٥٤ (١٢) ، واضعين بذلك الاسس لما اصبح ، بعد نحو ثلاثة قرون، من اكبر التجمعات السكانية اليهودية في العالم ٠

غير ان اهم تطور في تاريخ اليهود ، خلال هذه الفترة من الزمن ، التي سبقت الثورة الفرنسية، كان انبثاق المركز اليهودي الاشكنازي في بولونيا، الذي ضم ، مع منتصف القرن السابع عشر ، اكثر من نصف عدد اليهود في اوروبا باسرها ٠ ولم يكتف يهود بولونيا باحتلال مركز الصدارة هذا ، اذ سرعان ما انتقل اليهم ايضا مركز الثقل داخـــل اليهودية ، عقيـــدة وتقاليد ٠ وقد لعب يهود بولونيا ، بفضل اوضاعهم هذه ، دورا مهما فـــي تاريخ اليهود في العصر الحديث : فمن بينهم خرج اليهود الذين استوطنوا روسيا فيما بعد ، بحيث استمر الفرعان في الاحتفاظ بمراكز ثقلهما داخل اليهودية ، حتى الحرب العالمية الاولى ، على أقل تقدير ٠ ومن بينهم،أيضا، جاءت اكثرية المهاجرين اليهود الذين دخلوا اميركا ، خاصة خلال السنوات ١٨٨١ ـ ١٩١٤ ، بعد ان ازداد اضطهاد القياصرة لهم ، فساعدوا علـــى اقامة التجمع السكاني اليهودي الكبير هناك ٠ وبينهـــم ايضـــا نشأت الصهيونية وترعرت ، وكان ابناؤهم هم الذين تزعموها ٠ ومن بين اولئك اليهود انطلقت كذلك اكثرية المستوطنين الصهيونيين الذيـــن قدموا الـــى فلسطين ، خلال الحكم العثماني للبلد ٠

لم ينبثق المركز اليهودي الاشكنازي في بولونيا صدفة ، بل تـــم ذلـــك بتشجيع من حكام البلد أنفسهم ٠ فقد حظي اليهود الاشكناز ، عند بـــدء استيطانهم في بولونيا ، مع مطلع القرن السادس عشر ، بملوك بولونييـــن رحبوا بهم وسمحوا لهم بالسكن في معظم انحاء بولونيا وبتعاطي معظـــم الاعمال التي يرغبون فيها ، بما في ذلك العمل في الزراعة ، كمستأجريـــن للاراضي او كمالكين لها ٠ ولم يمر وقت طويل على وجود اليهود هناك ، حتى اعترفت السلطة بهم ، سنة ١٥٥١ ، كطائفـــة مستقلـــة ، سمح لهـــا بممارسة ادارة ذاتية لشؤونها ، مما ساعد الحاخامين ، رجـــال الديـــن اليهود واتباعهم ، على فرض سيطرتهم ، مع مرور الوقت ، على كافـــة

شؤون الطوائف اليهودية ، وتقوية نفوذهم · واسفر هذا الوضع عن اقامة مؤسسات خاصة (« هاكاهال ») ، اعترفت بها السلطة ، وتولت الاشراف على كافة شؤون اليهود في بولونيا ، ابتداء من جباية الضرائب منهم ، لصالح السلطة ، وانتهاء بتنفيذ الاحكام التي يصدرها الحاخامون ، وفقا للشريعة اليهودية ، مما ادى الى تعاظم سلطة الحاخامية وسيطرتها ، بشكل لم يكن له مثيل وقتذاك في اي بلد اوروبي (١٣) · وكان لهذه الاوضاع تأثيرها ، فيما بعد، على حياة اليهود الاجتماعية والثقافية هناك· ان تلك الصلاحيات التي منحت لرؤساء الطوائف اليهودية الغيت في نهاية الامر ، سنة ١٧٦٥ ، وذلك عندما زالت الاسباب الداعية لوجودها ـ وهي حاجة الملوك لدعمها ، تسهيلا لجباية الضرائب من اليهود ، بواسطة زعمائهم ـ ولكنها عملت ، خلال فترة قيامها ، التي زادت على مائتي سنة، على اضفاء طابع ديني حاخامي واضح على حياة اليهود في بولونيا ،بكافة نواحيها ، لم يكن من السهل محوه (١٤) ، وكان احد العوامل التي ساعدت على انتشار الصهيونية بينهم ، واستجابتهم بسهولة ، نسبيا ، لدعوات الهجرة الى فلسطين ·

وخلال هذه الفترة ، اتخذت ايضا الخطوات الاولية لدخول اليهود الى روسيا ، وهو ما كان محظورا عليهم حتى ذلك الوقت · وقد خطا الخطوة الاولى ، في هذا المجال ، التجار اليهود في غرب بولونيا ، الذين كانوا يتجهون خلسة الى روسيا ، وخصوصا الى منطقة موسكو ، لمزاولة اعمالهم هناك · ثم سمح لهم ، سنة ١٧٢٨ ، بالتواجد في البلد عند قيام المعارض التجارية · وتبع ذلك السماح لبعضهم ، خاصة الاثرياء منهم ، بالسكن هناك بصورة دائمة (١٥) ·

[٢]

حدثت في هذه الفترة ، خصوصا خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر ، تطورات جديرة بالاهتمام داخل اليهودية ، كان لها فيما بعد تأثيرها الواضح على الحركات الاجتماعية والثقافية والسياسية ـ دينية كانت ام علمانية ـ التي ظهرت بين اليهود خلال القرون الخمسة الاخيرة ، ومن بينها الصهيونية · وكان اهم تلك التطورات ما طرأ على المفاهيم الدينية لليهودية التقليدية ، ممثلا في الاجتهادات الدينية التي اطلقها الحاخامون حينذاك · ولكن قبل عرض هذه التطورات ، ينبغي عرض ما تم قبلها فيهذا

المضمار ، ليتسنى لنا تقييم مدى التغييرات التي حدثت خلال هذه الفترة وتأثيرها ٠

اتبع حكماء اليهودية ، منذ قبولها بالتوراة ، كتابها المقدس ، اسلوب الاجتهادات الدينية ، الهادفة الى تفسير التوراة ، وملائمتها لروح العصر الذي تصدر فيه تلك الاجتهادات ٠ وعرفت حصيلة هذه الاجتهادات ، فيما بعد ، باسم التوراة الشفهية (« توراه شيبعال بيه ») ، ولكنها لم تجمع كتابة ، خوفا من المس بقدسية التوراة الاصلية ، الا في نهاية القرن الثاني للميلاد ، من قبل الحاخام يهودا هاناسي (١٣٥ ـ ٢٢٠ م) ، فاطلق عليها اسم « مشناه » (١) ، واعتبرت كتابا ملزما لليهودية ، بعد التوراة٠

لم تتوقف اجتهادات حكماء اليهودية ، بالطبع ، بعد صدور المشناه ، وانما استمرت بتسارع اكبر ـ وهذه المرة ليس لتفسير المشناه وتوسيعها فقط ، بل لابداء الرأي في مواضيع اخرى ايضا ، دينية كانت ام دنيوية ٠ ومرة اخرى ، تم جمع هذه الاجتهادات ، التي صدرت بعد وضع المشناه ، واطلق عليها اسم التلمود ، الذي انقسم الى شطرين : « تلمود بابلي » (نسبة الى العراق ، حيث جرى تجميعه هناك خلال القرن الخامس للميلاد) (٢) ، « وتلمود يروشلمي » (نسبة الى اورشليم ـ القدس ، حيث كانت معظم محتوياته من انتاج حكماء اليهودية في فلسطين ، وكانت عملية جمعه قد استكملت خلال النصف الثاني من القرن الرابع للميلاد) (٣) ٠ والاول اكبر واعمق ، حجما ونوعية ، من الثاني ٠

ومنذ وضع التلمود ، انهمك الحاخامون وحكماء اليهودية في دراسته وتفسيره والتعليق عليه ، خلال مئات السنين ، وهي عمليات اسفرت عن اجتهادات اخرى لاحقة ، جاءت نتيجة لتلك الدراسات ٠ والواضح ان حصيلة تلك الاجتهادات ، التي استمرت طوال قرون عديدة ، جاءت وفرة من المؤلفات ، كانت التعاليم اليهودية موزعة بين طياتها ، وكادت تضيع بينها ٠ وبقي هذا الوضع قائما حتى نهاية القرن الثاني عشر ، الى ان جاء الحاخام موسى بن ميمون (رمبام) (١١٣٥ ـ ١٢٠٤) ، فعمد الى جمع تلك التعاليم وتصنيفها ، من التوراة وما تبعها ، انطلاقا من نظرة فلسفية عقلانية ـ منطقية ، تعود جذورها الى قبول بن ميمون بفلسفة ارسطو ، واودعها كتابه « مشنيه توراه » (« ثاني التوراة ») ، الذي انجزه في مصر سنة ١١٨٠ ٠ واصبح « مشنيه توراه » فيما بعد كتابا اساسيا للشريعة اليهودية ، ان كان ذلك بالنسبة للشؤون الدينية ام

غيرها ، واحتل مركزا مرموقا بين اليهود في العصور الوسطى (٤) ، ولا يزال يتمتع بمركزه هذا حتى اليوم · (وهذا الكتاب هو الوحيد الذي وضعه بن ميمون بالعبرية اصلا ، حيث ان معظم كتبه ، ومن اشهرها « دليل الحائرين » ـ « موريه نفوخيم » ـ وضعت بالعربية) ·

استمرت الاجتهادات قائمة داخل اليهودية حتى بعد ظهور بن ميمون ، واضيف اليها هذه المرة عامل آخر : مؤلفات بن ميمون نفسه · فقد قام من رأى ضرورة لتفسيرها والتعليق عليها · ولكن مؤلفات بن ميمون بقيتتحتل مركز الصدارة ، بالنسبة للتعاليم اليهودية ، حتى منتصف القرن السادس عشر ، الى ان جاء الحاخام يوسف كارو (١٤٨٨ ـ ١٥٧٥) ، الذي قام بعمل مشابه لما قام به بن ميمون · وكارو ، مثل بن ميمون ، من اصل سفارادي ، وكان قد « تخرج » من «مدرسة » صفد الدينية ، التي اقامها المهاجرون اليهود ، الذين وفدوا الى المدينة بعد طرد اليهود من اسبانيا (٥) ـ والتي كان لها شأن آخر مع اليهودية ، في احيائها لممارسات « الكابالاه » الغيبية ـ واتجه لتجميع الشريعة اليهودية واعادة تصنيفها · وعمل كارو في مشروعه هذا زهاء العشرين سنة ، الى ان تم له ما اراد · ولكن مؤلفه جاء ضخما للغاية ، بحيث صعب استعماله بشكل عملي ، فعمد الى اصدار نسخة مختصرة منه اسماها « شولحان عاروخ » (« المائدة الجاهزة ») ، طبعت لاول مرة سنة ١٥٦٤ · وحظي كتاب كارو هذا بانتشار واسع ، واعيد طبعه عدة مرات ، ومنها طبعات منقحة لتكون صالحة لاستعمال الاشكناز (٦) ، واصبح المرجع الاخير ، واحيانا الوحيد ، للبت في قضايا الشريعة اليهودية · ولكن هذا الكتاب ، الذي وصلت معه الشريعة الحاخامية الى قمة تطورها ، جاء بعد « فترة من الرجعية الروحانية المستمرة » ، اضفت طابعها على محتوياته ، بحيث لم يكن الا « تلخيصا للشريعة بشكلها المتجمد » (٧) ، خلافا لتعاليم بن ميمون ، حيث يميل غالبا الى التشدد في امور الدين والدنيا · وقد كان لهذه النظرة تأثيرها على مواقف اليهودية ، خلال عصر النهضة وبعده ، بحيث اتجه اليهود المتدينون الى مجابهة الاوضاع العصرية والمشكلات التي نجمت عنها ، حينذاك ، بواسطة ادارة ظهورهم لها والابتعاد عنها ، بدلا من محاولة حلها ، مما ادى الى « تحجر اليهودية » (٨) ، واصبح بالتالي احد العوامل الرئيسية التي ساعدت على ظهور الحركات الاصلاحية ، الدينية والعلمانية ، داخلها ·

على هذه الارضية ، الناجمة عن صعوبات العيش بالنسبة لليهود

وطردهم من مكان الى اخر من جهة ، وسيطرة الرجعية الدينية على حياتهم الخاصة والعامة من جهة ثانية ، ظهرت الحركات المناوئة لليهودية التقليدية ، الممثلة بالحاخامين ، والتي كانت بدورها بمثابة مقدمات لظهور الصهيونية ، فأثرت عليها فيما بعد ، سلبا او ايجابا ٠

كانت اولى تلك الحركات ما يعرف باسم المسيائية (« مشيحيوت » ، Messianism) ، التي عادت الى الظهور بين اليهود خلال هذه الفترة ٠ والمسيائية قديمة العهد ، في التقاليد اليهودية ، وتعود جذورها الى أيام المملكة الثانية ، وكانت تظهر عادة عندما يجد اليهود انفسهمفي ضائقة(٩)٠ وقد اتخذت هذه الحركة لنفسها صيغا مختلفة من عصر الى آخر ٠ ولكن ملخص دعوتها ، أجمالا ، كان الايمان بمجيء المسيح ـ المخلص (« هاماشياح ») ، وهو كائن حي من لحم ودم ، مهمته انقاذ اليهود من ضائقتهم ، ومساعدتهم على التغلب على اعدائهم ، ثم جمع شملهم وخلق كيان خاص بهم (١٠) ٠ اما الدوافع الكامنة وراء ظهور هذه الحركة وبعثها من جديد ، خلال العصور الاخيرة ، فكانت المشاكل التي تعرض لها اليهود بعد طردهم من اسبانيا ، واتجاه بعضهم الى التفتيش عن اسبابها ، ليصلوا الى نتيجة مفادها انه لا بد من اعادة انقاذ اليهود بطريق الاعجوبة، ولهذا ينبغي اعداد النفوس للخلاص وتطهيرها بالصلوات والتعمق في حكمة الله وتعاليمه ، للافادة من نعمه ، لانه لا يمكن الاسراع في مجيء المخلص الا بالصلوات والتوبة ونكران الذات (١١) ٠ وقد ساهم اولئك الحاخامون، الذين قدموا الى صفد من اسبانيا ، بعد طرد اليهود منها ، بشكل فعال في وضع الاسس لهذه الاراء وتطويرها ، فانتهجوا احياء ممارسات قديمة في اليهودية (كابالاه) ، لكن هذه المرة باسلوب يعتمد على الغيبيات والاسرار ، ويتعارض مع التعاليم اليهودية التقليدية ، ويخلص الى تفسير الظواهر الطبيعية المختلفة بصورة يمكن ان يستدل منها على وقت ظهور المسيح ـ المخلص ٠ وتم ذلك بعد ان استبعدت النظرة الفلسفية للعقيدة الدينية ، وحلت محلها « الروح المقدسة » التي ترافق بعض المختارين من بين البشر ، والنظر الى التطورات الدنيوية من خلال رؤية متشائمة (١٢)٠

كانت الكابالاه ونظرياتها السبب الرئيسي في ظهور احدى الحركات المسيائية الكبرى في اوروبا خلال القرن السابع عشر ، وهي حركة شبتاي تسفي (١٦٢٦ ـ ١٦٧٦) ، التي بدأت بين يهود ازمير في تركيا ، عندما اعلن تسفي عن نفسه انه المسيح ـ المخلص ، الذي جاء لانقاذ اليهود ، وقام بنشر دعوته بينهم ، في اوروبا والمشرق (١٦٦٥/١٦٦٦) ، معلنا ان

زمن الخلاص قد قرب ، وانه هو الذي اختير لتزعم عـــودة اليهود الــى فلسطين · ولقيت دعوة شبتاي تسفي استجابة لدى فئات يهودية عديدة ، مما حمل سلطان تركيا على القاء القبض عليه ، عندما دخـل اسطنبول ، وتخييره بين اعتناق الاسلام او الموت ـ ففضل الحل الاول ، وحكم عليــه بالنفي (١٣) ·

لم تنته حركة شبتاي تسفي مع اعتناق مؤسسها الاسلام ، بل استمرت تتفاعل بين الجماهير اليهودية ، خصوصا في اوروبا ، رغم المقاومة العنيفة التي جوبهت بها من قبل الحاخامية التقليدية · فأدت مع مرور الزمن الى قيام حركات مسيائية أخرى ، ثانوية · ولكن في الوقت نفسه كان للحركة ، على المدى البعيد ، ردود فعل عميقة لدى الحاخامية واليهود المتدينين ، نتج عنها تحفظ اكثريتهم من الصهيونية ، في بداية طريقها ، خشية ان تكون حركة مسيائية زائفة اخرى · ان فئات كبيرة من اليهود المتدينين عادت ، على اي حال ، واعتنقت الصهيونية بعد ظهورها ، ولكن ذلك لم يتم الا بعد اصدار « فتاوي » بهذا الشأن ساعدت ، من ناحية ثانيـــة ، على تكريس الانقسام بين التيارات الدينية المختلفة ، الناشطة حاليا في اليهودية ·

كذلك كانت الكابالاه ، الى حد ما ، احد الاسباب التي ادت الى قيـام تيار آخر داخل اليهودية ، « الحسيدوت » (الاسم : « حسيد» ، وجمعه : « حسيديم ») وذلك من خلال تأثر مؤسس الحسيدوت ، الحاخام يسرائيل باعل شم طوف ، بنظرياتها (١٤) · وظهرت الحسيدوت بين يهود اوكرانيا ، في منتصف القرن الثامن عشر ، وراحت تدعو الى مبادىء مخالفة للتعاليم الدينية التقليدية : اولها ان باستطاعة كل انسان ، شرط ان يكون صديقـا صالحا ، التماثل مع الله ، الموجود في كل مكان ، والاتصال به ومعرفـة اسراره ـ ولهذا فالصديق ، الذي يقود المؤمنين ، يلعب دورا مهما لــدى الحسيديم ، ويمس بالتالي بمكانة الحاخام بين اليهود · وثانيها ان هدف الدين ليس الا الالتصاق بالله ، وهو ما لا يمكن الوصول اليه الا بعد تركيز الفكر بأكمله في الخالق ، وبذل الجهود للتعرف على كافة مزايـاه ، دون الحاجة الى التعمق في دراسة التعاليـــم الدينية ، اذ ان مجــرد اقامـــة الصلوات والشعائر الدينية يحل محلها (١٥) · وواضح ان هذه الحركـة اثارت غضب الحاخامية ، التي شنت عليهـــا هجومـا قاسيـــا · ولكن الحسيدوت ، على الرغم من ذلك ، وعلى عكس حركة شبتاي تسفي ،راحت تقوى وتنتشر بين يهود اوروبا الشرقية ، ومن بينها جاء طلائع المهاجرين

اليهود الاشكناز الذين استوطنوا في فلسطين (وخاصة في القدس) في اواخر القرن الثامن عشر ٠

وظهرت أيضا ، خلال الفترة الاخيرة من هذه المرحلة - في عصر النهضة - طلائع حركة أخرى بين اليهود ، هي الهسكلاه *، ممثلة بشخص رائدها ، موشي مندلسون (١٧٧٩ - ١٧٨٦) ، وهي حركة تحرر علمانية في اساسها ، مغايرة لكل من الحاخامية والحسيدوت ٠ وكان مندلسون قد تلقى في حداثته ثقافة تلمودية تقليدية ، الا انه تعلم الالمانية واللاتينية فيما بعد ، وتحول الى دراسة فلسفة عصره، ثم انتقل للعيش في برلين ، حيث تعرف هناك الى الاديب الالماني ليسينغ ، الذي ساعده على شق طريقه في عالم الادب الالماني ٠ وبحكم وضعه هذا توصل مندلسون ، من خلال تفتيشه عن طرق لتحسين اوضاع اليهود في عصره ، الى نتيجة مفادها انه لا بد من تحرير العالم اليهودي من عزلته الروحانية ، وشق ابواب في جدار الغيتوات والحاخامين الذي يحيط به ، تطل على المدنية الاوروبية في عصره ٠ ودعا مندلسون ايضا الى منح اليهود الحريات المدنية والاقتصادية ، وناشد اليهود انفسهم ، موجها كلامه الى الحاخامين اساسا ، بالامتناع عن التصدي لحرية الفكر ونبذ التعصب الديني ، اللذين سيطرا على تفكيرهم منذ القرون الوسطى (١٦) ٠ ومن جهة ثانية ، ارتأى مندلسون ايضا تعريف الاجانب باليهودية ، فعمد الى ترجمة التوراة الى الالمانية (١٧) ، مستبعدا من ترجمته كل الفذلكات التلمودية ٠ واثار هذا العمل حفيظة الحاخامين ، الذين فرضوا الحرمان عليه وامروا بمقاطعته والامتناع عن قراءة كتبه ٠ ولكن هذا الموقف لم يثن مندلسون عن عزمه ، فقام بعد ذلك بترجمة المزامير ايضا الى الالمانية ، وثابر في الوقت نفسه على نشر كتابات اخرى ، يروج فيها لارائه ، واستمر في مناقشاته مع ابناء عصره ، ومع الحاخامين (١٨) ٠

استمرت بذرة الهسكلاه ، التي زرعها مندلسون ، في النمو بعد وفاته ، وان تم ذلك على نطاق ضيق ، خاصة بعد ان رعاها تلامذته ، وذلك رغم الخلافات الثقافية التي اثارتها بين يهود المانيا ٠ وباشر تلامذة مندلسون في تنفيذ نظرياته حال وفاته ، فاسسوا ، سنة ١٧٧٨ ، مدرسة يهودية « حرة » في برلين ، درس الطلاب فيها ، بالاضافة الى التوراة واللغة العبرية ، اسس العلوم العصرية انئذ ، بالالمانية (١٩) ٠ وبعملهم هذا ، ادخل تلامذة مندلسون تحديثا بالغ الاهمية على طرق تثقيف اليهود ، التي

* « هسكلاه » - كلمة عبرية تعني « ثقافة » ، « استنارة » (Enlightenment)٠ والاسم « مسكيل » وجمعه « مسكيليم » ٠

كانت حتى ذلك الوقت ، محصورة بالتعاليم الدينية اساسا ، وأثاروا ضدهم عداوة الحاخامية التقليدية ، التي اضافتهم الى قائمة اعدائها من الحسيديم واتباعهم ، نظرا لاعتبارها دراسة مواد اخرى ، غير التوراة والتعاليم الدينية ، « جريمة » لا تغتفر ، تمهد « للكفر » ٠ وقد تخرج من هذه المدرسة، خلال السنوات العشر الاولى لقيامها ، نحو ٥٠٠ طالب يهودي ، دخلوا حياة المجتمع الالماني بمفاهيم جديدة (٢٠) ، فكانوا طلائع اليهود الذين راحوا يندمجون في المجتمعات الاوروبية ، التي يعيشون فيها ، ويتقدمون في مختلف مجالات الحياة ٠ وادى ذلك ، من ناحية ثانية ، الى قيام مدارس اخرى مماثلة ، في عدة مدن المانية (وانتشر هذا النمط من المدارس ، فيما بعد ، بين العديد من الطوائف اليهودية في اوروبا الغربية) ٠ ومن الجدير بالذكر هنا ، انه حتى خلال العصور الوسطى ، كانت معرفة القراءة والكتابة منتشرة بين اليهود (٢١) ، خصوصا الذكور منهم ، وذلك بسبب شعورهم بالحاجة لاكساب اولادهم اصول ديانتهم ، اكثر مما كانت عليه الحال بين الشعوب الاخرى ، التي عاشوا بينها ٠ وكان اليهود في ايطاليا اول من استخدم الطباعة ، سنة ١٤٧٥ ، لطباعة كتبهم الدينية ، وحتى سنة ١٥٠٠ صدر هناك نحو مائة كتاب بالعبرية ، من هذا الصنف ٠ وعندما توقف هذا النشاط في ايطاليا . انتقل الى بولونيا ، حيث صدر فيها اول كتاب مطبوع بالعبرية سنة ١٥٣٠ (٢٢) ٠

وفي الوقت نفسه ، اتجه تلامذة مندلسون الى « تجديد » الادب العبري، والعودة باللغة العبرية الى اصولها التوراتية ، بعد ان كان حاخامو ذلك العصر ، والذين سبقوهم ، قد « شوهوها » ٠ ولهذا بدأوا ، سنة ١٧٨٤ ، باصدار « ميئاسيف » (مجموعة) باللغة العبرية ، نشرت فيها الاعمال الشعرية ، والمقالات في العلوم الطبيعية والتاريخ ، والابحاث في قواعد اللغة والتوراة ، وكذلك ترجمات من الادب الالماني والفرنسي (٢٣) ، واستمرت تصدر بشكل غير منتظم حتى سنة ١٨٢١ ٠ وبأصدارهم تلك المجموعة ، وهي اول منشور دوري يصدر باللغة العبرية ، شق تلامذة مندلسون طريقا لا يقل اهمية عن الانجاز الذي حققوه عند تحديثهم لطرق التعليم بين اليهود ، فوضعوا بذلك الاسس لحركة ادبية عبرية حديثة ،بعد ان حطموا « احتكار » الحاخامين للغة العبرية ، التي كانت حتى ذلك الوقت وقفا على المطبوعات التي تضم التعاليم الدينية وشروحها ٠ وعلى اي حال ، فان اكثرية اليهود الاشكناز كانوا حتى ذلك الوقت يتكلمون لغة الايديش ، وهي بجوهرها الالمانية ممزوجة بالعبرية واحيانا بالارامية ،

ومكتوبة بحروف عبرية ، ويعود تاريخ نشوئها الى القرن العاشر ، مع بداية دخول اليهود الى المانيا ، الذين اختاروا هذه الطريقة لكتابة وثائقهم، حفاظا على « اسرارهم » • ولهذا فان تلك المنشورات العبرية ، التي كانت باكورة اعمال مماثلة ، لم تحظ بانتشار واسع ، نظرا لقلة عدد قراء العبرية حينذاك بحيث بقيت لمدة طويلة ، تزيد على قرن من الزمن ، مقصورة على عدد محدود من القراء — ولكن اتضح فيما بعد انها كانت بالغة الاهمية • فعندما ظهرت الصهيونية، واتجهت الى احياء اللغة العبرية ، لاستعمالها كلغة قومية على صعيد الحياة اليومية ، وجدت هناك من مهد الطريق امامها ، في هذا المجال ،خلال اكثر من قرن من الزمن ، مما سهل عليها ، بالطبع ، تنفيذ هذه المهمة •

وتجدر الاشارة هنا الى ان نشاط مندلسون وتلامذته ، في مجال الهسكلاه ، بين يهود المانيا ، الذي بدأ في وقت مبكر ، بالنسبة لباقي دول اوروبا الغربية ، كان احد الاسباب الاساسية في اندماج يهود المانيا ببلادهم ، بشكل كامل ، ومساهمتهم في كافة نواحي حياته ، السياسية والعلمية والثقافية والاجتماعية • وبقي هذا الوضع على حاله الى ان ظهرت النازية في المانيا ، فقامت باقتلاع اولئك اليهود من مواقعهم ، قبل الحرب العالمية الثانية وخلالها، مؤدية بذلك خدمة جليلة للصهيونية ، بدعم موقفها المعارض لاندماج اليهود في البلدان التي يعيشون فيها •

كذلك كان انتشار الهسكلاه ، في وقت مبكر ، بين يهود المانيا ، احد الاسباب المباشرة في نشوء حركة اصلاحية اخرى داخل اليهودية ، خلال النصف الاول من القرن التاسع عشر ، هي اليهودية الاصلاحية (Reform Judaism) ، التي بدت كأنها فرع اخر من فروع الهسكلاه • وتميز اتباع هذا المذهب بالتغييرات التي ادخلوها على ممارساتهم الدينية ، اذ قاموا باستبدال العبرية ، كلغة الصلاة ، بالالمانية • ثم استبعدوا من صلواتهم كل ما يربط بين اليهود وبين عودتهم الى فلسطين ، لان رسالة اليهود ، بحسب رأيهم ، تكمن في الانتشار بين شعوب العالم ، لنقل مثل اليهودية اليها ، وذلك تجاوبا مع الرأي القائل بان اليهودية دين وليست امة وبانه لا يجوز ان تبقى الديانة اليهودية خاضعة لانماط وتقاليد تبلورت قبل مئات السنين (٢٤) • وكانت هذه الدعوة اساس اليهودية الاصلاحية ، التي انتشرت بين يهود اميركا ، فيما بعد •

كانت التيارات الرئيسية الثلاث التي ذكرناها ، الحاخامية والحسيدوت والهسكلاه ، كما يتضح ، تتصارع

مع بعضهما البعض داخل اليهودية ، خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، مع نهاية الفترة التي نتحدث عنها • وقد سيطر هذا الصراع على الحياة اليهودية وقتئذ ، وذلك على عتبة التطورات التي طرأت على اوضاع اوروبا عامة ، مع نهاية ذلك القرن ، والتغييرات التي دخلت الى حياة اليهود عقب ذلك •

[٣]

وقع في اوروبا ، خلال الربع الاخير من القرن الثامن عشر ، قبل ظهور الصهيونية بنحو قرن من الزمن ، حدثان مهمان ، كان لكل منهما تأثير بعيد المدى على اوضاع اليهودية هناك ، بكافة نواحيها ، استمر خلال القرن التاسع عشر باكمله وامتد ، على الاقل ، حتى نهاية الحرب العالمية الاولى ، سنة ١٩١٨ • وكان الحدث الاول نشوب الثورة الفرنسية، سنة ١٧٨٩ ، والاجراءات التي اتخذتها لتحرير اليهود ، ومنحهم حقوقا سياسية واجتماعية كاملة • اما الثاني فكان تقسيم بولونيا للمرة الثالثة بين جاراتها ، سنة ١٧٩٥ ، بشكل خضعت معه اكثرية اليهود في البلد لحكم روسيا القيصرية • وكلا الحدثين لا يقل اهمية عن الاخر ، في تأثيره على التاريخ اليهودي المعاصر •

كانت فرنسا الثورة اول دولة اوروبية تمنح يهودها الحقوق المدنية ، سنة ١٧٩١ ، اسوة بباقي المواطنين الفرنسيين ، وذلك بعد ان الغت نظام الاقطاع ، ومنعت التمييز بين المواطنين ، بسبب عقيدتهم الدينية (١) (وكانت الولايات المتحدة الاميركية قد سبقتها الى ذلك في اعلان استقلالها) • وفي سنة ١٨٣٠ منحت الديانة اليهودية المركز نفسه الذي احتلته الديانة المسيحية (٢)،بعد ان اقرت المساواة بين الاديان •لكن فرنسا لم تكتف بهذا الدور ، الذي لعبته بالنسبة ليهودها ، وانما عملت على نقله الى الدول الاوروبية الاخرى التي وقعت تحت حكمها ، بعد ظهور نابوليون ، الذي كان ، في الوقت نفسه ، قد أتخذ بعض الاجراءات « لاصلاح» اليهود واليهودية في فرنسا نفسها (٣) من جهة ، بينما حاول كسب ودهم ، بالعمل على اعادة تشكيل مجلس السنهادرين، وتحويل انظارهم نحو فلسطين ، خدمة لمطامعه في الشرق ، من جهة ثانية • وبعد دخول الجيوش الفرنسية ، الى كل من هولندا وايطاليا وسويسرا ، اجبر حكام هذه الدول على منح اليهود ، في بلدانهم ،

الحقوق نفسها التي منحتهم اياها فرنسا · غير ان هذه الاوضاع لم تدم طويلا ، اذ بعد جلاء الفرنسيين عن هذه الدول ، عاد الوضع السابق فيها ، بالنسبة لليهود ، الى ما كان عليه (٤) ·

ولكن عجلة الاصلاحات ، التي دفعتها الثورة الفرنسية ، لم تتوقف، على اي حال ، عن السير في مختلف دول اوروبا الغربية ، وذلك على الرغم من الردة الرجعية التي سادت اوروبا ، بعد احتواء الثورة · فحالة الغليان ، والمطالبة بالاصلاحات ، استمرت في اوروبا ، رغم القيود والاجراءات التي اقرها مؤتمر فينا (١٨١٥) لمجابهتها ، لتصل الى قمتها ، مع ثورات ١٨٤٨ ، في عدة مناطق اوروبية ، ولتعود معظم الدول الاوروبية الى منح حقوق اوسع لمواطنيها ، ومن ضمنهم اليهود ·

ففي ايطاليا الغيت ، سنة ١٨١٤ ، الحقوق التي منحت لليهود هناك ، من قبل الفرنسيين ، واستمر الوضع على هذا المنوال حتى قويت حركة التحرر والوحدة الايطالية ، وراحت تمنح الحقوق المدنية لليهود في كل منطقة تقع تحت حكمها ، ابتداء من سنة ١٨٥٩ ، الى ان تم توحيد ايطاليا، سنة ١٨٧٠ ، فمنح اليهود في البلاد باسرها حقوقا كاملة (٥) ·

اما سويسرا فقد الغت القيود ، التي كانت مفروضة على غير المسيحيين ، ومن ضمنهم اليهود ، سنة ١٨٧٤ (وكانت هذه القيود قد سببت لها العديد من المشاكل مع دول اخرى ، منها فرنسا وهولندا والولايات المتحدة ، التي رفضت التعامل مع سويسرا تجاريا ، بسببها)، بينما كانت الدول الاسكندنافية قد اتمت خطواتها ، في هذا المجال ، سنة ١٨٤٩ (٦) ·

كذلك تم ، خلال القرن التاسع عشر ايضا ، الغاء آخر ما تبقى من قيود طفيفة ، كانت مفروضة على اليهود في بريطانيا وهولندا · وكانتا الوحيدتين ، في اوروبا ، اللتين لم تفرضا قيودا على اليهودي ، تتعلق بحقوقه كأنسان ، منذ القرون الوسطى ، مثل تقييد حرية تنقله او سكنه او نوع عمله (٧) · وكانت هولندا قد اعلنت اساسا ، سنة ١٦٥٧ ، انها تعتبر اليهود مواطنين فيها · اما بريطانيا ، فبعد ان كانت قد سمحت لليهود بالعودة اليها ، سنة ١٦٥٦ ، اقرت سنة ١٧٥٣ قانونا يعفيهم من تأدية اليمين القانونية ، وفقا للعقيدة المسيحية ، للحصول على الجنسية البريطانية · الا ان البرلمان اضطر الى الغاء هذا القانون ، نظرا للمعارضة الجماهيرية التي لقيها ، ولكنه عاد واقره ثانية سنة ١٨٢٦ (٨)·

واستمر الصراع قائماً حول الغـاء واجب تأدية تلك اليميـن ، بالشكل المذكور ، حتى سنة ١٨٥٨ ، عـندما الغيت بالنسبة لاعضاء مجـلس العموم من اليهود ، وتمكن احـد ابناء عائلة روتشيلد اليهودية من احتلال مقعـده في المجلس ، بعـد ان انتخـب لعضويته للمرة الثالثة (بينما لم يتمكن في السابق من الاشتراك في جلساته ، لرفضه تأدية تلك اليمين) ٠ وفي سنة ١٨٦٦، اقر تعديل مماثل بالنسبة لاعضاء مجلس اللوردات (٩)٠ وهكذا الغيت آخر القيود التي كانت مفروضة على اليهود في بريطانيا ٠

اما المانيا فقد اصدرت ، سنة ١٨١٢ ، قانونا يساوي بين اليهود وباقي المواطنين ، بعـد ان كانت قد منحتهم ، سنة ١٨٠٨ ، حق الانتخـاب للبلديات ، بينما كان جزء منهـا لا يزال يحتله الفرنسيون ٠ ولكن اوضاع اليهود هناك كانت تتغير من حين الى آخر ، نتيجة للهزات السياسية التي تطرأ على البلد ، الى ان توحـدت المانيا سنة ١٨٧١ ، ومنحـت اليهود حقوقهم المدنية كاملة (١٠) ٠

وفي النمسا ، كان القيصر يوسف الثاني قد اصدر ، سنة ١٧٨٢ ،قانونا فرضت بموجبه الخـدمة العسكرية عـلى اليهود ، وحـدد في الوقت نفسه عدد الزيجات بينهـم ، ليمنع تكاثرهم ٠ ولكن هذا القانون الغي سنـة ١٧٩٠ ، بعـد وفاة الملك ٠ واستمرت اوضاع اليهود في النمسا (التـي كانت في ذلك الوقت ثاني دولة ، بعـد روسيا ، من حيث عدد اليهود فيها) وهنغاريا على ما كانت عـليه ، وبقيت مختلف القيود مفروضة عـليهـم ، رغم كل التغييرات التي ادخلت الى باقي الدول الاوروبية ، الى ان تـم تحريرهم ، سنة ١٨٤٩ ، بموجب الدستور الذي صدر آنذاك ٠

يتضح مما تقدم ، ان مساعـي تحرير اليهود في دول اوروبا الغربية ، ومنحـهم حقوقهم المدنية كاملة ، اسوة بباقـي مواطني الدول التي عاشوا فيها ، كانت قد استكملت حتى سنة ١٨٧١ ، عـدا البرتغال التي حـررت اليهود فيها سنة ١٩١٠ ، واسبانيا التي منحتهم الحقوق المدنيـة سنـة ١٩١٩ (١١) ٠

كان لهذه التغييرات ، بالنسبة لليهود في دول اوروبا الغربية المذكورة، تأثيرها الواضح على اوضاعـهم الاجتماعية والثقافية والاقتصادية ، ومـن ثم عـلى مواقفهم السياسية هناك ، ثم مواقف الشعـوب الاخـرى منهم ٠ فقد استجاب اليهود للحقوق التي منحت لهـم ، في هذه البلدان ، وتوجهوا

الى الاندماج كأفراد في المجتمعـات التي عاشوا بينها ، ومنهم من أنصهر فيها ، بعـد ان تفككت تدريجيا الروابط الدينية ـ الطائفية التي كانت تشد بعضهم الى بعض (١٢) ، وحلت محلها القيم الجديـدة التـي سادت عصرهم (١٣) ، فبرز الكثيرون منهم في مجال نشاطات عـديدة ، علميـة وثقافية وسياسية • كما ازداد ، خـلال هذه الفترة ، عـدد الزيجـات المختلطة بين اليهود وغـيرهم ، بينما اتجـه العـديد من المثقفين والمثقفات منهم، خاصة في المانيا ، الى اعتناق المسيحية (١٤) • وشـذ عـن هذه القاعـدة ، الى حـد ما ، يهود بريطانيا ، اذ تبلورت بينهم فئتـان من المتدينين والمسكيليم في آن واحد (١٥) ، وذلك ، عـلى ما يبدو ، نتيجة التطور الهادىء الذي مروا فيه • وفي الوقت نفسه ، بدأ اليهود ينتقـلون من القرى الى المدن ، وتغيرت اعمالهم ومصادر رزقهم وفقا لذلك ، حيـث اتجه الكثيرون منهـم للعـمل في التجارة • وزاد عـدد ذوي المهن الحرة بينهم ، وبـرز العـديد منهـم فـي مجالي الصحافـة والادب بنوع خاص (١٦) • ومع هذا التحول ، ضعف ذلك التيار من الهسكلاه ، الداعي الى احياء التراث العبري (ولكنه انتقل ، فـي الوقت نفسه ، الى روسيـا واوروبا الشرقية) ، بعـد ان اتجـه اليهود الى دراسة لغـات وآداب الشعـوب التي يعيشون بينها ، دعـما لاتجاه التقارب منها •

ظهرت هذه الاتجاهات ، على اكثر ما تكون وضوحا ، في المانيـا ، مهد الهسكلاه ، حيث ساعد أيضا تصرف حكام البلد أنفسهم على بروز طبقة من الرأسماليين اليهود في البلد ، بعـد ان عـهد اولئك الحـكام اليهم بمهام تدبير شؤونهم المالية ، وخصوصا تزويد جيوشهم بالاسلحـة والعتاد (١٧) • وكان اليهود قد بدأوا التعـامل بالمال والفائدة منذ القرن التاسع ، عـندما حرمت الكنيسة عـلى المسيحيين هذا النوع من المعاملات، بعد ان غضت الطرف عن اليهود (١٨) • وقد قوى نفوذ هذه الطبقـة من الرأسماليين اليهود ، مع الزمن ، بعـد ان قامت طبقات مماثلة لهـا في فرنسا وانكلترا ، وتزعـمت الطوائف اليهودية ، كل في بلادها ، بينمـا اقتربت في الوقت نفسه من حكام بلادها ، ومثقفيها وامتزجت بهـم ، فكانت بذلك قدوة لباقي أبناء الطائفة ، الذين سعـوا الى اقتفاء أثرها •

ومن ناحية ثانية ، ازداد نفوذ رأس المال اليهودي ، مع صعود الثورة الصناعية في اوروبا ، فأتجه الى تأسيس البنوك ، التي سرعان ما احتلت مركزا مرموقا في تطوير اقتصاد اوروبا الغربية ودعمه ، بواسطة مساهمتها في اقامة مختلف الصناعات وتمويلها ، ثم بناء السكك الحديدية ، التي احدثت ثورة في عالم المواصلات في تلك الحقبة ٠

ويلاحظ من مختلف نشاطات اليهود واوضاعهم في اوروبا ، خلال هذه الفترة ، خصوصا في فرنسا والمانيا وبريطانيا ، انهم كانوا قد وصلوا، خلال الربع الاخير من القرن التاسع عشر ، بعد ان منحت لهم الحقوق المدنية ، الى مرحلة متقدمة من الاندماج بالشعوب التي يعيشون بينها، باعتبار انفسهم جزءا منها ، بعد ان انغمس الكثيرون منهم في الحياة السياسية فيها ٠ ويتضح من بعض اوجه نشاط زعماء اليهود واغنيائهم ، في تلك الدول ، انهم اعتبروا اوضاعهم هناك مريحة ، ومستقبلهم مضمونا ، حتى رأوا من المناسب الاتجاه للعمل على مساعدة اليهود في دول اخرى ، غير دولهم ٠ ففي فرنسا ، اسس بعض وجهاء اليهود ، وكان من بينهم ادولف كراميه ، عضو مجلس النواب والوزير في الحكومة الفرنسية ، جمعية الاليانس (« الاتحاد اليهودي العالمي » ، Alliance Israelite Universelle _ وبالعبرية : « كل يسرائيل حفيريم ») ، التي سعت لان تكون اتحادا عالميا ، يعمل على تقديم المساعدة السياسية والثقافية لليهود ، في اية دولة كانوا ، من خلال الفكرة الداعية الى وحدة اليهود في كل انحاء العالم ٠ وقد نشطت الاليانس ، في بداية عملها ، في الدفاع عن حقوق اليهود السياسية في مختلف الدول الاوروبية (كان من بينها سويسرا ورومانيا) ٠ ولكن بعد وفاة كراميه، سنة ١٨٨٠ ، تقلص نشاطها السياسي ، واتجهت بدلا من ذلك الى ممارسة النشاط الثقافي ، وخصوصا اقامة المدارس ، بين يهود المشرق ـ تركيا والشرق الاوسط وشمال افريقيا ٠ وكانت الاليانس قد اقامت ، سنة ١٨٧٠، اول مدرسة زراعية لليهود في فلسطين ، في مكفيه يسرائيل بالقرب من يافا ، باشراف احد مؤسسيها ، كارل نيطر (١٩) ٠ وقد ساهمت تلك المدرسة فيما بعد ، في دعم الاستيطان الصهيوني في فلسطين ٠ وفي سنة ١٨٧١ ، انفصل عن الاليانس ، فرعها في انكلترا ، واسس الجمعية الانكليزية اليهودية ـ Anglo-Jewish Association (وكانت بعض الطوائف اليهودية في بريطانيا قد اسست في السابق ايضا

جمعيـــة لادارة شؤونهـــا ، سمتهـــا « لجنـة المبعوثيـــن » (Board of Deputies) (٢٠) ٠

كذلك اقيمت في بريطانيا ، سنة ١٨٩١ ، شركة الاستيطان اليهودية ـ « يكـــا » (Jewish Colonisation Association - JCA) ، مـــن قبـل البارون هيرش ، اليهـودي الفرنسي ، وغايتها العـمل عـــلى حـل ضائقة يهود روسيا ، عـن طريق تهجيرهم الى الارجنتيـــن وتوطينهـم هناك (٢١) ٠ ومنذ سنة ١٩٠٠ ، نشطت هذه الشركة في فلسطين ، بعد ان تعـهدت بتحمل مسؤولية دعم المستوطنات اليهودية ، التي اقامتهـــا حركة هواة صهيون في البلد ، عـندما اوقف البارون روتشيلد مساعدته لهـــا ٠

واما فيالمانيا فقد اقيمت،سنة١٩٠١ ،جمعية مماثلة للعمل فيحقلمساعدة اليهود : جمعية «عزره» (Hilfsevrein der deutschen Juden) (٢٢)٠ وعملت هذه الجمعية ، في فلسطين ، في المجال الثقافي خصوصـــا ، فاسست العديد من المدارس لليهود هناك ، وبادرت فيما بعد الى تأسيس التخنيون ، معهد الهندسة التطبيقية في حيفا ، سنة ١٩١٢ ٠

وتنبغي الاشارة هنا ، الى ان تلك الاوضاع المريحة ، التي وجد يهود اوروبا الغربية انفسهم يعيشون فيها ، كانت من بين الاسباب التي ادت الى عـدم انتشار الصهيونية بينهم ، في مرحـلة لاحقة ، عـلى نطاق واسع، وبقيت محصورة في قسم صغـير منهم ، رغـم ان عـددا من الزعماء والمفكرين الصهيونيين خرجوا من بينهم ٠

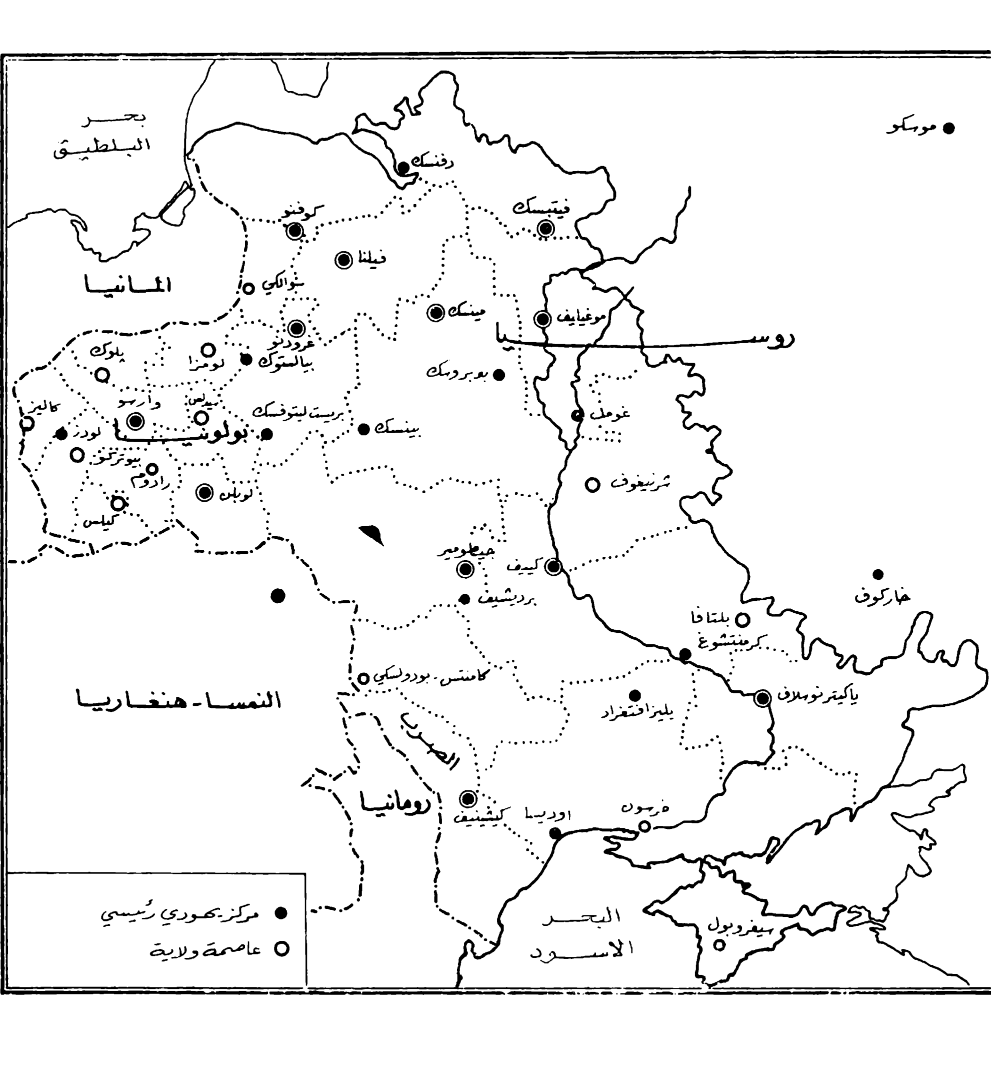
[٤]

تختلف اوضاع اليهود ، وتزداد سوءا ، خلال الفترة التي نتحدث عنها، عن اوضاعهم في اوروبا الغربية ، عندما نتجه نحو الشرق ، الى روسيـا القيصرية ، التي اصبحت الدولة الاولى في العالم بالنسبة لعدد السكـان اليهود فيها ، بعد تقسيم بولونيا ، سنة ١٧٩٥ ، للمرة الثالثة بين جاراتها الثلاث ، روسيا والمانيا والنمسا ٠ وكان ذلك التقسيم قد تم بشكل ضمـت معه مناطق واسعة ، من بولونيا التي كان اليهود يقطنونها بكثافة ، الـــى روسيا ٠ وقدر عدد اليهود في العالم ، سنة ١٨٠٠ ، بنحو ٢٫٢٥ مليـــون

نسمة ، يعيش منهم مليونان في اوروبا (ومن بين هؤلاء كان نحو ١ر٤ مليونا (١) ـ اي ما يزيد على النصف ـ يعيشون في روسيا وذلك الجزء من بولونيا الذي ضم اليها) ٠ وكان عدد اليهود ، عامة ، قد ارتفع ، مع اواخر القرن التاسع عشر ، الى خمسة اضعاف ما كان عليه في اوائل ذلك القرن ، وذلك نتيجة لنسبة عالية من التكاثر الطبيعي ، فاقت تلك التي كانت سائدة بين الشعوب الاخرى ، التي كان اليهود يعيشون بينها ٠ فخلال الربع الاول من القرن التاسع عشر ، ارتفع عدد اليهود من ٢٥ر٢ مليون نسمة سنة ١٨٠٠ ، الى ٣ر٣ مليون نسمة سنة ١٨٢٥ ، ثم الى ٧ر٤ سنة ١٨٥٠ و ٥ر٧ سنة ١٨٨٠ و ٥ر١٠ سنة ١٩٠٠ ، ليصل الى نحو ١٣ مليونا ، سنة ١٩١٤ ، عند نشوب الحرب العالمية الاولى (٢) (والى ١٧ مليونا ، سنة ١٩٣٩ ، عند نشوب الحرب العالمية الثانية) ٠

ان روسيا القيصرية ، التي وجدت نفسها ، بعد تقسيم بولونيا ، تحكم مئات الالاف من اليهود ، وهي التي كانت تمنعهم ، رسميا على الاقل ، من السكن في مناطق معينة فيها ، اختطت لنفسها طرقا للتعامل معهم ، تختلف عن تلك التي اتبعتها اوروبا الغربية ٠ وكان اول ـ واهم ـ اجراء اتخذته، في هذا المجال ، منع اليهود الذين كانوا يعيشون على الاراضي البولونية التي ضمت لها ، من ترك مناطقهم الاصلية ، والانتقال للعيش في اي منطقة اخرى في روسيا ، واجبرتهم على البقاء في تلك المناطق ٠ فخلقت بذلك ما عرف فيما بعد بأسم « منطقة الاستيطان » («تحوم هاموشاف » ، Pale of Settlement) ، التي رسمت حدودها نهائيا سنة ١٧٩٥ ، وبقيت قائمة لمدة ١٢٢ سنة ، حتى نشوب الثورة الروسية سنة ١٩١٧ (٣) (انظر الخريطة ، ص ٣٢) ٠ وسرعان ما تحولت « منطقة الاستيطان » هذه الى غيتو كبير ، فرض الحكم القيصري على اليهود ، الذين يعيشون فيه ، قيودا عديدة ، ومارس مختلف اجراءات الاضطهاد ضدهم ، بينما كانت اوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية تزداد سوءا من فترة الى اخرى ، نظرا لازدياد عددهم نتيجة تكاثرهم الطبيعي بنسبة مرتفعة ، من جهة ، وضيق امكانات العيش واشتداد الفقر بينهم من جهة اخرى ٠ وقد طبعت اوضاع المعيشة، في منطقة الاستيطان ، حياة اليهود هناك بطابع فريد من نوعه ، وجدت فيه الصهيونية مرتعا خصبا لها ، عند نشوئها ٠

اختلفت السياسة ، التي انتهجتها روسيا القيصرية ، ازاء رعاياها اليهود ، والتي استمرت طوال القرن التاسع عشر باكمله ، وحتى سنة



« منطقة الاستيطان » اليهودية في روسيا وبولونيا (١٧٩٥ ـ ١٩١٧)
في اواخر القرن التاسع عشر (٤)

١٩١٧ ، من حكم قيصر الى حكم آخر واتصفت ، عامة ، بمحاولات تبذلها السلطة لتحسين اوضاع اليهود ، لفترة ما ، لتتبعها اجراءات مناهضة لهم ، ثم تعود الدورة لتبدأ من جديد ·

كانت اولى المحاولات ، التي بذلتها الحكومة الروسية ، في هذا المجال ، اصدار قانون « لاصلاح » اليهود ، سنة ١٨٠٤ ، هدف اساسا الى تشجيعهم على الانتقال للعمل في الحرف والزراعة (وكانت بعض الطوائف اليهودية قد طالبت بذلك (٥)) ، بواسطة منح من يقوم منهم بذلك بعض التسهيلات من جهة ، ومحاربة عملهم في استئجار الحانات وتشغيلها ، خصوصا في القرى ، من جهة اخرى ، وذلك على الرغم من ان السلطات كانت تحصل على مبالغ طائلة من الضرائب التي فرضت على هذا العمل· ومع اصدار ذلك القانون ، وسعت المناطق التي سمح لليهود بالسكن فيها، وضمت اليها بعض اجزاء اوكرانيا والمنطقة الجنوبية من روسيا ، بمحاذاة البحر الاسود (وكثر عدد اليهود هناك ، مع مرور الوقت ، خصوصا في مدينة اوديسا ، وكان لهم شأن مع الصهيونية فيما بعد) · وعندما كان اليهود يتلكأون ، في الاستجابة لخطط الحكومة تلك ، والانتقال للعيش في المناطق التي فتحت امامهم ، كانت السلطات تقوم بطرد اعداد منهم الى تلك المناطق ، بهف زيادة عدد السكان فيها ، للاسراع في تطويرها · ولكن عمليات الطرد هذه لم تستمر طويلا ، اذ اضطرت السلطات الى ايقافها ، والتخلي مؤقتا عن خططها « الاصلاحية » ، سنة ١٨٠٨ ، بعد هجوم نابليون على روسيا (٦) · غير ان عمليات الطرد هذه عادت وتجددت ، بعد مؤتمر فينا (١٨١٥) ، التي وسعت روسيا على اثره حدودها ، مرة اخرى ، على حساب اراض بولونية اضافية ، فازداد عدد اليهود فيها من جراء ذلك ، ليرافق هذه العملية طرد اليهود من القرى الى المدن ايضا ، لمنعهم من « استغلال المزارعين الروس » ، بواسطة تشغيل محلات القمار والحانات وتعاطي الربا ·

استمرت هذه السياسة قائمة خلال الفترة الاخيرة لحكم القيصر اسكندر الاول (١٨١٥ ــ ١٨٢٥) ، الى ان جاء القيصر نيقولا الاول (١٨٢٥ ــ ١٨٥٥) ، فعدلها واضاف اليها سياسة جديدة « لاصلاح » اليهود ــ وهذه المرة عن طريق فرض الخدمة العسكرية (سنة ١٨٢٧) على الشباب منهم ، ابناء ١٢ ــ ٢٥ سنة،لفترة ٢٥ سنة لكل فرد· ثم فرض القيصر على زعماء اليهود تنفيذ هذه السياسة،وحملهم مسؤولية تزويد الجيش بالاعداد المقررة

من المتطوعين اليهود · وبقي هذا الوضع قائما الى ان عدل القانون ، سنة ١٨٧٤ ، وخفضت مدة الخدمة العسكرية · وكان القيصر قد ادخل تعديلا على سياسته هذه ، سنة ١٨٤٠ ، فاتجهت الحكومة الى تنفيذ اصلاحاتها بالطرق الثقافية ايضا، وذلك بفتحها المدارس لليهود ، وتشجيعهم على تلقي العلوم فيها . والسماح لفئات معينة ، من المثقفين واصحاب الحرف ، بالسكن والعمل خارج مناطق الاستيطان اليهودية ، مقابل تضييق الخناق على صلاحيات رؤساء الطوائف اليهودية ، وفرض القيود على المدارس الدينية التقليدية (« حيدير » ، « يشيفاه » وغيرها) · الا ان الحكومة الروسية عادت وتخلت عن سياسة الاصلاح الثقافي هذه ، سنة ١٨٧٣ ،ولكن حتى ذلك الوقت ، كانت قد تكونت فئة من المثقفين اليهود ، راحت تندمج بين الاكثرية الروسية (٧) · واستمرت سياسة الحكومة الروسية ، تجاه اليهود ، تتأرجح بين المد والجزر ، من محاولات لاصلاح اوضاعهم الى فرض القيود عليهم وأضطهادهم . حتى سنة ١٨٨١ ، عندما اغتيل القيصر اسكندر الثاني (١٨٥٥ ــ ١٨٨١) ، فأدى اغتياله الى قيام ردة رجعية عنيفة في روسيا ، وكان من نتائجها ، تنظيم عشرات الاعتداءات والمذابح ضد اليهود في البلد ، بسبب وجود فتاة يهودية بين المجموعة التي اغتالت القيصر · وكانت تلك الاعتداءات احد الاسباب الرئيسية التي فجرت هجرة يهودية واسعة من روسيا وبولونيا ، الى اميركا خاصة ، بينما اتجه جزء ضئيل من هذه الهجرة الى فلسطين . ليضع هناك الاسس الاستيطانية للنشاط الصهيوني في البلد ، وهو ما سنبحثه فيما بعد ·

اما في رومانيا ، فلم تختلف اوضاع اليهود كثيرا عما كانت عليه في روسيا القيصرية ، ان لم تكن اسوأ منها ، اذ ان حكام رومانيا حاولوا ، تقليد الاجراءات التي اتخذتها روسيا ضد اليهود ، مع اضافة طابع خاص بهم عليها ، امتاز بقسوته · وكانت اكثرية يهود رومانيا قد قدمت اليها من روسيا ، خلال الربع الثاني من القرن التاسع عشر ، بعد تدهور اوضاعهم هناك · ولكن السلطات الرومانية أصرت على عدم منحهم حقوق المواطنية طوال فترة طويلة ، فمنعتهم من العمل في التجارة والحرف الطبية والبورصة وفي نهاية الامر منعتهم من العمل كباعة متجولين ايضا · كذلك اصرت رومانيا على عدم منح حقوق المواطنية لليهود ، حتى بعد ان طالبها بذلك مؤتمر برلين (١٨٧٨) ، الذي اعترف باستقلالها ، ورغم كل ما تعهدت به (٨) · وكان يهود رومانيا ، نتيجة لاوضاعهم تلك ، من اوائل اليهود الاوروبيين الذين هاجروا الى فلسطين ، واقاموا المستوطنات الصهيونية

فيها (روش بينا ، زخرون يعقوب) ٠

أسفرت سياسة الاضطهاد ، التي انتهجتها روسيا القيصرية ، ازاء اليهود في الاراضي الواقعة تحت حكمها ، في روسيا وبولونيا ، عن نتائج تختلف عن تلك التي ظهرت بين اليهود في اوروبا الغربية ، بعد ان منح اليهود فيها حقوقهم المدنية كاملة ، وادت الى تطورات تختلف عن تلك التي حدثت هناك ٠ ولكن ، من ناحية ثانية ، لم يكن من السهل ادخال تغييرات جذرية على اوضاع اليهود في روسيا وبولونيا ، كما حدث في اوروبا الغربية ، حتى لو عاملتهم السلطات هناك بطريقة افضل ، وذلك بفضل العديد من الصفات المميزة لهم ، التي لم تكن موجودة لدى يهود اوروبا الغربية ٠

ففي بولونيا ، شكل اليهود ، في معظم المناطق التي كانوا يسكنونها ، اكثرية ، على الرغم من كونهم اقلية بين السكان ، كانت تعيش في العديد من المدن والقرى ذات الاكثرية اليهودية ، القريبة من بعضها بعضا ٠ وكان من نتائج هذا الازدحام السكاني انغلاق المجتمع اليهودي على ذاته ، في الوقت الذي لم تكن الظروف المحيطة به ، تسمح له بالاندماج الكامل مع باقي السكان ، بحيث تقدم ببطء شديد ، نظرا لصعوبة تسرب افكار وقيم جديدة اليه ٠ فالهسكلاه ، مثلا ، ظهرت هناك بعد مرور نحو قرن من الزمن على ظهورها في اوروبا الغربية ، بينما بقي الطابع الديني مسيطرا على المجتمع اليهودي هناك ، وعلى تفكير الاكثرية اليهودية ، افرادا وجماعات، الامر الذي حال دون كل تقدم ٠

كذلك ازدادت ، خلال هذه الفترة ايضا ، حدة الحرب التي كانت دائرة بين الحاخامية والحسيدوت (٩) ، وكانت الاخيرة هي البادئة ، بعد ان تمكنت من التسلط على اكثرية الطوائف اليهودية في اوروبا الشرقية (١٠). وتم ذلك بعد ان كانت الحسيدوت قد اغرقت في الانطواء على ذاتها ، وبعد ان قوي في داخلها مركز الصديقين ، وهم حلقة الوصل بين البشر وخالقهم واتجهت اكثر نحو الغيبيات ، بحيث اصبحت شعائرها تمارس وهي مرفقة بتعاطي المشروبات الروحية (١١) ٠ ومع الزمن ،اصبح اسلوب الحسيدوت نوعا من التبرير العقائدي للتقاعس عن تعاطي العمل المنتج ، وذلك بعد ان ابتعدت عن واقع الحياة ، ولجأت الى اتخاذ مواقف تحفظ واحتقار للعمل عامة (١٢) ٠ ولا شك ان دعاة التقدم ، داخل هذا المجتمع ، اضطروا في مثل هذه الحالة ، الى التصرف ببطء وحذر شديدين ، عند التعبير عن ارائهم الداعية لتغيير تلك الاوضاع ٠ فلقد وصم يتسحاق ليفينزون ، « ابو

الهسكلاه في روسيا » (١٣) ، بالهرطقة والكفر ، لانه نشر سنة ١٨٢٨ كتابا اثبت فيه ، استنادا الى تعاليم حكماء اليهودية ، انه لا مانع بالنسبة لليهود من دراسة اللغات الاجنبية ، بالاضافة الى العبرية ، ولا خطر على اليهودية من دراسة العلوم عامة، وانه ينبغي ايضا تعليم اليهود الحرف والصناعات، لتحسين اوضاعهم ، بدلا من الاعتماد على مهن السمسرة والتجارة (١٤)٠ وفي الوقت نفسه ، تحالف الحاخامون والصديقون ، في ابدائهم معارضة شديدة لدخول الشباب اليهود الى المدارس والجامعات الحديثة ، لئلا « تفسد » اخلاقهم ، مفضلين بالمقابل دخولهم الى مؤسسات التعليم الدينية (١٥) ٠ ولكن الهسكلاه ، رغم « الاضطهاد » الذي لاقته بين يهود روسيا ، استمرت في دعوتها الى اصلاح اوضاع اليهود عامة ، بواسطة تحويلهم الى حياة العمل المنتج ، خصوصا الحرف والعمل المستأجر (١٦)٠ وكانت لهذه الدعوة اثرها ، فيما بعد ، في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ، عند اقامة البوند ، الاتحاد العام للعمال اليهود في روسيا وبولونيا ٠ وتبناها ايضا الجناح العمالي الصهيوني ذو الصبغة الاشتراكية ، الذي اخذ الفكرة عن هواة صهيون ، الذين كانوا بدورهم قد اكتسبوها من الهسكلاه (١٧) ٠

لكن على الرغم مما ذكرناه فقد طرأت تغييرات واضحة ، خلال القرن التاسع عشر ، على اوضاع اليهود في روسيا وبولونيا ، في مجالات عديدة، ولاسباب مختلفة ، كانت نواح مهمة منها خارجة على ارادة السلطات واليهود معا ٠ فخلال القرن التاسع عشر ، بدأت روسيا تسير على طريق التطور الصناعي ، محاولة مجاراة باقي دول اوروبا الغربية في هذا المضمار ٠ وترتب على هذا التحول تعديل في المواقف المتبادلة ، لدى كل من السلطات الحاكمة واليهود ، تجاه بعضهم بعضا ٠ اما اول هذه التعديلات ، فقد نجم عن حاجة الحكومة الى الرأسمال اليهودي المحلي ، لاشراكه في دعم التطور الرأسمالي في البلد ، والذي استنجد بدوره بالرأسمال اليهودي في المانيا وفرنسا لمساعدته (١٨) ٠ ويلاحظ ان الرأسماليين اليهود هم الذين اسسوا معظم البنوك الكبيرة في روسيا ، وكانوا من اوائل بناة سكك الحديد في البلد (١٩) ، ووضعوا ايضا الاسس للعديد من الصناعات هناك ٠ وقد قوي نفوذ اولئك الرأسماليين اليهود وازداد عددهم ، مع مرور الزمن ، بحيث وجد سنة ١٨٢٥ ، مثلا ، ١٢ مليونيرا يهوديا في مدينة وارسو وحدها (٢٠) ، واصبحوا مع الزمن طبقة منفصلة قائمة بذاتها، رغم صغرها ، راحت تندمج تدريجيا بالمجتمع الروسي وتتثقف بثقافته ،

كشبيهتها في دول اوروبا الغربية · وتمتع بعض ابناء هذه الطبقة بنفوذ واسع لدى الدوائر الحاكمة في روسيا ، وحظوا بالالقاب الرفيعة · وعلى رغم ذلك ، بقيت القيود مفروضة على الجماهير اليهودية ، التي كانت تعيش ، اجمالا ، في حالة من البؤس والفقر الشديدين ·

وتجدر الاشارة هنا الى ان نمو الرأسمال اليهودي ، بهذا الشكل ، من جهة ، ونشاط الرأسماليين اليهود من جهة اخرى ، اثرا بشكل مباشر على كارل ماركس ، عندما وضع حلوله للمسألة اليهودية · ولكن الماركسية ، على اي حال ، لم تؤثر في مسار الصهيونية وموقف الاخرين منها ، الا مع بداية القرن العشرين ، وبعد ان قطعت الصهيونية شوطا لا بأس به من النشاط العملي ، وهو ما سيبحث في حينه ·

ويلاحظ ، من ناحية ثانية، ان الحكومة الروسية سعت ايضا الى اجتذاب المثقفين ، ومن بينهم اليهود ، من ذوي المؤهلات ، الذين كانت بحاجة لهم. لدعم تقدم البلد الرأسمالي ، ومنحتهم تسهيلات لا بأس بها ، بعد ان فتحت امامهم مجالات عمل عديدة · ففي سنة ١٨٥٩ ، صدر قانون يسمح للتجار اليهود الاغنياء بالسكن في اي مكان في روسيا ، خارج « منطقة الاستيطان» ومزاولة عملهم هناك · وفي سنة ١٨٦٥ ، عدل هذا القانون ، ليشمل الحرفيين من بين اليهود ، وكذلك اي يهودي انهى دراسته الثانوية · وعدل هذا القانون ، مرة أخرى ، بصورة شمل معها كل العاملين في المهن الطبية، بما في ذلك المرضات والقابلات · وفي سنة ١٨٦٤ ، سمح لليهود ايضا بالعمل في حقل القانون · ووصلت هذه التسهيلات الى قمتها سنة ١٨٧٤ ، عندما عدلت قوانين الخدمة في الجيش الروسي ، بشكل خفضت معه خدمة المجندين ، الذين انهوا دراستهم الثانوية ، من اربع سنوات الى سنة واحدة (٢١) ·

كان للامتيازات التي منحت للمثقفين عامة ، ولليهود منهم خاصة ، تأثيرها الواضح على تحسين اوضاع التعليم بين اليهود ، فاحدثت شبه « ثورة » بينهم ، في هذا المجال · فازاء التسهيلات ، التي منحت لحاملي الشهادات العلمية ، زالت تلك الشكوك والتحفظات ، التي كانت قائمة لدى طبقة معينة من اليهود ، بشأن منح ابنائهم ثقافة علمانية ، بدلا من الثقافة الدينية التقليدية · وما لم تستطع محاولات الحكومة تحقيقه في السابق ، بفتح مدارس خاصة لليهود ، عجزت عن جذب اعداد ملحوظة من الطلاب، رغم ان دراسة الدين كانت من بين المواد التي تشملها برامجها ، استطاعت

المدرسة الروسية العامة انجازه ، عندما اضيفت التسهيلات التي ذكرت لمن يتخرج منها ، رغم عدم وجود اي اثر لتدريس التعاليم الدينية اليهودية فيها · وكان من بين نتائج تلك التسهيلات ، مثلا ، ارتفاع عدد الطلاب اليهود ، في المدارس الثانوية ،من ١٥٩ طالبا سنة ١٨٥٣ الى ٩٢٢٥ طالبا سنة ١٨٨٦ ، اي نحو ٥٨ ضعفا · وفي الوقت نفسه ، ارتفع عدد الطلاب اليهود ، في الجامعات الروسية ، من ١٢٩ طالبا سنة ١٨٦٤ الى ١٨٥٨ طالبا سنة ١٨٨٦ ، اي نحو ١٤ ضعفا (٢٢) · واصبح هؤلاء الطلاب ، ومن تبعهم ، عماد الطبقة المتوسطة اليهودية في روسيا ، فوجدت الهسكلاه ، بينهم ، ثم الصهيونية العديد من المؤيدين لهما ·

ان التطورات التي اشرنا اليها ، لم تؤثر الا في حياة قلة من اليهود ، لم تتعد الربع ، في احسن الاحوال (٢٣) ، فيما تغيرت اوضاع الاكثرية وفق نمط آخر · وكان التغيير الرئيسي الذي طرأ على اوضاع عامة اليهود انذاك ، خلال النصف الاول من القرن التاسع عشر ، ازدياد عدد العاملين منهم في الزراعة ، نسبيا، نتيجة للتسهيلات التي منحتها الحكومة لمن يتعاطى هذه المهنة ، من ناحية ، ونتيجة لاجبارها فئات معينة منهم ، احيانا ، على التوجه للعمل في الزراعة ، من ناحية اخرى · ففي سنة ١٨٥٩ ، وجد في روسيا وبولونيا نحو ٦٥ الف يهودي ، يعتاشون من الزراعة ، ويسكنون في ١٢٠ مستوطنة زراعية (٢٤) · وارتفع عدد هؤلاء الى ١٧٩ الفا سنة ١٨٩٧ ، وفق احصاء اجرته ، حينذاك ، شركة يكا · الا ان هذا العدد لم يكن يشكل الا نحو ٣ر٥ بالمائة من عدد السكان اليهود (٢٥) · وكانت الرغبة في التوجه نحو تعاطي الاعمال الزراعية قد خفت ، مع اواخر الخمسينات ، عندما توقفت الحكومة عن منح المساعدات والتسهيلات للاستيطان الزراعي · غير انه كان لهذه التجربة ، من ناحية ثانية ، تأثير بالغ الاهمية ، كما سنرى ، على تفكير الجناح العمالي الصهيوني ، فيما بعد ، الذي جعل من مطلبه تحويل اليهود الى حياة العمل الزراعي ركيزة رئيسية لعقيدته ·

اما التغيير الاخر ، الذي طرأ على اوضاع عامة اليهود ، فقد بدأ مع بداية الستينات ، ونجم عن عوامل عدة · ففي ذلك الوقت ، طردت السلطات الروسية اعدادا كبيرة من اليهود ، من القرى الى المدن ، لمنعهم من « استغلال » باقي القرويين · ثم طردوا بعد ذلك ، سنة ١٨٦٣ ، من كافة المناطق التي شبت فيها الثورة البولونية ، لينتقلوا الى المدن · وكانت

المدن ، التي سمح لليهود بالسكن فيها ، تضيق بهم اصلا ، لذلك توجه معظمهم الى العمل في المصانع والورش ، التي كانت تقام أنذاك على نطاق واسع ، اثر تقدم حملة تصنيع روسيا · ومع مرور الوقت ، نتج عن ذلك نمو طبقة يهودية عاملة كبيرة ، نسبيا ، وازداد ايضا عدد العاملين في الحرف ، بالاضافة الى ظهور طبقة من عمال المصانع اليهود · كما ازداد كثيرا عدد العمال اليهود المستأجرين (٢٦) · ويشير احصاء ، اجري سنة ١٨٩٧ ، الى ان عدد العاملين اليهود في روسيا وبولونيا بلغ ، في ذلك الحين ، نحو ٥٣٠ر١٠٠٠ر١ نسمة (من بين عدد اليهود الاجمالي ، البالغ نحو ٥ ملايين نسمة) ، وقد قدر عدد العمال بينهم بنحو ٥٥٥ر٠٠٠ نسمة، اي نحو الثلث : منهم نحو ٢٨٠ر٠٠٠ من الحرفيين واصحاب الصناعات الصغيرة ، ونحو ١٠٠ر٠٠٠ من العمال المستأجرين (٢٧) ·

ان التغييرات الاجتماعية والاقتصادية ، التي طرأت على حياة اعداد غير قليلة من اليهود في روسيا ، من ظهور المئات من كبار الاغنياء وتقريبهم من المجتمع الروسي ، ثم اندماجهم فيه ، الى اتجاه الالاف من الطلاب لتلقي العلم في المدارس الروسية ، ثم نمو طبقة عاملة تضم عشرات الالاف من العمال الذين راحوا يختلطون بالمجتمع المحيط بهم ، كل ذلك ادى الى تقدم الهسكلاه وتغلغلها في قطاعات واسعة من اليهود · وساعد على ذلك ايضا ، « احتضان » السلطات للمسكيليم اليهود ، الذين اتجهوا بدورهم للعمل على اضفاء طابع روسي ، على حياة اليهود هناك ، وتقويته (٢٨) ·
وفي سنة ١٨٦٣ ، اسس بعضهم « جمعية ناشري العلم بين اليهود » بهدف نشر اللغة الروسية والعلوم ، بين اليهود في روسيا وبولونيا ، على اعتبار ان ذلك ضروري لتأمين المساواة بينهم وبين الروس · الا ان تيار الهسكلاه « الروسي » ، الذي نشأ من خلال صراع مع مجتمع كان للقيم الدينية التقليدية وزنها لديه ، لم يكن الوحيد الذي تبلور بين يهود روسيا وقتها ، اذ ظهر بينهم تيار آخر ، مسكيل ايضا ، فضل الاتجاه نحو التراث العبري واحيائه ، بدلا من الروسي · وقد جوبه كلا التيارين بمقاومة كل من الحاخامية والحسيدوت ، اللتين كانتا ، على اية حال ، تخسران المعركة تلو الاخرى ، في حربهما مع الهسكلاه ·

نشط كلا التيارين من الهسكلاه ، وعملا بين اليهود في آن واحد · وفي الوقت الذي كان بعض المثقفين اليهود يعملون فيه لاصدار الصحف اليهودية ، باللغة الروسية (٢٩) ، مع بداية الستينات ، وينشرون المؤلفات

الادبية وغيرها ، باللغة الروسية ايضا ، كان زملاء لهم يقومون بالعمـــل نفسه ، ولكن باللغة العبرية · وكانت حصيلة انتاجهم هذا ضخمة نسبيا· ففي سنة ١٨٦٠ ، صدرت في مدينة اوديسا ، على البحـــر الاسود ، اول صحيفة اسبوعية باللغة العبرية في روسيا ، «هاميليتس» (« الموصي ») ، وانتقلت سنة ١٨٧١ لتصدر في سانت بيترسبيرغ (لينغراد) · وبـــدأت تصدر يوميا الى ان توقفت عن الصدور سنة ١٩٠٣ · وفي السنة نفسهـــا (١٨٦٠) ، صدرت في مدينة فيلنا بلتوانيا صحيفة « هاكرمل » (« الكرمل») الاسبوعية، ثم تحولت الى شهرية ، واستمرت في الصدور حتى ١٨٧٩ · وبعد ذلك بسنتين صدرت صحيفة « هاتسفيراه » («الصفير») (١٨٦٢ ـ ١٩٣١) الاسبوعية في وارسو ، ثم انتقلت الى برلين (صدرت يومية خلال ١٨٨٦ ـ ١٩١٧) · وفي الوقت نفسه ، صدرت صحيفـــة « هاشاحار » (« الفجر ») الشهرية في فينا (١٨٦٨ ـ ١٨٨٤) · اما اول صحيفـــة اسبوعية باللغة العبرية فكانت « هاماغيد » (« المبشر »)(١٨٥٦ ـ ١٩٠٣)، التي ظهرت في ليك بالمانيا ، وانتقلت فيما بعـــد الى برلين ، ومنها الـــى كراكـــو ·

ومن الجدير بالذكر هنا ، ان القرن التاسع عشر امتاز ، اجمالا ، بكثرة المطبوعات العبرية التي صدرت خلاله ، اذ يتضح من استقصاء اجري حول الموضوع ان ما يزيد على ١٦٠ صحيفة ونشرة ومجموعة عبرية قد صدرت، خلال ذلك القرن ، في مختلف انحاء اوروبا (٣٠) · امـــا الصحف التـــي ذكرناها ، والتي اشترك في تحريرها ، او الكتابة فيها ، كبار الكتاب اليهود في ذلك العصر ، من امثال بيرتس سمولينسكين ، ويهودا ليف غوردون ، وموشي ليف ليلينبلوم ، وناحوم سوكولوف ، فقد كانت من اهم تلـــك المطبوعات ، واكثرها حيوية ونشاطا · كما كان لتلك الصحف ، ولكتابهـــا ومحرريها ، شأن مع حركة هواة صهيون والحركة الصهيونية ، فيما بعد ، نظرا للدور المهم الذي لعبته في نشر الاراء والترويج لها ، وبلورة المواقف المؤيدة للصهيونية ، او المعادية لها ، على السواء (٣١) ·

وكان لاوضاع اليهود هذه ، السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، فـــي روسيا وبولونيا ، تأثير بالغ الاهمية على نمو الحركة الصهيونية وتبلـــور عقيدتها ـ خصوصا وان اكبر الاجنحة الصهيونية ، كما ونوعا ، قد ولد بين اولئك اليهود · ويلاحظ ان اكثر من اساس مـــن اسس الحركـــة

الصهيونية ونظرياتها ، ومنها من لا يزال قائما حتى هذا اليوم ، لم يكن عمليا الا نوعا من التجاوب مع تلك المرحلة من التطور ، التي وصل اليهود اليها هناك ، او ردة فعل لها · ويكتسب كل ذلك مدلولا اكبر ، في ضوء سيطرة يهود روسيا وبولونيا على الحركة الصهيونية ومقدراتها، خلال فترة غير قصيرة من الزمن ، لا تزال اثارها واضحة في اسرائيل حتى هذا اليوم ·

وتجدر الاشارة ، اخيرا ، الى ان الاجراءات التي اتخذتها حكومة روسيا القيصرية ، خلال القرن التاسع عشر ، « لاصلاح » اوضاع اليهود فيها ، وما تبعها من تقدم ، كان من نصيب بعض الفئات اليهودية ، في هذا المجال او ذاك ، ثم دفع البلد الى السير على طريق التطور الرأسمالي ، لم تسفر عن حل المشكلة اليهودية داخل روسيا وانما ، على العكس ، عقدتها· فخلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، كانت اكثرية اليهود في روسيا لا تزال تعيش من التجارة والحرف ، واستئجار المزارع والحانات والمطاعم والفنادق وتشغيلها ، بحيث كانوا حلقة الوصل ، بين الاقطاعيين الروس ، او البولونيين ، وبين الفلاحين (٣٢) ، الى ان جاءت التطورات الجديدة ، واسفرت عن تدمير اسس حياتهم الاقتصادية · فالتطور الرأسمالي ادى الى نشوء طبقة متوسطة ، من غير اليهود ، راحت تنافس التجار اليهود من جهة ، وتضيق سبل العيش امام الحرفيين منهم ، الذين لم يستطيعوا منافسة الماكينات من جهة اخرى ، بحيث اضطرت اعداد كبيرة من العمال اليهود الى الانتقال للعيش في المدن ، سعيا وراء رزقهم· وفي الوقت نفسه ، منعت السلطات اليهود من العمل في استثمار المزارع والحانات والفنادق ، وطردت الكثيرين منهم الى المدن · ونتيجة لهذه الاوضاع ، بدأت حركة هجرة داخلية واسعة بين اليهود في روسيا ، من القرى الى المدن · ولكن حتى المدن لم تستوعب كل اولئك العمال ، الذين انتقلوا للعمل في فروع اقتصادية ، سرعان ما سيطرت الماكينات على العمل فيها (٣٣) · ولذلك تحولت هذه الهجرة ، سنة ١٨٨١ ، بعد المذابح والاعتداءات التي نظمت ضد اليهود هناك، اثر اغتيال القيصر ، الى هجرة من روسيا ، استمرت حتى نشوب الحرب العالمية الاولى ، سنة ١٩١٤ ·

عدد اليهود في العالم وهجرتهم وتوزيعهم (١٨٨٠ ـ ١٩١٤)

(تقديرات) (٣٤)

	١٨٨٠		هاجر خلال هذه الفترة		١٩١٤	
	عـدد	نسبة مئوية	من	الى	عدد	نسبة مئوية
المجمـوع	٧ر٥٠٠ر٠٠٠	١٠٠ر٠			١٣ر٠٠٠ر٠٠٠	١٠٠ر٠
روسيا وبولونيا	٤ر٢٥٠ر٠٠٠	٥٦ر٢			٥ر٥٠٠ر٠٠٠	٤٢ر٣
النمسا وهنغاريا	١ر٥٠٠ر٠٠٠	٢٠ر٠	٢ر٦٥٠ر٠٠٠		٢ر٥٠٠ر٠٠٠	١٩ر٢
دول اوروبا الاخرى	١ر٠٠٠ر٠٠٠	١٣ر٣		٣٥٠ر٠٠٠	١ر٧٠٠ر٠٠٠	١٣ر١
الولايات المتحدة الاميركية	٢٥٠ر٠٠٠	٣ر٣		٢ر٠٠٠ر٠٠٠	٢ر٥٠٠ر٠٠٠	١٩ر٢
اسيا وافريقيا	٤٧٨ر٠٠٠	٦ر٤		٢٥٠ر٠٠٠	٧١٥ر٠٠٠	٥ر٥
فلسطين	٢٢ر٠٠٠	٠ر٨		٥٠ر٠٠٠	٨٥ر٠٠٠	٠ر٧

اسفرت الهجرة اليهودية من روسيا وبولونيا ، خلال السنوات ١٨٨١ ـ ١٩١٤ ، عن توزيع جديد للسكان اليهود في العالم · ففي بداية هذه الفترة، قدر عدد اليهود في العالم ، كما اشرنا ، بنحو ٧ر٥ مليون نسمة ، كان ٤ر٢٥ مليونا منهم يعيشون في روسيا وبولونيا ، و ١ر٥ مليون في الامبراطورية النمساوية ـ الهنغارية ، ومليون في باقي الدول الاوروبية ، وربع مليون في الولايات المتحدة ، ونصف مليون في آسيا وافريقيا · ومع نهايتها قدر عددهم بنحو ١٣ مليونا ، كان ٥ر٥ مليون منهم يعيشون في روسيا وبولونيا ، ٢ر٥ مليون في الامبراطورية النمساوية ـ الهنغارية ، ٢ر٥ مليون في الولايات المتحدة ، ١ر٧ مليون في اوروبا و ٨٠٠ الف في اسيا وافريقيا (معظمهم في الامبراطورية العثمانية) (٣٥) · ويلاحظ من هذه الاحصاءات ان نسبة عدد اليهود ازدادت بصورة خاصة ، وبمعدل يفوق معدل زيادة عددهم العام ، في الولايات المتحدة (من ربع مليون سنة ١٨٨١ ، الى ٢ر٥ مليون سنة ١٩١٤) ، ثم في اوروبا الغربية ، بينما قلت في روسيا وبولونيا ، رغم ان التجمع اليهودي هناك بقي اكبر التجمعات السكانية اليهودية في العالم ، بسبب نسبة مرتفعة من التكاثر الطبيعي · وقد تم ذلك بفضل هجرة واسعة من روسيا وبولونيا وباقي دول اوروبا الشرقية الى الولايات المتحدة واوروبا الغربية · فخلال الفترة ١٨٨١ ـ ١٩١٤ هاجر من تلك المناطق نحو ٢ر٦٥ مليون يهودي ، توجه نحو مليونين منهم الى الولايات المتحدة و ٣٥٠ الفا الى اوروبا الغربية و ٣٠٠ الف الى باقي بلدان العالم (بما في ذلك نحو ٥٠ الفا توجهوا الى فلسطين عاد ما يقارب من ثلثهم ونزح عن البلد ، خلال الحرب العالمية الاولى ،

١٩١٤ ـ ١٩١٨) (انظر الجدول ، ص ٤٢) ٠

وما يلفت النظر ، في حركة الهجرة اليهودية ، ان نسبة المهاجرين الى فلسطين لم تزد على ٢٪ على العموم (نحو ٥٠ الفا من بين ما يزيد على ٥ر٢ مليون) ، اي اقلية ضئيلة اضطرت للهجرة الى البلد ، اساسا ،بسبب ضغوط سياسية واوضاع اقتصادية ومعيشية سيئة ، ولم تكن الدوافع الصهيونية السياسية الا عاملا ثانويا في عملية الهجرة تلك ، رغم ان اولئك المهاجرين ارسوا اسس المشروع الصهيوني في فلسطين ٠

ويلاحظ ايضا ان دوافع موجات الهجرة المتتالية ، التي دخلت الى فلسطين منذ ذلك الوقت ، كانت مشابهة لتلك التي حملت المهاجرين الاوائل على القدوم اليها ، اذ ان معظمهم قد هاجر ، نتيجة لسوء اوضاعه المعيشية او لكوارث حلت باليهود ، استغلتها الصهيونية لتحقيق اهدافها في فلسطين ٠

[٥]

اذا كانت الظروف الموضوعية المحيطة باليهود او اوضاعهم الذاتية ، خلال القرن التاسع عشر ، ان في روسيا واوروبا الشرقية ام في اوروبا الغربية ، هي احد العناصر التي تكونت منها الصهيونية فان هنالك عوامل اخرى لا تقل اهمية عنها ، تتعلق باوضاع اخرى سادت اوروبا خلال ذلك القرن ٠ وكان من ابرز تلك العوامل تبلور الفكرة القومية واقامة العديد من الدول القومية ، ثم اتساع نفوذ الاستعمار الاوروبي من جهة ، وظهور اللاسامية ونشاطها من جهة اخرى (١) ٠

امتازت اوروبا ، خلال القرن التاسع عشر ، بانتشار الفكرة القومية فيها وبنشوب العديد من الانتفاضات والثورات ، ثم حصول عدد من شعوبها على استقلالها او توحيدها ، واقامة دول خاصة بها ، على اساس قومي ٠ وعلى الرغم من ان العديد من الثورات ، التي قامت على هذا الاساس ، ومنها ثورات البولونيين ضد الروس في سنتي ١٨٣٠ و ١٨٦٣ ، وكذلك ثورات سنة ١٨٤٨ ـ « سنة الثورات » و « ربيع الشعوب » ـ في فرنسا والمانيا والنمسا وايطاليا ، باءت بالفشل ، ولم تحقق انجازات فورية تذكر ، فان عددا من الشعوب الاوروبية الاخرى تمكن ، خلال ذلك القرن ، من تحقيق اهدافه في الاستقلال والوحدة ٠ ففي سنة ١٨٢٩ ، مثلا ، استقلت اليونان عن تركيا ٠ وفي السنة التالية (١٨٣٠) ،

حصلت الصرب على الحكم الذاتي ، بينما تم الاعتراف باستقلالها سنة ١٨٧٨ ، بعد معاهدة برلين · وفي سنة ١٨٣٤ ، استقلت بلجيكا عن الدانمارك · اما في سنتي ١٨٥٨ ـ ١٨٥٩ فقد حصلت المقاطعات الرومانية على الحكم الذاتي من تركيا ، واعترف باستقلالها سنة ١٨٧٨ · وفي سنة ١٨٧٠، استكملت عملية توحيد ايطاليا، بعد سلسلة من الحروب ، استمرت منذ ١٨٤٨ · واعلن في السنة التالية (١٨٧١) ، توحيد المانيا · وكانت المملكة النمساوية ـ الهنغارية قد اقيمت سنة ١٨٦٧ على اساس فدرالي ايضا ، بعد ان منحت هنغاريا حكما ذاتيا · كذلك شهد مطلع القرن التاسع عشر استقلال العديد من شعوب اميركا الجنوبية عن اسبانيا والبرتغال ، اللتين فقدتا سيطرتهما على تلك المناطق اثر انهماكهما في الحروب النابوليونية (١٨٠٨ ـ ١٨١٤) ·

ومن ناحية ثانية ، تعاظم نفوذ الاستعمار الاوروبي خلال القرن التاسع عشر ، بشكل لا مثيل له ، وامتدت سيطرته لتشمل مناطق عديدة في آسيا وافريقيا ، بعد ان كاد يكون ـ خلال القرن السابق ـ مقصورا على بريطانيا وحدها · فقد رافق انتشار الثورة الصناعية في دول اوروبية عدة سعي حثيث من قبل تلك الدول لبسط نفوذها على مناطق جديدة خارج حدودها ، لايجاد اسواق لبضائعها من جهة وتأمين المواد الخام لمصانعها من جهة اخرى · كما ادى ذلك الى نشوب حروب وصدامات استعمارية عدة من ناحية ، او الوصول الى اتفاقيات لتوزيع الاسلاب من ناحية اخرى · وكانت حصيلة النشاط الاستعماري ، خلال هذا القرن ، من حيث مساحة الاراضي التي تمت السيطرة عليها ، ضخمة للغاية · فخلال السنوات ١٨٠٠ ـ ١٨٧٥ ، ارتفعت مساحة الدول الاستعمارية والمناطق المستعمرة التابعة لها من ٣٥ الى ٦٧ ٪ من مساحة الارض اليابسة ، بعد ان استطاعت تلك الدول استعمار ما معدله نحو ٢٠٠ الف كيلو متر مربع سنويا ، ثم ارتفعت تلك النسبة ، سنة ١٩٠٠ ، الى ٨٥ ٪ ، بعد ان زاد المعدل السنوي للاراضي المستعمرة حديثا الى ثلاثة اضعاف ما كان عليه سابقا ، اثر تقسيم معظم اراضي القارة الافريقية بين الدول الاوروبية · كما ازداد ، في الوقت نفسه ، عدد الدول الاستعمارية ليضم معظم دول اوروبا : بريطانيا وفرنسا وألمانيا واسبانيا وايطاليا والبرتغال وبلجيكا ، ثم اضيفت اليهم دولة استعمارية آسيوية ايضا ، هي اليابان · وكان من بين المناطق التي خضعت للسيطرة الاستعمارية ، مناطق عربية عديدة في آسيا وافريقيا · ففي سنة ١٨٣٠ احتلت فرنسا الجزائر ، وفي سنة ١٨٣٩ احتلت بريطانيا عدن ، ثم بسطت الدولتان نفوذهما على معظم الاراضي

العربية في افريقيا : تونس سنة ١٨٨١ ، مصر سنة ١٨٨٢ ، السودان سنة ١٨٩٩ ومراكش سنة ١٩١٢ · ومع نهاية القرن التاسع عشر ، كانت الدول الاستعمارية قد احكمت سيطرتها على معظم اراضي القارة الافريقية ، ومناطق شاسعة في آسيا وبعض المناطق في اميركا وعدد لا بأس به من الجزر الاستراتيجية المنتشرة في كافة انحاء العالم ·

ان تلك التطورات ، التي اسفرت عن بلورة كيانات قومية جديدة للعديد من الشعوب الاوروبية ، بينما كان قسم آخر منها يبسط سيطرته الاستعمارية في آسيا وافريقيا ، لم تمر دون ملاحظة الكثيرين من المثقفين اليهود لها ، في غرب اوروبا او شرقها ، الذين اعتبروها قدوة لهم ، اثناء تفتيشهم عن حلول للمسألة اليهودية · وسنلاحظ عند تتبع فكر آباء الصهيونية ، ومن بينهم هرتسل نفسه ، ان تأثرهم بتلك التطورات كان كبيرا ، وان معظمهم ، ان لم يكن كلهم ، اقترحوا حلولهم للمسألة اليهودية وفي ذهنهم تلك الطرق التي اتبعتها الشعوب الاوروبية (٢) · فاذا كان لتلك الشعوب ، ومنها من اعتبره آباء الصهيونية كأنه لم يصل بعد الى ذلك المستوى من التقدم ، الذي وصل اليه اليهود وقتئذ ، الحق في اقامة دولة قومية خاصة بهم ، فلماذا ينكر هذا الحق على اليهود فقط ؟ واذا كانت دول اوروبية عديدة تقيم المستعمرات في آسيا وافريقيا ، وتقوي سيطرتها على شعوبها ، وتخلق هناك مختلف التشكيلات والكيانات شبه السياسية ، فلماذا لا يحق لليهود ايضا اقامة كيان خاص بهم في تلك المناطق ، لحل مشاكلهم الذاتية من جهة ، وتجنب الازمات في علاقاتهم مع الشعوب الاوروبية من جهة اخرى ؟ وكان اكثر من مفكر او زعيم صهيوني على استعداد ، خلال المراحل الاولى من نشوء الصهيونية ، لاقامة دولة يهودية او لتوطين اليهود في اي مكان من العالم ، وليس في فلسطين بالذات · ولم يحسم الصهيونيون موقفهم ، من حيث موقع دولتهم المزمع انشاؤها ، الا بعد اقامة المنظمة الصهيونية العالمية ، عندما قرر المؤتمر الصهيوني الاول ، المنعقد سنة ١٨٩٧ ، ان الدولة اليهودية يجب ان تقام في فلسطين فقط · ولكن حتى بعد الاعلان عن ذلك ، كانت اكثر من فئة صهيونية على استعداد للبحث في اقامة دولة يهودية في اي مكان مناسب ، غير فلسطين ، تماما كما كانت اية دولة استعمارية ، من الدول الاوروبية ، على استعداد لاستعمار اية بقعة ، في اي مكان من العالم ، اذا عاد ذلك بفائدة استراتيجية او اقتصادية عليها ·ويلاحظ ان هذه المقارنات، التي سارت على تلك الاسس ، كانت احد العناصر المهمة التي انبثقت منها العقيدة الصهيونية ، خاصة بعد ان اكتسبت مدلولا أهم واكبر ، في ضوء

ازدياد النشاط اللاسامي في بعض الدول الاوروبية من جهة ، واساءة معاملة اليهود واضطهادهم في دول اخرى خصوصا في روسيا القيصرية، عن جهة ثانية ٠

نشطت اللاسامية بشكل ملحوظ في عدة دول اوروبية ، خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وقوي نفوذها بين فئات مختلفة من السكان ٠ واللاسامية كانت قد ظهرت في اوروبا المسيحية ، منذ العصور الوسطى ، عندما تعرض اليهود لحملات الاضطهاد المختلفة وللكراهية ، لاعتبارهم مسؤولين عن موت المسيح (٣) ، واستمرارهم في الايمان بيهوديتهم بعد ذلك ، ورفضهم قبول رسالته واعتناق المسيحية ٠ الا ان اسبابها تغيرت تدريجيا وانتقلت ، اساسا ، الى المجال الاقتصادي ٠ فالثورة الصناعية والنمو الرأسمالي اقتلعا اليهود من جذورهم ، في اوروبا الشرقية ، ولكنهما ساعدا على استيعابهم ، في اوروبا الغربية (٤)، فنشأت هناك طبقة يهودية متوسطة ، راحت تنافس الطبقات المتوسطة النامية في تلك البلدان ٠ وكانت تلك الطبقات المتوسطة تتعرض للاستغلال من الحكام والرأسماليين من جهة ، ولتهديدات دعاة الاشتراكية بالقضاء عليها واقامة دكتاتورية الطبقة العاملة مكانها من جهة اخرى ، بحيث وجدت في كرهها لليهود ، الذين كانوا ينافسونها اقتصاديا ، ملجأ من الاستغلال والتهديدات التي كانت تجابهها من ناحية ، وتعبيرا عن هويتها من ناحية اخرى (٥) ٠ وساعد على نمو هذا الشعور ، استمرار هجرة اليهود من روسيا واوروبا الشرقية الى اوروبا الغربية ، في طريقهم الى اميركا ، وهي هجرة اثارت الكراهية لليهود ، بشكل دفع اثريائهم في اوروبا الغربية ، خصوصا البارونين هيرش وروتشليد ، الى اقامة مؤسسات خاصة لتهجير اليهود ، الذين يفدون الى بلدانهم ، الى اية مناطق اخرى (الارجنتين او فلسطين ، مثلا) ، وتوطينهم هناك ، خشية ان يؤثر استمرار بقائهم في اوروبا الغربية على الحقوق التي حصل اليهود عليها هناك (٦) ٠

ومن ناحية ثانية ، اسفر نمو الرأسمالية ، بعد الثورات الصناعية في اوروبا ، عن ازدياد نفوذ اعداد من اليهود في عالم المال ، خصوصا وان معظم مؤسسي البنوك الكبرى ، في اوروبا ، كانوا يهودا ٠ وتبع ذلك موجة من البغضاء والحسد منهم ، بين الطبقات المسحوقة ، التي اعتبرتهم مسؤولين عن تدهور اوضاعها الاقتصادية ، رغم ان معظمهم (عدا روتشيلد) اعتنق المسيحية فيما بعد (٧) ، بينما كان يعلن بعض دعاة

الاشتراكية ، في اولى خطواتها ، ان اليهودية بأسرها ليست ، اساسا ، الا مظهرا آخر من مظاهر الرأسمالية (٨) ٠ اما تلك الكراهية للرأسماليين اليهود ، ذوي النفوذ الواسع ، رغم قلة عددهم ، فسرعان ما انتشرت لتشمل اليهود باسرهم ، مع ان اكثريتهم ، خصوصا في اوروبا الشرقية ، كانت من الطبقات الفقيرة ، التي لم تكن اوضاعها تختلف عن اوضاع الطبقات المشابهة لها ، لدى الشعوب الاخرى ٠ وفي مرحلة لاحقة وسعت خطأ، هذه « النظريات » التي وضعت بناء على تصرف الرأسماليين اليهود، لتشمل اليهود بأسرهم ، وأدت الى آراء ومواقف غريبة استغلتها الصهيونية ، فيما بعد ، لخدمة مآربها ٠

وهناك ايضا اسباب اخرى لنشوء اللاسامية ، منها ان اليهود كانوا يشتركون باعداد كبيرة ، نسبيا ، في الحركات الثورية ، التي برزت خلال تلك الحقبة ، بل اننا نكاد لا نجد حركة ثورية واحدة ، مهما كانت صبغتها ، الا واشترك افراد يهود فيها ، بحيث اثار هذا الوضع الهلع من اليهود ، ثم الكره لهم، لدى العناصر المحافظة (٩)٠ وامتازت حقبة نشوء اللاسامية ايضا بازدياد عدد المثقفين اليهود ، خصوصا اصحاب المهن الحرة ، واتساع نفوذهم في مجال الصحافة ووسائل الاعلام الاخرى ، بعد ان اسسوا بعض وكالات الانباء العالمية المهمة ، مما اوجد عذرا آخر لكراهيتهم ٠

ومن بين الاسباب ، التي ادت الى ظهور اللاسامية ، شجب الديانة اليهودية ، من قبل البعض ، من خلال شجب الدين عامة ، والمسيحية خاصة ، واعتبار اليهودي عنصرا فريدا من نوعه ، غير قابل للاندماج في المجتمع الذي يعيش فيه ، وهو الرأي الذي ساد بشكل خاص في الدول التي اقيمت على اساس قومي صرف ٠ وقد انتشرت الظواهر اللاسامية ، تدريجيا ، بين فئات عديدة في اوروبا ، خاصة بعد ان لجأت منظمات سياسية واجتماعية مختلفة الى استغلالها ، للحصول على مكاسب سياسية (١٠) ٠

كانت المانيا اول دولة تنشط فيها اللاسامية ، بشكل منظم ، خلال الربع الاخير من القرن التاسع عشر ، وتم ذلك في ظل الازمة التي اثارتها « الحرب الثقافية » ضد الكاثوليك ، بعد ان اتهموا « بالانتماء المزدوج » ٠ ففي سنة ١٨٨٠ ، اسست في برلين « عصبة اللاساميين » ، بعد ان كان مؤسسيها ، ماير ــ وهو اول من استعمل عبارة « اللاسامية » ــ قد اصدر قبل ذلك بسنة كتابا بعنوان « السامية » ، حذر فيه من « مخاطرها » ٠ وفي

السنة نفسها ، حاول استاذ جامعي الماني ، يدعى تريتشكيه ، وضع الاسس « العلمية » للاسامية ، بعد ان حذر من الهجرة اليهودية المتزايدة الى المانيا (من روسيا) ، معلنا ان اليهود عنصر غريب في المانيا ، لا يريد ، ولا يستطيع ، ان يندمج في حياة البلد ، ومحذرا في الوقت نفسه من أن مطالبة بعض اليهود ، بالاعتراف بحقوقهم القومية ، تهدم الاسس القانونية للمساواة التي منحت لهم ٠ أما كبير اللاساميين في تلك الفترة ، يوجين ديرينغ ، فقد أعلن في كتاب اصدره سنة ١٨٨٦ ، ان العنصر اليهودي هو اسوأ عناصر العرق السامي ، هدفه التسلط على العالم واستعبـ . الشعوب الاخرى ، وان اليهودية تتصف بصفات ضارة غير اجتماعية ، خصوصا عندما تنشط في السياسة او الصحافة (١١) ٠ ومن ناحية ثانية ،ابدى اللاساميون الالمان نشاطا ملحوظا في تلك الفترة ، وتمكنوا من كسب فئات عديدة من طلبة الجامعات الى جانبهم ٠ وكان اولئك اللاساميون قد قدموا ، سنة ١٨٨١ ، عريضة الى بسمارك ، تحمل ٣٠٠ الف توقيع تطالب الحكومة بمنع اليهود من دخول المانيا وبابعادهم عن الوظائف التي تمنحهم صلاحيات داخل البلد ٠ وفي سنة ١٨٨٠ ، أسست ايضا عصبة لاسامية في مدينة ألمانيا اخرى ، درزدين ، وبعد ذلك بسنتين ، عقد مؤتمر عام للاساميين من المانيا والنمسا وهنغاريا ، حضره نحو ٣٠٠ مندوب (١٢) ٠ ومن ناحية اخرى تأسست في المانيا ، جمعيات مناهضة للآراء اللاسامية ، وصل عدد اعضاء احداها ، ـ كانت قد تأسست سنة ١٨٩٠ ـ بعد ٣ سنوات من تأسيسها ، الى ١٣ الفا ٠ واسست ايضا جمعية اخرى مشابهة لها ، سنة ١٨٩٣ ٠ وصدر في المانيا ايضا ، كتاب آخر ، من صنف الكتب « العلمية » ، بعنوان « اسس القرن التاسع عشر » ، عرض فيه مؤلفه ، هوستون تشامبرلين ، وهو بريطاني عاش في المانيا ، تاريخ المدينة على انه صراع بين الآريين الصديقين والساميين الاشرار (١٣) (وكان لتلك الآراء تأثيرها فيما بعد ، في تغذية الاسس الفكرية للنازية) ٠ ونشر في الوقت نفسه كتاب لاسامي آخر ، « بروتوكولات حكماء صهيون » ، ادعى فيه واضعوه وجود زعامة يهودية عالمية تعمل سرا للتسلط على العالم ، من خلال ايقاع الخلافات بين الشعوب المسيحية ٠ وانتشر هذا الكتاب ـ الذي يقال ان شرطة القيصر الروسي السرية كانت وراء اصداره ، في مراحله الاولى ـ بعد الحرب العالمية الاولى بشكل خاص (١٤) ، ثم حظي فيما بعد ، لسبب ما ، بانتشار واسع في العالم العربي ، و « ساهم » كثيرا ، وربما اكثر من اية مطبوعة أخرى ، في أساءة فهم الصهيونية ومخططاتها ، نظرا للتلفيق الذي يستند اليه ٠

ومن برلين ، انتشرت اللاسامية في مدن اخرى ، في المانيا وخارجها ٠ ففي سنة ١٨٨٦ اقيمت منظمات لاسامية في بودابست ، عاصمة هنغاريا ، وفي فينا ، عاصمة النمسا ٠ وفي السنة نفسها (١٨٨٦) ، عقد مؤتمر دولي للاساميين في بوخارست ، عاصمة رومانيا ، ومؤتمر آخر في مدينة كاسل بالمانيا ، اسفر عن توحيد منظماتهم هناك ٠ وكان اللاساميون في فينا قد حصلوا ، سنة ١٨٩١ ، على ١٣ مقعدا في الانتخابات لبلدية المدينة ، وازدادت قوتهم فيما بعد (وفي الوقت نفسه ، ازدادت قوتهم في البرلمان ايضا) ، حتى تمكنوا سنة ١٨٩٥ من انتخاب زعيمهم لوغر ، رئيسا للبلدية ٠ ولما رفضت الحكومة المصادقة على تلك الاجراءات ، اعيد انتخاب لوغر ثلاث مرات اخرى متتالية ، الى ان تمكن اخيرا ، سنة ١٨٩٧ ، من ممارسة مهامه كرئيس لبلدية فينا ٠ ومن ناحية ثانية ، اقيمت في فينا ايضا منظمات معادية للاسامية (١٥) ٠

وظهرت بوادر اللاسامية ، خلال تلك الفترة ، في فرنسا ايضا ، خصوصا في اثناء محاكمة درايفوس ، وما رافقها من انتشار مشاعر الكراهية لليهود ، لدى فئات مختلفة من السكان هناك ٠ وكان درايفوس ، احد ضباط الاركان العامة للجيش الفرنسي ، ومن اصل يهودي ، قد اتهم زورا سنة ١٨٩٤ ، بانه خان بلاده ، وسلم بعض المعلومات المتعلقة بامنها الى المانيا ٠ وكان احد زملائه ، من ابناء العائلات الفرنسية العريقة ، هو الذي قام بذلك ٠ وادين درايفوس ، بعد محاكمة استمرت وقتا غير قصير ، بالتهم التي نسبت اليه ، وحكم بطرده من الجيش ونفيه ، بينما رافقت محاكمته ظواهر كراهية لليهود ، بين فئات مختلفة ، وجدت تعبيرا عنها في الصحف الفرنسية وغيرها ٠ ولكن قضية درايفوس لم تنته عند هذا الحد ، اذ ادت الضغوط المضادة ، التي وجهت للسلطة ، الى اعادة محاكمته ثم تبرئته جزئيا ، واخيرا صدور امر بالعفو عنه ٠

وخلال تلك الفترة ، اي منذ الاعلان عن القاء القبض على درايفوس ، سنة ١٨٩٤ ، وحتى تبرئته نهائيا ، سنة ١٩٠٦ ، لم تنقطع المظاهر المعادية لليهود ، او المؤيدة لهم ، على ما رافقها من مختلف النشاطات (١٦) ٠ ولقد اسدت محاكمة درايفوس ، من ناحية ثانية ، خدمة جليلة للصهيونية ، اذ ان صيحات العداء لليهود التي كانت تطلق في اثناءها ، جعلت من هرتسل ، مؤسس المنظمة الصهيونية العالمية ــ اذا اردنا الاعتماد على مذكراته ــ صهيونيا ٠ ومن الجدير بالذكر ايضا ان هرتسل ، الذي كان يتابع قضية درايفوس كمراسل صحفي ، وضع كتابه « دولة اليهود » ،

ونشره (سنة ١٨٩٦) خلال الفترة التي كانت اصداء قضية درايفوس لا تزال على اشدها ٠

كانت اللاسامية عنصرا مهما في مركب الصهيونية ، ولعبت دورا مباشرا في بلورة الحركة ودفعها الى طريق النشاط العملي ، بعد ان اوضحت للكثيرين من اليهود ، الذين كانوا يتجهون الى الاندماج بالشعوب التي يعيشون بينها ، بعد ان اقتنعوا انهم حصلوا على كل حقوق المواطن ، ان اصلهم اليهودي لم ينس بعد ٠ وتبدو ، من ناحية ثانية ، من كتابات العديد من زعماء الصهيونية ومفكريها ، خيبة امل كبيرة من ظهور اللاسامية وممارساتها ، الامر الذي دفع بهم الى اعادة النظر ، كما سنرى ، بشكل اساسي في مواقفهم ، من خلال اقرار فرضيات عنصرية مضادة للعنصرية اللاسامية ومتأثرة بها (١٧) ، ثم التفتيش عن حلول لتغيير اوضاعهم ، خصوصا بعد ان ساءت اوضاع اليهود في روسيا ، في مطلع الثمانينات من القرن التاسع عشر ، بعد اغتيال القيصر ، وازدادت الهجرة اليهودية من هناك ٠ وكانت خلاصة اعادة النظر تلك ، دعوة اليهود الى ترك بلدانهم ، واقامة دولة خاصة بهم ، اسوة بالآخرين ٠ واستمر التفتيش عن موقع هذه الدولة فترة غير قصيرة ، الى ان استقر نهائيا على فلسطين ـ « ارض ـ اسرائيل التاريخية » ٠

[٦]

تضم الصهيونية ايضا عنصرا دينيا ، لم يكن بوسعها الاستغناء عنه ، في محاولاتها الهادفة الى تسخير الديانة اليهودية لخدمة اغراضها ، وحمل اليهود من جهة ، والعالم المسيحي من جهة اخرى ، على مماشاة اهدافها السياسية ٠ واهم جوانب هذا العامل الديني ، التركيز على ما يسمى « العلاقة التاريخية » بين اليهود و « ارض ـ اسرائيل » ، وعرضها بشكل يخدم المطامع الصهيونية ٠

يطلق اسم « ارض ـ اسرائيل » (« ايرتس ـ يسرائيل » *) ، وفقا للتعاليم اليهودية ، على ذلك الجزء من العالم الواقع في جنوب غربي آسيا، وتضم ـ بحسب المصطلحات الجغرافية الحالية ـ فلسطين ، بحدودها

---

* كلمة « يسرائيل » (« اسرائيل ») تعني ايضا اليهود ، وهي كذلك اسم علم واسم دولة ٠

أيام الانتداب البريطاني ، واجزاء من كل الدول المجاورة لها : لبنان وسوريا والاردن ومصر • ويعتبر اليهود واليهودية هذه المنطقة ، مهد تكونهم وتبلورهم • وتعود جذور اسم « ارض - اسرائيل » الى التوراة ، رغم ان استعماله ، بمدلوله الحالي ، بدأ على ما يبدو في نهاية عهد مملكة اسرائيل الثانية ، خلال القرن الاول للميلاد (١) • وتوسع مفهوم هذا الاسم ، على مر السنين ، مع ازدياد تشتت اليهود ، ونتيجة لاجتهادات حكماء اليهودية ، فاصبح يعني ايضا علاقة وثيقة ودائمة بين اليهود وارض - اسرائيل ، واعتقادا بوجوب عودة اليهود اليها مع ظهور المسيح - المخلص • وكان هذا أساسا ، من ناحية ثانية ، تعبيرا عن اماني سياسية كامنة ، كانت تبرز وتختفي بحسب الاوضاع السياسية ، التي وجد اليهود انفسهم يعيشونها ، في اي مكان او زمان •

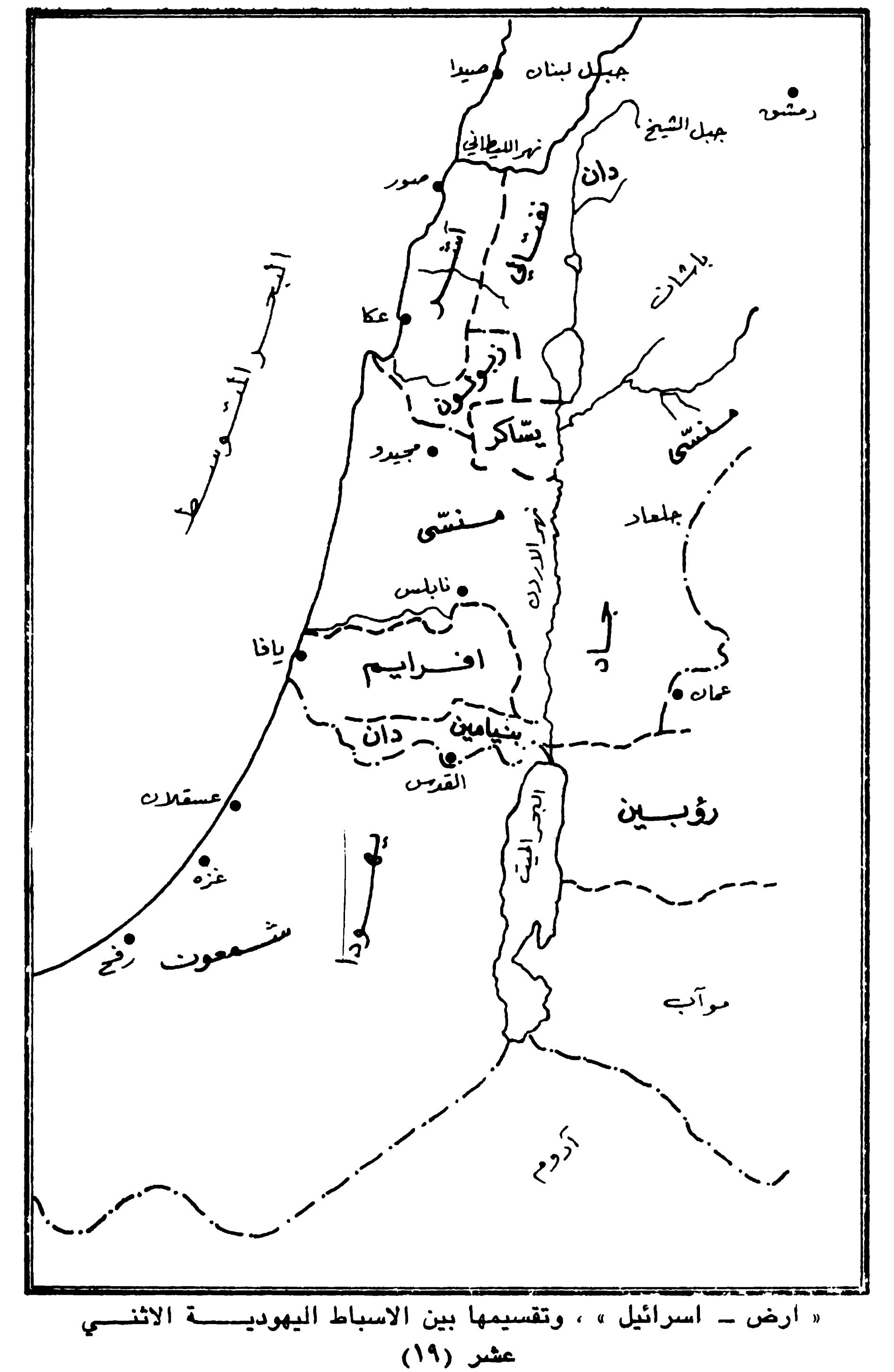
ان جوهر العلاقة بين اليهود وارض - اسرائيل ، بما في ذلك حدود ارض اسرائيل نفسها ، ليست واضحة تماما ، وتختلف باختلاف ما جاء عنها في التوراة ، او في الكتب اليهودية المقدسة الاخرى ، وهو اختلاف يعود اساسا الى عامل الزمن ، ويتأثر بطابع العصر الذي كتبت فيه التوراة ، او اية اجزاء منها ، او العصور التالية ، التي كتبت خلالها الكتب المقدسة الاخرى • فهناك ، اولا ، العلاقة المنصوص عليها في الميثاق الذي قطعه الله مع ابراهيم ، عندما اقتاده من اور الى كنعان ، كما جاء في التوراة : « في ذلك اليوم قطع الرب مع ابراهيم ميثاقا قائلا ، لنسلك اعطي هذه الارض من نهر مصر الى النهر الكبير نهر الفرات » (٢) • وكذلك قوله لاسحاق : « تغرب في هذه الارض • فأكون معك واباركك • لاني لك ولنسلك اعطي جميع هذه البلاد وأفي بالقسم الذي اقسمت لابراهيم أبيك » (٣) • اما حدود « ارض الميعاد » (« تحوم هاّفوت ») ، فقد وردت في آيات اخرى في التوراة : « واجعل تخومك من بحر سوف الى بحر فلسطين ومن البرية الى النهر • فاني ادفع الى ايديكم سكان الارض فتطردهم من امامك» (٤)• وايضا : «تحولوا وارتحلوا وادخلوا جبل الاموريين وكل ما يليه من العربة والجبل والسهل والجنوب وساحل البحر ارض الكنعاني ولبنان الى النهر الكبير نهر الفرات » (٥) • ثم : « كل مكان تدوسه بطون اقدامكم يكون لكم • من البرية ولبنان • من النهر نهر الفرات الى البحر الغربي يكون تخمكم » (٦) ، واخيرا : « من البرية ولبنان هذا الى النهر الكبير نهر الفرات جميع ارض الحثيين والى البحر الكبير نحو مغرب الشمس يكون تخمكم » (٧) •

ان الحدود التي اشرنا اليها ، كما يظهر ، غير واضحة ، وقليلون هم

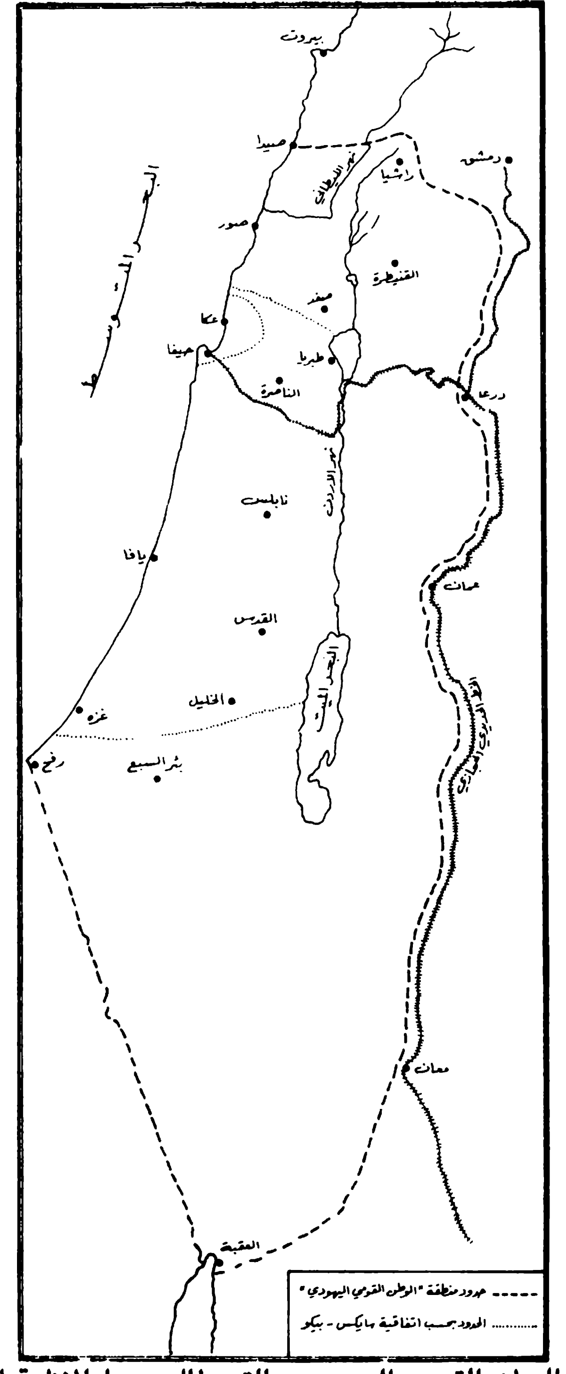
الذين يتفقون فيما بينهم بشأنها · الا ان الرأي السائد ، الذي يستند الى تفسيرات واجتهادات مختلفة ، واقعية كانت ام خيالية ، يشير الى ان « ارض الميعاد » هذه تضم تلك المنطقة ، التي يحدها من الغرب البحر المتوسط ، ومن الجنوب خط يبدأ من موقع العريش في سيناء ويتجه ، متعرجا ، حتى يصل العقبة (أيلات) · ومن هناك يتجه شمالا حتى جنوب البحر الميت ، ثم يستمر في الاتجاه شمالا بمحاذاة نهر الاردن (ولا يضم ايا من المناطق الواقعة شرق النهر) حتى يصل الى جبل الشيخ (الحرمون) · ومن هناك الى الشمال ، مارا غرب دمشق ، ثم غرب حمص ، حتى يصل الى محاذاة اللاذقية ، فينحرف شرقا حتى يصل الى اقرب نقطة في مجرى الفرات من البحر المتوسط ، ومن هناك يتجه غربا الى البحر ، مارا جنوب حلب · وبعبارة اخرى ، تضم « ارض الميعاد » ، بحسب حدودها هذه ، مساحة فلسطين ايام الانتداب باسرها مع ذلك الجزء من سوريا ولبنان الذي يقع غرب خط دمشق ـ حمص ـ حماة ، بينما يحدها من الشمال خط يمر جنوب حلب ، وتبلغ مساحتها نحو ١٦٠ ـ ١٧٠ الف كيلو متر مربع (٨) ·

غير انه من الواضح ايضا ، من ناحية اخرى ، ان تلك الحدود لا تتلاءم ابدا مع حدود المناطق التي عاش اليهود فيها او حكموها ، في اي فترة من الزمن · فعدا عن المناطق الممتدة بين « دان (شمال طبريا) وبئر السبع » في فلسطين ، التي تواجد اليهود فيها ، او حكموا بعضها من فترة الى اخرى ، والتي لم يسيطروا عليها دائما كلها ، ولم يتواجدوا فيها وحدهم على اية حال ، فان « بطون اقدامهم » ـ اذا استعملنا لغة التوراة ـ لم تدس باقي المناطق · يضاف الى ذلك ان اليهود انفسهم لم يتجهوا ، في اي وقت من الاوقات لاحتلال هذه المناطق او العيش فيها · وتفسير هذا التناقض ، هو ان المناطق الاخرى ، التي لم يصلها اليهود ، مخصصة لاستيطانهم في المستقبل ، عندما يتكاثرون (٩) ـ ومرة اخرى اسند هذا التفسير الى التوراة : « لا اطردهم من امامك في سنة واحدة لئلا تصير الارض خربة فتكثر عليك وحوش البرية · قليلا قليلا اطردهم من امامك الى ان تثمر وتملك الارض » (١٠) · وكذلك : « ولكن الرب الهك يطرد هؤلاء الشعوب من امامك قليلا قليلا · لا تستطيع ان تفنيهم سريعا لئلا تكثر عليك وحوش البرية · ويدفعهم الرب الهك امامك ويوقع بهم اضطرابا عظيما حتى يفنوا · ويدفع ملوكهم الى يدك فتمحو اسمهم من تحت السماء · لا يقف انسان في وجهك حتى تفنيهم » (١١) ·

الا ان هناك « ارض ميعاد » اخرى ، وهي تلك التي وعد الله موسى بها ، بعد خروج اليهود من مصر : « وصعد موسى من عربات موآب الى جبل نبو الى رأس الفسجة التي قبالة اريحا فأراه الرب جميع الارض من جلعاد الى دان وجميع نفتالي وارض افرايم ومنسى وجميع ارض يهودا الى البحر الغربي والجنوب والدائرة بقعة اريحا مدينة النخل الى صوغر ٠ وقال له الرب : هذه هي الارض التي اقسمت لابراهيم وأسحاق ويعقوب قائلا لنسلك اعطيها » (١٢) ٠ ثم قام موسى ، بحسب التوراة ، بتقسيم هذه الاراضي بين اسباط اسرائيل الاثني عشر : « انما اقسمها بالقرعة ملكا لاسرائيل كما امرتك ٠ والآن اقسم هذه الارض ملكا للتسعة اسباط ونصف سبط منسى » (١٣) ، وكانت الاسباط الباقية قد حصلت عنى حصصها قبل ذلك : « فهذه الارض امتلكناها في ذلك الوقت ٠٠٠ اعطيت للرأوبينيين والجاديين ٠ وبقية ٠٠٠ اعطيت لنصف سبط منسى » (١٤) ٠ اما حدود هذه الارض فقد ذكرت ، مطولا ، في التوراة ، عند الحديث عن تقسيمها بين الاسباط الاثني عشر (١٥) ٠ ولكن هذه الحدود ايضا ، مثل سابقتها ، غير واضحة ، رغم اسهاب التوراة في وصفها ٠ ومرة اخرى ، واستنادا الى تفسيرات واجتهادات عديدة ، رسمت حدودها بشكل يضم المنطقة الواقعة بين البحر غربا والصحراء شرقا ، بما في ذلك كل القسم المأهول من شرقي الاردن ٠ اما حدودها الجنوبية فتمتد على خط يصل بين العريش والعقبة ، بينما الحدود الشمالية غير واضحة وتشير الى جبل الشيخ (الحرمون) فقط (١٦) ٠ وتضم ارض ـ اسرائيل ، بحسب هذه الحدود نحو ٤٣ الف كيلومتر مربع ٠ الا ان هناك ايضا حدودا اخرى ، تدعى « الحدود الطبيعية » لارض ـ اسرائيل ـ اذ لا بد ان يكون الله قد سمح ، ضمنا ، لشعبه بتعديل الحدود لتصبح حدودا استراتيجية آمنة ، وتضم مزيدا من الاراضي ـ وهي اكبر قليلا من الحدود « الاصلية » ، وتصل مساحتها الى نحو ٥٩ الف كيلو متر مربع ، منها حوالي النصف غربي نهر الاردن (« ارض ـ اسرائيل الغربية ») والنصف الآخر شرقي النهر (« ارض ـ اسرائيل الشرقية ») (١٧) ٠ ويلاحظ ان التعريف الثاني لارض ـ اسرائيل ، بالحدود التي وعد موسى بها ، شائع اكثر من الاول ، على اعتبار ان اليهود حكموا اجزاء من هذه الاراضي وعاشوا فيها في وقت من الاوقات (١٨) ٠ وتجدر الاشارة هنا الى ان حدود المنطقة التي طلبت المنظمة الصهيونية العالمية ، من مؤتمر الصلح في باريس ، سنة ١٩١٩ الاعتراف بها على انها « وطن قومي » لليهود ، متناسقة مع التعريف الاخير لحدود ارض ـ اسرائيل (انظر الخريطتين ، ص ٥٤ و٥٥) ٠



« ارض ـ اسرائيل » ، وتقسيمها بين الاسباط اليهوديـــة الاثنـــي عشر (١٩)



منطقة « الوطن القومي اليهودي » التي طالبت بها المنظمة الصهيونية العالمية في مؤتمر الصلح ، في فرساي ، ١٩١٩ (٢٠)

واما السبب الذي يدعو الله الى قطع المواثيق على نفسه ، مع ابراهيم واسحاق ويعقوب ، ومن ضمنها منح ارض ـ اسرائيل لليهود ، فهو انه اختارهم ليكونوا شعبه الذي يعبده على انه الاله الاوحد ، ولهذا فهو يحميه ويدافع عنه ايضا : « اذكر ميثاقي مع يعقوب واذكر ايضا ميثاقي مع اسحاق وميثاقي مع ابراهيم واذكر الارض ··· بل اذكر الميثاق مع الاولين الذين اخرجتهم من ارض مصر امام اعين الشعوب لاكون لهم الها · انا الرب · هذه هي الفرائض والاحكام والشرائع التي وضعها الرب بينه وبين بني اسرائيل في جبل سيناء بيد موسى » (٢١) · ثم : « اذكر ابراهيم واسحاق واسرائيل عبيدك الذين حلفت لهم بنفسك وقلت لهم اكثر نسلهم كنجوم السماء واعطي نسلكم كل هذه الارض التي تكلمت عنها فيملكونها الى الابد » (٢٢) · وكذلك : « واقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في اجيالهم عهدا ابديا · لاكون الها لك ولنسلك من بعدك · واعطي لك ولنسلك من بعدك ارض غربتك كل ارض كنعان ملكا ابدا · واكون الهكم » (٢٣) ، و « لا يكون لك الهة اخرى امامي » (٢٤) ·

ولم يختر الله اليهود ، أساسا ، لمنحهم تلك الحقوق الاستثنائية بسبب مزاياهم الحميدة المحببة اليه ، وانما لانهم كانوا اصلح من غيرهم : « ليس لاجل برك وعدالة قلبك تدخل لتمتلك ارضهم بل لاجل اثم اولئك الشعوب يطردهم الرب الهك من امامك ولكي يفي بالكلام الذي اقسم الرب عليه لابائك ابراهيم واسحاق ويعقوب · فاعلم انه ليس لاجل برك يعطيك الرب الهك هذه الارض الجيدة لتمتلكها لانك شعب صلب الرقبة » (٢٥) · ولكن الله ، على اية حال ، في اللحظة التي اختار اليهود فيها اصبحوا ، بفضل ذلك، « الشعب المختار » المميز عن باقي الشعوب، « شعب الله » : «فأخذني الرب من وراء الضان وقال لي اذهب تنبأ لشعبي اسرائيل ··· هأنذا واضع زيجا في وسط شعبي اسرائيل » (٢٦) · وكذلك : « فقال لي الرب قد اتت النهاية على شعبي اسرائيل ··· » ، و « ارد سبي شعبي اسرائيل فيبنون مدنا ··· » (٢٧) ·

ان الاصحاحات التي اشرنا اليها، وغيرها، من التوراة، اصبحت مع مرور الزمن اساسا لتفسيرات واجتهادات ، لا آخر لها، حول علاقة اليهود بارض ـ اسرائيل من جهة ، والواجبات المفروضة عليهم تجاهها من جهة

اخرى ، وهي الاجتهادات التي لم تتوقف في اي وقت من الاوقات ٠ وكـان اشهر من برز في هذا المجال الحاخام موشي بن نحمان (رمبان) (١١٩٤ ـ ١٢٧٠) الذي اضفى ، في تفسيره للتوراة ، طابعا من القدسية علـى ارض ـ اسرائيل ومركزها بالنسبة لليهودية ، جعل من الصعـب علـى اليهودي المؤمن تناسيها ، في اي زمان او مكان ٠ وكان بن نحمان قد ترك بلده ، اسبانيا وهاجر الى فلسطين ، سنة ١٢٦٧ ، واستقر هناك ٠

نسب بن نحمان لارض ـ اسرائيل ، في تفسيره للتوراة ، مزايا عديدة ، لم تنسب لها من قبل ٠ فبن نجمان يرى ان ارض ـ اسرائيل هي مركـز العالم ، وان القدس (اورشليم) هي مركز ارض ـ اسرائيل (٢٨) (ومن هنا ايضا جاء اسم الصهيونية ـ نسبة الى جبل صهيون في القدس) ٠ والبلد هي المكان الوحيد المناسب لتأدية الوصايا الدينية المنصوص عليها في التوراة (٢٩) ، وفيها يصـل الانسـان ، وكذلك الحيوان ، الى قمـة كمالهما (٣٠) ٠ غير ان الجديد في تفسيرات بن نحمان كان اعتبـاره الاستيطان في ارض ـ اسرائيل واجبا دينيا ، وتصنيفه هذا الواجب ، لاول مرة ، واحدا من ضمن ٦١٣ فريضة ، تلزم اليهودية ابناءها القيـام بها (٣١) ، بل ان « استيطان ارض ـ اسرائيل يوازي كـل فرائـض التوراة » (٣٢) ٠ وفسرت هذه الفريضة ، فيما بعـد ، على انها تتضمن التزاما مزدوجا ، يلزم اليهود كمجموعة ، وكل فرد يهودي ، بالهجرة الى ارض ـ اسرائيل والعيش فيها (٣٣) ، تمهيدا لمجيء المسيح ـ المخلص ٠ وتم ، بناء على اجتهادات لاحقة توسيع هذا الالتزام ايضا ، وادخاله الى حيز الشؤون الشخصية ، المتعلقة بخصوصيات الفرد اليهودي ، بحيث اصبح ، مثلا ، رفض احد الزوجين الذهاب الى ارض ـ اسرائيل والعيش هناك مبررا كافيا ، بحسب الشريعة ، للزوج بطلب الطلاق ٠ وفي ارض ـ اسرائيل نفسها ، اصبح رفض الانتقال من اي مكان فيها الـى القدسـ (اورشليم) للعيش هناك ، مبررا مماثلا ـ حتى وان ترتب على تلـك التنقلات تدهور في اوضاع العائلة الاقتصادية (٣٤) ٠

اضفت تلك الاجتهادات هالة من القدسية على ارض ـ اسرائيـل ، رسخت عميقا في العقلية اليهودية ، وتسربت منها الى المسيحية ، فكـانت احد الاسباب الذي دفع بعض اليهود ، من حين لآخر ، للهجـرة الـى فلسطين والعيش فيها ٠ ولكن اهمية هذه المعتقدات برزت في منتصـف القرن التاسع عشر ، حيث وجدت دعوة الصهيونية للهجرة الى فلسطيـن

(« ارض ــ اسرائيل ») ، اذانا صاغية في مجتمع يهودي متـــدين، كالذي كان قائما في روسيا وبولونيا · كما وجدت هذه الدعوة ايضــا استحسانا لدى العديد من الدوائر المسيحية والاستعمارية ، التي قبلـت بفكرة عودة اليهود الى فلسطين ، ان تم ذلك من خلال رغبة صادقة ، مـن جهتها ، في المساهمة بحل المسألة اليهودية ، او من خلال النية في التخلص من يهود بلدها ، بارسالهم الى بلد آخر ، او في استغلالهم لتوسيع مناطق نفوذها ·

ولا بد من الاشارة هنا ، من ناحية اخرى ، الى ان تلك المعتقدات ومـا تبعها مـن اجتهـادات وتفسيرات ، التي انغرست عميقـا فـي العقلية اليهودية ، هي التي تقف وراء العديد من اسس الصهيونية ونظرياتها ، اذا قيست بالاثر الذي تركته على تفكير آباء الصهيونية وزعمائها ، كما يتضح من كتاباتهم واعمالهم · وتقف هذه المعتقدات ايضا وراء العديد مــن الحقوق والمتطلبات الاستثنائية ، التي تدعيها الصهيونية ، في مواقفها من باقي الشعوب والدول ، اذ ان « شعبا مختارا » ، لا بد ان يحظى بمعاملة « مختارة » ، لطلباته « المختارة » · ولا بد هنا من الاشارة ايضا ، الى ان تلك الآراء والمعتقدات لا تزال سائدة ، على الرغم مما قدمـه علمـاء التوراة ، خصوصا خلال القرنين الاخيرين ، في ضوء الاكتشافات الاثرية التي تم الوصول اليها ، من ان تاريخ اليهود وحقوقهم وواجباتهم ، كمـا جاءت في التوراة وباقي الكتب اليهودية المقدسة ، لم تكن ، الى حد ما ، الا نوعا من القصص الاسطوري ، تم وضعه بعد مرور مئات السنين على وقوعه ، وان قيمته التاريخية تنحصر في كونه عنصرا من عناصر الوعي الاجتماعي ، واحيانا القومي ، لدى اليهود (٣٥) ·

كان تفسير العلاقة بين اليهود وارض ــ اسرائيل ، بالشكل الذي اشرنا له ، العنصر الاخير في مركب الصهيونية · وعندما اضيف هذا العنصـر الى العوامل الاخرى : تحسن طفيف في اوضاع الجماهير اليهودية ، ثم نشوء طبقة من المثقفين اليهود ، لم تكن راضية عن اوضاعها من جهة ، بينما لفت نظرها تحرير عدد من الشعوب الاوروبية ، وقيام دول اوروبية جديدة من جهة أخرى ، ثم تعاظم نفوذ الاستعمار من ناحية ، وظهـور اللاسامية من ناحية أخرى ، اكتملت اسس الصهيونية ، نظريا · ولم يبـق، عندئذ ، الا العامل المحرك ، لنقلها من المجال النظري الى العملي ــ وهـو ما قدمته الاعتداءات التي نشبت ضد اليهود في روسيا ، بعد اغتيـال القيصر سنة ١٨٨١ ، ودفعت اعدادا منهم للهجرة الى فلسطين ·

[٧]

كانت فلسطين ، مع نهاية القرن الماضي ، عند بدء التسلل الصهيوني اليها ، لا تزال خاضعة للحكم العثماني · وكانت مقسمة اداريا الى متصرفية القدس المستقلة ، التي كانت تابعة للادارة العثمانية في اسطنبول مباشرة ، وسنجقي نابلس وعكا اللذين كانا يشكلان جزءا من ولاية بيروت (انظر الخريطة ، ص ٦٢) · ووفق التقسيمات الادارية العثمانية لسنة ١٩٠٨ ، كانت هذه المناطق تضم ٥٤٩ قرية عربية ، يتبع منها مدينة القدس ١٢٦ قرية ، الخليل ـ ٥٢ ، غزة ـ ٧٥ ، يافا ـ ١٢٦ ، حيفا ـ ٦٢ ، صفد ـ ٧٨ ، وطبريا ـ ٣٠ قرية (١) · وقدر عدد سكان فلسطين العرب ، حينذاك ، بنحو نصف مليون نسمة ·

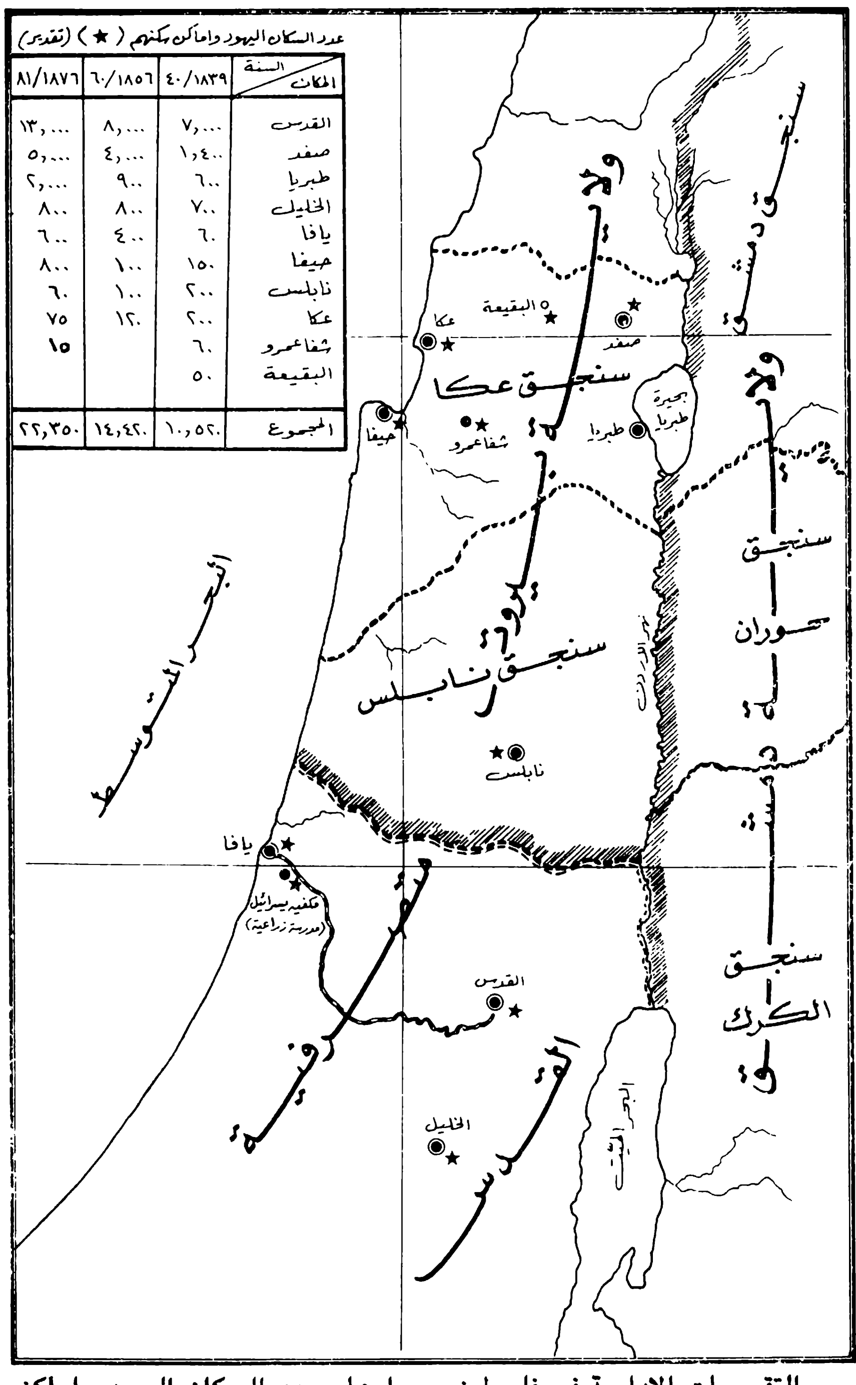
وكان اليهود في فلسطين ، مع منتصف القرن التاسع عشر ، وقبيل وصول طلائع المهاجرين الصهيونيين من روسيا ورومانيا اليها ، اقلية ضئيلة بين السكان العرب ، تعيش في نحو عشرة اماكن مختلفة في البلد · ويعود وجود اليهود في فلسطين في العصور الحديثة ، الى نهاية القرن الخامس عشر ، عندما وصل اليها قسم من اليهود السفاراديم ، الذين طردوا من اسبانيا سنة ١٤٩٢ ، واستقروا في صفد · وانضمت اليهم ، فيما بعد ، اعداد اخرى من يهود دول البلقان وآسيا الصغرى ، اذ كان بعضهم يهاجر الى فلسطين من حين الى آخر ·

بقيت اكثرية اولئك اليهود متجمعة في صفد الى ان اضطر معظمهم الى ترك المدينة ، نتيجة للكوارث التي حلت بها (ومنها زلزال نتجت عنه ، سنة ١٨٣٧ ، خسائر فادحة) ، والانتقال الى القدس (٢) · ومع هذه التنقلات ، اصبحت القدس تضم ، في منتصف الثلاثينات ، اكبر تجمع يهودي في فلسطين · وكان اليهود الاشكناز ، من ناحية ثانية ، قد اسسوا طائفة لهم في المدينة ، كبرت مع قدوم بعض مئات من اليهود الحسيديم من بولونيا ، الذين وصلوا الى فلسطين سنة ١٧٧٧ (٣) ، وتبعهم آخرون فيما بعد ، واستقروا في القدس ايضا · كذلك وجدت في المدينة وقتئذ طائفة اخرى من اليهود الفريسيين (٤) ، قدموا اليها خلال السنوات ١٨٠٨ ـ ١٨١٠ · ورغم ذلك ، كانت اكثرية اليهود في فلسطين، حتى منتصف القرن التاسع عشر ، من السفاراديم · الا ان نسبة الاشكناز راحت ترتفع من ثم ، نتيجة للهجرة ، الى ان اصبحوا نصف السكان

اليهود سنة ١٨٧٥ ، ثم ٦٠ ٪ سنة ١٨٧٧ (٥) ٠ واستمرت نسبة الاشكناز بعد ذلك في الارتفاع ، نتيجة للهجرة الصهيونية من روسيا وبولونيا ، بحيث اصبح السفاراديم اقلية ، وبقوا كذلك حتى ١٩٤٨ ، آخر سنوات الانتداب البريطاني في فلسطين (ولكن عدد اليهود السفاراديم عاد الى الارتفاع في اسرائيل ، بعد اقامتها ، نتيجة للهجرة الواسعة اليها من الدول الآسيوية والافريقية ، وخاصة الدول العربية ، خلال سنيها الاولى ، فأصبحوا فيها اكثر من نصف السكان اليهود) ٠

لا يعرف بالضبط عدد اليهود ، الذين كانوا يعيشون في فلسطين ، قبيل بدء الهجرة الصهيونية اليها ، مع مطلع الثمانينات من القرن التاسع عشر ، رغم كثرة المصادر حول ذلك ، ورغم اتفاق الآراء حول معظم الاماكن التي كانوا يقطنونها ٠ ويستفاد من « احصاء » للسكان اليهود ، أجري سنة ١٨٣٩ ، ان عددهم بلغ آنذاك نحو ٦ر٥٠٠ (٦) نسمة (نصفهم تقريبا في القدس) ، بينما تشير مصادر اخرى الى ان عددهم بلغ ، في السنة التالية ١٠ر٥٠٠ نسمة ٠ غير ان هذا الاختلاف في التقديرات يتقلص عندما نقترب من الستينات ، ثم الثمانينات ، بحيث يصل عدد اليهود في فلسطين ، بحسب تلك التقديرات ، الى ١٤ر٤٠٠ نسمة تقريبا ، خلال ١٨٥٦ ـ ١٨٦٠ ، ليرتفع الى ٢٢ر٣٥٠ نسمة خلال ١٨٧٦ ـ ١٨٨١ ٠ وكان اكثر من نصف اولئك السكان يعيشون في القدس ، بينما كانت البقية موزعة في سبعة بلدان اخرى : صفد ، طبريا ، عكا ، حيفا ، يافا ، نابلس والخليل ، وفي قريتين في الجليل : شفاعمرو والبقيعة (انظر الخريطة ، ص ٦١) ٠

تمتع اليهود في فلسطين ، التي كانت خاضعة للحكم العثماني ، منذ سنة ١٥١٧ ، وفي اماكن اخرى من الامبراطورية العثمانية ، بقسط كاف من الحرية الدينية ، لم تكن من نصيبهم في اي بلد اوروبي ٠ فخلال الحكم العثماني ، لم تتخذ اية اجراءات رسمية ، تستحق الذكر ، تناهض اليهود ، او تميز بينهم وبين باقي السكان (٧) ، كما كانت الحال في معظم الدول الاوروبية ، ان لم يكن فيها كلها ٠ واذا كانت اوضاعهم في الامبراطورية العثمانية عامة غير مرضية ، فانها لم تكن تختلف كثيراً عن اوضاع باقي السكان ٠ كذلك تعزز مركز اليهود ، ومركز باقي الطوائف الاخرى غير الاسلامية ، في الامبراطورية العثمانية ، بعد حرب القرم خاصة ، التي اسفرت ، سنة ١٨٥٦ ، عن معاهدة كان من جملة ما نصت عليه ، تعهد السلطات العثمانية ، بالمحافظة على حقوق اليهود


عدد السكان اليهود واماكن سكنهم (★) (تقدير)

السنة / المكان	١٨٣٩/٤٠	١٨٥٦/٦٠	١٨٧٦/٨١
القدس	٧,٠٠٠	٨,٠٠٠	١٣,٠٠٠
صفد	١,٤٠٠	٤,٠٠٠	٥,٠٠٠
طبريا	٦٠٠	٩٠٠	٢,٠٠٠
الخليل	٧٠٠	٨٠٠	٨٠٠
يافا	٦٠	٤٠٠	٦٠٠
حيفا	١٥٠	١٠٠	٨٠٠
نابلس	٢٠٠	١٠٠	٦٠
عكا	٢٠٠	١٢٠	٧٥
شفاعمرو	٦٠		١٥
البقيعة	٥٠		
المجموع	١٠,٥٢٠	١٤,٤٢٠	٢٢,٣٥٠

التقسيمات الادارية في فلسطين وجوارها وعدد السكان اليهود واماكن سكنهم (٨) ٠

والمسيحيين الدينية ، ومنحهم « حكما ذاتيا » في هذا المجال · وفي الوقت نفسه ، جرى توسيع نظـــام الحماية (Capitulations) ، حتى اصبح الكثيرون من اليهود والمسيحيين ، سكان الامبراطوريـــــــة العثمانية ، بمثابة مواطنين للدول الاجنبية التي تتولى حمايتهم بواسطة قناصلهـا المنتشرين في كافة انحاء الامبراطورية ، بعد ان فقدت السلطات العثمانية، الادارية والتشريعية ، صلاحياتها تجاههم ، التي حولت الى قناصل الدول الاجنبية ، واصبحت بحد ذاتها احدى الوسائل لتدخل تلك الدول في الشؤون العثمانية الداخلية· وكانت السلطات قد منحت امتيازات الحماية، سنة ١٧٣٥ ، لفرنسا ، وسنة ١٨٣٠ لكل من بريطانيا وهولندا والنمسا وروسيا والمانيا والولايات المتحدة · وترتب على هذا الوضـع نتيجتان مهمتان ، اولاهما ان الالاف مـــن اليهود اتجهوا لطلب حماية الـــدول الاجنبية (٩) ، خصوصا بريطانيا والمانيا ، مما قوى من مركزهم عند التعامل مع السلطات ، وباقي سكان البلد ، وثانيتهما ان الحكومـــة العثمانية اعترفت بالحاخام السفارادى الاكبر ـ « الحاخام باشي » ـ كرئيس للطوائف اليهودية في الامبراطورية · كما منح الحاخام باشي صلاحية الموافقة على انتخاب حاخام سفارادى اكبر لليهود في فلسطين (« هاريشون لتسيون » ـ « الاول في صهيون ») ، باعتباره رئيسا وممثلا لكل اليهود في البلد ، يمارس صلاحيات ادارة شؤونهم الدينية والدنيوية ، وتقوم السلطات العثمانية الحاكمة بتنفيذ قراراته (١٠) · وكان الحاخام الاكبر ينتخب من قبل حاخامي الطائفة السفارادية ، ويدير واياهم شؤونها الدينية ، بينما يقوم وحده بتعيين باقي الموظفين ، الذين يديرون شؤون الطائفة الاخرى ، وهو وضع اسفر عن ازدياد نفوذ الزعامة الدينية بين اليهود عامة · وحاول الحاخام السفارادي الاكبر بسط سيطرته على ابناء الطائفة الاشكنازية ايضا ، الا ان محاولاته صدت (١١) ، بينما بقـي الاشكناز بدون حاخام اكبر خاص بهم ، وبدون مؤسسات دينية اشكنازية شاملة ، حتى احتلال البريطانيين لفلسطين ، مع نهاية الحرب العالميـة الاولى ·

ومن ناحية ثانية ، ازداد مع منتصف القرن التاسع عشر اهتمام دول الغرب بفلسطين ، خصوصا بعد ان عاد اليها الحكم العثماني ، سنـة ١٨٤٠ ، بمساعدة بعض الدول الغربية ، وبعد ان طرد منها محمد علي حاكم مصر ، الذي كان قد احتلها من قبل · وتمثل هذا الاهتمام المتزايد في بناء عدد لا بأس به من الكنائس والاديرة ، خلال السنوات ١٨٣٣ ـ ١٩١٤ ، تملكها طوائف مسيحية متعددة ، في اماكن مختلفة من فلسطين،

وافتتاح عدد من القنصليات الاجنبية في البلد ، خصوصا في القدس • ففي سنة ١٨٣٨ افتتحت قنصلية بريطانية في المدينة ، للاهتمام بمصالح بريطانيا في فلسطين ، ومن ضمنها « تقديم الحماية لليهود [هناك] عامة » ، وهو ما اصبح عملا رئيسيا للقنصلية خلال وقت طويل (١٣) • ويتضح من وثائق القنصلية ان هدفها من « تقديم الحماية لليهود » كان ذريعة ، تستطيع بريطانيا بموجبها ايجاد من « تحميه » في فلسطين ، لتتمكن من التدخل في شؤون البلد الداخلية ، وتقوية مركزها ـ اسوة بفرنسا ، مثلا ، « حامية » الكاثوليك ـ حتى أننا نرى القنصل البريطاني ، يقترح على الحكومة العثمانية ، الموافقة على ان يقوم اليهود بتقديم مظالمهم الى السلطات بواسطة القنصلية ، الا ان طلبه قد رفض (١٤) • ولكن القنصلية تمكنت بعد ذلك ، على اية حال ، من ايجاد رعايا لبريطانيا في فلسطين ، من خلال الاستجابة بسهولة ، الى طلبات منح الحماية ، التي كان يتقدم بها بعض اليهود من حين الى آخر ، خصوصا اولئك الذين كانوا قد فقدوا ، لسبب ما ، حماية دولتهم الاصلية •

وهكذا تصرفت القنصلية الالمانية في القدس ، التي افتتحت سنة ١٨٤٢، فمنحت الحماية الالمانية لكل من طلبها ، من خلال « التغاضي عن صحة المستندات » التي قدمت لتأييد طلب منح الحماية ، التي منحت لكثيرين من اليهود الذين « لم يكونوا فعلا من اصل الماني » (١٥) • وحذت دول اوروبية اخرى ، بعد ذلك ، حذو بريطانيا والمانيا • واسفر هذا النشاط ، في نهاية الامر ، عن ازدياد عدد اليهود الذين تمتعوا بالحماية الاجنبية ، بحيث بلغ ، مع منتصف الخمسينات ، نحو ٥ر٠٠٠ نسمة ، اي ما يقارب نصف عدد اليهود في فلسطين آنذاك ـ كان منهم نحو ٣ر٠٠٠ نسمة تحت الحماية النمساوية ، ١ر٠٠٠ تحت حماية بريطانيا ، و١ر٠٠٠ تحت حماية المانيا وروسيا وهولندا والولايات المتحدة الامريكية (١٦) • ومن ناحية ثانية ، وسعت هذه القنصليات نشاطها ، مع مرور الزمن ، واقامت فروعا لها في اماكن مختلفة في فلسطين ، خارج القدس • وقد اسدت هذه القنصليات ، وفروعها المختلفة ، خدمات قيمة لليهود في فلسطين ، وساعدتهم على تعميق جذورهم فيها ، وذلك من خلال منعها السلطات العثمانية ، احيانا ، حتى من تطبيق القوانين المعمول بها عليهم ، حتى صعب تصور وجود أي كيان لليهود هناك دون حماية القناصل الاجانب (١٧) • وكان نشاط القناصل ملموسا ، بشكل خاص ، في مساعدة

اليهود ، على شراء الاراضي في فلسطين والاستيطان فيها ٠

ان ما أشرنا اليه من الاوضاع السياسية المريحة ، التي نعم بها اليهود في فلسطين ، خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وامتيازات الحماية التي منحت لهم ، لا تنطبق ابدأ على اوضاعهم الداخلية ، التي امتازت بخمول وفقر شديدين ٠ ويعود ذلك ، اساسا ، الى صفات ذاتية مميزة لمعظم اولئك اليهود ، الذين قدموا الى فلسطين من خلال دوافع دينية بحتة ، بهدف العيش بالقرب من الاماكن اليهودية المقدسة ، وقبور الانبياء والصديقين ، واقامة الصلوات والشعائر الدينية ، للاسراع في مجيء المسيح ـ المخلص ٠ ولم يكن معظم اولئك اليهود يقومون بعمل ما يعتاشون منه، بل كانوا منهمكين، دائما، باقامة الصلوات ودراسة التوراة والتلمود ، ويعيشون على الصدقات ، التي كانت تصلهم من ابناء طائفتهم خارج فلسطين ٠ وكانت البندقية اول مدينة، تفرض فيها الطائفة اليهودية على نفسها ضريبة ، لمساعدة حاخام المدينة وصحبه ، الذين هاجروا الى فلسطين (١٨) ٠ ثم تطورت هذه العادة ، فيما بعد ، بحيث اصبح يهود فلسطين انفسهم ، يرسلون الرسل من بينهم ، كل سنة ، الى بلدانهم الاصلية ، لجمع التبرعات والعودة بها الى فلسطين ، وتقسيمها (ومن هنا جاء اسم هذا النظام : « حلوكاه » ـ « تقسيم ») بين ابناء طائفتهم هناك ٠ ومع بداية القرن التاسع عشر ، تغيرت الادوار ثانية ، واصبح اليهود في الخارج هم الذين يقومون بجمع التبرعات بواسطة مؤسسات خاصة (١٩) ، ثم يرسلونها الى فلسطين ، مقسمة وفق قوائم باسماء ابناء طائفتهم ، واوضاعهم العائلية (٢٠) ٠

ان اسس نظام الحلوكاه ، لم تكن بسيطة ، بالمدى الذي تبدو فيه لأول وهلة ، ولكن سرعان ما وجدت مبررات دينية لدعمها ، منها ان دفع الاموال للحلوكاه هو نوع من الاحسان ينبغي على اليهودي القيام به ، خصوصا تجاه اخوته في فلسطين ، نظراً للاوضاع الصعبة التي يعيشون فيها ، ولكونهم ذهبوا للعيش هناك بموجب تعاليم التوراة (٢١) ٠ وبالاضافة الى ذلك ، فان الاشتراك في تمويل الحلوكاه هو نوع من تنفيذ فريضة استيطان ارض ـ اسرائيل ، واذا كان معظم اليهود لا يستطيعون تنفيذ هذه الفريضة بأنفسهم ، والانتقال للسكن في ارض ـ اسرائيل ، فلا مانع ، على الاقل ، من مساعدة اخوتهم الذين يسكنون هناك ٠ ثم ان هذه المساعدة ضرورية لأسباب اخرى ، فصلوات اليهود في المهجر لا تصل الى الله ، الا اذا رافقت صلوات الموجودين منهم في فلسطين ٠ اضف

الى ذلك ان اليهود بوجودهم في فلسطين ، وبصلواتهم فيها ، يحافظون على قدسية البلد · وتكاثرهم هناك أيضا ضروري لتقريب ساعة الخلاص (٢٢) · وواضح ان هذه المعتقدات قد ادت الى تعزيز هذا النظام ، الذي فرض سيطرته على اوضاع اليهود الاقتصادية ، خصوصا ان اكثرية اليهود في فلسطين آنئذ، نحو ٨٥٪ ، كانت تعيش على تلك التبرعات (٢٣)·

اثر نظام الحلوكاه تأثيراً سيئا على اوضاع اليهود الاجتماعية ، اذ ان تقسيم التبرعات كان يتم بشكل ، يحصل معه رب العائلة ، الذي يتعاطى دراسة التوراة (« تلميد حاخام ») ، على حصص تزيد عن تلك التي يحصل عليها الاخرون · فحمل ذلك الآباء على عقد زيجات ابنائهم في سن مبكرة للغاية ، وحثهم على الانخراط في سلك دارسي التوراة ، مما زاد في خمولهم ، وابعدهم عن القيام بأي عمل منتج ، ودفعهم حتى الى التصدي للآخرين ، احيانا ، ان حاولوا القيام بذلك · ومن هنا ايضا جاء ، الى حد ما ، رد الفعل المعاكس لدى اوائل المهاجرين الصهيونيين الى فلسطين وابتعادهم عن « اليبشوف* القديم » ، اهل الحلوكاه ، واتجاههم الى تعاطي الاعمال اليدوية ، ثم تفسيرهم مفهومهم « للعمل » بشكل مبالغ به · كذلك ادى نظام الحلوكاه ، من ناحية ثانية ، الى انقسام الطائفة اليهودية على ذاتها ، فبعد ان انفصل الاشكناز عن السفاراديم ، الذين بقوا يشكلون تنظيما طائفيا (« كوليل ») واحداً ، عادوا وانشقوا على انفسهم ، واقاموا ١٩ تنظيما اشكنازيا (٢٤) ، بحسب البلدان التي قدموا منها ، وذلك لكي يستأثر كل تنظيم لوحده بالتبرعات التي تصل من بلده · كذلك فان التنافس والكراهية ، بين هذه التنظيمات الاشكنازية ، كانت قوية للغاية ، وطغت على العلاقات غير الودية ، التي كانت قائمة بين السفاراديم والاشكناز عامة (٢٥) ·

دفعت اوضاع اليهود الاجتماعية المتدهورة في فلسطين بعض اليهود ، خارج البلاد وداخلها ، الى بذل محاولات لتحسينها ، بواسطة توجيههم نحو العمل في الزراعة او الحرف · وكان السير موشي مونطفيوري ، اليهودي البريطاني الثري وابن احدى العائلات اليهودية العريقة في في بريطانيا ، اول من ابدى اهتماما باوضاع اليهود في فلسطين ، وحاول العمل على تحسينها ، بعد ان كان قد قام بنشاط مماثل بالنسبة لليهود

---

* « اليبشوف » ـ كلمة عبرية تعني «مستوطنة» او « استيطان » ، وكان هذا التعبير يطلق ، مجازا ، على المستوطنين الصهيونيين في فلسطين ، قبل قيام اسرائيل ، بأسرهم ، وعلى كافة مؤسساتهم وتنظيماتهم ·

في روسيا ، حيث قابل القياصرة هناك مرتين في سبيل ذلـــــك ، ومراكش ورومانيا (٢٦) • وبعد « حادثة دمشق » ، سنة ١٨٤٠ ، وهي الحادثة التي اتهم فيها بعض اليهود في المدينة بخطف راهب وقتله ، لاستعمال دمه فيطقوس دينية يهودية (و « فرية الدم » هذه ، التي كان اليهود يتهمون بموجبها بقتل ابناء الديانات الاخرى ، خاصة المسيحيين منهم ، لاستعمال دمهم في طقوس دينية ، كانت منتشرة بشكل خاص في أوروبا ، خـــلال القرون الوسطى ، حيث استغلت كمبرر لاضطهاد اليهود ، وايقاع الاذى بهم في اماكن عديدة) ، تمكن مونطفيورى مـــن مقابلـــة السلطـان ، والحصول منه على فرمان يكفل حماية اليهـــود وحريـــة معتقداتهـــم الدينية (٢٧) ، في كافة انحاء الامبراطورية العثمانية • وتم ذلك بعد ان « فحصت » ، على حد ما جاء في الفرمان ، كتب اليهود الدينية ، فوجدت خالية مما يبرر تلك الفرية ، وبعد ان اتضح ان التهمة التي وجهت الـــى اليهود في دمشق ، كانت مكيدة دبرها المبشرون المسيحيون الفرنسيون في المدينة (٢٨) •

ابدى مونطفيورى اهتماما ملحوظا باوضاع اليهود في فلسطين ، وقام بزيارتها سبع مرات ، بين سنتي ١٨٢٧ و ١٨٧٥ ، للاطلاع على حالتهـم ولمساعدتهم (وفي زيارته الثانية ، سنة ١٨٣٩ ، مول اجراء احصـــاء للسكان اليهود هناك) (٢٩) • وعدا عن المساعدات المالية والتبرعات ، التي كان مونطفيورى يدفعها لليهود ، واقامة المدارس والعيادات والورش لخدمتهم ، حاول ، بطرق مختلفة ، نقلهم الى حياة العمل المنتج ، خصوصا في الزراعة ، وذلك بعد ايحاء منهم بذلك • وقد دفعه هذا الوضع الـــى التفكير في طلب استئجار نحو ٢٠٠ قرية في فلسطين مع اراضيها ، من محمد علي ، حاكم البلد حينذاك لتوطين اليهود فيها ، ثم تأسيس شـــركة تتولى نقل اليهود من اوروبا وتوطينهم في تلك الاراضي ، الا ان كـــل محاولاته ، في هذا الاتجاه ، باءت بالفشل (٣٠) •

ان مجمل نشاطات مونطفيورى لم تسفر عن تحسن يذكر في اوضـــاع اليهود في فلسطين ، غير ان الفشل لم يكن من نصيب مشاريعه كلها • ففي زيارته الرابعة لفلسطين ، سنة ١٨٥٥ ، عرج على اسطنبول ، حيـــث قابل السلطان هناك للمرة الثانية ، وحصل منه على فرمان آخر ، سمـــح له بموجبه بشراء مساحة من الارض في القدس ، خارج سور المدينة ، خصصت لاقامة مستشفى عليها (٣١) • ولكن مونطفيوري عـدل خططه بعد ذلك ، بناء على نصيحة وجهاء اليهود في القدس ، الذين اقترحـــوا

اقامة مساكن شعبية على تلك الارض ، بدلا من اقامة مستشفى ، نظــرا لازدحام الحي الذي يسكنه اليهود داخل السور ، فبوشر ببناء تلـــك المساكن سنة ١٨٥٩ · ولما حاولت السلطات العثمانية ايقاف اعمـــال البناء ، لانها تخالف تعليمات الفرمان الذي منحه السلطان لمونطفيوري ، تدخل القنصل البريطاني في القدس ، طالبا العون من حكومته ، التـــي اوعزت الى سفيرها في اسطنبول بمعالجة المشكلة ، فصدر على اثر ذلـك امر يسمح باستمرار البناء (٣٢) · وبعمله هذا وضع مونطفيورى ، ومن حيث لا يدري ، الاسس لاول حي سكني يهودي في فلسطين ـ وفي القدس بالذات (وعرف فيما بعد باسم حي « يمين موشي ») ـ اصبح نواة للجزء اليهودي من المدينة ، الذي شيد خارج سورها · وكان تدخل القنصـــل البريطاني في الامر ، فاتحة لتدخلات عديدة مماثلة في المستقبل ، واشارة للدور الذي قدر لبريطانيا ان تلعبه ، في دعم الكيان الصهيوني في فلسطين وحمايته ، خلال حكم الانتداب البريطاني · وجاءت اقامة ذلك الحي ، بمثابة وضع حجر الاساس لاحياء مماثلة ، حيث قام يهود القدس ، حتـــى سنة ١٨٩٢ ، بانشاء ثمانية احياء سكن اخرى في الناحية نفسها مـــن المدينة (٣٣) ، اقيم جزء منها بمساعدة صندوق مالي (« مزكيرت موشي» ـ « ذكرى موشي ») ، الذي اسس تخليدا لذكرى مونطفيوري ، وترأســه يحيئيل ميخل بينس (٣٤) ·

ونشطت في هذا المجال ، من ناحية ثانية ، جمعية الاليانس الفرنسية ، فقامت سنة ١٨٦٨ بارسال احد مؤسسيها ، كارل نيطر ، الى فلسطين لدراسة اوضاع اليهود · واعلن نيطر ، في تقرير قدمه بعد زيارته ، ان « كل اولئك الذين زاروا فلسطين من قبلي ، وصلوا بالاجماع الى نتيجـة مفادها انه بواسطة العمل في الارض فقط يمكن مساعدة اخوتنا اليهود » في فلسطين ، ولهذا اقترح اقامة « مؤسسة جديدة ، يثقف فيها الجيـــل الجديد على العمل في الارض » (٣٥) · وقد وافقت الاليانس على مشروع نيطر هذا ، وقررت اقامة مدرسة زراعية في فلسطين لتعليم ابناء اليهود اصول الزراعة الحديثة ، معلنة انها ستعمل ايضا على توطين اولئـــك الطلاب ، بعد تخرجهم ، على اراض تشتريها لهذه الغاية (٣٦) · وعلى الاثر، اجرت الجمعية اتصالات بالحكومة العثمانية ، وتمكنت من الحصول على فرمان من السلطان ، بتأجيرها ٢٦٠٠ دونم من الاراضي ، التي كان يفلحها ابناء قرية يازور العربية (٣٧) ، الواقعة الى جنوب شرقـــي يافا ، لاستعمالها لاغراض المدرسة ، ما دامت قائمة ، وذلك بعد ان اعفيت

الجمعية من دفع رسوم الايجار للسنوات العشر الاولى (٣٨) ٠ وفي سنة ١٨٧٠ ، افتتحت على تلك الارض اول مدرسة زراعية يهودية في فلسطين ، « مكفيه يسرائيل » (« رجاء اسرائيل ») ، التي اختير اسمها من التوراة (ايها الرب رجاء اسرائيل كل الذين يتركونك يخزون ـ آرميا ١٧ : ١٣) ٠ وقد استمرت مكفيه يسرائيل في تأدية مهامها ، منذ تأسيسها وحتى اليوم دون انقطاع ، رغم انها لم تستطع تنفيذ وعودها ، بتوطين خريجيها على ارض تستملكها من اجلهم ، فتخرج منها ، خلال تلك الفترة ، اجيال من العمال الزراعيين المتخصصين ، كانوا خير معين للحركة الصهيونية في تنفيذ مشاريعها للاستيطان الزراعي في فلسطين ٠ (وفي سنة ١٩٥٦ ، وتقديرا للخدمات التي قدمتها مكفيه يسرائيل ، عقدت حكومة اسرائيل اتفاقا مع الاليانس تعهدت بموجبه بتقديم الاراضي ، وخدمات اخرى ، للمدرسة مقابل تعويض رمزي يدفع للحكومة ، وذلك لمدة ٩٩ سنة ، قابلة للتجديد ، عند نهايتها ، لمدة ٩٩ سنة اخرى (٣٩)) ٠

كذلك لم يقف اليهود انفسهم في فلسطين مكتوفي الايدي ، من هذه الناحية ، اذ نشط بعضهم في هذا المجال ايضا ، خصوصا ان الدعوة لتحسين اوضاعهم ، وابعاداضرار نظام الحلوكاه عنهم بواسطة نقلهم الى حياة الانتاج الزراعي ، كانت قد صدرت اصلا عنهم ٠ وازدادت هذه الدعوة قوة بعد ظهور الصحف العبرية بينهم ـ وكان احد الاسباب الرئيسية لصدورها تلك الخلافات التي كانت قائمة بين مؤيدي الحلوكاه والمعارضين لها ، بعد ان شعرت كل فئة بحاجتها الى اداة لتبرير مواقفها (٤٠) ٠ وكانت قد صدرت في القدس صحيفة عبرية ، سنة ١٨٦٣ ، بعد ان ادخلت الطباعة العبرية الى المدينة ، سنة ١٨٤١ (٤١) ، وتولى تحريرها يوئيل موشي سلومون ، من كبار المعارضين لنظام الحلوكاه ٠ ثم راحت الصحف العبرية تظهر الواحدة تلو الاخرى ، بحيث صدرت في القدس ، منذ ١٨٦٣ وحتى ١٩٠٤ ، ٢٥ صحيفة ومنشورا بالعبرية ، ظهر معظمها خلال فترات قصيرة فقط (٤٢) ، بينما قامت اكبرها « حفتصيليت » (« زنبقة ») (١٨٧٠ ـ ١٩١١) ، التي تولى تحريرها سلومون نفسه ، بشن حرب شعواء على الحلوكاه (٤٣) ، فترة طويلة ٠

لم يكتف سلومون في حربه مع اليبشوف القديم ، ونظام الحلوكاه الذي يعيش منه ، بالكلام فقط ، وانما اتجه الى العمل ايضا ، حيث تعاون مع اثنين من زملائه واقاموا جمعية ، ضمت عددا من يهود القدس ، بقصد

شراء اراض لهم ، في اي مكان في فلسطين ، لتأسيس مستوطنة زراعية والعيش من الانتاج الزراعي ۰ وتمكن سلومون ، سنة ۱۸۷۸ ، من شراء ما مساحته ٣٫٢٧٥ دونما من اراضي قرية املبس ، الواقعة على بعد نحو ١٠ كيلومترات الى الشرق من يافا كانت ملكا لاحد تجار يافا العرب، ويدعى قصار ، بعد ان جرى عقد شرائها امام قنصل النمسا في القدس ، اذ ان سلومون وزميله ، دافيد غوتمان ، كانا مواطنين نمساويين ۰ وفي السنة التالية ، تم استملاك نحو ١٠٫٠٠٠ دونم اخرى ، قريبة من قطعة الارض الاولى ، من تاجر يافاوي آخر ، يدعى طيان (٤٤) ۰ وعلى الاثر توجه بعض اصحاب الارض لاقامة مباني على جزء منها ، وتأسيس مستوطنة لهم ، اطلقوا عليها اسم « بيتح تكفا » ـ « باب الرجاء » (و« اعطيها كرومها من هناك ووادي عخور بابا للرجاء ۰۰۰ » ـ التوراة، سفر هوشع ٢ : ١٧) ۰ الا ان معظم المستوطنين اضطروا الى ترك بيتح تكفا ، بعد نحو ٣ سنوات من تأسيسها ، في ١٨٨١ ، بسبب الامراض التي تفشت بينهم ، والخسائر التي لحقت بهم ، نتيجة لعدم خبرتهم في الزراعة، فسلمت الاراضي الى مزارعين عرب لفلاحتها ۰ ولم يتجدد الاستيطان فيها الا بعد قدوم طلائع المهاجرين الصهيونيين من روسيا (٤٥) ، فاشترى بعضهم قسما من اراضيها واستوطنوا هناك ۰ ولما حاولت السلطات العثمانية ايقاف اعمال البناء الجديدة ، نظرا للقيود التي فرضت آنذاك على دخول اليهود الى فلسطين واستيطانهم فيها ، تدخل القنصل النمساوي وتمكن من حمل السلطات على التراجع ، بعد ان هدد بتدخل بسمارك نفسه في القضية (٤٦) ۰ وقد لعبت بيتح تكفا ـ « ام المستوطنات » ، كما عرفت فيما بعد ـ دورا مهما في بلورة مفاهيم عديدة داخل الكيان الصهيوني في فلسطين ، اذ اصبحت محطة مرور لابناء الهجرة الثانية الصهيونية (١٩٠٤ ـ ١٩١٤) ، في طريقهم من روسيا وبولونيا الى مختلف انحاء فلسطين ۰ وعلى ارضية طبيعة العلاقات بين سكانها والعمال العرب ، الذين كانوا يستخدمونهم ، والمهاجرين اليهود الذين كانوا يفدون اليها ، وضع زعماء الجناح العمالي الصهيوني العديد من نظرياتهم ومبادئهم ، بشأن بناء كيان صهيوني في فلسطين ، ومن ضمنها اسس « العمل العبري » ، التي لا تزال حية حتى يومنا هذا ۰

لم يكن سلومون وزملاؤه الوحيدين ، من بين يهود القدس ، الذين نشطوا لشراء الاراضي ، قبيل بدء الهجرة الصهيونية الى فلسطين ، اذ قبل ان يتمكن هؤلاء من اقامة بيتح تكفا بثمانية عشرة عاما ، اي سنة ١٨٦٠ ، تمكن احد سكان القدس ، شلومو يحزكيئيل يهودا ، من وضع يده

على جزء من اراضي قرية قالونيا ، بالقرب من القدس ، بمساعدة فين ، القنصل البريطاني في المدينة (٤٧) ٠ وقام يهودا بالاستيلاء على تلك الاراضي ، عن طريق التحايل على القانون ، الذي لم يكن يسمح لمواطنين اجانب باستملاك الاراضي في فلسطين ، وذلك بوضع يده على تلك الارض ، بعد دفع ثمنها الى مالكيها ، ثم تسجيل رهن عليها ، لدى القنصل البريطاني ، تبلغ قيمته نحو ضعفي ثمن الارض ، بينما اودع لدى البائعين اقرارات اعلن فيها انه لن يطالبهم بدفع قيمة الرهن (٤٨) ، بحيث يستطيع استغلال تلك الارض لفترة غير محدودة (ولجأت مؤسسات شراء الاراضي الصهيونية الى استعمال اساليب مماثلة ، لشراء الاراضي في فلسطين ، بعد صدور الكتاب الابيض لسنة ١٩٣٩ ، الذي فرض قيودا على بيع الاراضي لليهود) ٠ وقد اقيمت على تلك الارض ، سنة ١٨٩٤ ، مستوطنة موتسا (وتغير أسمها فيما بعد الى موتسا تحتيت) ٠

وحذا يهود صفد أيضا حذو يهود القدس ، فقاموا في الوقت الذي استملك فيه اولئك اراضي بيتح تكفا ، بشراء نصف اراضي قرية الجاعونة، بالقرب من صفد (نحو ٤ر٠٠٠ دونم) لفلاحتها (٤٩) ٠

وفي أواخر سنة ١٨٨١ ، أسس بعض اليهود في القدس ، بمبادرة يحيئيل ميخل بينس ، رئيس صندوق « ذكرى موشي » ، واليعزر بن - يهودا ، « محيي » اللغة العبرية ، شركة سرية لشراء الاراضي في فلسطين ، اسموها « تحيات يسرائيل » (« بعث اسرائيل ») ، « لانه لن يكون انقاذ لارض (اسرائيل) ،الا اذا تأسست شركة سرية واحدة ، لا يعرف العرب كنهها ولا اهدافها ، تستطيع شراء الارض ، في كل وقت وفي كل مكان تجدها فيه ، سواء كانت الارض جيدة ام رديئة ، او ذات فائدة ، الان او فيما بعد ٠ فبهذه الطريقة فقط سنكون اسياد البلد ، عندما تكون اكثرية اراضيه في ايدينا » (٥٠) ٠ غير ان هذه الشركة ، على اي حال ، لم تقم باي نشاط في هذا المجال ٠

لم يسفر النشاط ، الذي بذله ابناء اليشوف القديم اليهودي في فلسطين ، في شراء الاراضي ، عن تقدم ملموس في اوضاعهم الاقتصادية او الاجتماعية ٠ ولكن الانجازات الأولية التي حققوها اصبحت، الى حد ما ، قاعدة للعمل لطلائع المستوطنين الصهيونيين ، الذين راحوا يفدون الى فلسطين ، مع بداية الثمانينات من القرن التاسع عشر ٠

الفصـل الاول

طـلائع الصهيونية

المفكرون الاوائل (١٨٦٢ ـ ١٨٨٤)

[١]

لم تكن الفكرة الصهيونية ، بمفهومها الداعي الى ارجاع اليهود الى فلسطين ، واقامة دولة لهم فيها ، معترفا بها دوليا ، من خلال نشاط سياسي واستيطاني يقومون به ، وليدة القرن التاسع عشر بالضبط ، رغم انها نمت بسرعة خلاله ، اذ يرجع تاريخها ، نحو قرنين ، الى الوراء ٠ فخلال القرنين السابع والثامن عشر ، ظهر اشخاص عديدون ، من بين اليهود وغيرهم ، ممن آمنوا بتلك الفكرة ودعوا الى تحقيقها ، من خلال دوافع متباينة (١) ٠ وقد حاول البعض القيام بنشاط صهيوني ، خلال الثلاثينات من القرن التاسع عشر ، ومنهم من نشر دعوته على الملأ في مطلع الستينات ، ولكن الفشل كان من نصيبهم (٢) ٠ ونجم هذا الفشل ، اساسا ، عن انعدام الظروف الموضوعية ، يهوديا وعالميا ، الملائمة لتحقيق مثل هذه الفكرة ، التي لم تجد آذانا صاغية لتنتقل الى حيز التنفيذ ، الا خلال الثمانينات ، بين يهود روسيا وبولونيا ورومانيا ، ونتيجة للظروف الموضوعية الخاصة التي وجد اليهود انفسهم يمرون فيها، في هذه البلدان ، خلال تلك الفترة من الزمن ٠

وقبل هذه الحقبة ، اي خلال العصور الوسطى وحتى قبل ذلك ، ظهرت بين اليهود من حين الى آخر ، وفي هذا البلد او ذاك ، حركات دينية تدعوهم للهجرة الى فلسطين (« ارض ـ اسرائيل ») ، او زعماء دينيون كانوا يهاجرون الى هناك ٠ وقد دفع ذلك بعض مؤرخي الصهيونية الى الادعاء بأن حركتهم عريقة ، تكاد تضاهي في قدمها اليهودية نفسها ٠ الا ان نظرة اعمق الى الوقائع ، تظهر انه ليست هناك اية علاقة موضوعية واضحة بين الفكرة الصهيونية ، ومفهومها الداعي الى اقامة دولة يهودية في فلسطين ، وبين المحاولات التي كانت تبذلها بعض الفئات اليهودية ، او الاشخاص ، للعودة الى فلسطين ، والعيش بالقرب من الاماكن اليهودية المقدسة فيها ، من خلال نزعات دينية صرفة ، ودون ان تكون لها ايضا

علاقة مع الدعوات ، التي كان يطلقها بعض المغامرين من غير اليهود، مقترحين اقامة دولة يهودية في الشرق · ولهذا فان تاريخ الصهيونية ، التي انجبت دولة اسرائيل ، بمفهومها السياسي والاجتماعي ، وعلى الصعيد النظري على الاقل ، يبدأ مع نهاية الثلاثينات من القرن التاسع عشر ·

كانت اولى الشخصيات اليهودية التي نادت بأقامة دولة يهودية في فلسطين ، الحاخام يهودا الكلعي (١٧٩٨ ـ ١٨٧٨) السفارادي الاصل ، حاخام الطائفة اليهودية في زيمون ، بالقرب من بلغراد في يوغوسلافيا(٣) · والكلعي ، رغم انه دعا الى استيطان اليهود في فلسطين ، منذ بداية نشاطه ، في اواخر الثلاثينات ، ونشر سنة ١٨٣٩ كتابا يشرح فيه آراءه (٤) ، كان في بداية طريقه ، غارقا في غيبيات الكابالاه ، حيث توصل ، بناء على حسابات اجراها بموجب ذلك « العلم » ، الى نتيجة مفادها ان سنة ١٨٤٠ هي سنة خلاص اليهود · ولما لم يحدث ما توقع غير رأيه ، معلنا ان الخلاص لا يمكن ان يتم فجأة ، ومرة واحدة ، وانما ينبغي العمل بجد في سبيله (٥) · « لقد أمر الله تبارك اسمه بان تتم توبتنا عن طريق يقظتنا ، لكي نزيد من قيمتنا لديه · وعندما يرى الله ··· رغبتنا في التوبة تمجيدا لاسمه ، ولو تم ذلك بحجم خرم الابرة ، سيرسل لنا نجدته ويفتح الباب على مصراعيه ، ثم يزيدنا ويرسل المسيح الملك ··· ولهذا لا يمكننا الانتظار حتى يظهر المسيح ··· ويعيدنا الى اورشليم ـ القدس ··· فنسمع نفخ البوق في الجليل ، وتقف ارجلنا على جبل الزيتون ، وبعد ذلك نتوب ··· هذه افكار زرعها الشيطان في قلوبنا، لكي يحجب عنا هذه النعمة » (٦) · وانطلاقا من موقفه هذا ، دعا الكلعي اليهود صراحة الى بذل نشاط خاص ، لاعادة تجميعهم في فلسطين ، وهاجم علنا الاجتهادات المغايرة لآرائه ، التي كانت سائدة حتى ذلك العصر (٧) ·

يتم انقاذ اليهود عمليا ، بحسب رأي الكلعي ، بواسطة وجهائهم الذين « لا حد لقدرتهم ··· ان كان ذلك بتأثيرهم تجاه الخارج او بقدرتهم على الحسم تجاه الداخل · ولا قيود على اولئك الوجهاء ، تمنعهم من الطلب ، من رؤساء الدول ، السماح لنا بالرجوع الى بلدنا وارض اجدادنا » (٨) · ولا يشك الكلعي في استجابة زعماء الدول الكبرى لطلبات اليهود هذه ، لان اولئك الرؤساء جميعا « يحبون الحق والاستقامة ، وكلهم سيوافق على انه من العدل ارجاع الحق الى نصابه » (٩) · كذلك يحث الكلعي اليهود

على قبول اجتهاداته ، بواسطة لفت نظرهم الى نشاط الحركات القومية ، التي عاصرها في اوروبا : « ان روح العصر تلزم كل الشعوب ان تحصل على استقلالها وبعث لغتها ، وهي تطالبنا ، نحن ، بانشاء كياننا ··· واحياء لغتنا المقدسة » (١٠) · كما انه يشدد على ضرورة الاهتمام بتجديد اللغة العبرية وتوحيد استعمالها ، لان « الامة المتجمعة في البلد ، لن يكتب لها النجاح ، دون لغة مشتركة » (١١) ـ وانطلاقا من موقفه هذا ، قام بوضع كتاب لتدريس اللغة العبرية وقواعدها (١٢) · ولم يكتف الكلعي بالدعوة نظريا لآرائه ، بواسطة الكتب والكراريس التي كان ينشرها من حين الى آخر ، وانما نشط عمليا في هذا المجال ، اذ قام بزيارات عدة الى دول اوروبا الغربية وبريطانيا ، لنشر آرائه بين الجاليات اليهودية في محاولة لاستطلاع آراء حكام تلك الدول في مشاريعه وامكانية مساعدتهم له (١٣) · وحاول ايضا القيام بنشاط استيطاني في فلسطين ، وحده وبمساعدة الآخرين ، ولكن النجاح لم يكن حليفه في هذا المجال · وهاجر في اواخر ايامه الى هناك ، وتوفي في القدس · ويقال ان الكلعي كان على علاقات حسنة مع عائلة هرتسل ، مؤسس المنظمة الصهيونية العالمية ، وقد تكون تعاليمه هي التي غرست في قلب هرتسل الفتى بذور الصهيونية ، اثناء اقامته مع عائلته في هنغاريا (١٤) ·

ويعتبر الكلعي ، بسبب كتاباته ، واحدا من رواد الفكر الصهيوني · فقد استطاع ، خلال فترة نشاطه ، التأثير على احد زملائه ، الحاخام تسفي هيرش كاليشر ، الذي اصدر سنة ١٨٨٦٢ ، كتابا بالعبرية ، بعنوان « دريشات تسيون » (« البحث عن صهيون ») ، طور فيه الآراء التي دعا اليها الكلعي · وفي السنة نفسها ، صدر كتاب آخر بالالمانية ، بعنوان « روما والقدس » ، لمؤلفه موشي هس ، يروج لآراء مماثلة · ويمثل المؤلفان التيارين الرئيسين ، من حيث الثقافة والبيئة والتفكير ، اللذين كانا سائدين بين اليهود · فالحاخام كاليشر من اليهود المتدينين التقليديين ، بينما ينتمي هس الى اليهود « المثقفين » (المسكيليم) · ويعتبر الكتابان من الكتب الصهيونية الاساسية ، اذ اصبحا ، كل في بيئته ، فاتحة لتيارات فكرية صهيونية ، سرعان ما وجدت من يتبناها ، ويعمل على تطويرها ، ثم ينتقل بها الى حيز التنفيذ ·

كان الحاخام تسفي هيرش كاليشر (١٧٩٥ ـ ١٨٧٤) ، حاخام الطائفة اليهودية في مدينة تورين بالمانيا ، خلال الخمسين عاما الاخيرة من حياته، من اوائل المفكرين الصهيونيين المتدينين ، الذين جاهروا بآرائهم وحاولوا

العمل على تنفيذها ٠ وبدأ كاليشر نشاطه منذ مطلع الثلاثينات من القرن التاسع عشر ، عندما توجه الى احد ابناء عائلة روتشيلد اليهودية الثرية ، في باريس ، واقترح عليه شراء فلسطين ، من حاكمها محمد علي ، لاقامة مستوطنات فيها للمهاجرين اليهود من اوروبا الشرقية (١٥) ، وذلك قبل ان يقوم هرتسل بعمل مماثل ، بنحو نصف قرن من الزمن ٠ ولم يحظ كاليشر ، مثل هرتسل فيما بعد ، بجواب على رسالته تلك ، ولكن ذلك لم يثنه عن عزمه ، اذ توجه بعد ذلك الى السير موشي مونطفيوري ، اليهودي البريطاني ، وعرض عليه المشروع نفسه (١٦) ٠ وتعاون كاليشر ، فيما بعد ، مع جمعية الاليانس الفرنسية ، التي اقامت المدرسة الزراعية في مكفيه يسرائيل ، بالقرب من يافا ، ومع جمعيات يهودية اخرى ، اقيمت في فرانكفورت وبرلين ، بهدف توطين اليهود في فلسطين (١٧) ٠ وفي سنة ١٨٦٢ ، نشر كتابه « البحث عن صهيون » ، الذي يدعو فيه لعقد مؤتمر عام لوجهاء اليهود ، بهدف تأسيس « جمعية لاستيطان ارض ــ اسرائيل » ، تكون مهمتها الرئيسية تمويل عملية استيطان اليهود في فلسطين (١٨) ، واقامة كيان لهم فيها ٠ ويشدد كاليشر ، في دعوته هذه ، على اقتفاء اليهود اثر الشعوب الاخرى ، « التي يرخص دمها وممتلكاتها في سبيل حبها لبلدها ٠٠٠ كما فعل سكان ايطاليا وشعب بولونيا ٠٠٠ وهنغاريا ٠٠٠ وعلينا ان نخجل من انفسنا ، لاننا لا نعمل على احياء ذكرى آبائنا ، وتمجيد الهنا الذي اختار صهيون مسكنا له » (١٩) ٠

لا تختلف كثيرا آراء الحاخام كاليشر ، الذي ينطلق منها لتقديم مقترحاته لحل المسألة اليهودية ، بواسطة توطين اليهود في فلسطين ، واقامة كيان لهم فيها ، في منطلقاتها ، عن الآراء التي كان يحملها حاخامو عصره ، او الاجتهادات الدينية التي توصلوا اليها ، بشأن علاقة اليهود بارض ــ اسرائيل ٠ فكاليشر يرى ، مثل باقي الحاخامين ، « ان العلاقة بين اليهود وارض ــ اسرائيل [والتوراة] » هي علاقة آلهية ازلية ، لا يمكن فصمها (٢٠) ٠ وهو ، مثلهم ايضا ، يرى ان هجرة اليهود الى ارض ــ اسرائيل ، واستيطانهم فيها ، قبل اي بلد آخر ، فريضة ينبغي على اليهودي المؤمن تأديتها (٢١) ٠ والى هنا ، تنسجم آراء كاليشر مع آراء من سبقه من الحاخامين ، ولكنه لم يكتف بذلك ، وانما ادخل تجديدا على هذه الآراء ، بدعوته اليهود الى اخذ زمام امورهم بأيديهم ، والعمل على تحقيق تلك الفرائض ، بقواهم البشرية ٠ فحتى ظهور كاليشر ، كانت الاجتهادات والتقاليد الدينية ، المتبعة حتى ذلك العصر ، تنص على ان كيانا

يهوديا ، يجمع شتات اليهود ، سيقوم عند ظهور المسيح ـ المخلص ، الذي سياتي لانقاذ اليهود خصيصا ، ويجمع شملهم في ارض ـ اسرائيل ، عندما يقترب العالم من نهايته وقبيل قيام القيامة · ومن يتوق من اليهود الى ساعة الخلاص هذه ، ويأمل « بالمساهمة » فيها وهو حي ، عليه الاكثار من اقامة الصلوات والابتهالات لله ، لحمله على الاسراع في ارسال مسيحه · واما العمل على اقامة دولة يهودية ، بقوى بشرية ، فليس الا كفرا ، لان اقامة مثل هذه الدولة وبداية تجميع اليهود فيها ، يعتبران نوعا من « الضغط » على المسيح ـ المخلص و « اجباره » على الظهور قبل الوقت الذي حدده لذلك ، وبالتالي « الاسراع في نهاية العالم » (« دحيكات هاكتس ») ، قبل الموعد المحدد ·

لم يكن التجديد الذي ادخله كاليشر على الاجتهادات التقليدية ، التي كانت سائدة في عصره ، ودعوته اليهود الى اخذ زمام امورهم بأيديهم ، والعمل على اقامة دولة يهودية في فلسطين ، بقوى بشرية طبيعية ، عملا سهلا ، اذ ان أكثرية الحاخامين ورجال الدين اليهود كانت ، حتى ذلك الوقت ، تعتبر مثل هذه الدعوة نوعا من الهرطقة · وزاد من صعوبة موقف كاليشر ، نشره تلك الاجتهادات في مجتمع يهودي متدين ، كان يشك في اية دعوة لاقامة دولة يهودية ، خشية ان تكون حركة مسيائية زائفة اخرى· ولهذا نراه لا يجرؤ على عرض اجتهاداته الخاصة به ، الا بعد ان يورد في كتابه ، « البحث عن صهيون » ، عشرات الصفحات من الاقتباسات ، من التلمود ومن كتابات كبار حكماء اليهودية الذين سبقوه ، والتي تؤيد ، بحسب رأيه ، وجهة نظره · ولكنه ، من ناحية ثانية ، مع وصوله الى فحوى اجتهاداته ، يعلنها صريحة للغاية : « ان العقل والشريعة يلزمان كل يهودي بالعمل بشجاعة وعزم وقوة ··· للاستيطان في ارض ـ اسرائيل » (٢٢) ، لان عملية تجميع اليهود وتوطينهم هناك واعمار البلد يعتبران بداية الخلاص (٢٣) (« اتحلتا دغيئولاه ») · ومن الخطأ الاعتقاد ، ايضا ، ان المسيح ـ المخلص سيظهر تلقائيا لينقذ اليهود ، الذين لا ينبغي عليهم ـ من جهتهم ـ الاكتفاء بالصلوات فقط للاسراع في ظهوره، وانما يتوجب عليهم القيام بعمل ما « لمساعدته » ، وذلك بالبدء بتجميع انفسهم في ارض ـ اسرائيل (٢٤) ·

كانت اجتهادات الحاخامين كاليشر والكلعي وآراؤهما بمثابة مرحلة اولى ، لتيار فكري داخل اليهودية ، يستمد قوته من التعاليم الدينية التقليدية ، ويمزج بينها وبين الوسائل السياسية الضرورية ، لتحقيق

الفرائض المنصوص عليها في تلك التعاليم ، من حيث علاقة اليهود بارض ـ اسرائيل وواجب استيطانهم فيها ٠ وقد تبلور هذا التيار وازداد قوة ، وعرف فيما بعد باسم الصهيونية المتدينة (٢٥) ، التي استمر مؤيدوها في اصدار الفتاوى الدينية ، من حين الى آخر ، عند الضرورة ، بشكل سهل على اليهود المتدينين التعامل مع الصهيونيين العلمانيين ، في مساعيهم لاقامة دولة يهودية في فلسطين ، خلال كل فترات النشاط الصهيوني ، بل وحملهم على مجاراتهم ، في كل مجالات نشاطهم (٢٦) ٠

لم تحظ آراء كاليشر والكلعي ، على اي حال ، بتأييد كامل من قبل الحاخامين الصهيونيين الذين جاؤا بعدهما ، ولكنها كانت كافية ، لدفع كل منهم الى عرض آرائه الخاصة ، مما اسهم في تعميق الاسس الفكرية لنظريات الصهيونية المتدينة (٢٧) ٠ ولكن تلك الاجتهادات ، خصوصا القائلة ـ خلافا لما كان مصطلحا عليه حتى ظهور كاليشر والكلعي ـ بان واجب اليهودي المؤمن ، تجاه الاسراع في ظهور المسيح ـ المخلص ، لا ينحصر في اقامة الصلوات والطقوس الدينية فقط ، وانما ينبغي ايضا القيام بنشاط عملي في سبيل ذلك ، وعلى وجه التحديد الهجرة الى ارض ـ اسرائيل والاستيطان فيها ـ باعتبار هذه العملية بداية لتجميع اليهود هناك في انتظار قدوم المسيح ـ المخلص ، كان لها تأثيرها بين الجماهير اليهودية المتدينة في روسيا (٢٨) ، اذ دفعت اعدادا من اليهود هناك الى تحقيق تلك الاجتهادات عمليا بانفسهم ٠ فمع اشتداد حملات الضغط والاضطهاد التي وجهت ضد اليهود في روسيا القيصرية ، مع مطلع الثمانينات من القرن التاسع عشر ، اثر اغتيال القيصر ، وعندما ظهر للعديد من اليهود ان الطريق الوحيدة ، للتخلص من ذلك الاضطهاد ، هي الهجرة من روسيا ، كانت اجتهادات الحاخامين كاليشر والكلعي ، التي اعتبرت الهجرة الى فلسطين والاستيطان فيها تأدية لفريضة دينية ، مغرية بالنسبة للكثيرين منهم ، للتوجه الى هناك ٠ ومن بين تلك الجماهير اليهودية المتدينة ، جاء معظم المهاجرين اليهود ، الذين قدموا الى فلسطين ، خلال العشرين سنة الاخيرة من القرن التاسع عشر ، وهم الذين انشأوا المستوطنات اليهودية ، التي اقيمت في البلد خلال تلك الفترة ، واضعين بذلك أسس الاستيطان الصهيوني ، وممهدين لنشاط الحركة الصهيونية العالمية فيما بعد ٠

وفي الوقت الذي صدر فيه كتاب الحاخام كاليشر ، « البحث عن صهيون » ، كان موشي هس (١٨١٢ ـ ١٨٧٥) يكتب الفصول الاخيرة

من كتابه ، « روما والقدس » ، بالالمانية ، تحت تأثير انتصار حركة التحرر والوحدة في ايطاليا ، والنظر الى اوضاع اليهود في ضوء تلك الانتصارات (ومن هنا جاء عنوان الكتاب) · ونشر هذا الكتاب سنة ١٨٦٢ ايضا ، بعد نشر كتاب كاليشر ببضعة اشهر · وهس ، مثل كاليشر والكلعي ، كان قد تلقى في صغره ثقافة تلمودية في مسقط رأسه ، مدينة بون بالمانيا ، ولكنه ابتعد عن تلك البيئة في ايام شبابه و « انصهر » في المجتمع الالماني، ثم الاوروبي · ومع مطلع الاربعينات ، كان يعمل جاهدا في تنظيم الحركات العمالية في المانيا ،ونشر التعاليم الاشتراكية (ولهذا السبب اطلق عليه اسم « الحاخام الاحمر ») ، ويتعاون في هذا المجال ، من حين الى آخر ، مع كارل ماركس وفريدريك انجلس ، ثم يختلف معهما ، وينتقل من بلد الى آخر في اوروبا (٢٩) ·

لم ينس هس ، رغم نشاطه في الحركات العمالية ، وتعاطفه مع حركات التحرر التي عاصرها ، كما يبدو من كتاباته ، اسس الثقافة التلمودية التي تلقاها في صغره · وقد عادت تلك الاسس ، لتحتل مركزا مرموقا في تفكيره مع بداية شعوره بالكراهية تجاه المجتمع الالماني الذي نشأ فيه ، لاسباب عديدة ، اعتبر بعضها ظواهر لاسامية · وفي الوقت نفسه ، نما اعجاب هس بمواقف فرنسا وسياستها ، وهو ما يتحدث عنه صراحة ، واكثر من مرة ، في « روما والقدس » ، مكيلا المديح لفرنسا ، بصورة تبلغ حدود التزلف (٣٠) · وانطلاقا من هذه المؤشرات يعلن هس ان « الربيع في حياة الشعوب بدأ مع الثورة الفرنسية ، سنة ١٧٨٩ ··· عندما بدأت [حركات] بعث تلك القوميات ، التي كانت قد اكتسبت طابعها الديني التاريخي ، من خلال تأثير اليهودية عليها فقط » (٣١) ، بينما استطاع اليهود « الحفاظ على قوميتهم بواسطة ديانتهم ، وتوحيد الاثنتين ، بصورة غير قابلة للفصم ، مع الذكريات عن ارض آبائهم ، متحصنين وراء غريزتهم العريقة ، ورسالتهم الثقافية والتاريخية لتوحيد الانسانية باسم الخالق الازلي » (٣٢) ·

ويستمر هس في عرضه لمفاهيمه اليهودية ، فيهاجم كلا من عدمية اليهود الاصلاحيين « الذين لم يتعلموا شيئا » ، وتزمت اليهود الارثوذكس المحافظين « الذين لم ينسوا شيئا » (٣٣) · وفي سياق حديثه ، يضاعف هجومه على الاصلاحيين والمسكيليم اتباع مندلسون ، « اولئك اليهود العصريين » ، الذين يقيسون درجة الاستنارة والثقافة التي يمتلكها المرء ،

بمقدار تخليه عن القيم اليهودية ، والذين التحقوا اخيرا بخدمة الدولة ، بواسطة ابرازهم شهادة عماد [اي تنصروا] ، كدبلومهم » ، ويعتقدون ان يهوديتهم « هي سوء حظ اكثر من كونها دينا » (٣٤) ٠ وفي الوقت نفسه ، يكيل المديح لليهودية ، بعبارات لا تختلف كثيرا عن تلك التي يستعملها الحاخامون التقليديون ، معلنا انه يعترف بتبعية دينية وحيدة ، وهي العائدة « للكنيس القديم ، الذي لا يزال لحسن الحظ قائما ، والذي آمل ان يبقى قائما ، حتى تنتهي [عملية] البعث القومي لليهودية العالمية» (٣٥)٠ وعندما ينتقل لتقديم حلوله للمسألة اليهودية، يعلن هس ان الشعوب الاوروبية اعتبرت دوما وجود اليهود بينها شيئا شاذا ، ولهذا فان كره تلك الشعوب لهم سيبقى على حاله ، مهما حاول اليهود تغيير انفسهم ، وانه « اذا كان صحيحا بان تحرير اليهود في المنفى لا يتلاءم مع القومية اليهودية ، فانه من واجب اليهود التضحية بالاول في سبيل الثاني » (٣٦) ٠

استنادا الى هذه الفرضيات ، يرى هس ان الطريق العملي ، للوصول الى حل للمسألة اليهودية ، يكمن في اقامة دولة يهودية ٠ ويتم ذلك « اولا بالمحافظة على أمل البعث السياسي لشعبنا حيا ، وثانيا بايقاظ هذا الامل عندما يخبو ٠وعندما تتغير الظروف السياسية في الشرق ، بشكل يتيح تنظيم بداية تجديد الدولة اليهودية ، فان تلك البداية ستجد تعبيرا عن نفسها في تأسيس المستوطنات اليهودية ، على ارض اجدادنا » (٣٧) ٠ وسيحظى هذا المشروع ، بحسب رأي هس ، بدعم فرنسا ، دون شك ، لانه من مصلحتها تنفيذه ٠ كما أن الدول الاوروبية الاخرى لن تعارض ذلك المشروع ، الذي سيخلصها من سكانها اليهود (٣٨) ٠ والدولة المقترحة لن تضم ، في مطلق الاحوال ، كل يهود العالم ، لانهم حتى في الماضي ، لم يجتمعوا جميعا في دولة واحدة عندما اقيمت ، وذلك على الرغم من ان حدود هذه الدولة ستمتد « من السويس الى القدس ، ومن ضفاف الاردن الى شاطىء البحر المتوسط ٠٠٠ وستلتقي فيها كل الطبقات اليهودية ، الارثوذكس والتقدميون ، الاغنياء والفقراء » (٣٩) ٠ ويعلن هس ، في نهاية حديثه ، ان « الساعة قد دقت لاعادة الاستيطان [اليهودي] على ضفتي الاردن » ، حيث سيكون اليهود هناك حاملي لواء « المدنية لشعوب آسيا البدائية ٠٠٠ والوسطاء بين اوروبا والشرق الاقصى ، لفتح الطرق المؤدية الى الهند والصين ـ تلك المناطق التي يجب ان تفتح حتما امام المدنية الاوروبية » ٠ ثم ينصح اليهود بان يعملوا على تثقيف « القطعان

العربية المتوحشة والشعوب الافريقية ··· واجعلوا القرآن والاناجيل تتجمع حول توراتكم » (٤٠) · ولا ينس هس ، في نهاية كتابه ، ان يكيل المديح للحاخام كاليشر ولآرائه ، بعد ان لفت احدهم نظره اليها (٤١) ·

لم يقم هس ، بأي نشاط عملي في سبيل تنفيذ آرائه التي قدمناها ، لا وحده ولا بالاشتراك مع الآخرين ، اذ سرعان ما عاد ، بعد نشر كتابه ، الى عمله القديم ، في تنظيم الحركات العمالية ونشر التعاليم الاشتراكية · كذلك فان كتابه لم يحظ باهتمام كبير، في بداية الامر ، رغم ان الصهيونيين صنفوه فيما بعد ، كأحد المؤلفات الصهيونية الكلاسيكية ، واعتبروا مؤلفه من اوائل من نادوا بما يسمونه قومية يهودية (٤٢) · ويلاحظ وجود اوجه شبه عديدة ، في الآراء والمعتقدات ، التي يوردها هس في « روما والقدس » ، وبين ما اورده هرتسل في كتابه « دولة اليهود » ، الذي نشر بعد ٣٤ سنة من نشر كتاب هس ، رغم ان هرتسل قرأه بعد ٤ سنوات من نشر كتابه ·

وعلى كل حال ، بقيت تعاليم الحاخامين الكلعي وكاليشر واتباعهم من جهة ، وآراء هس من جهة اخرى ، كامنة في حالة ركود ، خلال ما يقارب من عشرين سنة ، الى ان قدر لها ان تبعث ثانية ، وتجد من يتبناها ويضيف عليها ويطورها ، مع بداية الهجرة اليهودية من روسيا ، في مطلع الثمانينات من القرن التاسع عشر ·

[٢]

وقعت في روسيا ، خلال سنتي ١٨٨١ ــ ١٨٨٢ ، احداث مهمة ، اثرت بشكل ملحوظ على التجمع اليهودي هناك ، الذي كان اكبر التجمعات اليهودية السكانية في العالم · ففي اول آذار (مارس) ١٨٨١ ، اغتالت مجموعة من الروس كانت بينهم احدى اليهوديات القيصر اسكندر الثاني ، رغم السياسة « الليبرالية » التي اتبعها تجاه اليهود وغيرهم ، مما شكل سببا مباشرا لردة رجعية سادت روسيا ، ودفعت السلطات القيصرية الى اضطهاد العناصر المعارضة بقسوة بالغة · وساعد على امتداد هذه الردة الرجعية ان القيصر اسكندر الثالث ، الذي خلف اسكندر الثاني ، كان ذا عقلية متزمتة ، خاضعة لتأثير الرجعيين من رجال الدين الروس ، الذين احاطوا به · وكان لليهود نصيبهم من تلك الردة الرجعية ، خصوصا وان العديد من المثقفين منهم ، كانوا اعضاء نشيطين في المنظمات

الثورية ، التي كانت تناوىء الحكم القيصري (١) ، بحيث تعرضوا بعد اغتيال القيصر ، وخلال الفترة الواقعة بين نيسان (ابريل) ١٨٨١ وحزيران (يونيو) ١٨٨٢ ، الى موجة من المذابح والاعتداءات « الشعبية » المنظمة ، التي قام بها السكان الروس ضدهم (٢) ، تمثلت في قتلهم ، او سلبهم وطردهم من اماكن سكنهم ، او حرق بيوتهم ٠ وقد اتسع نطاق تلك الاعتداءات ، تدريجيا ، فأصابت ما يزيد على مائة تجمع يهودي ، في مختلف المدن والقرى الروسية (٣) ، في الوقت الذي امتنعت فيه السلطات القيصرية عن اتخاذ اية اجراءات تذكر ، لايقاف تلك الاعتداءات او الحد من انتشارها ، ان لم تكن قد ساهمت في التحريض على ارتكابها والتستر على منفذيها ٠

كان للمذابح والاعتداءات ، التي نظمت ضد اليهود في روسيا ، خلال سنتي ١٨٨١ ـ ١٨٨٢ تأثيرها البالغ ، وربما الحاسم ، في تقوية الفكرة الصهيونية ودعمها ، ثم دفعها الى الخروج من حيز الفكر الى حيز التنفيذ، بل يبدو ان الحركة الصهيونية ما كانت لتبرز وتنمو بهذا الزخم لولا وقوع تلك الاحداث (٤) ٠ فاتساع نطاق تلك العمليات ، التي اصابت التجمعات اليهودية في اماكن عديدة ، في روسيا وبولونيا ، والطرق البدائية القاسية التي نفذت بواسطتها ، ثم استمرارها لفترة تزيد على السنة ، أثارت ردود فعل عميقة بين اليهود الروس ، على اختلاف طبقاتهم (٥) ٠ وكان من نتائج تلك الاحداث نشوب جدال ، على نطاق واسع ، بين اليهود حول جدوى البقاء في روسيا ، ثم بروز الافكار الداعية الى الهجرة من البلد ، الى اميركا او الى فلسطين (٦) ، ليليها اتخاذ الخطوات العملية في هذا الاتجاه ، ثم اقامة العديد من الجمعيات الهادفة للعمل على هجرة اعضائها ٠ وكانت حصيلة ردود الفعل هذه ، بداية موجة واسعة من الهجرة اليهودية من روسيا ، توجهت اكثريتها الى اميركا ، بينما قامت القلة ، التي هاجرت الى فلسطين ، بانشاء المستعمرات اليهودية الاولى في البلد ، في الوقت الذي كان فيه مؤيدوهم في روسيا ، الذين ينتظرون ان تسمح لهم الظروف بالهجرة الى فلسطين ، يوحدون قواهم ويقيمون ما عرف بأسم حركة هواة صهيون (« حوفيفي تسيون » ، وتعرف ايضا باسم حركة احباء صهيون ـ Lovers of Zion (٧)) ٠

كذلك فأن حركة هواة صهيون ما كانت لتنمو ، والهجرة اليهودية من روسيا ما كانت لتستمر ، لولا استمرار الاجراءات المعادية لليهود ، التي اتخذتها السلطات القيصرية ، والتي اتضح معها ان الاعتداءات ، التي

وقعت خلال سنتي ١٨٨١ ـ ١٨٨٢ ، على اليهود ، لم تكن حدثا عابرا وما جاءت صدفة · فقبل ان تنتهي تلك الموجة من الاعتداءات ، اعلن وزير الداخلية الروسي ، في كانون الثاني (يناير)١٨٨٢ ، امام وفد من وجهاء اليهود الروس ، الذين جاؤا لمقابلته لاستيضاح موقف الحكومة وطلب تعزيز الحماية على اليهود المعرضين للاعتداءات ، ان « حدود روسيا الغربية مفتوحة امام اليهود » (٨) ، للهجرة الى اوروبا واميركا ، وان القيود المفروضة عليهم ، في « منطقة الاستيطان » الخاصة بهم ، ستبقى نافذة المفعول · كذلك اعلن الوزير ، ان الحكومة الروسية ستستجيب الى اي طلب يقدم لها ، لتأسيس هيئة للاشراف على تهجير اليهود من روسيا ، ولن تسمح لمثل اولئك المهاجرين بالرجوع الى البلد ثانية (٩) · ولم يكن هذا الاعلان عن نية الحكومة الروسية الا بمثابة مقدمة لحقبة جديدة من سياسة القمع ، الموجهة ضد اليهود · ففي اوائل ايار (مايو) من السنة نفسها ، اصدرت السلطات الروسية مجموعة من « القوانين المؤقتة » (بقيت سارية المفعول خلال ٣٥ سنة ، حتى تم الغاؤها سنة ١٩١٧ ، بعد نشوب الثورة الروسية) ، منع اليهود بموجبها من السكن خارج المدن ، والغيت سندات الرهن واستئجار العقارات التي كانت بحوزتهم ، بالنسبة للمتلكات الموجودة خارج المدن (١٠) ، وذلك للحؤول دون « استغلال » سكان القرى الروس · كذلك منعتهم تلك القوانين من تعاطي التجارة ، ايام الآحاد والاعياد المسيحية ·

لم تكتف السلطات القيصرية بالاجراءات التي اشرنا اليها ، والتي ادت الى ازدياد كثافة السكان اليهود ، في اماكن كانت تضيق بهم اصلا ، وزادت اوضاعهم الاقتصادية سوءا، وانما استمرت في اتخاذ الاجراءات المناهضة ، لهم ، من حين الى آخر · ففي تموز (يوليو) ١٨٨٧ ، حددت السلطات عدد الطلاب اليهود ، الذين يحق لهم الالتحاق بالجامعات الروسية ، بنسبة تتراوح بين ٣ـ١٠ ٪ من مجموع الطلاب في تلك الجامعات (١١) · ونفذ القانون بهذا الشكل ، حتى في المناطق التي يشكل اليهود اكثرية فيها · وقد دفعت هذه الاجراءات اعدادا كبيرة ، من الطلاب اليهود ، الى التوجه لطلب العلم في جامعات اوروبا الغربية، حيث ساهموا في اقامة التنظيمات الصهيونية في تلك الدول ، ومن بينهم خرج ، فيما بعد ، بعض كبار الزعماء الصهيونيين · اما في شباط (فبراير) ١٨٩١ فقد بوشر بطرد اليهود من موسكو ، وفي مرحلة لاحقة حظر على التجار منهم الانتقال للسكن في المدينة (١٢) · كذلك منع

اليهود ، بموجب قانون البلديات الصادر سنة ١٨٩٢ ، من ممارسة حق الانتخاب او ترشيح انفسهم لمجالس البلديات ، التي يقطنون ضمن حدودها (١٣) • وفي الوقت نفسه ، لم تتوقف الاعتداءات والمذابح التي كانت تشن ضدهم ، من حين الى اخر ، في اماكن مختلفة من روسيا ، خصوصا تلك التي نشبت خلال سنوات ١٨٨٤ و١٨٩١ ـ ١٨٩٢ و١٨٩٧ و١٨٩٩ و١٩٠٢ ـ ١٩٠٦ •

كانت حصيلة تلك الاجراءات ، المناهضة لليهود ، استمرار الهجرة اليهودية من روسيا • وخلال الفترة ١٨٨١ ـ ١٩٠٤ ، هاجر من روسيا ودول اوروبا الشرقية الاخرى ، خصوصا رومانيا ، كما رأينا ، ما يقارب المليون ونصف المليون يهودي ، توجه معظمهم الى اميركا ، بينما اتجهت قلة منهم تقدر بنحو ٢٥ ـ ٣٠ ألف نسمة الى فلسطين (١٤) ، عاد قسم منهم ونزح عن البلد فيما بعد • ويلاحظ ان تلك الموجة من المهاجرين اليهود ، التي عرفت باسم الهجرة الاولى ، كانت تشتد عندما تزداد اوضاع اليهود في روسيا سوءا ، ثم تعود وتخبو بعد ذلك ، اذ تتميز هذه الفترة بأزدياد عدد المهاجرين خلال السنوات ١٨٨١ـ ١٨٨٢ و١٨٨٦ و١٨٩١ ـ ١٨٩٢ ، عندما كانت تزداد حدة الضغوط السياسية والاقتصادية ، التي يتعرض لها اليهود في روسيا (١٥) ، ثم يقل عددهم بعد ذلك •

وفي الوقت الذي كانت موجات الهجرة اليهودية تتدفق الى خارج روسيا ، كان بعض المثقفين اليهود الروس ، المسكيليم ، تحت تأثير السياسة الروسية الرسمية المعادية لليهود ، يعيدون النظر في مواقفهم السابقة ، الداعية الى حل المسألة اليهودية في روسيا من خلال دمج اليهود في حياة المجتمع الروسي ، ليصبحوا مواطنين روسيين عاديين ، ويتبنون ـ تدريجيا ـ موقف مناوءيهم من الحاخامين الداعين ، على عكس ذلك ، الى هجرة اليهود الى فلسطين ، بدلا من بقائهم في روسيا (١٦) • وكان المسكيليم اليهود في روسيا قد كونوا ، مع مطلع ثمانينات القرن التاسع عشر ، وقبيل وقوع الاعتداءات والمذابح ضد اليهود ، فئة قائمة بحد ذاتها ، نشطت بشكل خاص في مجالي الادب والصحافة ، باللغتين الروسية والعبرية • وكان معظم اولئك المسكيليم ، ان لم يكن كلهم ، من المؤمنين بان انجع الوسائل لاصلاح اوضاع اليهود في روسيا ، ورفع مستوى معيشتهم ، هي العمل على نشر العلم ، « الهسكلاه » ، بينهم وتدريسهم اللغة الروسية ، لتقريبهم من الثقافة الروسية ، كمقدمة

لدمجهم في حياة المجتمع الروسي ، وذلك الى جانب تحويلهم من حياة البطالة والفقر الى دائرة العمل والانتاج (١٧) • كذلك وجد بين اولئك المسكيليم من كان يدعو الى « اصلاح » الديانة اليهودية ، كخطوة اولية لاصلاح اوضاع اليهود عامة ، ويناوىء كلا من « المتدينين الورعين المتزمتين في تدينهم » ، بحيث لا يهمهم ، في سبيل المحافظة على هذا التدين ، الابقاء على اوضاع اليهود ، كما كانت عليه في العصور الوسطى « والمثقفين المنصهرين ، الذين راحوا يبتعدون عن شعبهم ويهملونه » ، ممتنعين عن الاسهام في حل مشاكله • وكان الكثيرون من المثقفين اليهود ، من ناحية ثانية ، قد التحقوا فعلا بالحركات الثورية التي قامت حينذاك في روسيا ، من خلال نظرة تدعو الى ضرورة اصلاح اوضاع الحكم في روسيا عامة ، كشرط مسبق لاصلاح اوضاع اليهود هناك •

رغم هذه الاراء التي سادت دوائر المسكيليم اليهود ، لم تختف بينهم الفكرة الداعية الى ايجاد حل للمسألة اليهودية ، بواسطة اقامة دولة يهودية • ففي سنة ١٨٦٣ ، مثلا ، كان دافيد غوردون يكتب في صحيفته ، « هاماغيد » ، تحت تأثير كتابي كاليشر وهس ، اللذين كانا قد نشرا في حينه في الصحيفة (١٨) ، سلسلة من المقالات ، يعرب فيها عن رأيه بأن اليهودي غريب في المهجر ، ولن يفيده تنكره لقيمه الدينية والقومية (١٩) • وبعد ان يستعرض غوردون الاجراءات ، التي اتخذتها بعض المنظمات اليهودية في فرنسا وبريطانيا وروسيا ، بشأن توطين اليهود في فلسطين ، حتى ذلك الوقت ، يعلن ان اول ما ينبغي على اليهود عمله هو شراء الاراضي في فلسطين ، لاقامة القرى اليهودية هناك ، والتكتل فيما بينهم لتحقيق هذا الهدف (٢٠) • وعندما بدأت مع اواخر السبعينات ، خاصة خلال ١٨٦٧ ـ ١٨٦٩ ، موجة من الهجرة اليهودية من « منطقة الاستيطان » الى داخل روسيا ، خصوصا الى المستوطنات اليهودية التي كانت قائمة في جنوب البلاد ، والى اماكن اخرى ايضا ، بسبب سوء اوضاع اليهود الاقتصادية ، كان غوردون من اوائل الداعين الى هجرة اليهود ، ليس الى داخل روسيا ولا الى امريكا ، وانما الى فلسطين بالذات (٢١) •

واستمرت ، من ناحية ثانية ، المساعي الهادفة الى تقوية الوجود اليهودي في فلسطين ، ودعم الاقلية اليهودية التي كانت تعيش هناك • ففي سنة ١٨٧٤ ، كان قد اقيم ، كما اشرنا ، في بريطانيا صندوق «ذكرى

موشي » (مونطفيوري) احتفاء ببلوغ الرجل عامه التسعين ، بهـــدف تحسين اوضاع اليهود في فلسطين ، بواسطة تشجيعـهم على تعاطـــي الاعمال الزراعية والحرف والتجارة ، وبناء المساكن لهم · ولكن صندوق مونطفيوري لم يستطع تحقيق الامال التي علقت عليه ، اذ لـــــم يستجب للنداء ، الذي وجه الى يهـود العالم للتبرع للصندوق ، الا القليلـــون · كذلك توانى القيمون على الصندوق في القيام بنشاط ملموس في فلسطين ، اذ انتظروا ما يقارب السنتين لانتخـاب ممثـل لهـم ، وهـو الحاخــــام اليهودي الروسي يحيئيل ميخل بينس ، لارساله الى البلد ، والذي لـــم يصل بدوره الى هناك الا بعد مرور سنتين اخريين ، اي سنة ١٨٧٨ (٢٢)· وعلـى الرغـم مـن ذلك ، كان انشاء هـــذا الصندوق احـــد العوامـل التي ساعـدت على الابقاء على فكرة توطين اليهود في فلسطين حية · وفي الوقت نفسه ، ثار ايضا نقاش واسع على صفحات الصحف اليهوديــة ، خصوصا « هاماغيد » و« هاتسفيراه » في روسيا و« هاليبانون » فـــي فلسطين و« جويش كرونيكل » في بريطانيا ، حـول مشروع قدمه حاييـم غدالـيا ، ابن اخت موشي مونطيفوري ، لشراء الاراضي في فلسطيـــن لتوطين اليهود عـليها ، مقابل تسديد سندات دين الحكومــــة التركية للممولين الاجانب ·وثار أيضا نقاش مماثل حول كتاب نشرته الكاتبـــة الانكليزية جورج اليوت (George Eliot) بعنوان دانيئيل ديرودنـا (*Daniel Deronda*) ، سنة ١٨٧٦ ، يدعـو الى ارجاع اليهود الى فلسطين ، واقامة دولة لهـم فيها · وأستمر هذا النقاش اكثر من سنة ، وأثار اهتماما بالغـا في اوساط اليهود في روسيا (٢٣) · وفي سنــة ١٨٧٨ ، نشر في فينا كراس ، يقال ان مؤلفه كان الشاعر اليهودي الروسي يهودا غوردون ، يدعـو الى حـل المسألة اليهودية « بواسطة اعادة اليهود الى ارض ــ اسرائيل ، لكي يقيمـوا هناك الدولة اليهودية من جديـــد · وبهذه الطريقة تحل المسألة اليهودية ، بشكل طبيعـــي ، كأية مشكلة قوميـة اعتيادية » (٢٤) · ويبدو ان هذا الكراس نشر في محاولة للتاثير علـــى مؤتمر برلين ، الذي عـقد في السنة التالية ، واعترف باستقلال رومانيـا والصـرب وبلغاريا ، وحمله على الزام تلك الدول بالعمل على حل المسألة اليهودية فيها ، كشرط للحصول على استقلالها ، غـير ان هذه المحاولـة باءت بالفشل · وفي السنة التالية ، ١٨٨٠ ، نشر صحفي بريطاني مغامر، يدعى لورنس اوليفانت (Laurence Oliphant) كتابا بعـنـوان « ارض جلعـاد » (*The Land of Gilead*) ، دعـا فيه الى اقامـــة

دولة يهودية شرقي نهر الاردن ·

لم يحظ النشاط الذي اشرنا اليه ، الا باهتمام نفر قليل من المسكيليم اليهود ، اذ ان اكثريتهم كانت لا تزال عند مواقفها السابقة الداعية ، بشكل عام ، الى التفتيش عن حلول للمشكلة اليهودية في روسيا ، داخل البلد نفسه ، الى ان وقعت الموجة الاولى من الاعتداءات والمذابح ضد اليهود ، خلال سنتي ١٨٨١ ـ ١٨٨٢ ، فدفعتهم الى اعادة النظر في مواقفهم · اما ردود الفعل الاولى ، فكانت الذهول مما حدث ، خصوصا بسبب اشتراك اعداد كبيرة من الروس في تلك الاعتداءات ، ثم خيبة الامل من الموقف المتسامح ، الذي اتبعته السلطات تجاه منفذيها(٢٥)· ومن هنا ، لم تكن الطريق طويلة ، امام المسكيليم ، للوصول الى مرحلة التخلي عن المواقف السابقة ، الداعية الى تحسين اوضاع اليهود في روسيا ، والاتجاه ، بدلا من ذلك ، الى تبني التيار الداعي الى هجرة اليهود لفلسطين ، او غيرها ، ثم العمل على الترويج لفكرة الهجرة وتنظيم عملياتها ، وتزعم حركة هواة صهيون التي انبثقت عنها · وجاء هذا الموقف من خلال محاولات لتبرير عمليات الهجرة تلك ، ورافقه عرض نظريات جديدة لحل المسألة اليهودية ، اعتبرت فيما بعد من اسس الفكرة الصهيونية · وبرز بشكل خاص ، في هذا المجال ، اربعة من المسكيليم اليهود الروس ، هم بيرتس سمولينسكين وموشي ليف ليلينبلوم والدكتور يهودا ليف بينسكر واليعيزر بن ـ يهودا ·

[٣]

كان بيرتس سمولينسكين (١٨٤٢ ـ ١٨٨٥) واحدا من المسكيليم اليهود الروس ، الذين عملوا في مجال الكتابة · وقد انضم ، منذ بداية نشاطه، الى معسكر الهسكلاه ، رغم الثقافة التلمودية التقليدية التي تلقاها في صغره ، وانتقل في سن مبكرة للسكن في اوديسا ، حيث عمل في كتابة المقالات والقصص القصيرة لصحيفة « هاميليتس » · وفي سنة ١٨٦٨ ، هاجر الى فينا ، حيث تولى رئاسة تحرير مجلة « هاشاحار » حتى وفاته · وقد برعت هذه المجلة في انتقاد اسلوب العيش اليهودي على الطراز القديم المتدين ، بينما كانت تشن ، في الوقت نفسه ، حملات الانتقاد ضد المسكيليم الداعين الى الانصهار ، ومحاولاتهم التنكر لاخوتهم (١) · كذلك نشر سمولينسكين عددا من الروايات والقصص ، التي تعالج

جميعها اوضاع اليهود ومشاكلهم ، من خلال نظرة تعتبر اليهود قومية قائمة بحد ذاتها ، بحيث اطلق بعضهم على سمولينسكين ، بسبب ذلك ،لقب «أبو فكرة القومية اليهودية » (٢) ٠

يحدد سمولينسكين موقفه من المسألة اليهودية بقوله : « ان الشعب اليهودي احجية ، عمرها اربعة الاف سنة ٠٠٠ تسير بين باقي الشعوب الذين ينظرون اليها ٠٠٠ نظرتهم الى حيوان كبير ومخيف ٠٠٠ » (٣) ، ولهذا « فان كل الشعوب تبغض الشعب اليهودي ، في قلبها ، لان ديانته وعقيدته تختلفان عن مثيلتيها ، بالنسبة لاي شعب آخر » (٢٤) ٠ كذلك يعتقد سمولينسكين ان اللاسامية ابدية ، ومغروسة في قلوب كل الشعوب، لان اليهود غرباء في البلدان التي يعيشون فيها ، لا وطن لهم ، ويثيرون كراهية الاخرين لهم ،لاسباب دينية واقتصادية ٠ واذا اختفى الكره الديني ، جدلا ، سيحل محله الكره العرقي ، حيث ان حتى مناوئي اللاسامية يريدون القضاء على اليهود ، على طريقتهم الخاصة بواسطة «اصلاحهم» (٥) ٠ ولن يفيد اليهود ايضا تقدم الانسانية ولا انتشار الاشتراكية ، لان الاشتراكيين ايضا يكرهونهم (٦) ٠

ويتطرق سمولينسكين الى معالجة الاوضاع اليهودية الداخلية فيؤكد ان العديد من المشاكل التي يجابهها اليهود ، في روسيا بالطبع ، ناجم عن عدم انتشار العلم بينهم (٧) ٠ وفي الوقت الذي ينتقد فيه سمولينسكين اليهود، لانهم لم يستجيبوا للاصلاحات، التي حاولت الحكومة الروسية تبنيها بالنسبة لهم ، يوجه اللوم ايضا الى الحكومة ، التي لم تعاملهم بطريقة لائقة ، واعتبرتهم مواطنين من حيث الواجبات فقط ، لا الحقوق (٨) ٠ ويضيف سمولينسكين ان اساس بلاء اليهود ، بحسب رأيه ، هو وجود تيارين متنازعين بينهم : المتدينين المتزمتين والمثقفين المتصهرين ، رغم ان الشعور القومي يوحد كليهما ٠ وعلى الرغم من ان اليهود ينقصهم معظم مقومات الشعب ، فان لديهم « الروح اليهودية المتميزة » ، ولهم رسالة خاصة بهم تجاه الانسانية ، هي « نشر تعاليم الانبياء بشأن وحدانية الله والمساواة واخوة الشعوب والسلام العالمي»(٩)، وهي الرسالة التي لم ينجز اليهود تأديتها ، ولا يمكن ان يعتبروا كأنهم قاموا بها ، الا عندما يكون تماثل كامل بين « القيم اليهودية » و« القيم الانسانية » (١٠) ٠ ولكن سمولينسكين ، في الوقت نفسه ، يبدي استياءه من حالة الضعف التي يعيشها اليهود ، لانه « لو كان اليهود شعبا جبارا وعظيم القوة ، فستخافه عندئذ [باقي الشعوب]

وتحترمه ، ولكن من سيحبه او يحترمه بعـد ان فقد احترامه ، مع نفيه من بلده الى بلدان اخـرى ؟ »(١١) ·

ويتضح من كتابات سمولينسكين ايضا تأثره الواضح بحركات التحـرر والاستقلال ، التي ظهرت بين شعوب اوروبية عـديدة في عصره ، واملـه في ان يسير اليهود عـلى الخـطى نفسها · « اننا نرى اليوم حكومـات جديدة كثيرة وشعوبا جديدة ، كأنها تبعث حية من بين الاموات ، وتنضم الى اسرة الشعوب : اليونان ، رومانيا ··· ، الصرب ، بلغـاريـا · ومن يعـلم كم من الشعـوب الاخـرى ستنهض ، وتنفض الغبار عن نفسها، وتثبت وجودها · وحتى في هذا الوقت ، وقت بعث الاموات ، لا يخـطـر على بال اليهود ان يفتحـوا افواههـم او يفكروا : ربما جاء يوم خلاصنا ايضا ، ربمـا نستطيـع نحن ايضا ان ننهض ، والا نبقى مهانين ومحتقرين لدى باقي الشعـوب » (١٢) · والى ان يحين ذلكاليوم ، يوم بعث اليهود، لا بد من المحافظة عـلى القومية اليهودية الروحية في المهجر ، وذلـك بواسطة توسيع الثقافة اليهودية ، واقامة منظمة يهودية دولية ، والابقاء عـلى امل الخلاص حيا لدى اليهود (١٣) ·

استنادا الى مثـل هذه الاراء ، لم يكن غريبا ان ينضم سمولينسكين الى الداعين لهجرة اليهود من روسيا ، بعـد اول موجة من الاعتداءات التـي وجهت ضدهم ، خصوصا وان « اضطهاد اليهود الذي بدأ الان عـمليـا ، كان قد بدأ نظريا قبل سنين عـديدة » (١٤) ، وهو ما سببته الكتابـات « الشيطانية » التي تنشر ضد اليهود ، منذ عشرين سنة · ولهذا لا بد من ان يترك عـدد غـير قليل من اليهـود روسيا ، ويهاجروا الى بلـدان اخرى ، وبهذا تتحسن احوال المهاجرين ويخف الضغط عـن الباقين ، بعد ان يرى مبغضوهم ان اعدادهم قلت (١٥) · ومن ثم « يتوجب على اخواننا الاغنياء في روسيا طلب اذن باقامة جمعـية، لمساعدة المهاجريـن مـن البلد » (١٦) · وليس لدى سمولينسكين شك في ان هؤلاء المهاجرين ، يجب ان يتوجهوا الى فلسطين ، فقد « بدأ منذ اكثر من عشريـن سنة ، الحديث عن استيطان ارض ـ اسرائيل » (١٧) ، ولانه « لا يوجد مكان في العـالم ، يمكن ان نأمـل بان يصبح ملجأ لكل التائهين والمشتتين ، مـن اماكن سكنهم ، عدا ارض ـ اسرائيل ··· حيث انهم ، في كل الـدول تقريبا ، سيحاولون تطبيق قوانين غـير جيدة ··· لا نستطيع العـيش معـها » (١٨) · وكذلك « فاننا اذا لـم نستبق المشاكل ، ولـم نوطن الاف

العائلات في مكان واحد ، حيث يستطيع اخوتهم الباقون الالتجاء اليهم ، فان مصير اولئك الاخوة سيكون الابادة ، دون مساعدة او امن » (١٩) • وعندما اشتدت موجة الهجرة اليهودية من روسيا ، وراح معظم المهاجرين يتجهون الى اميركا ، كان سمولينسكين من معارضي هذا الاتجاه ، لان الهجرة الى هناك لا تخدم مصلحة اليهود ، حيث لا ضمان ايضا بالا تتغير الاوضاع في اميركا ، بعد مائة سنة ، مثلا ، بحيث يضطر اليهود الى تركها • ولكن « اذا استوطن اخوتنا الان في ارض ـ اسرائيل ، فليس هناك خوف من ان يطردوا منها ••• وعندما يزداد المستوطنون [اليهود] في البلد ، سينتقل الحكم الى ايديهم » (٢٠)• وبما ان « فكرة وحدتنا ، وكل كياننا ، مرتبطة بفكرة ارض ـ اسرائيل •• فان النصيحة التي نقدمها الان ، هي الدعوة الى عقد مؤتمر من حكماء اليهود وكتابهم ، في مكان ما ، للتشاور بهذا الشأن بروح طيبة وقلب رحوم » (٢١) •

وكان سمولينسكين ، ايضا ، من الداعين الى احياء اللغة العبرية وتدريسها لليهود ، شرط ان « لا يحل حب اللغة مكان حب الوطن بل لكي نستطيع بواسطتها غرس حب الوطن في قلوب اخوتنا » • ولهذا دعا الى « تشكيل جمعيات ، تستطيع الاخذ على عاتقها دراسة وتدريس اللغة العبرية » (٢٢) ، وتقديم العون لكل من يريد دراسة هذه اللغة •

لم يقم سمولينسكين ، على كل حال ، بأي نشاط يذكر في سبيل تنفيذ ارائه تلك ، على الرغم من تأييده الحار لهجرة اليهود من روسيا الى فلسطين وانضمامه الى ركب حركة هواة صهيون •

[٤]

يشبه موشي ليف ليلينبلوم (١٨٤٣ ـ ١٩١٠) زميله سمولينسكين ، من حيث منشأه • فقد تلقى ، مثله ، ثقافة تلمودية في صغره ، والتحق بركب الهسكلاه في كبره ، تحت تأثير حركة الاصلاح التي بدأ القيصر اسكندر الثاني بها ، مستهلا نشاطه كمسكيل بالدعوة الى اجراء الاصلاحات الدينية ، وذلك لكي يضمن بقاء اليهود وحدة قومية • ولكن ليلينبلوم سرعان ما ترك نشاطه ، في هذا المجال ، وراح يدعو الى تحسين اوضاع اليهود في روسيا ، بنقلهم الى حياة العمل والانتاج (١)، في الوقت الذي كان يسخر فيه من اولئك الداعين الى تدريس « لغتنا

المقدسة ، تلك اللغة التي كتب بها الانبياء والشعراء ٠٠٠ » (٢) ، لانه كان مقتنعا ان روسيا ستقتفي اثار دول اوروبا الغربية ، وتمنح اليهود حقوقهم المدنية (٣) ٠

ومع اشتداد حملات الاضطهاد ضد اليهود في روسيا ، وتعاظم موجات الهجرة اليهودية من البلد ، راح ليلينبلوم يعيد النظر في مواقفه السابقة، تدريجيا ، معلنا ان اليهود غرباء في روسيا ، رغم انهم يسكنون في البلد منذ نحو الف سنة ، وان وجودهم هو مصدر ضائقتهم (٤) ،لان المدنية والقيم الانسانية لا تشكل حاجزا ضد اضطهادهم من جهة ، ولان انصهارهم ، بين باقي الشعوب ، غير ممكن وليس ضروريا من جهة اخرى (٥) ٠ وانطلاقا من موقفه هذا ، راح ليلينبلوم يدعو الى استغلال الضغوط ، التي يتعرض لها اليهود في روسيا ، لتوجيه المهاجرين منهم الى فلسطين بالذات ، ليقيموا مستوطناتهم هناك ، كبداية لاقامة دولة يهودية في البلد ٠ واستمر ، في الوقت نفسه ، يبلور آراءه في حل المسألة اليهودية ، في مقالات ينشرها في الصحافة اليهودية ، بالروسية او مترجمة الى العبرية ٠ وأعيد نشر هذا المقالات ، سنة ١٨٨٤ ، على شكل كراس بعنوان « حول بعث اليهود على ارض بلاد ابائهم » (٦) ٠

يستهل ليلينبلوم كراسه بقوله ان الاحداث ، التي واجهها اليهود في روسيا ، اثبتت انه لا حل لمشكلتهم الا بانتقالهم للعيش ، في مكان آخر، « حياة منظمة ، طبيعية وقومية ، مثل باقي البشر » (٧) ٠ وينبغي ان يتم ذلك ، رغم وجود فئتين يهوديتين تعارضانه ، تضم الاولى معظم اغنياء اليهود والثانية اولئك المثقفين ، المسكيليم ، الذين يعتبرون انفسهم روسا او بولونيين او المان ، الخ ، لا يهودا ، ويرون « كل فكرة تتعلق ببعث شعبنا ، بما في ذلك تأسيس المستوطنات في ارض ـ اسرائيل ، نوعا من الخيال » (٨) ٠ ويدعم ليلينبلوم رأيه هذا بقوله ان اليهود يتعرضون لاضطهاد شعوب مختلفة ، منذ اكثر من ألفي سنة ، ولا يزالون يتصرفون كالعبيد الاذلاء والمتوحشين ، حتى في تلك البلدان التي منحتهم المساواة في الحقوق ٠ ثم يسخر من اولئك اليهود ، المسكيليم ، « الذين لا يزالون يتطلعون الى تلك السنبلة ، المعروفة باسم « المدنية » ٠٠٠ التي يمكن ان تخلصنا من المشاكل التي نتعرض لها » (٩) ، او اولئك الذين يؤمنون ، بدلا من ذلك ، بالعجائب لحل المسألة اليهودية ، كما يفعل المتدينون ٠ « ان كره الشعوب الاخرى لنا مستمر منذ نحو الفي سنة ٠ ومصدر هذا الكره

شعور داخلي لا علاج له ··· سببه اننا غربـــاء في كل مكان ··· ولن تكون ابدا ، ولا يمكن ان تكون ، مساواة تامة بين الغرباء والاهـــل ، فهذا يناقض طبيعـة الانسان ، ولن تغـيره اية مدنية ··· » (١٠) ·

ويستطرد ليلينبلوم ، في عرض ارائه ، معـلنا ان خلاصة المدنية ، حتى بداية الربع الثاني من القرن التاسع عشر ، كانت « التعامل مع ممالـــك وعقائد ، دون أيه عـلاقة بالقوميات وبحقوقها ، ولكن منذ ذلك الوقـــت يسير التاريخ عـلى طريق جديدة ، هي الطريق القومية ، اي أن المدنيـة الكامنة في تعاليم موسى القوميه ، قد انتصرت · ومنذ ذلك الوقـــت ، استقلت اليونان وانتعشت هنغاريا وبعثت ايطاليا وتوحدت المانيا وسـارت شعوب البلقان نحـو حياة جديدة » (١١) · ثم انه « من الواضـح ان الحركة القومية ، عـامة ، ليست رجوعـا الى الوراء ·· وانما تقدما·· ولكن هذه المدنية الحقيقية ··· هي نفسها الارض التي تنبت عـليهــا اللاسامية ··· ولهذا فان وضعنا الآن اخطر مما كان عـليه فـي اي وقت » (١٢) · وانطلاقا من هذا الموقف ، على اليهود تغيير حياة الغربـه التي يعيشونها ، والانتقال للعيش « حياة قومية مستقلة مثل باقي الشعوب· فالفكرة القومية ، مصدر ضائقتنا ، يمكن ويجب ان تكون بالنسبة لنا نوعا من الخلاص ··· انني لا اتحدث عـن حكومة يهودية ، فمثـل هذا التفكير من جهتنا يعتبر وقحـا للغـاية ··· اننا بحاجة الى مأوى في بلادنـــا التاريخية ··· مثل باقي الشعـوب » (١٣) · ثم « ان الشعـب الـــذي يمتلك الصفات القومية الحقيقية ··· يمكن ان يحصل على الصفـــات المصطنعـة الملازمة للقومية ، ان صح التعبير ، مثل البلاد واللغة ومــا شابه ··· او ربما تعتقدون ان حق السيطرة عـلى بلد معـين يعود لاولئك فقط الذين يملكون بلدا ما ··· تلك الشعـوب التي تعيش على اراضيهـا، ولا حاجة لها ابدا لامتلاك بلاد جديدة ؟» (١٤) ·

وعـندما يتطرق ليلنبلوم الى طرح الحـلول العملية للمسألة اليهودية ، يبدي معارضته لهجرة اليهود الى اميركا ، لانهم لن يحصلوا هناك عـلى شيء ، وحتى وان استطاعـوا اقامة دولة في اميركا الشمالية ، فلن يكون لها ابدا طابع الدولة اليهودية المستقلـــة ، ولهـذا فالحـل يكمن في « استيطان ارض ـ اسرائيل · وهذا علاجنا الوحيد ، اذا كنـا نرفـــض ابادتنا ! » ·

اما السبيل الى ذلك فهـو ان « يقوم زعــماء شعبنا في اوروبا ، بالتوسط

لدى زعماء تلك الدول ، لمساعدتنا على الوصول الى هدفنا المقدس ، بينما يقوم الثمانية ملايين يهودي ، وكبار اغنيائهم ، بجمع عشرة ملايين روبل لبداية نشاطنا ··· لشراء مساحات كبيرة من الارض ، من حكومة تركيا ، لتوطين اليهود عليها ··· ومحاولة الحصول على ترخيص ، لتاسيس جمعية لاستيطان ارض ـ اسرائيل وسوريا ··· » (١٥) ·

ويختتم ليلينبلوم كراسه بقوله انه أمام اليهود ثلاثة خيارات : « أ ـ البقاء في وضعنا الحالي ، مضطهدين الى الابد ··· ب ـ الانصهار في الشعوب التي نعيش بينها ··· وبشكل كامل : نتخلى عن ديانتنا ونعتنق ديانات تلك الشعوب ··· ج ـ بدء نشاطنا من اجل بعث اليهود على ارض ابائهم ، حيث ستعيش هناك اجيالنا الصاعدة حياة طبيعية وقومية ، بكل معنى الكلمة · عليكم ان تختاروا !» (١٦) ·

وليلينبلوم نفسه اختار الاتجاه الخاص به ، اذ انضم الى حركة هواة صهيون ، فانتخب فيما بعد لعضوية لجنتها التنفيذية ، وساهم في العمل من اجل دعم المستوطنات التي اقامتها الحركة في فلسطين · وفي مرحلة لاحقة ، انضم الى الحركة الصهيونية ، ودخل في نزاع مع هرتسل حول مفهومه للصهيونية ، داعيا الى دمج التيارين ، السياسي والعملي ، اللذين سيطرا ، حينذاك ، على الصهيونية ·

[٥]

يختلف الدكتور يهودا ليف (ليو) بينسكر (١٨٢١ ـ ١٨٩١) ، الطبيب اليهودي الروسي ، عن زميليه السابقين ، من حيث منشأه ، اذ انه كان مسكيلا عريقا ، تلقى العلم منذ صغره في مدارس علمانية ثم مارس مهنة التعليم ، ودرس بعد ذلك القانون ثم الطب · ونشط بينسكر في عمر مبكر للعمل في مجال الهسكلاه · ومع اوائل الستينات كان زعيم المسكيليم في مدينته ، اوديسا (١) ، واحد المشرفين على نشاط فرع « جمعية ناشري العلم » في المدينة · وكانت خطة عمل ذلك الفرع ، التي اشترك بينسكر في وضعها ، تدعو « الى مساعدة اليهود على اكتساب اللغة الروسية ، كلغة شعبية » ، وذلك « بواسطة الاهتمام بالدائرة الدينية للحياة اليهودية » ، لانه « معروف للجميع ومقبول لديهم، كحقيقة تاريخية مدعمة بالبراهين ، بأن على اليهود ان يندمجوا في سكان الدول التي يعيشون فيها ، ويحافظوا على ديانتهم فقط » (٢) · وبما

ان اللغة الروسية لم تكن لغة اليهود الرئيسية في روسيا ، عمل فرع الجمعية على اصدار حبب لتدريس الديانة اليهودية للاولاد اليهود باللغة الروسية ، على أن يقوم بعد ذلك بترجمة المزامير ، ثم التوراة، الى الروسية ايضا (٣) · واكسب هذا الاتجاه الجمعية وبينسكر ، بالطبع، عداوة المتدينين ·

تأثر بينسكر بمذابح سنتي ١٨٨١ ـ ١٨٨٢ اكثر من اي زعيم اخر ، من ابناء عصره ، فكان اول عمل قام به اثر ذلك ، الانسحاب من « جمعية ناشري العلم » (٤) ، معلنا عن خيبة امله من الطريق التي اتبعها ، حتى ذلك الوقت ، لحل المسألة اليهودية ، بواسطة نشر العلم بين اليهود ودمجهم في حياة المجتمع الروسي · وبعد ذلك قام بينسكر بجولة ، في دول اوروبا الغربية ، للاطلاع على آراء ومواقف الزعماء اليهود فيها ، في محاولة لحملهم على توحيد قواهم وتقديم المعونة لليهود في روسيا · ولما فشلت هذه المحاولة ، قام بنشر آرائه في كراس باللغة الالمانية ، بعنوان « التحرير الذاتي » (*Autoemancipation*) ، طبع في برلين سنة ١٨٨٣ ·

كان « التحرير الذاتي » اول منشور من نوعه ، يتصدى لطرح حلول جذرية للمسألة اليهودية ، وسرعان ما احتل مركز الصدارة بين المؤلفات الصهيونية الكلاسيكية ، وحظي بردود فعل واسعة في الصحافة اليهودية في روسيا (٥) · وقد قام آحاد هعام بترجمة هذا الكراس الى العبرية (٦) ، بينما كتب هرتسل في مذكراته ، بعد قراءته له ، انه لو فعل ذلك من قبل ، لما كتب « دولة اليهود » (٧)·

يستهل بينسكر « التحرير الذاتي » بقوله ان المشكلة التي نجابهها تتلخص في « ان اليهود ، في الحقيقة ، عنصر متميز عن الشعوب التي يعيشون بينها ، وغير قابل للذوبان في كيان اية امة ، ولهذا لا تستطيع اية امة ان تتحمله بسهولة · والمطلوب ، اذن ، ايجاد وسيلة يمكن بواسطتها تهيئة ذلك العنصر الانفصالي للتحالف مع تلك الشعوب، بطريقة تحل معها المسألة اليهودية الى الابد » (٨) · وهذا لن يتم الا عندما « تصبح المساواة بين اليهود وباقي الشعوب امرا واقعا ، وعندئذ فقط يمكن القول ان المسألة اليهودية قد حلت » (٩) ·

اما اسباب هذا الوضع فتكمن ، بحسب رأي بينسكر ، في عدم وجود دولة لليهود ، او حكومة او وكالة خاصة بهم ، بحيث لم تتعامل الشعوب

الاخرى ابدا مع امة يهودية ، وانما مع يهود افراد فقط ، رغم ان الامة اليهودية بقيت قائمة دائما كأمة روحية ٠ وكان من نتيجة ذلك ان «سيطر الخوف من الروح اليهودية على الجنس البشري باكمله ، وسبب مرض كراهية اليهود »٠ ولهذا « فان كراهية اليهود هي احد الامراض النفسية ، وبصفتها مرضا نفسيا فانها تنتقل بالارث ، وبما انها تنتقل بالارث منذ الفي سنة فلا علاج لها » (١٠) ٠ كذلك فان تحرير اليهود ، ومنحهم حقوقهم المدنية في دول عدة ، كان تحريرا قانونيا ، لا اجتماعيا، وان كان ذلك التحرير قد منح بسبب تطورات نفسية لدى الشعوب التي اقرته ، او من خلال موقف مسؤول ، فانه ليس الا بمثابة « هدية من اغنياء لشعب فقير ومسحوق » (١١) ٠ ويختتم بينسكر عرضه لاوضاع اليهود في عصره معلنا : « خلاصة القول : بالنسبة للاحياء يعتبر اليهودي ميتا ، وللمواطنين ــ اجنبيا ، وللسكان ــ متجولا ، وللاغنياء ــ شحاذا ، وللفقراء ــ غنيا مستغلا ، وللوطنيين ــ لا بلاد له ، وبالنسبة للجميع ــ منافسا مكروها » (١٢) ٠

وعند انتقاله لتقديم حلوله للمسألة اليهودية ، يعلن بينسكر : « كما انه من غير المسموح لنا ان نعتبر كل الشعوب الاخرى مسؤولة عن مصيبتنا القومية ، كذلك لا تبرير قط لطلبنا منهم وحدهم سعادتنا القومية ٠٠٠ واذا كنا نعتبر الاماني القومية لكل تلك الشعوب التي بعثت امام اعيننا مشروعة ، فهل من الممكن ان يتطرق الشك الى شرعية هذه الاماني ، من قبل اليهود ٠٠٠ واماني اليهود في الوحدة القومية السياسية ، واخذ زمام امورهم بايديهم ٠٠٠ يجب ان تبرز الى حيز الوجود بشكل تكون معه سياسة الدول الاخرى مضطرة للتعامل معها وعدم تجاهلها » (١٣) ٠ اما الحل الذي يقدمه بينسكر والمتجانس مع الحلول التي قدمها العديد من المسكيليم اليهود ، والمغاير لموقف الصهيونيين المتدينين ، فيدعو الى ايجاد « مكان خاص بنا » ، في اي منطقة في العالم ، وليس في فلسطين بالذات ، يستطيع اليهود العيش فيه ٠ و« قبل كل شيء علينا الا نحلم ببعث بلاد يهودا القديمة ٠ ينبغي الا نعود ونعلق حياتنا السياسية بالمكان الذى توقفت فيه ، وهدمت بالقوة في العصور الغابرة ٠ ولكي نستطيع الوصول الى حل ما لمشاكلنا ، ينبغي الا نطلب الكثير ، لان القضية ، حتى بدون هذا ، صعبة للغاية ٠ علينا الا نتطلع الى بلادنا « المقدسة » وانما الى بلاد « لنا » (الاقواس في الاصل) ٠ « اننا لا نطلب شيئا سوى قطعة بلاد كبيرة ،

لاخوتنا الفقراء ، بلاد تكون ملكا دائما لنا ، ولا يستطيع الاجانب طردنا منها • والى هناك سنحضر معنا قدس اقداسنا ، الذي انقذناه من بين الدمار الذي لحق بوطننا القديم : فكرة وحدانية الله والكتب المقدسة • لان هذه فقط ، وليست القدس او الاردن ، هي التي جعلت وطننا القديم بلادا مقدسة • من الممكن ان تكون بلادنا المقدسة وطنا لنا ، ولا بأس ان حدث ذلك • ولكن قبل كل شيء يجب ان يتضح وبهذا يتعلق كل شيء ــ اين هي البلاد التي نستطيع الحصول عليها ، ان تم ذلك ، وان كانت تصلح لان تصبح ملجأ امينا ، لا يعترض عليه احد ، ومكانا للعمل المنتج لليهود من كل انحاء العالم ، الذين يضطرون لترك اماكن سكنهم » (١٤) • ثم يوضح بينسكر ان « هذه الارض ، التي سنستملكها، يجب ان تكون ارضا خصبة ، في حالة حسنة ومساحة كافية لتوطين بضعة ملايين ••• ارضا تصبح ملكا قوميا ابديا ، ملائما لمتطلباتنا بكل تفاصيلها ••• وهذه الارض يمكن ان تكون في اميركا الشمالية ••• او في تركيا باسيا ••• » (١٥) •

ويستمر بينسكر ، في عرضه لحلوله ، فيشير الى ان حركات الهجرة اليهودية من روسيا ، التي ظهرت في البلد ، بعد مذابح سنتي ١٨٨١ ــ ١٨٨٢ ، قد تكون الخطوة الاولى على الطريق نحو بداية حل المسألة اليهودية ، ويدعو زعماء تلك الحركات الى العمل على توحيد صفوفهم، والبدء في تنفيذ المشاريع التي قدمها (١٦)•

عاد بينسكر ، بعد نشره « التحرير الذاتي » ، الى روسيا ، حيث وجد نفسه يتزعم حركة هواة صهيون ، سرا ثم علنا ، بعد اجازة الحركة من قبل السلطات الروسية ، حيث انتخب رئيسا للجنتها التنفيذية (انظر الفصل التالي) • واستمر بينسكر يحتفظ بمنصبه هذا ، عدا فترة قصيرة ، ويعمل جاهدا في خدمة تلك الحركة ، حتى وفاته •

[٦]

كان من بين المفكرين الصهيونيين الاوائل ايضا ، اليعيزر بن ــ يهودا (١٨٥٧ ــ ١٩٢٢) ، الذي نشأ في بيئة دينية محافظة في صغره ، وأعد لان يكون حاخاما ، ولكنه ترك بيئته تلك وانضم الى جماعات المسكيليم ، حيث تاثر بشكل خاص بآراء زميله الاكبر سمولينسكين (١) • وفي عمر مبكر ، وقبل ان يبلغ الحادية والعشرين ، توجه بن ــ يهودا الى باريس

لتلقي العلم ، حيث تأثر بالاراء التي كانت سائدة هناك حول الفكرة القومية وحقوق الشعوب ، واعلن موقفا من المسألة اليهودية (٢) مفاده ان اليهود وحدة قومية قائمة بحد ذاتها ، استطاعت المحافظة على هذه الصفة بواسطة ديانتها وكره الاخرين لها • اما الان ، وبعد ان اخذت هذه العوامل طريقها الى الزوال ، اي بعد ان ضعف الشعور الديني بين اليهود وخف كره الاخرين لهم ، مما قد يؤدي الى انصهارهم بين الشعوب الاخرى ، فلا بد من اقامة مركز قومي يهودي ، يكفل المحافظة على الوجود اليهودي ، في المكان الوحيد المناسب لذلك ، وهو ارض ـ اسرائيل ، خصوصا وان المنطقة تنقصها ، بحسب رأيه ، الايدي العاملة ويستطيع اليهود الروس الاستيطان فيها • كذلك دعا بن ـ يهودا الى تأسيس جمعية لشراء الاراضي في فلسطين ، لتوطين اليهود (٣) •

لم يبق بن ـ يهودا عند مفهومه هذا للقومية ، اذ سرعان ما طوره مضيفا اليه اسسا اخرى ، ميزته عن زملائه الاخرين برمتهم • « هناك ثلاثة اشياء ، محفورة باحرف من نار على راية القومية : بلاد ، لغة قومية وثقافة قومية • ومن يتنكر لاي من هذه الاسس يتنكر للقومية ذاتها ••• ان الوقت مناسب الان في اوروبا [لبعث القومية] • ان كل شعب ، كبيرا كان ام صغيرا ينهض من سباته متأثرا بروح قوميته ،فلماذا نتأخر نحن ؟ ••• ينبغي لفت نظر ابناء شعبنا الى استيطان ارض ـ اسرائيل ••• دعونا ننقل الفائض من ابناء شعبنا ، في دول عديدة ، الى ارض ـ اسرائيل » (٤) • ويضيف بن ـ يهودا : « ان اللغة العبرية هي لغتنا القومية ••• وقد اخطأ اباؤنا باستبدالهم لغتنا بلغات اخرى ••• ان بعث اللغة سيكون بمثابة اشارة بأن بعث الامة ••• لن يتاخر » (٥) •

ولم يكتف بن ـ يهودا بمجرد الدعوة الى ارائه هذه ، وانما اتجه الى تنفيذها فعلا ، باذلا كل جهده لنشر اللغة العبرية بين اليهود ، وحملهم على التحدث بها فيما بينهم ، رغم انها كانت تعتبر لغة ميتة من قبل اليهود انفسهم ، وكان استعمالها مقتصرا على الكتابة فقط • « فكما لا يمكن اعتبار اليهود شعبا حيا حقيقة ، الا عند رجوعهم الى ارض الاباء ، لا يمكن ايضا اعتبارهم كذلك الا عند رجوعهم الى لغة الاباء ، استعمالها ، لا في الكتب فقط او الطقوس المقدسة ••• وانما باستعمالها كلغة مخاطبة ، من قبل الكبار والصغار ، النساء والاطفال ، الشبان

والشابات ، في كل شؤون الحياة ، وفي كل ساعات النهار والليل ، مثل باقي الشعوب : كل شعب ولغته » (٦) · ومن القول ، انتقل بن ـ يهودا الى العمل ، اذ ما ان توصل الى تلك النتيجة حتى باشر بتطبيقها على نفسه ، وراح يحاول التحدث باللغة العبرية مع زملائه ، وهو لا يزال طالبا في باريس ·وفي سنة ١٨٨١ ، هاجر الى فلسطين وسكن في القدس، وبعمله هذا كان احد المفكرين الصهيونيين الاوائل الذين اتخذوا مثل هذه الخطوة، خلافا لسمولينسكين وليلينبلوم وبينسكر ، الذين اكتفوا بتشجيع عمليات الهجرة اليهودية الى فلسطين ، او الاشراف عليها ، ولم يهاجروا انفسهم الى هناك ·

اما في فلسطين نفسها ، حيث عمل بن ـ يهودا في بداية الامر في الصحف العبرية ، التي كانت تصدر في البلد ، ثم اصدر صحفا خاصة به ، فقد قرر الا يخاطب الاخرين بغير اللغة العبرية ، وذلك في الوقت الذي كان آحاد هعام ، احد كبار الكتاب اليهود باللغة العبرية ، يعتقد ـ مثلا ـ ان هذا التصرف ليس الا « عملا صبيانيا » ، بينما كان حاييم نحمان بياليك ، كبير الشعراء اليهود خلال القرن الاخير ، يعتبر ذلك نوعا من « الرياضة » (٧) · ولكن بن ـ يهودا سرعان ما اكتشف ان العبرية ، بوضعها يومذاك ، على قلة مفرداتها ومصطلحاتها ، لم تكن واسعة بشكل يستطيع المتحدث بها التعبير عن ارائه بسهولة · ومع اصطدامه بهذا الواقع ، قرر العمل على تحديث اللغة واغنائها، بشكل تصبح معه ملائمة للاستعمال بما يتناسب مع متطلبات العصر، وذلك بواسطة وضع قاموس شامل للعبرية يكون مرجعا لمن يريد دراستها (٨) · وقد قضى بن ـ يهودا معم سني حياته ، نحو ٤٠ سنة ، في وضع قاموسه هذا ، وهو يدرس التلمود والكتب والمخطوطات العبرية ، ويفتش عن المفردات ومشتقاتها ، مستندا الى اللغة العربية ايضا · وصدر من هذا القاموس خمسة مجلدات قبل وفاة بن ـ يهودا (٩)، بينما استمر العمل فيه بعد ذلك ، حتى استكمل سنة ١٩٥٩ ، وصدر في ١٧ مجلدا ·

لقد اسدى بن ـ يهودا بعمله هذا خدمة كبيرة للصهيونية ، اذ اسفرت ابحاثه فعلا عن بعث اللغة العبرية وتحديثها ، بشكل اصبحت معه ملائمة للاستعمال اليومي ، من قبل المهاجرين اليهود الى فلسطين ، على اختلاف بلدانهم ولغاتهم ، واصبحت احدى الادوات الرئيسية الموحدة فيما

بينهم · وكان بن ـ يهودا قد اسس ، سنة ١٨٨٩ ، جمعية اللغة العبرية بهدف العمل على تطوير اللغة العبرية واغنائها ، وعمل رئيسا لها حتى وفاته · (وقد تحولت هذه الجمعية ، سنة ١٩٥٣ ، الى اكاديمية اللغة العبرية) ·

[٧]

لم يعمل المسكيليم اليهود العلمانيون وحدهم طويلا في مجال تدعيم أسس الصهيونية الفكرية ، اذ سرعان ما انضم اليهم بعض المتدينين أيضا من المتأثرين بتعاليم الحاخامين الكلعي وكاليشر · وكان من ابرز الزعماء الصهيونيين المتدينين ، الحاخام شموئيل موهيليفر ، احد زعماء حركة هواة صهيون ، ومن اوائل الحاخامين الذين ساهموا في عقد المؤتمر الصهيوني الاول ، سنة ١٨٩٧ · وكان موهيليفر من كبار المؤمنين بنظريات الحاخام كاليشر ، وان لم يفصح عن موقفه هذا صراحة ، خشية ان ينفر اتباعه (١) ، وهاجر في نهاية الامر ، مع جماعة من اتباعه الى فلسطين ، وساهم في تأسيس مستوطنة رحوفوت هناك · وخلاصة اراء موهيليفر هي ان « الخلاص ··· سيتم بطريق طبيعية ··· اي عندما نستحقه ، ونقوم باقناع كل ملوك العالم وامراء الدول بالموافقة على اسداء معروف لشعبنا ، مقابل الضيق والالام التي سببها اباؤهم لابنائنا ، وسيساعدنا الله تبارك اسمه في الحصول على بلدنا وجمع شتاتنا »(٢)· وكان موقف موهيليفر هذا الدافع لدعوته اتباعه الى الهجرة الى فلسطين، والمثابرة على نشاطه ضمن حركة هواة صهيون ، ثم تعاونه مع الصهيونيين العلمانيين ، المصممين على العمل لجمع اليهود في فلسطين بطرق طبيعية ، غير ربانية · كذلك فان الحاخام مردخاي الياشبيرغ ، كبير منظري هواة صهيون ، الذي عمل جاهدا لنشر ارائهم بين اكثر الفئات اليهودية المتدينة تزمتا ، كان من المؤمنين بتلك الاجتهادات · لانه « عندما يزداد المستوطنون في ارض ـ اسرائيل ، وتتكون هناك مجموعة كبيرة من اليهود تحب البلد ، تعمل فيه وتدافع عنه ، عندئذ فقط سيمن الله بافضاله علينا ويرسل لنا ملاكه ··· النبي الياهو ليبشر بمجيء المسيح ··· » (٣) · والشيء نفسه ينطبق ايضا على الحاخام نفتالي برلين (والد الحاخام مئير برلين (بار ـ ايلان) ، احد مؤسسي حركة مزراحي المتدينة) ، الذي يعتقد هو الاخر انه لا بد من ان يستوطن اليهود فلسطين ، قبل ان تحين ساعة خلاصهم · ولكن برلين يضيف

الى ذلك نغمة خاصة به باعلانه انه لا يكفي ان يكون المستوطنون اليهود في فلسطين من المؤهلين للعمل في الزراعة فقط ، وانما ينبغي ان يكونوا ايضا من المحافظين على تعاليم التوراة والتقاليد الدينية، « دون فذلكات ... لان اليهود ليسوا كباقي الشعوب . فنحن موجودون في العالم ليس بصفة شعب ، وانما بسبب وجود توراة اسرائيل لدينا ، فالدين والقومية بالنسبة لنا توأمان ، لا وجود للواحد دون الأخر»(٤).

وكان من بين المؤمنين بتلك الاجتهادات الدينية أيضا ، الحاخام الدكتور عزريئيل هيلدسهايمر ، حاخام مدينة برلين ، الذي ساعد على نشر الدعوة بين الفئات المتدينة ، من يهود المانيا (٥) . وقد ساهمت الاجتهادات والآراء التي تقدم بها هؤلاء الحاخامون ، وغيرهم ، في دعم الاسس الفكرية للجناح الصهيوني المتدين ، الذي تبلور داخل الحركة الصهيونية، بعد اقامة المنظمة الصهيونية العالمية .

ان دعاة الصهيونية الاوائل ، الذين مر ذكرهم ، العلمانيين منهم والمتدينين ، لم يكونوا الوحيدين الذين نشطوا في مجال الدعوة الى هجرة اليهود من روسيا الى فلسطين ، وتوطينهم هناك . فقد انضم اليهم في الوقت نفسه ، العديد من المثقفين اليهود الروس ، من شعراء وكتاب وصحفيين ، في انحاء مختلفة من روسيا ، للترويج لتلك الدعوة (٦) ، التي انتشرت ايضا بين اليهود ، في بعض دول اوروبا الشرقية ، خصوصا في رومانيا . وحظيت تلك الاراء باهتمام ملحوظ في الصحافة الروسية اليهودية ، الصادرة باللغتين ، الروسية او العبرية ، بينما ترددت اصداؤها ايضا في الصحافة اليهودية خارج روسيا ، بشكل جعلها مطروحة للنقاش بين الجماهير اليهودية ، في تلك البلدان ، بصورة شبه دائمة . وكان من نتيجتها تحويل انظار قطاعات من الجماهير اليهودية نحو الهجرة الى فلسطين .

ولم يقم معظم اولئك المنظرين الصهيونيين ، على أي حال ، بتطبيق نظرياتهم على انفسهم ، والهجرة الى فلسطين فعلا ، اسوة بالمهاجرين الذين استجابوا لدعواتهم ، ربما لان اكثريتهم كانت قد بلغت مرحلة متقدمة من السن ، لا تسمح لها بتغيير نمط حياتها ، او لاعتقادهم بان البقاء في روسيا ، وحث اليهود فيها على الهجرة الى فلسطين كان ، مرحليا ، افضل من الذهاب الى فلسطين ، او لانهم لم يكونوا مؤمنين بقرارة انفسهم بصحة نظرياتهم وجدواها . ولكن على الرغم من ذلك ،

فان تلك النظريات كانت الاسس العقائدية ، التي دفعــت موجات الهجرة اليهودية الاولى من روسيا الى فلسطين ، والمحــرك لنشاطها الاستيطاني في البلد ، حتى مطلع القرن العشرين ـ واصبحت فيما بعــد منطلقـــا لنظريات صهيونية أخرى ٠

الفصــل الثاني

هواة صهيون

المنفذون الاوائل (١٨٨٢ ــ ١٩٠٤)

[١]

هواة صهيون (او احباء صهيون) ــ « حوفيفي تسيون » ، Lovers of Zion هو الاسم الذي يطلق على حــركة المهاجرين اليهود مــن روسيا وبولونيا ورومانيا الى فلسطين، الذين انشأوا المستوطنات اليهودية الاولى في البلد ، وعلى اسلوبهم السياسي في النشاط الاستيطاني ، وذلك خلال الفترة ١٨٨١ ــ ١٩٠٤ ، التي تعرف في تاريخ الصهيونية باسم الهجرة الاولى ٠

بدأت الهجرة اليهودية من روسيا في صيف سنة ١٨٨١ ، بعد موجات الاعتداءات الاولى على اليهود مباشرة ، واتجهت بأكثريتها نحو اميركا الشمالية ، عدا جزء صغير منها قصد فلسطين ٠ وتميزت هذه الموجة من الهجرة ، في مراحلها الاولى ، بعفويتها وعدم تنظيمها ، ولكنها سرعان ما اتخذت اطارا ثابتا على شكل جمعيات للهجرة ، اقيمت في انحــاء مختلفة من روسيا ، استجابة لدعوات الزعماء والكتاب الصهيونيين (١)، بهدف الاشراف على عمليات الهجرة من روسيا من جهة ، وتأمين معيشة اليهود الذين يصلون الى فلسطين من جهة اخرى ٠ وكانت معظم تلك الجمعيات عبارة عن تنظيمات صغيرة ينتمي معظم اعضائها ، عادة ، الى فئة معينة او مكان معين ، وتعمل على جمع التبرعات منهم ، لمساعــدة بعضهم على الهجرة الى فلسطين ، على ان يتبعهم الباقون في مرحلة لاحقة ، بينما اتجه من كان منهم على عجلة من أمره الى بيع املاكه ، وترك روسيا في اول فرصة ممكنة ٠ وقد اقيم فيما بعد نوع آخر من تلك الجمعيات ، لا تهدف الى تهجير اعضائها ، وانما تعمل على جمع التبرعات لمساعدة اليهود ، الذين وصلوا الى فلسطين ، خصوصا اذا كانوا من

ابناء البلدة او المنطقة التي يسكنها اعضاء تلك الجمعية (٢) · وكانت بعض تلك الجمعيات هي التي وضعت الاسس الاولى للنشاط الاستيطاني الصهيوني في فلسطين ، عندما قامت اثنتان منها ، كانتا تعملان في مدينتي كرمنتشوغ وخاركوف في روسيا ، بارسال مبعوث عنها الى القطر، هو زلمان دافيد ليفونتين (٣) ، للعمل على شراء مساحة من الارض ، بهدف اقامة مستوطنة عليها لاعضاء الجمعيتين · وقد تم ذلك بعد استشارة يحيئيل بينس ، ممثل صندوق مونطفيوري (« ذكرى موشي ») في القدس ، الذي اشار بايفاد ذلك المبعوث ، مؤكداً انه من الممكن شراء مساحة الارض المطلوبة (٤) ·

وصل ليفونتين الى فلسطين في مطلع عام ١٨٨٢ ، ومع وصوله اليها لفت نظره انعدام التنظيم والتنسيق بين المهاجرين اليهود الروس الجدد ، الذين قدموا اليها ، ثم محاولات اكثر من جهة يهودية شراء الاراضي في البلد ، مما قد يعرقل سير المخطط الصهيوني · ولهذا اتجه الى العمل على تجميع تلك القوى ، واستطاع اقامة ما سماه « لجنة طلائعيي يسود هامعله » (٥) (« أساس الصعود ») ، بهدف تنسيق عمليات الاستيطان الصهيوني في فلسطين ، وتقديم المشورة والعون للمهاجرين الجدد ، الذين يفدون الى البلد (٦) ، رغم ان اللجنة لم تضم كل القوى الاستيطانية العاملة هناك · وقامت اللجنة بعد تأسيسها ، بتمويل من احد الاثرياء اليهود الروس ، بالتفتيش في اماكن مختلفة من فلسطين ، على مساحة مناسبة من الارض لشرائها ، الى ان علمت ان الحكومة التركية تنوي بيع مساحة من الارض (٧) التابعة لقرية عيون القرى ، تقع على بعد ١٢ كيلومتراً الى الجنوب من يافا · وكانت السلطات قد عرضت هذه الارض للبيع ، بالمزاد العلني ، لعجز مالكيها العرب ، كما يبدو ، عن تسديد الضرائب المترتبة عليها · وقد وافقت اللجنة على شراء تلك الاراضي ، خصوصا « وان احسن الاماكن المناسبة لاستيطان اليهود هو السهل ··· على شاطىء البحر المتوسط ، وعلى وجه التحديد في جنوب البلد · فالى جانب البدو ، ساكني الخيم ، بعيداً عن الطريق الرئيسية يافا ـ القدس ، نستطيع ان ننظم استيطانا واسعا ، دون ان نثير ضدنا حسد الشعوب التي تتطلع الى الارض المقدسة · كذلك فان هناك اراض كثيرة لدى البدو ، الذين يملكونها منذ سنين عديدة ، ونستطيع شراءها منهم بأثمان بخسة » (٨) فيما بعد · ولكن صفقة البيع هذه لم تحظ بموافقة والي القدس ، الذي عارض بيع الارض وتسجيلها باسم مواطنين اجانب ،

فتدخل نائب قنصل بريطانيا في يافا ، الحاخام حاييم امزيليغ ، وتمكن من شراء المساحة المعروضة للبيع بأكملها ، ٣٫٣٤٠ دونما (الدونم يساوي ١٠٠٠ متر مربع) مقابل ١٥ فرنكا للدونم ، وتسجيلها بأسمه (٩) ، ثم قام بتحويلها الى المهاجرين اليهود · وفي الاول من آب (اغسطس) ١٨٨٢ وصلت ٥ عائلات من اولئك المهاجرين الى تلك الاراضي (١٠) ، ووضعت عليها الاسس لمستوطنة أطلق عليها اسم ريشون لتسيون (« الاولى لصهيون ») ،بايحاء مما جاء في التوراة (١١) ·

وفي الوقت الذي كانت طلائع حركة هواة صهيون في روسيا تؤسس هذه المستوطنة ، كان يهود رومانيا ايضا يقومون بنشاط مماثل، نتيجة لوضع لم يكن يختلف كثيراً عنوضع اليهود في روسيا· فالاجراءات المعادية لليهود ، التي اتخذتها السلطات الرومانية ، خصوصا ما يتعلق منها بأوضاعهم الاقتصادية ، فاقت في قسوتها تلك التي اتبعتها السلطات القيصرية في روسيا · وقد زادت اوضاع اليهود سوءاً بعد ان اعلنت رومانيا استقلالها ، سنة ١٨٧٨ ، ورفضت منح حقوق المواطنية ليهودها ، مصرة على اعتبارهم غرباء فيها (١٢) · كذلك فان رومانيا ، على عكس روسيا ، شجعت اليهود فيها ، علنا ، على الهجرة من البلد ، للتخلص منهم · وعندما اسست ، في منتصف كانون الثاني (يناير) ١٨٨٢ ، لجنة مركزية تضم ممثلين عن ٣٢ جمعية لهجرة اليهود ، كانت تعمل في رومانيا آنذاك ، سارعت الحكومة الى الاعلان عن « اعترافها » باللجنة ، بعد ٦ أيام فقط من الاعلان عن تأسيسها ، مؤكدة انها لن تساعد اليهود على الهجرة فقط ، وانما ستساعدهم على اقامة « مملكة في فلسطين » ايضا (١٣) · وكانت السلطات الرومانية قد لجأت ، قبل ذلك التاريخ بعشر سنوات ، اي منذ سنة ١٨٧٢ ، الى اعفاء اليهود المهاجرين من دفع الرسوم المترتبة على اجراءات الهجرة ، تسهيلا لعملية الهجرة وتشجيعها (١٤) · وكان معظم المهاجرين اليهود من رومانيا ، في ذلك الوقت ، مثل المهاجرين الآخرين من روسيا واوروبا الشرقية ، يتجهون الى اميركا الشمالية ·

بدأ نشاط هواة صهيون المنظم في رومانيا بمبادرة من بعض اليهود ، من ابناء مدينة صفد ، في فلسطين ، وبتشجيع منهم · فاولئك اليهود ، من ابناء صفد ، الذين قاموا بشراء نصف اراضي قرية الجاعونة ، القريبة من المدينة ، لتأسيس مستوطنة زراعية عليها (انظر ص٧٠ اعلاه) جابهوا عراقيل عديدة ، كان من بينها معارضة الزعامة اليهودية التقليدية في

المدينة لمشاريعهم تلك ، التي اضطرتهم الى التخلي عنها ، ثم الى التفكير في بيع الارض التي اشتروها ، بعد ان اشتدت ضائقتهم المالية ٠ ولكنهم بدلا من القيام بذلك ، ارسلوا مبعوثا عنهم ، هو اليعيزر روكاح ، الى رومانيا لجمع التبرعات لمساعدتهم (١٥) ٠ وفي رومانيا ، استطاع روكاح اقامة اول جمعية لهجرة اليهود ، في مدينة بوخارست ، سنة ١٨٨٠ (١٦)، مما شجع على اقامة جمعيات مماثلة ، من هواة صهيون ، في مدن عديدة٠ وقد قامت هذه الجمعيات ، سنة ١٨٨٢ ، بعقد مؤتمر عام لها لتنسيق نشاطها ، تمهيداً لتنظيم الهجرة الى فلسطين ، اسفر عن اقامة لجنة مركزية ممثلة لتلك الجمعيات ، اتخذت من مدينة غالاتس ، في رومانيا مقراً لها ٠ ولم تشأ احدى الجمعيات ، التي انضمت الى ذلك الاتحاد وهي التي كانت قائمة في بلدة موينشتي ، التريث حتى تباشر اللجنة المركزية في غالاتس نشاطها الاستيطاني في فلسطين ، فقامت بارسال مبعوث عنها الى القطر هو موشي دافيد شوف ، لشراء اراض هناك لتوطين اعضاء الجمعية عليها (١٧) ٠ وفي فلسطين ، قام شوف بشراء ثلثي مساحة الاراضي ، التي كان يهود صفد قد اشتروها في الجاعونة . نحو ٢٧٠٠ دونم ، لحساب اعضاء جمعيته ، بينما قام يهود من روسيا بشراء الثلث الباقي (١٨) ٠ وبعد شهر من تأسيس مستوطنة ريشون لتسيون ، اي في ايلول (سبتمبر) ١٨٨٢ ، توجهت قافلة مؤلفة من نحو ٥٠ عائلة يهودية من بلدة موينشتي في رومانيا الى فلسطين ، فوصلت الى صفد في اواخر تشرين الاول (اكتوبر) ، ومن هناك اتجهت الى اراضي الجاعونة (١٩) ، ووضعت الاسس لمستوطنة صهيونية ثانية هناك (٢٠) ، اطلقوا عليها ايضا اسم من التوراة ـ روش بينا (« رأس الزاوية ») (٢١) ٠

لم يمر وقت طويل ، على وصول المهاجرين اليهود من رومانيا الى روش بينا ، حتى دب الخلاف بينهم ، وقام قسم منهم بترك المستوطنة ، متجها الى التفتيش عن اراض اخرى لشرائها ، لاقامة مستوطنة اخرى خاصة به ٠ وجاء ذلك في الوقت الذي كان فيه وفد اللجنة المركزية لهواة صهيون في رومانيا ، يجوب ايضا انحاء فلسطين ، للتفتيش عن اراض لشرائها لحساب الجمعيات التي يمثلها ، بعد ان فشل الوفد الاول ، الذي ارسلته اللجنة للهدف نفسه ، في احراز اية انجازات (٢٢) ٠ وقد وحد الطرفان جهودهما ، ونجحا في شراء نحو ٦ر٠٠٠ دونم من اراضي قرية زمارين ، الواقعة على بعد ٢٠ كيلومتراً تقريبا الى الجنوب من حيفا (٢٣) ، كانت ملكا لمواطن فرنسي (٢٤) ، وذلك بمساعدة اميل

فرانك ، وهو يهودي فرنسي كان يعمل في الموانىء السورية كوكيل لشركات السفن البريطانية ، ويشغل في الوقت نفسه منصب نائب قنصل المانيا والنمسا في الاسكندرية (٢٥) ٠ وفي تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٨٢ ، كانت قافلة اخرى من المهاجرين اليهود من رومانيا ، تضم ١٤٢ شخصا ، تتجه نحو فلسطين (٢٦) لتضع الاسس للمستوطنة الصهيونية الثالثة هناك ، في زمارين (التي أطلق عليها فيما بعد اسم زخرون يعقوب ، تخليداً لذكرى والد البارون روتشيلد الفرنسي ، بعد ان تعهد بتقديم المعونة المالية للمستوطنة) ٠

وفي الوقت الذي كانت تقام فيه هذه المستوطنات الثلاث ، كان يهود القدس الذين أسسوا « ام المستوطنات » ، بتيح تكفا ، سنة ١٨٧٨ (انظر ص ٦٩ اعلاه) يقومون بنشاط مماثل لذاك الذي قام به يهود صفد٠ فقد فشلت عملية استيطان بتيح تكفا ، في مراحلها الاولى ، فشلا ذريعا ، اذ تفشت الامراض بين سكان المستوطنة ، واوقعت بهم اصابات ، بحيث اضطروا الى تركها والرجوع الى القدس ، بعد ان سلمت اراضيها بالايجار الى الفلاحين العرب ، في القرى المجاورة ، لزراعتها (٢٧) ٠ وفي القدس ، قرر المؤسسون اقامة ما سموه « جمعية مؤسسي اليبشوف » لاعادة بناء المستوطنة ، وذلك بعد تعديل انظمتها ، بشكل يسمح لليهود من خارج فلسطين بالانضمام اليها (٢٨) ، بينما ارسلوا ، من ناحية ثانية ، مبعوثا الى روسيا ، استطاع حمل بعض اليهود هناك ، من الراغبين في الهجرة الى فلسطين ، على شراء جزء من اراضي المستوطنة (٢٩) ، كمقدمة لاستيطانهم فيها ٠ وقام المؤسسون ايضا بشراء ما مساحته ١٣٠ دونما ، من اراضي السكان العرب في قرية اليهودية ، القريبة من المستوطنة ، لاقامة بيوت للسكن عليها ، بعيداً عن اراضي المستوطنة الاصلية ، التي ظهر انها لم تكن صالحة للسكن ، وتمكنوا من اقامة مساكنهم هناك ، بمساعدة القنصل الالماني في يافا ، رغم معارضة السلطات التركية (٣٠) ٠ وفي ربيع سنة ١٨٨٣ ، كانت طلائع المستوطنين الجدد تصل الى المستوطنة ، لاعادة بنائها ، بينما استطاع المؤسسون شراء مساحة اخرى من الارض المجاورة للمستوطنة ، نحو ٦٠٠ر٢ دونم، عرضتها الحكومة التركية للبيع ، بعد ان عجز فلاحوها العرب عن تسديد الضرائب المترتبة عليها (٣١) ٠

وفي السنتين التاليتين ، ١٨٨٣ و١٨٨٤ اقيمت اربع مستوطنات اخرى٠ وكانت اولى تلك المستوطنات ، التي انشئت سنة ١٨٨٣ ، مستوطنة يسود

هامعله ، قرب بحيرة الحولة في شمال فلسطين ، على مساحة ٥٠٠ر٢ دونم (٣٢) ، تم استملاكها من احد ابناء صفد اليهود ، يعقوب عبو ، قنصل فرنسا في عكا ووكيل فرع القنصلية الفرنسية في صفد (٣٣) ، وسكن في هذه المستوطنة يهود بولونيون ٠ اما المستوطنة الثانية التي اقيمت في السنة نفسها ، مع يسود هامعله ، فكانت وادي حنين او نحلات رؤوفين ، وعرفت فيما بعد باسم نس تسيونه ـ « راية صهيون » (٣٤) ، وتقع على بعد اربعة كيلومترات الى الجنوب من ريشون لتسيون ٠ وقد استملك احد المهاجرين اليهود اراضي هـذه المستوطنة ، التـي بلغت مساحتها نحو ٠٠٠ر٢ دونم ، بمبادلتها مع مالكها الالماني ، لقاء مساحة مماثلة من الارض كان الاول يملكها في مدينة اوديسا بروسيا (٣٥) ٠ وفي الوقت نفسه، قام البارون روتشيلد، بواسطة الحاخام موهيليفر(٣٦)، بشراء ما مساحته ٧٥٠ر٣ دونما من الاراضي ، الواقعة الى جنوب مدينة الرملة ، في وسط فلسطين ، لتأسيس مستوطنة عليها لمهاجرين من اليهود الروس ، الذي كانوا على وشك ترك البلد والعودة الى روسيا ، لعجزهم عن تأسيس مستوطنة خاصة بهم ، ووضع بذلك الاسس لمستوطنة عرفت باسم عكرون (٣٧) (واطلق عليها فيما بعد اسم مزكيرت باتيه) ٠

وفي السنة التالية ، ١٨٨٤ ، تمكن هواة صهيون في روسيا ، بمساعدة يحيئيل بينس ممثل صندوق مونطفيوري في فلسطين ، من شراء مساحة اخرى من الاراضي في قطره ، الواقعة الى جنوب غرب عكرون ، كانت ملكا لابن نائب قنصل فرنسا (٣٨) في يافا ، واقاموا عليها مستوطنة غديره للمهاجرين من ابناء البيلوييم (انظر ص ١١٥ ـ ١١٦ ادناه) ٠

ومع اقامة غديره ، وصل عدد المستوطنات التي أسسها طلائع الهجرة الاولى في فلسطين ، خلال السنوات ١٨٨٢ ـ ١٨٨٤ الى ثمانية ٠

وهكذا بدأ التسلل الاستيطاني الصهيوني الى فلسطين ٠

[٢]

اذا كانت الظروف الموضوعية ، التي كانت قائمة في روسيا وبولونيا ودول اوروبا الشرقية ، خلال الربع الاخير من القرن التاسع عشر ، هي التي شجعت على هجرة اليهود من تلك البلدان ، وان كانت هذه الهجرة تخف احيانا ، عندما كانت السلطات الروسية تتخـذ اجراءات مؤقتـة لايقاف الاعتداءات على اليهود (١) ، فان الظروف الموضوعية والاوضاع

الادارية التي كانت سائدة في فلسطين ، خلال تلك الفترة ، تحت الحكم العثماني ، كانت خير معين لهم على التسلل الى البلد ، ثم التغلغل فيه ، بواسطة شراء اراضيه ، واقامة مستوطناتهم ومؤسساتهم عليها ·

لم تكن الادارة العثمانية ـ التركية ، التي كانت قائمة في فلسطين . مع وصول طلائع المهاجرين اليهود الى البلد ، معروفة بحسن تنظيمها او فعاليتها او نزاهتها ، بل كان العكس هو الصحيح · كذلك كانت السلطات المركزية العثمانية في وضع مماثل ، خصوصا بعد ان ازدادت ديون الامبراطورية ، وازداد معها تدخل الدائنين الاجانب في شؤونها الداخلية ، في وقت تعاظم فيه نفوذ الدول الغربية ، وازداد تأثيرها على سياسة الامبراطورية ،الخارجية والداخلية، كما برزت اطماعها في السيطرة على هذه المنطقة او تلك ، من المساحات الشاسعة التي كانت خاضعة ، عمليا او نظريا ، للحكم العثماني · وكان من نتيجة ذلك كله ان اتسع ، خلال تلك الفترة ، مفهوم الامتيازات الممنوحة للمواطنين الاجانب ، وتشعبت جذور نظام الحماية الذي اقر للمحافظة عليها ، بينما كثر عدد القناصل الاجانب في فلسطين ، وازداد نفوذهم ، حتى اصبح كل منهم يشكل ، مع المواطنين الاجانب الخاضعين لحمايته ، وامتيازاتهم وحقوقهم الخاصة ، نوعا من « دولة مستقلة » داخل الامبراطورية المترامية الاطراف · وقد لعب اولئك القناصل ، استنادا الى نظام الامتيازات ، دوراً مهما للغاية في تسهيل عمليات الاستيطان الصهيوني في فلسطين ، في بداية عهدها ، ان بتسهيل دخول اليهود الاجانب ، من مواطني دولهم، الى البلد ، او بمساعدتهم على استملاك الاراضي والحصول على الرخص الضرورية لتأمين اقامة الابنية والمنشآت ، ثم المستوطنات (٢) · ويبدو ان المساعدات ،التي حصل عليها المستوطنون اليهود ، من خلال استغلال امتيازات نظام الحماية ، كانت مهمة لدرجة دفعت مؤرخ الهاغاناه الى تقييمها بقوله « اننا لا نبالغ ان قلنا ، انه لولا نظام الامتيازات ، لما أستطاع اليبشوف الجديد الصمود في البلد ، ولما خرج حتى اليبشوف القديم عن كونه طائفة شرقية على غرار [يهود] ايران وافغانستان » (٣)· اما ما لم يستطع نظام الامتيازات ، او القناصل ، حله من مشاكل ، فقد تكفلت به الرشوة ، التي كانت بمثابة « احد اركان أمن اليبشوف ··· وبما انه لم تصلنا معلومات مفصلة بهذا الشأن ، نكتفي بالقول بأنه لم ينفذ عمل ، كبيراً كان ام صغيرا ، في اليبشوف الا وكان مرفقا بتقديم الرشوة الى الموظفين والمتسلطين والوجهاء ، صغارا وكبارا » (٤) · ويبدو ان

الاعتماد على الرشوة كان شائعا للغاية في تعامل المستوطنين الصهيونيين مع السلطة ، خلال تلك الفترة ، لدرجة بدأ معها الناس ، مثلا ، عندما عين وال جديد للقدس (رؤوف باشا ، ١٨٧٦ ــ ١٨٨٨) يختلف عن اسلافه في مسلكه ، « يتهامسون ــ على حد تعبير بن ــ يهودا ــ فيما بينهم بشان الضائقة الكبيرة التي حلت بنا [اي المستوطنين] ، لان الوالـــي الجديد نظيف الكفين » (٥) لا يقبل الرشوة ٠

كانت العقبة الاولى ، التي جابهت المهاجرين اليهود ، في زحفهم نحو فلسطين ، مسألة دخولهم الى البلد ، بالطبع ، خصوصا وان سلطات بلدانهم الاصلية لم تكن تضع ، عادة ، اية عراقيل في وجه هجرتهم من تلك البلدان ٠ وكانت السلطات العثمانية ، حتى ذلك الوقت ، ترحب مبدئيا بقدوم اليهود الى الامبراطورية ، وتسمح لهم بالسكن في اي منطقة فيها ، وهو تقليد اتبعته منذ طرد اليهود من اسبانيا ، في نهاية القرن الخامس عشر ٠ولكن هذا الموقف تغير مع بداية موجات الهجرة الصهيونية الـــى فلسطين ، اذ خشيت السلطات ان يؤدي ازدياد اعداد اولئك المهاجرين الى نشوء مشكلة قومية جديدة في الامبراطورية العثمانية ، التي كانت قد جابهت مشاكل عدة مماثلة ، في انحاء مختلفة منها ، خلال القرن التاسع عشر ٠ كذلك خشيت السلطات العثمانية من ازدياد تدخل الدول الاوروبية في شؤون الامبراطورية الداخلية ، نتيجة لازدياد اعداد مواطني تلك الدول فيها ٠ كما ساهمت احتجاجات العرب الفلسطينيين ضد الهجرة في تغيير موقف السلطات منها ٠ يضاف الى ذلك كله ان معظم المهاجرين اليهود كانوا من مواطني روسيا ، عدو تركيا اللدود ٠ وكانت قد نشبت ، خلال القرن التاسع عشر فقط ، اربع حروب بين روسيا وتركيا ٠ ولهذا تنبهت السلطات العثمانية ، في وقت مبكر ، الى موجات الهجرة اليهودية المتجهة نحو فلسطين ، مما دفع بها ، بعد بحث القضية ، الى الاعلان ، في اواخر سنة ١٨٨١ ، عن موقف واضح بهذا الشأن ، مفاده السماح بهجرة اليهود الى اى جزء من اجزاء الامبراطورية العثمانية ، عـــدا فلسطين ، شرط ان يوافق المهاجرون على استبدال جنسياتهم الاصلية بالجنسية العثمانية (٦) ٠ وبقيت هذه السياسة سارية المفعول ، عامة ، حتى نشوب الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤ ٠ غير ان هذه السياسة لم ترق في اعين المهاجرين اليهود ، الذين كانوا يتجهون بأكثريتهم الى فلسطين بالذات ، بينما كان العديد منهم يرفضون التنازل عن جنسياتهم الاصلية ، ليتسنى لهم التمتع بحماية القناصل الاجانب في البلد ٠ وكانت

حصيلة هذين الموقفين المتناقضين لجوء الحكومة التركية ، من جهة ، الى منع المهاجرين اليهود من دخول فلسطين ، من حين الى آخر ، واتجاه اولئك الى التفتيش عن طرق جانبية للتسلل الى البلد ، بواسطة مينائي بيروت او الاسكندرية ، عادة ، بينما يقومون ، من جهة ثانية، بمحاولات لاسترضاء السلطات التركية او الضغط عليها ، بواسطة الدول الاجنبية ، حتى يتم الغاء تلك الاجراءات ـ ثم اضطرار السلطات الى العودة اليها ثانية مع ازدياد اعداد المهاجرين • وبدأ ذلك كانه نوع من دوات منتظمة متواصلة ، من فرض القيود ثم الغائها ، استمرت تظهر وتختفي حتى نهاية الحكم العثماني في فلسطين •

كانت اولى الاجراءات ، التي اتخذتها السلطات التركية ، على سبيل المثال ، للحد من الهجرة اليهودية الى فلسطين ، اصدار امر في منتصف سنة ١٨٨٢ ، عندما ازدادت الهجرة الى البلد بشكل ملحوظ ، مع اقامة المستوطنات الاولى ، منع بموجبه المهاجرون اليهود من روسيا ورومانيا والصرب وبلغاريا من دخول البلد (٧) • وحاول المهاجرون اليهود التفتيش عن طريقة ، للتحايل على ذلك الامر ، وهو « ما لم يكن صعبا في تركيا » (٨) ، في تلك الايام • ولكن والي القدس ، رؤوف باشا ، الذي كلف بتنفيذ ذلك الامر ، والذي استغله ليس لمنع المهاجرين اليهود من دخول فلسطين فقط ، وانما لعرقلة اقامة الابنية الجديدة في مستوطناتهم ايضا ، كان رجلا « ذكيا ، حسن الاطلاع وغير قابل للرشوة » (٩) ، ولهذا كان الصراع معه صعبا للغاية • ولكن هواة صهيون لم يعدموا وسيلة للتغلب على تلك الاجراءات ، اذ قام زعماؤهم في روسيا بلفت نظر السلطات هناك الى هذا الوضع (١٠)، فأوعزت الحكومة الروسية ، التي كانت معنية باستمرار الهجرة ، الى سفيرها في تركيا ، وقناصلها في فلسطين ، بتقديم احتجاج على ذلك (١١) ، وعلى الاثر خفت حدة تلك الاجراءات ، وسمح باستئناف الهجرة • واستمر الوضع على هذا المنوال حتى سنة ١٨٨٤ (١٢) ، وذلك بعد ان سويت الخلافات بين المستوطنين الجدد وابناء البيشوف القديم ، من سكان القدس خاصة ، الذين اتهموا بتحريض السلطات ضد المهاجرين الجدد ، وحثها على منعهم من دخول فلسطين ، خشية ان يؤدي ازدياد عددهم في البلد الى المس بأموال التبرعات ، التي كانت ترسل لليبشوف القديم (١٣) •

لم يمر وقت طويل ، على السماح باستئناف الهجرة ، حتى عادت الحال الى سابق عهدها ، وفرضت القيود مجدداً ، خصوصا بعد ان

اكتشفت السلطات ان « موظفي ميناء يافا ٠٠٠ المرتشين كانوا يرسلون ، كل شهر ، الى الوالي بيانات [كاذبة] ، تفيد ان كل اليهود الذين دخلوا البلاد ، خلال الشهر السابق ، قد عادوا من حيث اتوا » (١٤) ٠ ولهذا ازدادت اجراءات منع المهاجرين من الدخول الى فلسطين حدة وفعالية ، خاصة خلال سنة ١٨٨٧ ـ وكانت قد وقعت صدامات بين العرب ومستوطني بيتح تكفا خلال السنة السابقة ـ وعززت قوة الشرطة في ميناء يافا ، واستبعدت العناصر الفاسدة من بينها ، وذلك بعد ان وسعت مساحة الاراضي التي تسري عليها اوامر الحظر لتشمل ايضا منطقة الجليل ، في شمال فلسطين ، بالاضافة الى منطقة القدس (١٥) ٠ وقد ادت هذه الاجراءات الى فرض حظر شبه كامل وفعال ، على دخول المهاجرين اليهود الى فلسطين ، مما دفع هواة صهيون الى التفتيش عن الوسائل الكفيلة بالغائه فاتجهوا ، مرة اخرى ، الى طلب تدخل الدول الاجنبية لصالحهم ٠ فقام سفراء الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا بالضغط على الحكومة التركية ، لالغاء تلك الاجراءات ، الى ان تم لهم ذلك سنة ١٨٨٩ ٠ ولم يكتف سفير الولايات المتحدة ، اوسكار شتراوس ، اليهودي الاصل ، بذلك وانما استمر في ضغوطه ، حتى استطاع حمل السلطات التركية على عزل والي القدس ، رؤوف باشا ، من منصبه واستبداله بوال اخر ، اقل عداء للصهيونيين (١٦) ٠ وكانت مواقف رؤوف باشا هذه قد أدت الى تجميد النشاط الاستيطاني الصهيوني في متصرفية القدس ، خلال فترة ولايته ، بحيث اضطرت شركة يكا الى تحويل نشاطها الى منطقة شمال فلسطين ، التي كانت تابعة اداريا لولاية بيروت، حيث افتتحت سنة ١٩٠٠ مكتبا لها في المدينة ٠ واستطاع العاملون في هذا المكتب ، سنة ١٩٠١ ، شراء ما مساحته ٣١٫٥٠٠ دونم من الاراضي الواقعة بالقرب من طبريا ، من عائلة سرسق البيروتية ، المالكة لتلك الاراضي (١٧) ٠ وقد كان لهذه الصفقة تأثير بعيد المدى على النشاط الاستيطاني الصهيوني في فلسطين ، اذ أقيم على تلك الاراضي عدد من المستوطنات اليهودية ، جاءت بمثابة نواة لتجمع ثان من المستوطنات الصهيونية التي اقيمت في شمال البلد ، وذلك بالاضافة الى التجمع الرئيسي الذي كان قائما في متصرفية القدس ٠كذلك كانت صفقة البيع هذه بمثابة مقدمة لصفقات اخرى مماثلة ، باع بموجبها ابناء عائلة سرسق للصهيونيين ، مساحات شاسعة من الاراضي ، في اماكن مختلفة في فلسطين ٠

لم يدم الوضع الجديد ، الذي اشرنا اليه ، بالنسبة لاجراءات الهجرة

طويلا ، اذ لم تمر الا سنتان على الغاء اوامر منع المهاجرين اليهود من دخول فلسطين ، حتى كان البلد يشهد ، في ربيع سنة ١٨٩١ ، سيلا من المهاجرين الجدد ، فاق في كثافته كل موجات الهجرة السابقة ، بحيث قدر عدد المهاجرين الذين دخلوا فلسطين حينذاك ، وخلال اشهر قليلة ، بنحو ٥٫٠٠٠ شخص (١٨) ٠ ومرة اخرى ، عادت السلطات التركية الى تنفيذ اجراءاتها القديمة ، لمنع المهاجرين اليهود من دخول فلسطين ، خصوصا بعد ان اعلن السكان العرب معارضتهم لتلك الهجرة ، وانضم اليهم ممثلو بعض الدول الاجنبية في البلد ٠ « فقد عقد في القدس اجتماع يضم المسلمين والمسيحيين ، تقرر فيه تقديم طلب للسلطات ، لمنع يهود روسيا من الدخول الى البلد والاستيطان فيه ، ومنع بيع الاراضي لليهود ٠٠٠ وانضم الى هذا الطلب ممثلو الدول الكاثوليكية ، فرنسا والنمسا واسبانيا وايطاليا ، الذين اشاروا الى الخطر الناجم عن زيادة عدد المواطنين الروس ، اليهود او غير اليهود » (١٩) في فلسطين ٠ ولهذا جاءت اجراءات المنع ، هذه المرة ، صارمة للغاية ، بحيث ادت الى اضعاف حركة الهجرة والاستيطان في روسيا نفسها ، والى تصفية العديد من جمعيات هواة صهيون ، التي كانت تعمل هناك ، بعد ان اتضح لاعضائها ان امكانات دخولهم الى فلسطين واستيطانهم فيها تكاد تكون معدومة ، نظرا لمعارضة السلطات التركية ٠ غير ان الهجرة اليهودية الى فلسطين ، على اية حال ، لم تتوقف تماما بسبب تلك الاجراءات ، رغم ان السلطات التركية عادت ، وشددت على تنفيذها سنة ١٩٠١ ، بشكل خاص ، بعد انتعاش حركة الهجرة ٠ وكان من بين الاجراءات التي اتبعتها السلطات في تلك السنة ، لضبط الهجرة اليهودية ، اقرار نظام « البطاقة الحمراء » ، الذي كان يجبر المهاجر اليهودي بموجبه على تسليم جواز سفره الى السلطات العثمانية ، حال وصوله الى فلسطين ، واستبداله ببطاقة حمراء اللون ، يسمح لحاملها بالاقامة في البلد ثلاثة اشهر ٠ ولكن على الرغم من هذه الاجراءات ، استمر المهاجرون اليهود ، حتى بعد ذلك ، يفدون الى فلسطين ، وان تم ذلك بطرق جانبية ، وبعد ان قل عددهم بشكل ملحوظ (٢٠) ٠ وتعود اسباب فشل السلطات العثمانية في منع المهاجرين اليهود من دخول فلسطين ، رغم السياسة الرسمية المعلنة المؤيدة لذلك ، الى عوامل عدة ، أهمها سوء الادارة الذي ميز عمل تلك السلطات ، التي كانت تصدر تعليمات متناقضة بهذا الشأن ، من حين لآخر ، ثم تدخل ممثلي الدول الاجنبية ، بشكل مفضوح ، في الشؤون الداخلية العثمانية ، استناداً الى نظام الامتيازات ، ومنع السلطات من تنفيذ قراراتها (٢١) ٠

واذا كانت الظروف الموضوعية ، التي كانت سائدة في روسيا تحت حكم القياصرة ، او اذا كانت ايضا الاوضاع الادارية التي كانت سائدة في فلسطين ، تحت الحكم العثماني ، هي التي سهلت عملية دخول المهاجرين اليهود اليها ، فان الظروف الموضوعية التي كانت قائمة هناك ، بالنسبة لنظام ملكية الاراضي ، هي التي ساعدتهم ايضا على تحقيق اهدافهم الاولية في شراء الاراضي التي يحتاجونها للاستيطان في البلد ، دون صعوبات كثيرة . فخلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، ومع تدهور اوضاع الامبراطورية العثمانية عامة ، وازدياد ديون الحكومة خاصة ، لجأت السلطات الى اجراءات عديدة لزيادة دخل خزينة الدولة ، كان من بينها رفع الضرائب المترتبة على الاراضي الزراعية ومحاصيلها، خاصة ضريبتي الويركو والاعشار (٢٢) ، على الرغم من حياة الفقر والبؤس ، التي كان يعيشها معظم الفلاحين ، بينما بقيت الضرائب المفروضة على سكان المدن قليلة نسبيا (٢٣) . واصدرت السلطات كمقدمة لاجراءاتها تلك ، سنة ١٨٥٨ ، قانون الاراضي العثماني المؤقت ـ الذي رغم كونه « مؤقتا » بقي نافذ المفعول ، في فلسطين على الاقل ، لمدة تزيد على قرن من الزمن ـ ليساعدها على تنفيذ سياستها تلك . وقد احتوى ذلك القانون تعليمات عديدة ، لتنظيم ملكية الاراضي والحقوق والواجبات المترتبة على ذلك ، فرضت احداها على مالك الارض تسجيل ارضه باسمه في دائرة تسجيل الاراضي (الطابو) ، لكي يضمن حقوقه في الملكية ، بينما نصت اخرى على ان ملكية كل قطعة ارض من نوع الاراضي الاميرية (ميري) ، وهو تعريف ينطبق على معظم الاراضي في فلسطين، تنتقل الى الدولة ، اذا امتنع صاحبها عن فلاحتها لمدة ٣ سنوات متتالية .

من الواضح ان الهدف ، من تلك التعليمات ، كان تحديد هوية مالكي الاراضي من جهة ، وحثهم على استغلال اراضيهم من جهة اخرى ، ليتسنى لخزينة الدولة جباية اعلى نسبة ممكنة من الضرائب ، المترتبة على ملكية الاراضي او على محاصيلها . ولكن تطبيق تلك التعليمات ، في ضوء الظروف التي سادت فلسطين آنذاك ، كان مصيريا وبالغ الخطورة ، اذ مس بحقوق الفلاحين العرب في اراضيهم وقدرتهم على الاحتفاظ بملكيتها ، بشكل مباشر ، وكانت نتيجته فقدان الكثيرين منهم حقوق ملكيتهم . فاصرار السلطة على جباية الضرائب المترتبة على المحاصيل (الاعشار) ، وفقا لتقديرات مبالغ فيها ، بحيث لم يكن لدى

الفلاحين القدرة على تسديدها ، دفع الكثيرين منهم الى التنازل عن فلاحة مساحات من أراضيهم ، فقامت الدولة بالاستيلاء عليها وبيعها ، بالمزاد العلني وباسعار بخسة عادة ، للافندية والاثرياء من سكان المدن ، بحيث استطاع عدد ضئيل منهم تركيز ملكية مساحات شاسعة من الاراضي في ايديهم ٠ و « بهذه الطريقة انتقلت [مثلا] ملكية كل اراضي مرج ابن عامر [جنوب مدينة الناصرة] الى عائلة سرسق ٠٠٠ في بيروت [وهي الاراضي التي بيعت لليهود فيما بعد] ٠ واشترى اغنياء آخرون معظم الاراضي القريبة من المدن : صفد ويافا وغزة ٠ وكان اصحاب هذه الاراضي الجدد يؤجرونها [للفلاحين] ، ابناء القرى المجاورة ، رغم ان عدد المستأجرين كان قليلا وطرق فلاحتهم بدائية ، وكانوا يتهربون من دفع حصة اصحاب الاراضي [في المحصول] ، ولهذا كان اولئك مستعدين دائما لبيع الاراضي التي وصلت الى حوزتهم ، باسعار بخسة ٠ وحتى في الثمانينات والتسعينات [من القرن التاسع عشر] ، كانت اراضي مرج ابن عامر ، والسهل الساحلي بين حيفا وعكا ووادي الحوارث [الى الجنوب من حيفا] معروضة للبيع [من قبل « مالكيها » الجدد] ،دون ان يكون هناك من يشتريها » (٢٤) ٠ وقد بيعت معظم هذه الاراضي فيما بعد ، على اية حال ، الى اليهود ، الذين اقاموا عليها ، مع مرور الوقت، عشرات المستوطنات ٠

كذلك فان أمر السلطات القاضي بتسجيل الاراضي باسماء مالكيها ، في دوائر تسجيل الاراضي (الطابو) ، قد ساهم ايضا في الاسراع بعملية تركيز الملكية تلك ، في ايدي قلة من الوجهاء ، اذ ان كثيرا من الفلاحين خشوا من ازدياد عبء الضرائب ، الملقى على عاتقهم ، بعد تنفيذ عملية التسجيل تلك ، واطلاع السلطات نتيجة لها على كل ممتلكاتهم ٠ لذلك اتجه العديد من الفلاحين الى الافندية والوجهاء « لحمايتهم » ، وذلك بطلب موافقتهم على تسجيل اراضي الفلاحين تحت اسمائهم ، لكي يتجنبوا دفع الضرائب ، مقابل دفع نسبة مئوية معينة من ناتج تلك الاراضي ، لقاء تلك « الحماية » ٠ وقد انتقلت بهذه العملية ، رسميا على الاقل ، ملكية مساحات من الاراضي ، لا بأس بها ، الى اولئك الافندية ، الذين كثيرا ما اساءوا الائتمان وتصرفوا بها ، ببيعها او بنقل ملكيتها الى ورثتهم ٠ فقبيلة عرب الزبيد ، مثلا ، قامت بتسليم ثلث مساحة اراضيها ، الواقعة بالقرب من بحيرة الحولة ، في شمال فلسطين ، الى

قنصل فرنسا اليهودي في عكا ، يعقوب عبو ، لقاء بسط حمايته على ابناء القبيلة ، بينما قام القنصل ، على اثر ذلك ، ببيع هذه الاراضي الى مستوطني يسود هامعله (٢٥) ٠

اضافة الى ما ذكرنا ، كانت هناك طريقة ثالثة لانتقال ملكية الاراضي الى الافندية ، وذلك بواسطة الربى الفاحش ٠ فعموم الفلاحين ، الذين لم تكن اوضاعهم الاقتصادية على ما يرام ، كثيرا ما كانوا يلجأون الى الافندية الاثرياء ، للحصول على قروض مالية ، كانت تمنح لهم ، عادة ، لقاء التعهد بدفع نسبة عالية من الفائدة ، بعد رهن اراضيهم كتأمين لتسديد تلك القروض ٠ وفي مثل هذه الحالات ، كثيرا ما كانت الفائدة تتراكم ، خلال مدة قصيرة ، لتصبح اضعاف مبلغ القرض الاصلي . ويعجز الفلاح عن تسديدها ، فتكون النتيجة استيلاء الافندي على اراضيه المرهونة (٢٦) ٠

كانت حصيلة تلك الاوضاع ، مجتمعة ، تحويل ملكية مساحات شاسعة من الاراضي الزراعية الخصبة ، في مختلف انحاء فلسطين ، وتركيزها ، كما اشرنا ، في ايدي قلة من الافندية والوجهاء ، الذين كانوا على استعداد لبيع مساحات واسعة منها ، لكل من يبدي رغبة في الشراء ٠ ولهذا لم يجابه هواة صهيون صعوبات جدية ، في مساعيهم الاولية لاستملاك الاراضي الضرورية لاستيطانهم ، في بداية نشاطهم في فلسطين ، اذ وجدوا دائما من كان على استعداد لبيعهم ارضا ، في هذه المنطقة او تلك من البلد ، لقاء اسعار معقولة ٠ ولكن هذا النجاح ، في الحصول على مساحات لا بأس بها من الاراضي ، كان بحد ذاته السبب الاول والرئيسي في صدام المستوطنين الصهيونيين مع عرب فلسطين ٠ فعمليات انتقال ملكية الاراضي من الفلاحين الى الافندية والاثرياء ، ومنهم الى المستوطنين ، كانت مقتصرة على الناحية « الرسمية » فقط ، اي تحويل الملكية في دوائر تسجيل الاراضي ، بينما بقي الفلاحون يعيشون على تلك الاراضي ويستغلونها عمليا ـ الى ان يبدأ المستوطنون الصهيونيون بأجراءاتهم لاجلاء الفلاحين عن اراضيهم ، تمهيدا لاستيطانها ، فينشب الصراع بين الطرفين ٠

[٣]

ان سنوات ١٨٨٢ ـ ١٨٨٤ ، التي كانت فاتحة نشاط هواة صهيون الاستيطاني في فلسطين ، شهدت في الوقت نفسه ، من ناحية ثانية ، نهاية نشاطهم المستقل ، وذلك لاسباب اقتصادية اساسا · فهواة صهيون في رومانيا توقفوا عن اقامة المستوطنات ، بعد تأسيس مستوطنتي ريشون لتسيون وزخرون يعقوب ، وانحصر نشاطهم بعد ذلك في تقديم الدعم المالي لهاتين المستوطنتين ، لمساعدتهما على البقاء ، بينما استمر اليهود الروس في نشاطهم الاستيطاني ، ولكن بمساعدة جهات خارجية ·

جابه المستوطنون الصهيونيون الاوائل مشاكل جمة ، خصوصا من الناحية الاقتصادية ، في محاولاتهم دعم مستوطناتهم ، وتأمين مصادر العيش لهم وللمهاجرين اليهود الآخرين ، الذين كانوا على وشك الانضمام اليهم · وكان معظم اولئك المستوطنين من ابناء الطبقة المتوسطة ، من صغار الملاكين او الحرفيين اليهود في روسيا ، ومن ذوي العائلات كثيرة الاولاد . الذين باعوا املاكهم قبل هجرتهم الى فلسطين ، وصرفوا ريعها لتسديد ثمن الاراضي التي اشتروها ، او لاقامة الابنية والمنشآت عليها ، تمهيدا للاستيطان فيها (١) · ويبدو ان اولئك المستوطنين لم يقدروا الصعوبات ، التي قد تعترض نشاطهم الاستيطاني، حق قدرها ، اذ سرعان ما اكتشفوا ، وفي مراحل نشاطهم الاولى . ان امكاناتهم المالية كلها غير كافية ، لتحقيق اهدافهم باقامة مستوطنات مستقلة اقتصاديا · وعندما اضيفت الى هذه المشاكل ، ما نجم عن انتقال المهاجرين الى بيئة غريبة عن بيئتهم الاصلية ، والصعوبات التي رافقت انتقالهم الى الاعمال الزراعية ، وعدم خبرتهم في استغلال الاراضي ، التي سلمت اليهم ، مما ساهم بدوره في تدهور اوضاعهم الاقتصادية ، لم يبق امامهم الا طلب المساعدة المالية من الخارج (٢) ·

ولم يكن جميع المهاجرين الاوائل من يهود روسيا من طبقة او بيئة واحدة ، على اي حال ، اذ وجدت بينهم قلة عرفت باسم البيلوييم (٣) ، شذت عن هذه القاعدة ، لجهة اوضاعها الاجتماعية او انتمائها الطبقي على الاقل ، بينما كانت امكاناتها المالية شبيهة ، في قلتها ، بامكانات المهاجرين الاخرين · والبيلوييم عبارة عن جمعيات هجرة ، كان معظم اعضائها من طلاب الجامعات اليهود في روسيا ، الذين تركوا مقاعد

الدراسة ليهاجروا الى فلسطين · وخلاصة ارائهم هي « ان استيطان ارض ـ اسرائيل هو الخطوة الاولى لبعث امتنا ، وكل [العناصر] الجيدة، من ابنا شعبنا ، ملزمة من الان فصاعدا بالتضحية بكل ما لديها في سبيل ذلك ··· ان هذا الامر صعب جدا ، ولكنه ايضا عظيم جدا · فلا تعلقوا آمالكم على تقدم اوروبا ومدنيتها ، لانه اذا بقي اليهود ، من الان فصاعدا في اوروبا ، لن تكون امامهم الا احدى طريقين : الاولى ـ ··· سلوك طريق الالام والعذاب ، التي لا نهاية لها ، والثانية ـ النزول عن مسرح الحياة والاختفاء » (٤) · وكان البيلوييم قد اقاموا فروعا لتنظيمهم في اماكن مختلفة من روسيا ، وانشأوا مركزا لهم في خاركوف، ثم نقلوه الى موسكو ، وفيما بعد الى مدينة اوديسا على البحر الاسود، وذلك لتسهيل هجرتهم الى فلسطين عن طريق تركيا ، حيث افتتحوا في اسطنبول مكتبا خاصا بهم ، للعمل على تأمين موافقة السلطات التركية على تأسيس مستوطنة لهم في فلسطين (٥) · ان عدد البيلوييم بمجمله لم يزد ، على اي حال ، عن ٥٠٠ شخص ، هاجر منهم نحو خمسين الى فلسطين وبقي فيها نحو عشرين شخصا فقط (٦) · ولكنهم، على الرغم من ذلك ، سرعان ما تحولوا هناك الى عنصر ثائر ومهيج، بالنسبة لباقي المستوطنين ، نظرا لتشديدهم الدائم على فكرة البعث القومي والهجرة « وحياة العمل المنتج في ارض ـ اسرائيل » (٧) ، مما دفعهم الى صدامات دائمة مع المسؤولين عن تنظيم عمليات الاستيطان الصهيوني في فلسطين · ويبدو ان مواقفهم هذه هي التي دفعت بعض مؤرخي الصهيونية الى اعتبارهم طلائع الاستيطان الصهيوني في فلسطين· وعلى اي حال ، ومهما يكن من امر المبادىء التي نادى بها البيلوييم او غيرهم ، فمن الواضح انهم هم ايضا كانوا بحاجة الى مساعدة اقتصادية ، من جهات خارجية · وبعبارة اخرى : ان جميع المستوطنين الصهيونيين الاوائل في فلسطين ، على اختلاف وجهات نظرهم وخلفياتهم، وجدوا انفسهم في ضائقة مالية ، اضطرتهم الى طلب المساعدة من الخارج ، بعد وقت قصير من وصولهم الى البلد ·

كانت الجهة الاولى التي اتجه المستوطنون الاوائل اليها في طلبهم للمساعدة ، جمعيات الهجرة التي تكونت في بلدانهم الاصلية ، وعملت على ارسالهم الى فلسطين · ولكن عددا غير قليل من تلك الجمعيات كان قد حل نفسه ، بعد ان ضعفت حركة الهجرة في روسيا ، خاصة خلال سنة ١٨٨٣ ، أثر الاجراءات المؤقتة التي اتخذتها السلطات هناك ،

لمنع تكرار حوادث الاعتداءات على اليهود ، بعد مذابح ١٨٨١ ـ ١٨٨٢ (٨) · وقد اقيمت ، بدلا من تلك الجمعيات ، التي كانت تهدف للعمل على هجرة اعضائها ، جمعيات أخرى ، حصرت نشاطها في تأمين الدعم المالي للمهاجرين ، الذين وصلوا الى فلسطين فعلا ، وتشجيع حركة الهجرة عامة ، دون ان يلتزم اعضاؤها انفسهم بالهجرة الى البلد · وقد قامت تلك الجمعيات بنشاط ملحوظ لتقوية مواردها المالية ، بواسطة جمع التبرعات أو انشاء المشاريع المخصصة لذلك ، وراحت ترسل ، بين الحين والآخر ، مساعدات مالية لهذه الفئة او تلك من المستوطنين في فلسطين (٩) · ولكن الاموال التي كانت ترسل بهذه الطريقة ، وعلى فترات متقطعة ، لم تكن كافية الا لسد النزر اليسير من احتياجات المستوطنين ، الذين اضطروا الى طلب المعونة من جهات اخرى ، خصوصا من المؤسسات ، والشخصيات اليهودية في اوروبا الغربية · وكان من ابرز تلك الشخصيات البارون ادموند روتشيلد في باريس ·

كان البارون روتشيلد (١٨٤٥ ـ ١٩٣٤) احد زعماء الفرع الفرنسي من عائلة روتشيلد اليهودية الثرية، التي كانت تحتل مركزا مرموقا في عالم المال والمصارف في عواصم عدة، في اوروبا الغربية ، وتتمتع بنفوذ لدى الدوائر الحاكمة في فرنسا · ولكنه، بالاضافة الى ذلك، وعلى عكس العديد من زعماء آل روتشيلد الارستقراطيين ، كان يبدي اهتماما ملحوظا باوضاع ابناء اليهود عامة في فرنسا وخارجها ، ويدفع التبرعات السخية للمؤسسات اليهودية · وعندما نشبت الاضطرابات ضد اليهود في روسيا ، في مطلع الثمانينات ، كان روتشيلد ، مثلا ، من اوائل المبادرين الى اقامة لجنة لمساعدة المهاجرين اليهود ، الذين تركوا البلد ، وتبرع باموال طائلة للجمعية اليهودية الفرنسية ، الاليانس ، لمساعدتها على تنفيذ مهامها ، وان لم يكن من المؤمنين بكل اهدافها · كذلك كان روتشيلد متدينا ، وعلى علاقة وثيقة بالحاخام تسادوك كاهان ، حاخام باريس الاكبر ، واستخدمه كمستشاره لشؤون الصدقات ، وعلى علاقة مماثلة بتلك الفئة من زعامة يهود بريطانيا الثرية ، التي كانت تلتف حول صحيفة « جويش كرونيكل»، اهم واكبر الصحف اليهودية في بريطانيا انذاك ، التي كانت تبدي اهتماما زائدا في تتبعها لانباء المستوطنين اليهود الاوائل في فلسطين (١٠) ·

بدأت علاقة روتشيلد بالمستوطنين اليهود في فلسطين في صيف سنة ١٨٨٢ ، بعد مشاورات اجراها معه كارل نيطر ، رجل الاليانس ومدير

مدرستها الزراعية في مكفيه يسرائيل ، الذي اطلعه على الصعوبات المالية ، التي جابهت المستوطنين الذين كانوا قد وصلوا الى البلد ، حتى ذلك الوقت ، وطلب منه تقديم المعونة لهم · وقد حصل نيطر على ما اراد ، وسافر بعد ذلك الى فلسطين ، بتفويض من روتشيلد ، يخوله المباشرة بتوطين اولئك المهاجرين ، وصرف الاموال اللازمة لذلك · ولكن نيطر توفي بعد وقت قصير من وصوله الى البلد (١١) · ولم يمر وقت طويل على ذلك ، حتى كان الحاخام شموئيل موهيليفر ، احد زعماء حركة هواة صهيون في روسيا ، يتجه هو الاخر الى باريس ، ضمن جولة قام بها في اوروبا الغربية لجمع التبرعات لحركته ، حيث استطاع ، بمساعدة الحاخام تسادوك كاهان ، مقابلة روتشيلد واقناعه بالمساهمة في عمليات توطين اليهود في فلسطين ، وذلك باقامة مستوطنة واحدة هناك ، على الاقل ، على سبيل التجربة (١٢) · وفي الوقت نفسه ، ومع اواخر سنة ١٨٨٢ ، كان احد مستوطني ريشون لتسيون ، يوسف فاينبرغ ، يتجه ايضا الى باريس ، لمقابلة روتشيلد وطلب المعونة منه لمستوطنته · وقد وافق روتشيلد على هذا الطلب ، وتعهد بتقديم معونة مالية اولية ، بمبلغ ٢٥ ألف فرنك ، للمستوطنة ، شرط ان يتولى هيرش ، مدير مدرسة مكفيه يسرائيل ، الذي حل محل نيطر بعد وفاته، مهمة الاشراف على توزيع النقود ، وان يتولى شخص اخر ، يعين من قبله ، مهمة ارشاد المستوطنين في اعمالهم الزراعية ، وان يتعهد المستوطنون بعدم طلب المعونة المالية من اي مصدر آخر (١٣) ·

كان خضوع ريشون لتسيون لوصاية روتشيلد ، وموافقة مستوطنيها على تبنيه لهم ، فاتحة لمواقف مماثلة ، اتخذتها المستوطنات الاخرى التي لم تكن اوضاعها المالية تختلف كثيرا ، في حراجتها ، عن اوضاع ريشون لتسيون ، فحذت حذو هذه المستوطنة في طلب المساعدة من روتشيلد · وفي الوقت الذي كان مندوب روتشيلد يتجه فيه الى ريشون لتسيون ، ليتولى ادارة المستوطنة والاشراف على اعمال مستوطنيها ، مع اواخر سنة ١٨٨٣ ، كان رئيس اللجنة المركزية لهواة صهيون في رومانيا يتجه الى باريس لاقناع البارون بتبني المستوطنتين، اللتين اقامهما يهود رومانيا في فلسطين ، روش بينا وزمارين (زخرون يعقوب) (١٤) · وقد وافق روتشيلد على هذا الطلب ايضا ، وارسل احد وكلائه الى فلسطين ، للقيام بهذه المهمة ، فعقد هناك اتفاقا مع مستوطني روش بينا ، تعهد المستوطنون بموجبه بتسجيل كل اراضيهم وممتلكاتهم

باسم وكيل البارون، لقاء تعهده بتسديد ديونهم وتقديم الاموال والادوات اللازمة لاستمرار نمو المستوطنة (١٥) · وفي الوقت نفسه ، عقد اتفاق مماثل مع مستوطني زمارين (١٦) (وتغير اسم المستوطنة الى زخرون يعقوب ، تخليدا لذكرى والد روتشيلد) · ولم يكتف روتشيلد بهذا ، في اولى خطواته الاستيطانية في فلسطين ، اذ قام ، تنفيذا للوعد الذي قطعه على نفسه امام الحاخام موهيليفر ، بشراء قطعة من الارض في البلد ، لاقامة مستوطنة « نموذجية » عليها ، بينما راح موهيليفر يفتش عن مهاجرين ملائمين في روسيا · ومع اواخر سنة ١٨٨٣ ، كانت طلائع المهاجرين ــ المستوطنين تصل الى هذه المستوطنة ، التي اطلق عليها اسم عكرون (١٧) (وتغير اسمها الى مزكيرت باتيه ، تخليدا لذكرى والدة روتشيلد) · وبهذا تكون حصيلة نشاط روتشيلد الاستيطاني ، خلال سنتي ١٨٨٢ و ١٨٨٣ ، في اولى خطواته في فلسطين ، تبني ٣ مستوطنات والتعهد بتنميتها ، والمباشرة باقامة المستوطنة الرابعة ·

وبموافقة روتشيلد على تقديم المعونة المالية لهذه المستوطنات ، والتعهد بأقامة مستوطنات جديدة ، افتتح ، وربما من حيث لا يدري ، حقبة جديدة في تاريخ الاستيطان الصهيوني في فلسطين ، استمرت ١٨ عاما (١٨٨٢ ــ ١٩٠٠) ، ولعب فيها دور البطل الرئيسي ، الذي اشرف على معظم عمليات الاستيطان ، التي نفذت خلالها ، بعد ان صرف اموالا طائلة في سبيل ذلك · وبسبب نشاطه هذا ، حاز روتشيلد على لقب « المتبرع المعروف » في تاريخ الصهيونية ·

[٤]

في الوقت الذي كان روتشيلد يقوم ببسط نفوذه على بعض المستوطنات، التي اقامتها حركة هواة صهيون في فلسطين ، كان زعماء الحركة في روسيا يحاولون تجديد نشاط حركتهم واخراجها من دائرة الخمول ، التي كادت تشلها ، نتيجة لتوقف الهجرة الى فلسطين من جهة ، وللصعوبات التي واجهها المستوطنون ، الذين استطاعوا الدخول الى البلد من جهة اخرى · وكان اول من اتجه للعمل في هذا المجال الحاخام موهيليفر الذي حاول ، سنة ١٨٨٣ ، اقامة لجنة مركزية للحركة وتنسيق نشاطها ، ولكنه فشل في ذلك · وكان الفشل ايضا من نصيب اجتماع عقد لهذه الغاية في بلدة كاتوفيتش ، على الحدود النمساوية البولونية ، في ايلول (سبتمبر)

من السنة نفسها ، نظرا لقلة حضوره ٠ ولكن زعماء الحركة ، على الرغم من ذلك ، استمروا في مساعيهم لتوحيد صفوفهم ، بمبادرة من الدكتور بينسكر ، واستطاعوا عقد مؤتمر ثان في كاتوفيتش ، في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٨٤ ، بحضور مندوبين عن ٣٢ جمعية من جمعيات هواة صهيون في روسيا واوروبا (٢٢ مندوبا من روسيا ، ٦ من المانيا ، ٢ من انكلترا وواحد من كل من فرنسا ورومانيا) ، حيث تم تشكيل لجنة مركزية ، مؤلفة من ١٩ عضوا ، للاشراف على نشاط هواة صهيون وتوحيد قواهم ونشاطهم ، خارج فلسطين وداخلها ٠ كذلك انتخب الدكتور بينسكر رئيسا للجنة المركزية وليلينبلوم سكرتيرا لها ، واختيرت مدينة اوديسا ، الواقعة على البحر الاسود في جنوب روسيا ، نظرا لقربها نسبيا من فلسطين لتكون مقرا للجنة المركزية ، بينما اقيمت لجنة فرعية تابعة لها في مدينة وارسو ، للاشراف على نشاط الحركة بين التجمع السكاني اليهودي الكبير في بولونيا (١) ٠

لم تسفر مباحثات مؤتمر كاتوفيتش عن جديد يذكر ، بالنسبة لجوهر العقيدة الصهيونية او اهدافها ، اذ انحصرت مناقشاته في البحث في افضل الطرق والاساليب العملية الملائمة ، لتقوية المستوطنات اليهودية ، التي كانت قد اقيمت في فلسطين ، حتى ذلك الوقت ، وتأمين الدعم المالي لها ، ثم توحيد قوى الحركة خارج فلسطين وداخلها ، واقامة علاقات حسنة مع السلطات التركية (٢) ٠ وقد تم ذلك بتأثير بينسكر نفسه ، الذي عرض نشاط حركة هواة صهيون ، في تهجير اليهود من روسيا الى فلسطين ، وتوطينهم هناك ، كأنه يهدف الى نقل اليهود من الحياة التي كانوا يعيشونها في روسيا الى حياة العمل المنتج ، على ارض فلسطين فقط ، دون ان تكون للحركة نية في اقامة اي كيان سياسي يهودي في البلد ٠ ويبدو ان الهدف من وراء ذلك ، كان محاولة ازالة الشكوك ، التي تكونت لدى بعض الفئات اليهودية في الغرب ، بشأن اهداف هواة صهيون وسعيهم الى اقامة دولة يهودية في فلسطين ، وبالتالي حملها على تأييد الحركة(٣) ٠ وكانت اوساط يهودية عديدة ، في الدول الغربية ، تعارض في ذلك الوقت الاتجاه لاقامة دولة يهودية في فلسطين ، خوفا من ان يؤثر ذلك على حقوقها المكتسبة ، المدنية والسياسية ، في تلك البلدان ٠ اما بالنسبة لنشاط هواة صهيون في فلسطين نفسها ، فقد قرر المؤتمر عدم اقامة مستوطنات يهودية جديدة ، حتى الانتهاء من عملية تأسيس المستوطنات الموجودة هناك وتقويتها ، خصوصا مستوطنتي بيتح تكفا وبات شلومو (٤) ، اللتين رفض

روتشيلد تبنيهما ، رغم الطلبات التي قدمها هواة صهيون بشأن ذلك ، معلنا انه قد صرف ، حتى ذلك الوقت ، على المستوطنات الاربع التي تبناها ما يقارب من ٥ر٤ مليون فرنك (٥) ٠ ولهذا اعلن المؤتمر عن التزامه بتقديم الدعم المالي لهاتين المستوطنتين ، بالاضافة الى مستوطنة غديره ، التي كانت الحركة قد باشرت باقامتها في تلك السنة ، لتوطين ابناء البيلوييم فيها ، بعد ان اصر روتشيلد على طردهم من ريشون لتسيون ، لانهم حرضوا المستوطنين هناك على التمرد ضد المدير الذي عينه لادارة المستوطنة (٦) ٠ وكان ايضا من بين القرارات، التي اتخذها المؤتمر ،ارسال وفد الى فلسطين لدراسة اوضاع المستوطنات وبحث طرق تقويتها ، والتوسط لدى الحكومة التركية ، لالغاء القيود التي فرضتها على دخول المهاجرين اليهود الى فلسطين ، والعمل في سبيل الحصول على قرار من الحكومة الروسية ، يعترف بشرعية حركة هواة صهيون ، ويسمح لها بممارسة نشاط علني في كافة انحاء روسيا وبولونيا (٧) ٠

نشطت اللجنة المركزية لحركة هواة صهيون ، بعد مؤتمر كاتوفيتش ، في العمل على تنفيذ قراراته ، فسارعت في ارسال معونة مالية عاجلة الى المستوطنات الثلاث ، التي بقيت تحت رعايتها ، بيتح تكفا ويسود هامعله وغديره ، وسعت في الوقت نفسه الى تأمين معونة دائمة لها ، من الرسوم التي فرضت على اعضاء الجمعيات ، التي انضمت الى الحركة (٨) ٠

وعملت اللجنة ايضا على توحيد صفوف هواة صهيون ، فارتفع عدد الجمعيات ، التي انضمت الى الحركة ، خلال الاشهر الاولى من سنة ١٨٨٥ ، الى ٥٥ جمعية ، منها ٥١ جمعية داخل روسيا ، قدر عدد اعضائها بنحو ٥٠٠ر٨ عضوا ، و ٤ جمعيات في الخارج (٩) ٠ ومع نهاية السنة ، وبعد مرور عام على انعقاد مؤتمر كاتوفيتش ، ازداد عدد اعضاء هذه الجمعيات ووصل الى ما يقارب ٠٠٠ر١٤ عضو (١٠) ٠ كما قامت اللجنة بايفاد مبعوث عنها الى فلسطين ، لدراسة اوضاع المستوطنات واقامة فرع للحركة فيها ، ولكن نظرا للخلافات التي كانت سائدة بين المستوطنين ، لم يتمكن ذلك المبعوث من تحقيق مهمته ، واكتفى بتعيين وكيل للجنة في البلد (١١) ٠ وعدا عن ذلك ، لم تستطع اللجنة المركزية لهواة صهيون تحقيق اية انجازات تذكر ، في فلسطين ، او على صعيد الحركة في روسيا ، خصوصا بعد ان دب الشقاق في صفوفها ٠ وكان السبب الرئيسي في ذلك ، المعارضة التي انتهجتها الفئات المتدينة في الحركة ، بمبادرة من الحاخام موهيليفر ، تجاه زعامة اليهود المسكيليم «المتحررين»،

غير المتدينين ، للحركة ، وفي طليعتهم رئيسها بينسكر (١٢) ، المسكيل الذي لم يكن « يهوديا صالحا » محافظا على كل تقاليد دينه ، والذي لم يغفر له المتدينون دعوته في كتابه ، «التحرير الذاتي» (انظر ص ٩٣-٩٤ اعلاه) الى اقامة دولة يهودية في اي مكان يمكن ان يتم فيه ذلك ، كالارجنتين مثلا، وليس في « ارض - اسرائيل فقط » ٠ والواضح ان هدف المتدينين ، من معارضتهم تلك ، كان السعي الى السيطرة على حركة هواة صهيون ونشاطها (١٣) ٠ ولكن تلك الخلافات كانت ، من ناحية ثانية ، بمثابة اشارة اولية واضحة الى بداية تبلور تيارين داخل الحركة ، احدهما علماني والاخر متدين ، ولكل منهما اسلوبه ورأيه في الصهيونية وعقيدتها واهدافها وطرق تنفيذها ٠

كادت الخلافات التي نشبت بين المتدينيين والعلمانيين ، من اتباع هواة صهيون ، تؤدي الى شل نشاط الحركة وتهدد باضمحلالها ٠ ولهذا تعالت الاصوات الداعية الى عقد مؤتمر ثان للحركة ، لبحث اوضاعها ٠ فعقد هذا المؤتمر في دروسكينيك ، في حزيران (يونيو) ١٨٨٧ ، بحضور مندوبين عن ٣٠ جمعية من جمعيات الهواة في روسيا فقط ٠ وقد فشلت محاولة المتدينين في حمل المؤتمر على عزل بينسكر من رئاسة الحركة ، ولكنهم نجحوا مقابل ذلك ، في انتخاب ثلاثة حاخامين ، بينهم موهيليفر ، اعضاء في اللجنة المركزية ٠ اما القرارات التي اصدرها المؤتمر ، فلم تختلف كثيرا عن قرارات المؤتمر الاول في كاتوفيتش ، اذ عاد وقرر عدم اقامة مستوطنات جديدة في فلسطين ، ما لم تنته عملية تأسيس المستوطنات القائمة هناك ، وتأمين معيشة سكانها ، واوصى باقامة مكتب في البلد ، لشراء الاراضي وارشاد المهاجرين والمستوطنين (١٤) ٠ ولكن المؤتمر تميز ، من ناحية ثانية ، باشتراك عدد من الزعماء الصهيونيين الشباب فيه ، كان من بينهم مناحم اوسيشكين ، الذي قدر له ان يلعب ، في المستقبل ، دورا مهما في تنظيم المستوطنين اليهود في فلسطين ، ومئير ديزنكوف ، الذي عين فيما بعد اول رئيس لبلدية تل ابيب ٠ ولكن على الرغم من انعقاد هذا المؤتمر ، وتكتل جمعيات هواة صهيون حول القيادة التي انتخبها، لم تتحسن اوضاع الحركة كثيرا ، خاصة من الناحية المالية ، اذ بينما ارسل هواة صهيون الى المستوطنين في فلسطين ، خلال فترة السنتين والنصف ، التي تلت مؤتمر كاتوفيتش (١٨٨٤) ، ما يقارب من ١٨٠ الف فرنك لمساعدتهم ، انخفض هذا المبلغ ، خلال السنوات الثلاث التالية ، الى ١٠٠ الف فرنك فقط (١٥)٠ وقد اضطرت الحركة ، نتيجة لاوضاعها هذه ، الى التعهد بتقديم المساعدة

المالية الى مستوطنة غديره ، بعد ان رفض روتشيلد تقديم المعونة لها ، لان اكثرية سكانها كانوا من البيلوييم ، وبعض العائلات في بيتح تكفا (١٦) فقط ، وذلك من بين ثماني مستوطنات يهودية ، كانت قائمة في فلسطين ٠ كذلك تضعضعت اوضاع الحركة ، بعد ان استقال بينسكر ، مؤقتا ، من رئاستها ، فعقد على اثر ذلك مؤتمر ثالث في فيلنا ، في آب (اغسطس) ١٨٨٩ ، اسفر عن انتخاب قيادة جديدة ، كان الحاخام موهيليفر من بين ابرز رجالاتها (١٧) ٠ وكان الانجاز الوحيد الذي استطاع هواة صهيون تحقيقه ، خلال هذه الفترة ، حصولهم ، في اواخر شباط (فبراير) ١٨٩٠ ، على اعتراف شرعي بهم من الحكومة الروسية ، تمكنوا على اثره من مزاولة نشاطهم بصورة علنية ، مما اسفر عن بداية حقبة جديدة في تاريخ الحركة ، سنعود لبحثها فيما بعد ٠

ومن ناحية ثانية ، ادى ضعف حركة هواة صهيون وقلة مواردها المالية، وبالتالي عجزها عن دعم المستوطنات التي اقامتها في فلسطين ، الى ازدياد تأثير روتشيلد على النشاط الاستيطاني الصهيوني في البلد ، بشكل ملحوظ٠ ولم يمر وقت طويل ، على بسط البارون حمايته على تلك المستوطنات ، حتى اصبح ، مع منتصف الثمانينات ، القوة الرئيسية الواقفة وراء استمرار نموها وتقدمها من جهة ، والمسيطر عليها من جهة اخرى ٠ ولقد قدم روتشيلد خدمات جمة لتلك المستوطنات ، في بداية عهدها ، فسدد ديون مستوطنيها ، واستملك مساحات لا بأس بها من الاراضي ووضعها تحت تصرفهم ، وزودهم بالادوات والبهائم اللازمة لفلاحة اراضيهم ، بالاضافة الى تعهده بتقديم معونة شهرية لهم ، الى ان تستتب اوضاعهم الاقتصادية (١٨) ٠ غير ان اسلوب ادارة المستوطنات هذا ، الذي عرف فيما بعد باسم اسلوب « الوصاية » (« ابوطروبسوت ») ، كان بحد ذاته السبب ، على المدى الطويل ، في تدهور اوضاع تلك المستوطنات واوضاع المستوطنين فيها ، خصوصا من الناحية الاجتماعية ، حتى كادت تجربة الاستيطان الاولى هذه تمنى بالفشل ، لو لم يظهر ، في نهاية الامر ، من تدارك تلك الاخطاء ، وحاول الحد من اضرارها ٠

كان السبب الرئيسي وراء فشل تجربة روتشيلد الاستيطانية ، واضطراره في نهاية المطاف الى التخلي عنها ، نظرة الرجل الى المستوطنات والمستوطنين الذين يوافقون على الانضمام تحت لوائه وتلقي المساعدات منه ، كأنهم ملك له ، مما دفعه الى فرض رقابة صارمة على تلك المستوطنات من جهة ، والتدخل في اسلوب عمل مستوطنيها وطرق معيشتهم

ومعظم شؤونهم ، صغيرة كانت ام كبيرة ، من جهة اخرى · وشبه احدهم اسلوب الوصاية الذي اتبعه روتشيلد ، لادارة تلك المستوطنات ، باسلوب « تلك الام ، التي تربي اولادها ، من خلال شعورها بشفقة كبيرة عليهم ، فتعيق نمو قواهم الطبيعية ، وتجعلهم ··· ذوي عاهات ، لا يستطيعون معها خوض حرب وجودهم » (١٩) · ولم يكن روتشيلد يوافق على بسط حمايته ، على مستوطنة ما ، الا بعد ان يتعهد مستوطنوها بتحويل ملكية كل اراضيهم وبيوتهم وادواتهم الزراعية ومؤسساتهم العامة له ، ويحصلون في مقابل ذلك على معونة مالية شهرية ، بحسب عـــدد افراد عائلاتهم ، بالاضافة الى تقديم الاموال اللازمة ، لضمان سير العمل في المستوطنات ، مثل مصاريف فلاحة الارض ورواتب الموظفين وصيانة المؤسسات واقامة المساكن وتقديم الادوات اللازمة للعمل · واعتبرت هذه المصاريف بمثابة قروض يتوجب على المستوطنين تسديدها ، عندما تصل مستوطناتهم الى وضع تستطيع معه اعالة مستوطنيها (٢٠) · ولتنفيذ خططه هذه ، قـام روتشيلد بتعيين عدد من الموظفين والمرشدين الزراعيين ، كان يختارهم عادة من بين اليهود الفرنسيين المقربين منه ، او من بين معلمي المدرسة الزراعية في مكفيه يسرائيل ، لادارة تلك المستوطنات وارشاد مزارعيها والعمل على تقدمها ، حتى تتمتع باستقلالها الاقتصادي ، بينما كان يتابع، شخصيا ، كافة شؤونها ، بكل تفاصيلها الدقيقة (٢١) ·

وعلى الرغم من اهتمام روتشيلد بشؤون تلك المستوطنات ، سرعان ما سيطر عليها موظفوه ومرشدوه الزراعيين ، وراحوا يديرون شؤونها على هواهم ، ويتحكمون بعمل مستوطنيها وتصرفاتهم ، ويتمتعون بامتيازات الطبقة الحاكمة المتسلطة ، التي لم يجرؤ المستوطنون على التصدي لها (٢٢)، نظرا لسيطرتها على اوضاعهم الاقتصادية · وكان اول عمل قام به اولئك المرشدون ، ارغام المستوطنين على التحول الى زراعة كروم العنب لانتاج النبيذ ، بغية تصديره الى فرنسا ، بعد ان قام روتشيلد ببناء خمارتين في ريشون لتسيون وزخرون يعقوب · ولكن ذلك اسفر عن خسائر مالية كبيرة ، تحملها بالطبع روتشيلد ، لان التحول الى زراعة كروم العنب تم بناء على تجربة زراعة مثل هذا الصنف في فرنسا ، دون ان تؤخذ بالاعتبار الصعوبات التي قد تواجه زراعته في فلسطين (٢٣) · وقد ادى هذا ، من ناحية ثانية ، الى ازدياد تعلق المستوطنين بجهاز موظفي روتشيلد ، لانهم الجهة الوحيدة التي كانت تشتري محاصيل العنب (٢٤) · وازداد ، مع الزمن ، عدد اولئك الموظفين ، وكثرت في الوقت نفسه مصاريفهم ، فزادت

اضعاف المرات عن تلك التي كانت مخصصة للمستوطنين انفسهم ٠ ففي مستوطنة ريشون لتسيون ، مثلا ، وفيما كانت ١٧ عائلة ، من عائلاتها الستة والاربعين تحصل على معونة من روتشيلد ، بلغت ١٨ الف فرنك في السنة ، كان عدد عائلات الموظفين الدائمين ، المشرفين على المستوطنة ، يصل الى ٤٠ ، وتبلغ رواتبهم ١٠٠ الف ومصاريفهم ١٣٠ الف فرنك في السنة ٠ ووصلت رواتب زملائهم في بيتح تكفا الى ١٤٠ الف فرنك في السنة، مقابل معونة سنوية لا تزيد على ١٠ الاف فرنك ، كانت تصرف للعائلات الثمانية والعشرين ، التي كانت تسكن المستوطنة حينذاك (٢٥) ٠

لم يكن من المستغرب ، في مثل هذه الاوضاع ، ان تنشب الخلافات بين المستوطنين والموظفين المشرفين على ادارة مستوطناتهم ، وتسفر عن صدامات بينهم ٠ ففي سنة ١٨٨٤ ، تمرد بعض سكان ريشون لتسيون ضد مدير مستوطنتهم ، واسفر تمردهم عن استبدال المدير مؤقتا ٠ وقد تجدد هذا التمرد ، على نطاق اوسع بعد سنتين ، بقيادة اعضاء من منظمة صغيرة اطلقت على نفسها اسم « رابطة العمال » (« اغودات بوعاليم ») ، كانت قد تأسست في المستوطنة سنة ١٨٨٥ ، وهي اول تنظيم عمالي يعرف في تاريخ الاستيطان الصهيوني في فلسطين ٠ واثار هذا التمرد روتشيلد ، الذي حضر الى فلسطين لزيارة مستوطناته والاطلاع على اوضاعها ،حيث قرر معاملة المتمردين بيد حديدية وامر بطردهم من المستوطنة (٢٦) ٠ ولكن هذا الاجراء لم يمنع حدوث تمرد آخر في زخرون يعقوب ، انتهى بطرد بعض المستوطنين المتمردين منها وحجب المساعدة المالية عن الاخرين (٢٧)٠ وفي الوقت نفسه ، حدثت سلسلة من اعمال التمرد والعصيان في عكرون ، استمرت نحو اربع سنوات ، وكادت تؤدي الى تدمير المستوطنة (٢٨) ٠

رغم اعمال التمرد والعصيان ، التي قام بها المستوطنون « ناكرو الجميل» ضد جهاز روتشيلد الاداري وموظفيه ، لم يتوقف البارون عن مساعدة تلك المستوطنات بل ، على العكس ، عمل على توسيع نشاطه في فلسطين ،والقى على عاتقه التزامات مالية اخرى ، لتمويل بعض المشاريع التي قد تعود بالنفع على المستوطنين ٠ كذلك قام بشراء مساحات اخرى من الاراضي ، لتوسيع المستوطنات القائمة وانشاء مستوطنات جديدة ٠ ففي سنة ١٨٨٦ اشترى روتشيلد قطعة من الارض مساحتها نحو ٦ر٥٠٠ دونم ، تابعة لقرية قسطينه العربية في منطقة غزة ، الى الجنوب من مستوطنة غديره ، وارسى عليها الاسس لمستوطنة جديدة اطلق عليها اسم بيئر طوفيا (٢٩) ٠ وبعد

ذلك بثلاث سنوات ، وافق على تحويل ضاحيتين تابعتين لمستوطنة زخرون يعقوب ، هما بات شلومو ومئير شافيـــه ، الى مستوطنتين مستقلتين ، وفرض وصايته عليهما (٣٠) ٠ وفي سنة ١٨٩٠ ، وافق ايضا على طلـــب قدم له ببسط حمايته على مستوطنة يسود هامعله ، وحرر حركة هـــواة صهيون من عبء دعم المستوطنة اقتصاديا ، بحيث بقيت الحركة مسؤولة عن مستوطنة واحدة (غديره) وبعض العائلات في بيتح تكفا (٣١) فقـط ، وذلك من بين ١١ مستوطنة يهودية ، كانت قائمة في فلسطين حينذاك ٠

لم يقم روتشيلد ، رغم توسيع نشاطه في فلسطين ، ورغم التمرد الذي نشب في بعض مستوطناته ، بتغيير طرق ادارة تلك المستوطنات او حتـى ادخال تعديلات عليها ، واكتفى بتغيير بعض موظفيه فقط ، من بين اولئـك الذين كانوا سببا في وقوع حوادث التمرد ٠ وادى هذا الوضع الى زيـادة المصاريف والمساعدات المالية للمستوطنات والمستوطنين ، مما اسفر عـــن ازدياد نفوذ مديري المستوطنات وموظفيهم ، ثم تحكمهم بالمستوطنين، الذين اعتادوا ، من جهتهم ، على حياة الخنوع والكسل ٠ فالمستوطنون «المزارعون المدعومون ماليا [من قبل روتشيلد] لم يكونوا يقومون باعمالهـــم فـي الكروم ، التي كان يفلحها عمال مستأجرون [معظمهم من العرب] ٠ وكان كل عشرين عاملا يعملون تحت امرة مراقب ، والمراقبون العاديون خاضعون لمراقبين رئيسيين ، « راكبي الخيول » ، والجميـــع خاضعون لبستانيين ، وعلى رأسهم جميعا ــ بستاني رئيسي ٠٠٠ في كل مستوطنـــة ٠ ورئيس البستانيين موجود في باريس ، يرسل اوامره من هناك » (٣٢) ٠ ونجم عن هذا الواقع ، تدهور معنويات المستوطنين وسيطرة اليأس عليهم ، ثـــم تحولهم الى مرتزقة ــ مما دفع يحيئيل بينس الى وصفهم بقوله : « لقد تعب المستوطنون كلهم وازداد يأسهم ، حتى ان اراضيهم تعتبر الان ملكا لهـم رغما عنهم ٠ انهم يعملون لتنفيذ المهمات الملقاة على عاتقهم فقط ، للحصول على مخصصاتهم ٠٠٠ همهم الان كيفية استغلال البارون ، وافكارهم تتجه لجمع الاموال نقدا ، للهجرة الى اميركا » (٣٣) ٠ والواضح ، في ضـوء هذه الوقائع ، ان تجربة الاستيطان الصهيوني الاولى في فلسطين ، فـــي مراحلها الاولية ، قد منيت بالفشل ، خصوصا اذا كان الهدف منها ، كمـا اعلن بعض زعماء هواة صهيون ، خلق مجتمع يهودي جديد في فلسطين ، يعيش حياة عمل وانتاج ، ويختلف عن المجتمع اليهودي في المهجر او حتى عن مجتمع اليهود من ابناء الييشوف القديم ، الذين كانوا يعيشون فـــي فلسطين قبل بدء الاستيطان الصهيوني فيها ٠ فبعد مرور بضع سنـــوات

فقط على اقامة المستوطنات الصهيونية الاولى في فلسطين ، كان مستوطنوها يعتاشون من صدقات نظام روتشيلد ، تماما كما كان ابناء البيشوف القديم يعتاشون من صدقات نظام الحلوكاه ، وتتحكم فيهم الظواهر السلبية نفسها ، التي كانت من مميزات البيشوف القديم ·

[٥]

لم تخف اوضاع المستوطنات اليهودية المتدهورة ، خصوصا من الناحية الاجتماعية ، والمشاكل المختلفة التي سيطرت عليها عن انظار بعض زعماء، او مفكري ، حركة هواة صهيون ، الذين حاولوا العمل على تصحيحها ، او حتى حمل الحركة على اعادة النظر في نشاطها جذريا · وكان من اوائل من نشط في هذا المجال آشر تسفي غينزبرغ (١٨٥٦ ـ ١٩٢٧) ، المعروف باسم احاد هعام (اي «احد العوام » او « شخص عادي » ، وهو الاسم الذي كان يوقع به مقالاته) ، احد ابرز الفلاسفة الصهيونيين ـ اليهود واكثرهم مصداقية، والذي يعتبره البعض أبا لما يسمى«الصهيونيةالثقافية»· وآحاد هعام ، مثل معظم زعماء ومفكري هواة صهيون ، كان قد تلقى في صغره ثقافة تلمودية تقليدية ، ثم التحق في كبره بركب الهسكلاه ، وضلع في دراسة اللغات الاوروبية وآدابها · وفي سنة ١٨٨٦ ، انتقل الى مدينة اوديسا ، على البحر الاسود ، حيث عمل في التجارة وانضم هناك الى هواة صهيون ، ثم تعرف الى محرر مجلة هاميليتس ، الذي طلب منه الكتابة في مجلته · وفي اوائل سنة ١٨٨٩ ، نشرت المجلة اولى مقالاته ، بعنوان «ليست هذه هي الطريق » (١) ، وفيه انتقد آحاد هعام زعماء هواة صهيون ، الذين ينحصر همهم في رؤية «تلك المستوطنات القليلة والهزيلة » في فلسطين مزدهرة ، ولما لم يحدث ذلك ، انحوا باللائمة على نظام الحلوكاه وحاخاميه او على روتشيلد وموظفيه · ويتهم آحاد هعام زعماء حركة هواة صهيون بانهم « بسبب رغبتهم فى القيام باعمال كبيرة ، قبل اوانها ، تخلوا عن طريق التطور الطبيعي الطويلة وانزلوا الى عالم الواقع ، بطرق اصطناعية، فكرة حديثة لينة ، قبل ان تنضج بما فيه الكفاية ، وقبل ان تنمو قواها كما ينبغي ، وبسبب تسرعهم هذا فسد ذوقهم وفشل عملهم » · ولهذا فالمطلوب، بحسب رأيه ، هو « تقوية الايمان وبعث الارادة بقوة حب الهدف والرغبة فيه » ، وكان على هواة صهيون ان « يكرسوا بداية نشاطهم لاستمالة القلوب » ، رغم ان هذا العمل « صعب حقا ، وليس لسنة او عشر سنوات

٠٠٠ [ولو اتبعناه] لما استطعنا حتى الان القيام باعمال في ارض ـ اسرائيل » ، لان « قلب الشعب هو الاساس الذي تبنى عليه البلد ،والشعب ممزق ومشوش » ٠ ويضيف احاد هعام ، منتقدا سياسة هواة صهيون ، واهتمامهم الزائد « بالامور الصغيرة » ، ان هناك « هدفا واحدا تضعه توراة موسى امامنا دائما : الاهتمام بنجاح الامة بأسرها في بلاد اجدادها، دون الاهتمام بسعادة الفرد » ٠ ثم « ان بناء قوميا يرتكز على المنفعة الذاتية وحب الفرد لنفسه ، لا بد ان ينهار عندما يعرف الشعب كله ان الحساب كان خطأ ، بحيث تدفع المصلحة كل شخص الى الحذر والابتعاد ٠٠٠ » (٢) ٠ وعلى اثر انتقادات وجهت الى آحاد هعام ، بسبب مقاله هذا ، عاد وكتب مقالا آخر ، يحمل العنوان نفسه ، اكد فيه اراءه السابقة ، معلنا انه « ليست كمية اعمالنا [في فلسطين] ، وانما نوعيتها ، هي الاساس الان » (٣) ٠

اثارت مقالات آحاد هعام هذه ، بسبب معارضتها لاسس نظريات هواة صهيون ، ردود فعل واسعة ، كان من بينها نقاش حاد وطويل دار بين آحاد هعام وشمعون دوفنوف (١٨٦٠ ـ ١٩٤١) ، احد كبار مؤرخي اليهود ، من جهة وموشي ليلينبلوم من جهة اخرى (٤) ٠ وقد استمر هذا النقاش نحو ٢٠ سنة ، حتى وفاة ليلينبلوم ، وبلور خلاله كل من الثلاثة اراءه في الصهيونية والمسألة اليهودية٠ وبينما كان ليلينبلوم يؤكد خلال هذا النقاش، مرة بعد اخرى ، ان مفهومه للصهيونية يرتكز على عامل اللاسامية السلبي، اي وجود عدو خارجي مشترك يستطيع إن يوحد اليهود (٥) ، كان دوفنوف يبلور نظريته حول القومية اليهودية العلمانية في المهجر ٠ وخلاصة نظرية دوفنوف هي ان اليهود، بعد ان فقدوا دولتهم وتشتتوا، استطاعوا انيكيفوا انفسهم ، اجتماعيا وعقائديا ، للعيش في المهاجر ٠ ومن حين لاخر كانت الطائفة اليهودية ، في هذا البلد او ذاك ، تحتل مركز الصدارة بين اليهود في العالم، وتصبح بمثابة « مركز » لهم جميعا ـ وكانت آخر هذه التطورات تحول اكثرية اليهود في العالم الى شعب اوروبي ، لذلك فهم يستطيعون العيش في الدول القومية في اوروبا ، شرط عدم الانصهار بين تلك الشعوب، والمحافظة على هويتهم القومية ، ومنحهم حقوق اقلية قومية في تلك الدول٠ (واصبحت هذه النظرية ، فيما بعد ، من اسس عقيدة المنظمة العمالية اليهودية ، «البوند » ، التي أنشأت في روسيا سنة ١٨٩٧) ٠ والصهيونية بحسب مفهوم دوفنوف ، ليست الا « حركة مسيائية حديثة » ٠ اما آحاد هعام ، رغم اعتقاده ان اللاسامية ليست ظاهرة عابرة ولا يمكن ان يقضي

عليها تقدم البشرية ، فقد رفض اعتبارها عنصرا محركا في بعث القومية اليهودية ، وذلك من خلال ايمانه بنظرية « رسالة اليهود » بين الشعوب ، التي طرحتها الهسكلاه ، وتأكيده على ضرورة « اصلاح اليهود » في المهجر، كشرط مسبق لانقاذهم (٦) • ولا يترك آحاد هعام شكا في ان ما يعنيه هو حل مشاكل اليهودية ، دينا ورسالة وثقافة وليس حل مشكلة اليهود كأفراد، فيعلن ، انطلاقا من موقفه هذا ، ان هدف الصهيونية ينبغي ان يكون اقامة « مركز قومي روحي » في فلسطين ، يعمل على ضمان استمرار اليهودية وتطورها • « ان الاستيطان المادي [في فلسطين] لم يقم اصلا — ولا فرق في هذا ان شعر بناة الاستيطان انفسهم بذلك او لم يشعروا — الا ليصبح اساسا للمركز القومي الروحي ، الذي ينبغي ان يخلق في ارض آبائنا ، بسبب حاجة داخلية حية في روح الشعب ، تطالب بتحقيقها بقوة ، بينما لن تختفي ضائقة شعبنا المادية من العالم حتى بعد تأسيس الملجأ الامين ••• فلا عشرون ، ولا حتى مائة مستوطنة زراعية ، حتى ولو كانت اوضاعها على احسن ما يرام ، ستحقق تلقائيا خلاصنا الروحي ، بمفهوم تجميع القوى المبعثرة وتركيزها في اعمال الثقافة القومية ••• ان تأسيس معهد واحد كبير في ارض — اسرائيل للعلوم او للفنون ، او تأسيس اكاديمية هناك للغة او للادب — ان هذا، بحسب رأيي،مشروع قومي كبير ومجيد، يقربنا من اهدافنا اكثر من مائة مستوطنة زراعية ••• ان مؤسسة علمية كبيرة في ارض — اسرائيل ، يتجمع فيها العديد من الحكماء وذوي الكفاءات من ابناء شعبنا ، ليقوموا بعملهم وفقا لتعاليم اسرائيل ، دون ضغط او تأثير زائد من الخارج — مثل هذه المؤسسة مهيأة حتى الان لتجديد روح الشعب وبعث حياة حقيقية في تراثه القومي » (٧) •

ولم يكتف آحاد هعام بالقول فقط ، بل اتجه الى العمل ايضا (٨) • وكان اول ما قام به موافقته على ترؤس جمعية سرية ، كان بعض زملائه في حركة هواة صهيون ، الذين يأسوا ، مثله ، من النشاط الاستيطاني في فلسطين ، قد قرروا اقامتها ، بهدف العمل على تصحيح اوضاع الحركة • وفي آذار (مارس) ١٨٨٩ ، تأسست جمعية « بني موشي » (« ابناء موسى ») ، بهدف العمل على تصحيح ما افسده الاخرون . من خلال تقوية الروح القومية بين اليهود ، باعتبار القومية « فكرة اخلاقية تعني حب اليهود وكل الصفات الجيدة » (٩) • وفي احدى مقالاته . شرح آحاد هعام مفهومه للجمعية بقوله : « ان كل فكرة جديدة ، دينية كانت او اخلاقية او اجتماعية لن تبرز او تثبت دون مجموعة من « الكهنة » [الاقواس في الاصل] تكرس

حياتها لها وتعمل من اجلها بكل رغباتها وقواها ··· ان مجموعة «الكهنة» هذه ـ اطلقوا عليهم اسم « هواة صهيون » او اي اسم آخـر تختارونه ـ ضرورية ايضا من اجل هواة صهيون في ارض ـ اسرائيل وفي خارجها · ومن يستطيع منهم الهجرة الى البلد ، فليهاجروا ويعيشوا هناك ويصبحوا مرشدين لباقي المهاجرين ، وملائكة رحمة ··· اما اولئك الذين لا تسمـح لهم اوضاعهم بالهجرة الى ارض ـ اسرائيل ، فامامهم مجال عمل واسع في الخارج ايضا : كسب مؤيدين للفكرة (وليس فقط اعضاء في الجمعية) وتطهير القلوب والاعمال ··· ، والاهم من هذا كله : تربية وتثقيف الجيل الصاعد بروح صحيحة ، بحيث يكون مؤهلا اكثر منـا للقيام بالاعمـال الكبيرة » (١٠) ·

عقدت جمعية بني موشي اول مؤتمر عام لها ، سرا ، في مدينة وارسو ، بعد نحو سنة من تأسيسها ، حيث اتضح ان الاعضاء الذين انضموا اليها، حتى ذلك الوقت ، رغم التشدد في اختيارهم ، يحملون اراء مختلفة ، ولكنهم اتفقوا فيما بينهم على وجوب ان ينشطوا اولا « في سبيل رغبة الشعب في حياة قومية » (١١) · وبعد ثلاث سنوات من تأسيسها ، وعندما وصـل عدد اعضائها الى نحو ١٧٠ عضوا ، قررت الجمعية نقل مقرها الرئيسي الى فلسطين ، واقامة ثلاثة مكاتب اقليمية ، في وارسو وفيلنا واوديسا · ولكن بني موشي ، رغم الآمال العريضة التي علقها عليهـا مؤسسوها ، ورغم انضمام عدد كبير من العناصر المثقفة في حركة هواة صهيون اليها، لم تقم بنشاط يذكر لتحقيق اهدافها ، عدا سعيها الى تجديد الادب والثقافة العبريين · وكانت الجمعية قد بادرت ، سنة ١٨٩٣ ، الى تأسيس دار النشر « أحيآساف » ، في وارسو ، التي نشرت اعمالا ادبية عبرية عدة ، واصدرت مجلة عبرية بأسم « هاشيلواح » ، خلال السنوات ١٨٩٦ ـ ١٩١٤ ، ساهم في الكتابة فيها كبار الكتاب والشعراء اليهود ، في ذلك الوقت · وانتقلـت احيآساف ، في مرحلة لاحقة ، الى فلسطين ·

وفي منتصف سنة ١٨٩٧ ، اي بعد مرور نحو ٨ سنوات على قيامهـا ، وعندما تكثفت الاستعدادات لعقد المؤتمر الصهيوني الاول، كانت بني موشي تلفظ انفاسها الاخيرة (١٢) ـ ولكن افكار آحاد هعام بقيت قائمة ، واثرت فيما بعد على اكثر من حزب ، او زعيم ، صهيوني او يهودي ·

[٦]

عملت حركة هواة صهيون ، خلال السنوات العشر الاولى لقيامها (١٨٨١ ـ ١٨٩٠) ، بصورة غير شرعية في روسيا · وكانت السلطات القيصرية ، بالطبع ، على علم بوجود الحركة ، ولكنها غضت الطرف عن نشاطها ، اجمالا ، ما دام ذلك النشاط موجها الى تهجير اليهود من روسيا وتوطينهم في فلسطين · كذلك « كانت الحكومة تعلم جيدا ان هواة صهيون ليسوا بين المتآمرين ضد النظام · ثم ان الوساطات والرشوة فعلت فعلها ، فتوقفت السلطات عن العمل ضد الحركة » (١) · ولكن هواة صهيون ، على اي حال ، لم يتوقفوا عن محاولاتهم الهادفة الى اضفاء طابع الشرعية على حركتهم ، الى ان تكللت هذه المحاولات بالنجاح ، في اواخر اذار (مارس) ١٨٩٠ ، عندما وافقت وزارة الداخلية الروسية على طلب قدم لها للاعتراف بالحركة ، والسماح لها بالعمل بشكل علني ، فعرفت رسميا باسم « جمعية دعم ابناء اسرائيل المزارعين والحرفيين في سوريا وفلسطين » ، وشعبيا باسم « اللجنة الاوديسية » ، نسبة الى مدينة اوديسا ، حيث اقام هواة صهيون مقرهم الرئيسي · وكان بارون يهودي روسي ، احد تجار الشاي المعروفين ، قد ساعد هواة صهيون للحصول على الاعتراف بهم · وبعد وقت قصير من الاعتراف بالحركة ، عقد مؤتمرها العام الاول ، بحضور مندوبين عن ٢٦ جمعية من جمعيات الهواة ، فأنتخبت فيه لجنة تنفيذية جديدة ، واعيد انتخاب الدكتور بينسكر رئيسا للحركة (٢) · وقد امتنع الحاخامون عن حضور هذا المؤتمر ، بسبب غضبهم من المستوطنين في فلسطين الذين لم يلتزموا جميعا بتعاليم الشريعة اليهودية ، ويمتنعوا عن فلاحة اراضيهم خلال الموسم الزراعي لسنة ٥٦٤٩ عبرية (١٨٨٩ ـ ١٨٩٠) ، التي كانت سنة تبوير (٣) ـ وسنة التبوير تحل مرة كل سبع سنوات ، وينبغي على اليهودي ، الملتزم بتعاليم الدين ، الامتناع خلالها عن فلاحة اراضيه او استغلال ثمارها ، الا بناء على فتوى يصدرها حاخامون معتمدون ، وفي ظروف قاهرة ·

كانت الخطوة الاولى ، التي اتخذتها اللجنة التنفيذية الجديدة لهواة صهيون ، بعد الاعتراف بالحركة ، القيام بنشاط تنظيمي واسع في كافة انحاء روسيا ، اسفر عن جمع مبالغ لا بأس بها من الرسوم والتبرعات لدعم المستوطنين في فلسطين · كذلك قررت اللجنة اقامة لجنة تنفيذية

موازية لها في مدينة يافا بفلسطين ، للاشراف على شؤون المستوطنين هناك، وارسلت احد اعضائها ، زئيف طيومكين ، للقيام بهذا العمل ، الذي وصل الى يافا في اواخر سنة ١٨٩٠ ، وعمل على تشجيع المستوطنين ، وحل ما استطاع حله من مشاكلهم (٤) · ونشط طيومكين ، بشكل خاص ، في مجال تنسيق عمليات شراء الاراضي، للقضاء على المنافسة بين المشترين اليهود، وبالتالي منع ارتفاع الاسعار ، واستطاع حصر هذا النشاط باللجنة التنفيذية لهواة صهيون وحدها ، الا ان روتشيلد عارض هذا الاتجاه ، واصر على ان يترك له هذا المجال لوحده ، فكان له ما اراد (٥) ·

وفي السنة نفسها ، ١٨٩٠ ، اقيمت ايضا ثلاث مستوطنات يهودية جديدة في فلسطين ، كانت اولاها مستوطنة رحوفوت ، الى الجنوب من يافا ، التي انشأتها شركة انبثقت عن اعضاء جمعية بني موشي · وكانت قد اسست في الذكرى السنوية الاولى للجمعية ، بهدف اقامة مستوطنة نموذجية في فلسطين ، بعيدة عن وصاية روتشيلد ، رغم ان المستوطنين اضطروا في نهاية الامر الى طلب مساعدة مالية محدودة منه (٦) · اما هواة صهيون فقد اسسوا مستوطنة الخضيرة (حديراه) ، الواقعة على السهل الساحلي في منتصف الطريق بين يافا وحيفا ، ووافقوا على دعم مستوطنة مشمار هايردن ، التي اقامها بعض المستوطنين من ابناء روش بينا ، بالقرب من جسر بنات يعقوب على نهر الاردن ، جنوب بحيرة الحولة (٧) ·

ولكن رغم هذا النشاط الاستيطاني المتجدد ، ورغم محاولات هواة صهيون اصلاح اوضاع المستوطنين في فلسطين ، لم تتحسن اوضاعهم ، عامة ، بشكل ملحوظ ، اذ اضطر طيومكين الى ترك البلد ، بعد وقت قصير من وصوله اليه ، بسبب رفض زعماء المستوطنين في فلسطين التعاون معه (٨) · كذلك قامت السلطات التركية ، في الوقت نفسه ، بتشديد اجراءات منع المهاجرين من دخول فلسطين ، خصوصا بعد ان قويت موجة الهجرة الى البلد خلال ١٨٩٠ ــ ١٨٩١ ، اثر ظهور معارضة في اميركا وبريطانيا لدخول المهاجرين اليهود اليهما باعداد كبيرة · وحاول قناصل الدول الاجنبية التدخل ، كالعادة ، لالغاء هذه الاجراءات الا ان السلطات اصرت ، هذه المرة ، على عدم الاستجابة لكل طلباتهم ، وابقت على بعض القيود بشكل دائم ، ولكنها ، في مقابل ذلك وكما يبدو للتدليل على حسن نيتها ، « اعترفت » بالمستوطنات التي كانت قائمة في فلسطين ، ومنحت

البارون روتشيلد اذنا بتسجيل الاراضي التي اشتراها باسمه ، وسمحت لليهود بشراء الاراضي في كل انحاء سوريا ، بما في ذلك الاراضي الواقعة بالقرب من مدينتي صفد وطبريا في فلسطين ، وببناء المساكن في اي مكان (٩) ٠ ولكن اثناء ذلك توفي ، سنة ١٨٩١ ، الدكتور بينسكر ، زعيم هواة صهيون ، بينما قام احاد هعام بزيارتين الى فلسطين سنتي ١٨٩١ و ١٨٩٣ ، كتب في نهاية كل منهما مقالا بعنوان « الحقيقة من ارض ـ اسرائيل » (١٠) ، عرض فيهما اوضاع المستوطنين هناك بالوان قاتمة ، ووجه انتقادات عنيفة الى كل من هواة صهيون وروتشيلد ، محملا اياهم مسؤولية تلك الاوضاع المتدهورة ٠

ادت الاسباب التي أشرنا لها ، مجتمعة ، الى بداية موجة من النزوح عن فلسطين ٠ ولكن رغم موجة النزوح هذه استطاع بعض المستوطنين ، بمساعدة اللجنة التنفيذية لهواة صهيون في يافا ، شراء ذلك الجزء من اراضي قرية قالونيا ، بالقرب من القدس ، الذي كان قد اشتراه ، سنة ١٨٦٠ ، احد سكان المدينة اليهود (انظر ص ٦٩ـ٧٠ اعلاه) واقاموا عليه سنة ١٨٩٤ ، مستوطنة موتسا (١١) ٠ وبعد ذلك بسنتين ، انشأ بعض المستوطنين المتدينين مستوطنة صغيرة الى الشمال من الخضيرة ، اطلقوا عليها اسم غان شموئيل ، تكريما لزعيمهم الحاخام شموئيل موهيليفر ، بمناسبة بلوغه سن السبعين (١٢) ٠ وفي السنة نفسها ، ١٨٩٦ ، استغل وكلاء روتشيلد التمرد الذي قام به سكان قرية المطلة الدروز ضد السلطات، واشتروا اراضي القرية الواقعة في شمال فلسطين على الحدود الفلسطينية اللبنانية حاليا ، ودفعوا « تعويضات » لسكانها واجبروهم ، بمساعدة السلطة، على الرحيل عن القرية، واسكنوا مستوطنين يهودا مكانهم (١٣)٠

ومع استيطان المطلة ، وصل عدد المستوطنات اليهودية في فلسطين سنة ١٨٩٧ ، عشية انعقاد المؤتمر الصهيوني الاول ، الى ١٧ مستوطنة ، تسع منها في منطقة الجليل شمال فلسطين ، وثمان في اواسط البلد ٠ وجاء في تقرير عن اوضاع تلك المستوطنات ، قدم الى المؤتمر (١٤) ، ان عدد سكان المستوطنات التسع في الجليل وصل حينذاك الى ١ر٥٦٢ شخصا وبلغت مساحة اراضيها ٩١ر١٠٠ دونم (زخرون يعقوب وبات شلومو ومئير شافيه : عدد سكانها ٦٥٠ شخصا ، ومساحة اراضيها ١٦ر٠٠٠ دونم ، الخضيرة : ١٧٠ ـ ٢٩ر٠٠٠ ، روش بينا : ٣٥٠ـ٦ر٠٠٠ ، يسود هامعله : ١٠٠ ـ ٢٢ر٥٠٠ ، مشمار هايردن : ٨٧ ـ ٢ر٦٠٠ ، غان شموئيل : ٢٥ ـ

٣٫٠٠٠ والمطلة : ١٨٠ ـ ١٢٫٠٠٠) ، بينما وصل عدد سكان المستوطنات الثماني الاخرى في اواسط فلسطين الى ٢٫٣٠٥ اشخاص ، وبلغت مساحة اراضيها ٤٨٫١٣٠ دونما (ريشون لتسيون : عدد سكانها ٤٠٠ شخص ومساحة اراضيها : ٦٫٦٠٠ دونم ، بيتح تكفا : ٦٧٠ ـ ١٣٫٨٥٠ ، نس تسيونه : ٦٧٠ ـ ٤٫٠٩٠ ، غديره : ١٠٠ ـ ٣٫٠٠٠ ، عكرون (مزكيرت باتيه) : ١٦٠ ـ ٤٫٠٩٠ ، رحفوت : ١٧٠ ـ ١٠٫٥٠٠ ، بئير طوفيا : ١٢٠ ـ ٥٫٦٠٠ وموتسا : ١٥ ـ ٤٠٠) ٠ والخلاصة : ١٧ مستوطنة زراعية * يسكنها ٣٫٨٦٧ نسمة ، وتملك ١٣٩٫٢٣٠ دونما ـ اي اقلية ضئيلة جدا في فلسطين ٠

لم تسفر اقامة المنظمة الصهيونية العالمية ، في المؤتمر الصهيوني الاول سنة ١٨٩٧ ، عن تأثير يذكر على اوضاع المستوطنين اليهود في فلسطين ، اذ ان المنظمة رفضت ، حتى نهاية عهد هرتسل ، القيام باي نشاط عملي استيطاني في فلسطين ، لاسباب سنعرضها فيما بعد (انظر الفصل التالي)٠ ولكن على الرغم من ذلك كانت رياح التغيير تهب على المستوطنين اليهود في فلسطين ، اذ اعلن في تلك الفترة ان البارون روتشيلد يفكر في انهاء نشاطه الاستيطاني في البلد ويدرس الوسائل التي ينبغي اتباعها لذلك ٠ وكانت اقامة المنظمة الصهيونية العالمية وحديثها العلني عن ضرورة اقامة دولة يهودية في فلسطين ، السببين الرئيسيين اللذين دفعا روتشيلد الى « الانسحاب » من البلد ، نظرا لموقفه المتحفظ من اقامة مثل هذه الدولة ، التي قد تؤثر على حقوق اليهود المكتسبة في دول عدة في العالم ٠ واثار اتجاه روتشيلد هذا مخاوف المستوطنين ولكن ، لحسن حظهم ، كان مجلس شركة الاستيطان اليهودية (يكا) ، التي كان قد اقامها البارون هيرش سنة ١٨٩١ ، بهدف العمل على توطين اليهود الروس في الارجنتين (انظر ص ٣٠ اعلاه) ، قد قرر في تشرين الاول (اكتوبر) ١٨٩٦ ، وذلك بعد وفاة البارون بنحو نصف سنة ، توسيع نشاط الشركة ليشمل الجزائر وتونس وآسيا الصغرى وفلسطين ايضا ، مما أنعش الآمال في قلوب المستوطنين الصهيونيين في فلسطين (١٥) ـ وكان البارون هيرش قد رفض ، يوم تأسيس الشركة ، طلبا تقدم به وفد من قبل اللجنة التنفيذية لهواة صهيون ، ذهب الى زيارته في باريس ، لحثه على العمل في مجال توطين اليهود في

---

* يشير احصاء المستوطنات الصهيونية هذا ، او اي احصاء اخر يرد في هذا الكتاب ، الى تلك المستوطنات التي لا تزال قائمة في فلسطين حتى يومنا هذا فقط ٠

فلسطين (١٦) · وعلى الاثر توصل البارون روتشيلد الى اتفاق مع يكا مدته خمس سنوات ، أقيمت بموجبه لجنة سداسية ، برئاسته وعضوية شخصين يختارهما وثلاثة آخرين تختارهم يكا ، لرعاية مستوطناته في فلسطين · ودفع روتشيلد لهذه الادارة السداسية مبلغ ١٥ مليون فرنك ، اي ما يساوي ٦٠٠ الف جنيه استرليني، لاستكمال بناء تلك المستوطنات(١٧)· وجدد هذا الاتفاق اربع مرات اخرى ، مع اضافة تعديلات عليه من حين الى آخر ، في سنوات ١٩٠٥ و ١٩٠٨ و ١٩١٢ و ١٩١٩ (١٨) · وكان وفد من اللجنة التنفيذية لهواة صهيون قد ذهب الى باريس لمقابلة روتشيلد ، اثر الاعلان عن هذا الاتفاق ، وحاول حمل البارون على تعديل قراره ، وتسليم ادارة المستوطنات الى سكانها وتقديم المعونة المالية لهم مباشرة ، ولكن الطلب رفض (١٩) · الا ان روتشيلد ، على الرغم من ذلك ، ثابر على عادته في التبرع بسخاء لهذا المشروع الصهيوني او ذاك في فلسطين ، من حين الى آخر ـ وهو تقليد ثابر عليه ورثته من بعده ·

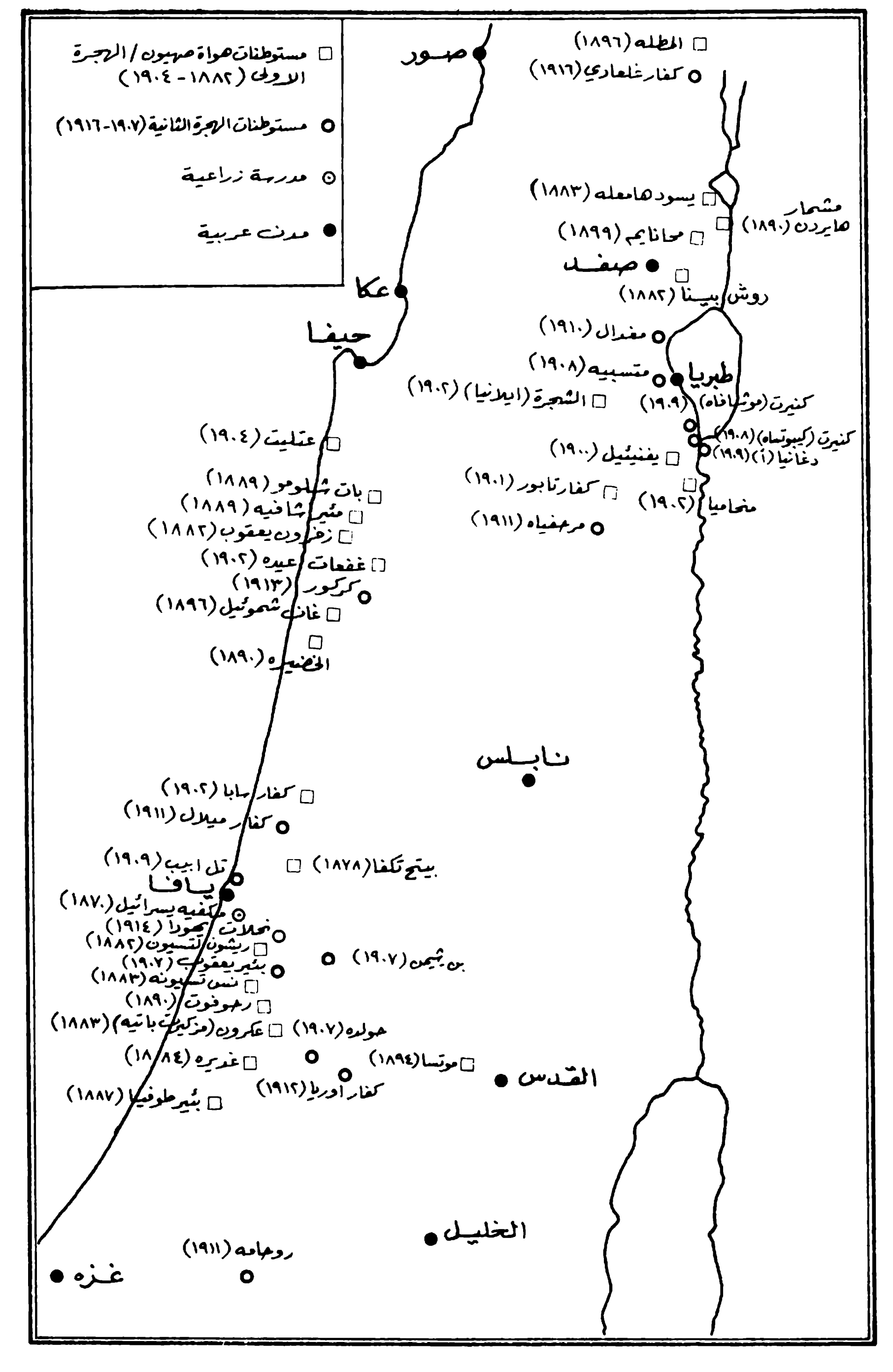
استلمت يكا ، تحت اشراف اللجنة السداسية ، ادارة مستوطنات روتشيلد في فلسطين ، في كانون الثاني (يناير) ١٩٠٠ · وكان اول عمل قامت به استبدال معظم موظفي البارون الاداريين في تلك المستوطنات ، بعد ان حملتهم مسؤولية سوء ادارتها وتدهور اوضاعها · وقد اتبعت يكا اسلوبا استيطانيا جديدا لادارة المستوطنات التي استلمتها ، ثم طبقته فيما بعد في المستوطنات التي اقامتها ، وذلك بالعمل على نقل ملكية اراضي المستوطنات وادارتها الزراعية وممتلكاتها ، تدريجيا ، الى المستوطنين انفسهم ، لقاء قروض مالية منحتها الشركة لهم ، بحيث يصبحون في نهاية الامر مزارعين مستقلين ويتولون ادارة شؤونهم بانفسهم · كذلك نشطت الشركة في اقامة المستوطنات الجديدة في فلسطين فاستطاعت ، منذ بداية نشاطها في البلد وحتى نهاية فترة الهجرة الاولى سنة ١٩٠٤ ، التي صادفت ايضا نهاية عهد هرتسل ، مع وفاته في السنة نفسها انشاء ، او المساهمة في انشاء ، ثماني مستوطنات جديدة هناك : محنايم (١٨٩٩) ، يفنيئيل (١٩٠٠) ، كفار تابور (١٩٠١) ، ايلانيا (الشجرة) ، حيث اقيمت مزرعة نموذجية لتدريب المزارعين اليهود ، ومنحاميا (١٩٠٢) ، غفعات عيده وكفار سابا (١٩٠٣) وعتليت (١٩٠٤) (انظر الخريطة ، ص ١٣٧) · وبهذا وصل عدد المستوطنات اليهودية في فلسطين سنة ١٩٠٥ ، عندما اتخذت المنظمة الصهيونية العالمية قرارها بالبدء بنشاط استيطاني عملي في فلسطين (وباشرت بتنفيذه فعليا سنة ١٩٠٨) الى ٢٥ مستوطنة (وصل

عدد سكانها الى ٦ر٥٠٠ نسمة (٢٠)) ، فشلت التجربة الاستيطانية في ٥ منها – بئير طوفيا ، مئير شافيه ، مشمار هايردن ، غان شموئيل ومحانايم – فهجرت ، ثم اعيد استيطانها في سنوات ١٩٣٠ و ١٩٢٣ و ١٩٤٩ و ١٩١٣ و ١٩٣٩ على التوالي ٠

غير ان نشاط يكا وروتشيلد الاستيطاني في فلسطين لم يتوقف عند هذا الحد ، اذ بعد اقرار الانتداب البريطاني على البلد ، اعاد الطرفان تنظيم علاقتهما ، فأسسا شركة جديدة لتتولى متابعة اعمالهما في فلسطين، اطلقا عليها أسم شركة الاستيطان اليهودي في فلسطين – بيكا (Palestine Jewish Colonisation Association - PJCA) . ولكن يكا عادت الى العمل مجددا في فلسطين ، بعد اضطرابات ١٩٢٩ ، فأسست سنة ١٩٣٣ ، بالاشتراك مع صندوق الطوارىء لفلسطين (Emergency Fund for Palestine) شركة أميكا (Emica) ٠ وعملت الشركتان ، بيكا واميكا ، خلال فترة الانتداب البريطاني على فلسطين ، في مجالات تشجيع الصناعة والزراعة والثقافة بين اليهود في البلد ، وذلك بالاضافة الى تأسيس بعض المستوطنات اليهودية الجديدة هناك ، من حين الى آخر ٠ وخلال الخمسينات حولت الشركتان معظم حقوقهما الى دولة اسرائيل (٢١) ٠

[٧]

لم تحظ تجربة الاستيطان الصهيوني الاولى في فلسطين ، التي بدأها هواة صهيون وأكملها روتشيلد ثم يكا ، بنجاح باهر ٠ فبعد فترة عشرين سنة من العمل في اقامة المستوطنات اليهودية في البلد ، صرف روتشيلد خلالها نحو ٤٠ مليون فرنك (١ر٦٠٠ر٠٠٠ جنيه استرليني) ، وجمعيات هواة صهيون نحو مليوني فرنك (٨٧ر٠٠٠ جنيه استرليني)، لدعم تلك المستوطنات (١) ، كانت احوالها الاقتصادية والاجتماعية سيئة للغاية ، ولم تحرز اية انجازات تتناسب مع حجم الاموال التي صرفت او الجهود التي بذلت في سبيلها ٠ ويتضح من تقرير اعده آحاد هعام ، الذي كان قد ارسل ، سنة ١٩٠٠ ، من قبل اللجنة التنفيذية لهواة صهيون في روسيا ، للتحقيق في اوضاع المستوطنات اليهودية في فلسطين ،وحصل على تفويض من روتشيلد وشركة يكا لدراسة اوضاع مستوطناتهم ايضا (٢)، ان نظام الوصاية الذي اتبعه هواة صهيون وروتشيلد في ادارة



المستوطنات اليهودية في فلسطين (١٨٨٢ ـ ١٩١٦)

تلك المستوطنات كان السبب المباشر في تدهور اوضاعها ، من كل نواحيها (٣) · وقد نجم عن هذا النظام ، الذي لم يكن في فحواه الا عبارة عن تعهد من قبل روتشيلد او هواة صهيون بتأمين حاجات المستوطنين الاقتصادية ، بواسطة مساعدات مالية من خارج البلد (وهو الوضع الذي لا يزال يلازم الصهيونيين في فلسطين ، على اي حال ، منذ ذلك الوقت) ، لقاء اشرافهم على ادارة المستوطنات ، تقوية نزعة الاعتماد على الغير لدى المستوطنين ، ثم تفشي الكسل والخمول بينهم من جهة ، وازدياد سيطرة الموظفين الاداريين عليهم وتحكمهم في مقدراتهم من جهة ثانية ، مما ادى في نهاية الامر الى افسادهم ·

غير ان نظام الوصاية ، رغم كونه السبب المباشر في تدهور اوضاع المستوطنات وسكانها ، لم يخلق كل المشاكل التي واجهتهم ، اذ برزت مشاكل جديدة أمامهم منذ دخولهم الى البلد ، كانت اهمها مشكلة التكيف مع البيئة الجديدة ، التي انتقلوا للعيش فيها ، وايجاد نمط من العلاقات مع الاكثرية الساحقة من السكان العرب في فلسطين ، التي كانت تحيط بهم · ورغم الاهمية الكبرى لايجاد حل لمسألة العلاقات مع العرب او تنظيمها ، اذ ان المستوطنين كانوا مرغمين في نهاية الامر على العيش بين السكان العرب ، ليست هناك اية دلائل موضوعية تشير الى ان المستوطنين الصهيونيين ، او زعمائهم ، اهتموا بهذه الناحية جديا · ويبدو ان الظروف الدولية ، التي سهلت دخول المستوطنين الى فلسطين، بواسطة الضغط الاجنبي على الحكومة العثمانية من جهة ، واعتماد طرق الوساطة والرشوة من جهة ثانية ، دون حاجة الى الحصول على موافقة سكان فلسطين العرب على ذلك ، الذين اتخذوا على كل حال موقفا عدائيا منهم ، شجعت الصهيونيين على التمسك بموقفهم هذا · وشجعهم أيضا على اتباع هذه الطريق سهولة حصولهم ، نسبيا ، على الاراضي الضرورية لاستيطانهم ، التي اشتروا معظمها ، في مراحل استيطانهم الاولى في فلسطين ، من كبار الاقطاعيين او الملاكين الاجانب ·

ويظهر ، من ناحية ثانية ، ان الاوضاع التي اشرنا لها لم تدفع المستوطنين الصهيونيين الى تجاهل وجود العرب في فلسطين فقط ، وانما، بالاضافة الى ذلك ، دفعتهم حتى الى الاستعلاء عليهم واحتقارهم واستغلالهم · ففي اول زيارة قام بها آحاد هعام الى فلسطين ، سنة ١٨٩١، لفت نظره ، مثلا ، « ان المستوطنين يعاملون العرب بعداء وقسوة ، يعتدون عليهم دون مبرر ، ويضربونهم باحتقار دون سبب » ، وانه « لا

يوجد بيننا حتى الان ولو شخص واحد ، موثوق به ، يعرف على الاقل قراءة العربية كما ينبغي » (٤) ٠ ويضيف آحاد هعام محذرا : « ساد لدينا الاعتقاد خارج البلد بان العرب جميعهم متوحشون صحراويون ، شعب يشبه الحمير ، لا يرون ولا يفهمون ما يدور حولهم ، ولكن هذا خطأ كبير، لان العرب ، خصوصا سكان المدن ، يرون ويفهمون نشاطنا واهدافنا في البلد ، ولكنهم يسكتون ويتظاهرون كأنهم لا يعلمون ، لانهم لا يرون في اعمالنا حتى الان خطرا على مستقبلهم ٠٠٠ ولكن ان جاء وقت يتطور فيه نشاط ابناء شعبنا في ارض ـ اسرائيل الى حد سحب البساط ، قليلا او كثيرا ، من تحت ارجلهم ، فان هؤلاء لن يتحركوا بسهولة من اماكنهم ٠٠٠ « (٥) ٠

وبعد ١٤ سنة من نشر آحاد هعام لاقواله هذه ، اي مع نهاية مرحلة الهجرة الاولى ، وهي فترة تبلورت خلالها ممارسات المستوطنين الصهيونيين في فلسطين اكثر مما كانت عليه ، وازداد موقفهم من العرب وضوحا ، كان الدكتور يتسحاق ابشتاين ، احد المدرسين في المستوطنات اليهودية في فلسطين ، الذي عمل فيما بعد مفتشا في مدارس الادارة الصهيونية ، يلقي محاضرة امام مجموعة من مندوبي المؤتمر الصهيوني السابع (١٩٠٥) ، نشرت في مجلة هاشيلواح ، سنة ١٩٠٧ (٦) ، يصف فيها موقف الصهيونيين ، داخل فلسطين وخارجها ، من العرب ، ونشاطهم الاستيطاني بصورة لا تقل خطورة عما قاله آحاد هعام : « ان مسألة علاقاتنا مع العرب ، هذه المسألة التي تتعلق آمال بعثنا القومي بحلها ، لم تهمل فقط ، وانما اختفت تماما من امام اعين الصهيونيين ولا ذكر لها تقريبا ، بصورتها الاساسية ، في ادبيات حركتنا ٠٠٠ وحقيقة انه كان بالامكان تجاهل مثل هذه المسألة الاساسية والتحدث عنها ، بعد ثلاثين سنة من النشاط الاستيطاني ، كانها تستحق الدراسة مجددا ـ هذه الحقيقة المحزنة توضح الى ابعد حد الاهمال الذي يسود حركتنا ، وتظهر اننا لا نزال نطوف على سطح الامور ، ولم ننزل الى داخلها او الى اسسها٠ ورغم ان النشيطين الصهيونيين ، منذ نشوء الحركة القومية وحتى اليوم ، لم يتوقفوا عن الاهتمام بنظام البلد وقوانينه، فان مسألة الشعب الذي يسكنه واصحابه وسادته الحقيقيين ، لم تثر حتى الان ، عمليا او نظريا » (٧) ٠ ويضيف ابشتاين : « لقد حان الوقت لاقتلاع الرأي الخاطىء ، الذي انتشر بين الصهيونيين ، بان في ارض ـ اسرائيل اراض غير مفلوحة بسبب نقص في الايدي العاملة ، او كسل السكان ٠ ليست

هناك حقول مقفرة ، بل على العكس ، يحاول كل فلاح ان يضيف الى ارضه من ارض البور المجاورة لها ··· وعندما نشتري قطعة ارض كهذه ، نبعد عنها مزارعيها السابقين تماما ··· فنحرم بهـذا اشخاصا بائسين من ممتلكاتهم الضئيلة ، ونسلب لقمة عيشهم ··· ولا يزال حتى اليوم يرن في اذني نحيب النساء العربيات ، عندما تركت عائلاتهن قرية الجاعونة ، وهي روش بينا ، وانتقلت للسكن في حوران شرقي نهر الاردن · فقد ركب الرجال على الحمير ومشت النساء وراءهم باكيات ، يملأ السهل نحيبهن · وللحظات وقفوا وقبلوا الحجارة والتراب ··· ان شراء [اراضيهم] على هذا الشكل يترك في قلوبهم جرحا لا يندمل ، وسيذكرون دائما ذلك اليوم الملعون ، الذي انتقلت فيه املاكهم الى ايدي الغرباء ··· لانه اذا كان هناك فلاحون يروون حقولهم بعرقهم وحليبهم ، فهم العرب ·· وفي النهاية سيعملون على استرجاع ما سلبته منهم قوة الذهب ··· وهذا الشعب ، الذي لم تستنفذ المدنية حتى الان قواه وتضعفه ، ليس الا جزءا صغيرا من الشعب الكبير الذي يسيطر على كل المناطق المجاورة ··· سوريا والعراق والجزيرة العربية ومصر ··· ولهذا من المستحسن ان نعرف من هو الفريق الاخر ··· وان نأخذ بالحسبان قوتنا والقوى التي تواجهنا ··· يمكننا القول انه ، حتى الان على الاقل، لا توجد حركة عربية بالمفهوم القومي والسياسي لهذا التعبير · ولكن لا حاجة لهذا الشعب لمثل هذه الحركة : انه كبير وكثير ولا حاجة لبعثه ، لانه لم يمت ابدا ، ولم ينقطع وجوده يوما · ويفوق في تطوره الجسدي كل شعوب اوروبا ··· ينبغي الا نستخف بحقوقه ، خصوصا الا نستغل ضده خبث بعض اخوته الذين يظلمونه · لا تتحرشوا باسد نائم! ولا تأمنوا جانب الرماد الذي يغطي الجمر ، فقد تنطلق شرارة تسبب حريقا لا يطفأ »(٨) · ولهذا يقترح ابشتاين على المستوطنين ممارسة نشاطهم الاستيطاني في فلسطين من خلال اتفاق مع « حزب الفلاحين »، وبعد موافقتهم ، لانهم اكثرية سكان البلد ·

و« حزب الفلاحين » هذا ، على اي حال ، لم يسكت على سلب اراضيه ، بل دخل في نزاعات لا آخر لها مع المستوطنين الجدد ،منذ اللحظات التي وضعوا فيها ايديهم على الاراضي التي بيعت لهم ، وحاولوا اجلاء الفلاحين عنها · وكثيرا ما تطورت هذه النزاعات ، ووصلت الى حد هجمات سافرة ، كان الفلاحون يشنونها ضد هذه المستوطنة او تلك ، من حين الى آخر ، بينما كان المستوطنون اليهود

يستنجدون عادة بالسلطة لحمايتهم (٩) · وخلال فترة الهجرة الاولى، حدث اكثر من هجوم ، من هذا النوع ، ضد المستوطنات الصهيونية في فلسطين ، كان من ابرزها ذلك الذي شن ضد مستوطنة روش بينا سنة ١٨٨٣ ، ثم تبعته هجمات اخرى - في اواخر آذار (مارس) ١٨٨٦ ضد بيتح تكفا ، في تشرين الاول (اكتوبر) ١٨٨٨ ضد غديره ، في آذار (مارس) ١٨٩٣ ضد رحوفوت ، في كانون الاول (ديسمبر) ١٨٩٦ ضد بئير طوفيا وفي ايلول (سبتمبر) ١٩٠١ ضد الخضيره ، بينما استمرت المشاحنات بين مستوطني المطلة وسكانها الاصليين ، الذين اجلوا عنها ، فترة غير قصيرة (١٠) ·

ولم يعدم المستوطنون الجدد ، على كل حال ، وسيلة لرد تلك الهجمات عنهم ، او على الاقل التخفيف من اضرارها ، فقاموا (كما يبدو بناء على نصيحة ابشتاين) بعقد « حلف » مع « حزب الفلاحين » - ولكن بطريقة خاصة بهم · فالمستوطنون الجدد القادمون من روسيا ، الذين انتقلوا للعمل في الزراعة في بيئة يجهلونها ومناخ لم يتعودوه ، كانوا بحاجة لمن يرشدهم للقيام بهذه الاعمال من ابناء البلد ، بينما مكنتهم اموال الوصاية التي كانت توزع عليهم من استخدام العمال لديهم - وكانت اكثرية اولئك العمال من العرب، سكان القرى المجاورة للمستوطنات اليهودية · ويلاحظ ان الخلافات بين المستوطنين وجيرانهم العرب لم تكن تنتهي ، عادة ، الا بعد انتقال اعداد كبيرة من العمال العرب للعمل، ثم السكن ، في المستوطنات · ولم يكن اولئك العمال ينتقلون لوحدهم الى المستوطنات ، بل كانت ترافقهم العائلة باكملها ، حيث يعمل الرجال في حقول المستوطن (حراثين) ، والنساء في خدمة ابناء بيته · وقد تكاثر العمال العرب في المستوطنات اليهودية ، بحيث زاد عددهم ، مع مرور الوقت ، على عدد سكانها ، ومنهم من اقام له « مسكنا » بجوار تلك المستوطنات · وبهذه الطريقة حل المستوطنون الاوائل مسألة علاقاتهم مع البيئة العربية المحيطة بهم ، وتعلموا منها ايضا فن الزراعة (١١) · ومع مرور الزمن ازداد اعتماد المستوطنين على العمال العرب وتمسكهم بهم ورفضوا استبدالهم ، بالعمال اليهود ، خصوصا وانهم كانوا يتقاضون أجرا يقل عن ذلك الذي يتقاضاه العمال اليهود،

لقاء قيامهم بالعمل نفسه · ولكن هذه الاوضاع بحد ذاتها اصبحت ، فيما بعد ، منطلقا لنظريات وممارسات معادية للعرب ، كما سنرى ، وضعتها التنظيمات العمالية الصهيونية ، عندما راحت مطرقة الهجرة الثانية تدق سندان الهجرة الاولى ، مع بداية تدفقها الى فلسطين سنة ١٩٠٤ ·

الفصل الثالث

هرتسل والمنظمة الصهيونية العالمية

مشروع الدولة اليهودية واجهزتها (١٨٩٧ ــ ١٩٠٤)

[١]

كان الدكتور هرتسل (١٨٦٠ ــ ١٩٠٤) ، مؤسس المنظمة الصهيونية العالمية ، واحدا من ابرز الزعماء الصهيونيين واوسعهم نشاطا ، الذين عملوا بحماس في سبيل نصرة الصهيونية ، وقدموا لها خدمات جليلة ·

ولد تيودور (بنيامين زئيف) هرتسل في مدينة بودابست بهنغاريا ، وادخل الى مدرسة يهودية ابتدائية هناك وعمره ٦ سنوات ، ثم انتقل الى مدرسة ثانوية علمية وعمره ١٠ سنوات ، ومنها الى الكلية الانجيلية وعمره ١٥ سنة ، وأنهى دراسته فيها سنة ١٨٧٨ · وفي السنة نفسها توفيت اخته الوحيدة ، فقررت العائلة النزوح الى فينا ، عاصمة النمسا (١) ، فالتحق هرتسل بجامعتها وتخرج منها ، سنة ١٨٨٤ ، بدرجة دكتوراه في الحقوق (٢) · وبعد تخرجه من الجامعة ، عمل هرتسل فترة قصيرة في المحاكم ، الا انه سرعان ما ترك عمله هذا وتوجه الى كتابة القصص والمسرحيات · وفي سنة ١٨٨٥ ، عرضت احدى مسرحياته في نيويورك ، وبعد ذلك بسنتين عين محررا للزاوية الادبية في احدى الصحف النمساوية · وفي سنة ١٨٩١ ، التحق بصحيفة « نويا فريا براسا » (*Neue Freie Presse*) ، اوسع الصحف النمساوية انتشارا ، التي كانت تصدر في فينا ويملكها يهوديان ليبراليان ، وارسل الى باريس ليعمل مراسلا للصحيفة هناك · ومكث هرتسل في باريس اربع سنوات ، عاد في نهايتها الى فينا ، سنة ١٨٩٥ (٣) ، وعين رئيسا لتحرير القسم الادبي في الصحيفة ، وبقي في عمله هذا حتى وفاته ·

لا تبدو على هرتسل ، من حيث خلفيته او ثقافته او تطلعاته ، ايـة بوادر يمكن ان يستدل منها على انه قد يصبح يوما ما صهيونيا، او قد يهتم بالحركة الصهيونية ، بل ان العكس هو الصحيح · فالرجل كان فعلا ابنا لعائلة يهودية تحافظ على « قليل من التقاليد الدينية » (٤) ووالده كان على علاقة واهية مع حركة هواة صهيون (٥) ، وساعد ابنه، احيانا ، في نشاطه الصهيوني (٦) ، بينما كان الجد يهوديا متدينا (٧) · ولكن هرتسل نفسه ، مثل العديد من الشباب اليهود من ابناء جيله الذين نشأوا في الدول الغربية ، التي منحت الحريات المدنية لليهود ، ابتعد عن اليهودية التقليدية وتناساها ـ حتى اضطر ، عندما قرر مجاملة حاخامي مدينة بازل وتأدية الصلاة في كنيس المدينة ، قبيل افتتاح المؤتمر الصهيوني الاول ، الى تعلم الكلمات العبرية للصلاة ، قبل اقامتها بقليل · ويعلق هرتسل على ذلك في يومياته بقوله ان تلك الكلمات العبرية « ضغطت علي اكثر من خطابي الافتتاح والاختتام [في المؤتمر] ··· واكثر من ادارة الجلسات باسرها » (٨) · وفي احدى رواياته ، « الغيتو الجديد » ، يعلن على لسان بطله عن رغبته في الخروج من« الغيتو [اليهودي] غير المنظور » الى العالم الواسع (٩) · كذلك كان هرتسل متمسكا بثقافته الالمانية ، وفي احدى جلسات المؤتمر الصهيوني الثالث ، عندما احتدم النقاش حول موقف المنظمة الصهيونية من « الثقافة اليهودية » ، تساءل علنا، بلهجة لا تخفي نغمة السخرية : « ما هي الثقافة اليهودية ؟ » (١٠) · ولاحظ احدهم ان كتابات هرتسل وخطبه لا تذكر شيئا عن الثقافة اليهودية ، ولا تأتي ، مثلا ، على ذكر الحاخامين موسى بن ميمون او يهودا هليفي ، وهما من كبار علماء اليهودية ، « ولا حتى يوسف بن متتياهو ، المعروف لدى المسيحيين » (١١) · يضاف الى ذلك ان هرتسل ، عند بدء عمله الصهيوني ، لم يكن ايضا على اطلاع حسن على النشاط الاستيطاني الصهيوني في فلسطين ، ولم يقرأ حتى اشهر الكتب الصهيونية التي صدرت حتى ذلك الوقت (١٢)· فقد سمع بأسم بينسكر ، مثلا ، خلال محادثة مع نرسيس ليفين ، مدير شركة يكا ، الذي ارسل له كتيب « التحرير الذاتي » ، والذي لم يكمل هرتسل قراءته الا بعد نشر كتابه « دولة اليهود » (١٣) ، بينما بدأ بقراءة كتاب موشي هس ،« روما والقدس » ، اثناء زيارته لفلسطين سنة ١٨٩٨ وانهاه في ايار (مايو) ١٩٠١ (١٤) ·

رغم هذه الخلفية ، التي يصعب على صاحبها الانطلاق منها الى عمل صهيوني ، او حتى الاهتمام بالمسألة اليهودية ، دخل هرتسل سنة ١٨٩٥، وعمره ٣٥ سنة ، ساحة العمل الصهيوني بعزم واصرار منقطع النظير ـ وبقي هناك حتى وفاته سنة ١٩٠٤ · ويصف هرتسل اسباب هذا التغيير في موقفه بقوله ان بداية التحول لديه حدثت سنة ١٨٨١ او ١٨٨٢ ، بعد ان قرأ كتاب يوجين ديرينغ اللاسامي (١٥) ، اذ توصل بعد ذلك الى نتيجة مفادها ان الحل لمشاكل اليهود يكمن في دفعهم الى اعتناق المسيحية ، شرط ان يتم ذلك « بمسيرة احتفالية ، بقرع اجراس ··· وبدون خجل » (١٦) ·وكان هرتسل قد انتقل في الفترة نفسها الى باريس ، ليعمل مراسلا صحفيا ، وهناك « وصلت الى موقف اكثر تحررا من اللاسامية ، التي بدأت افهمها تاريخيا ، وحتى اغفر لها » (١٧) · ولكن هذا « التفهم » للاسامية واسبابها انتهى مع نهاية السنوات الاربع ، التي قضاها هرتسل في باريس ، والتي صادفت نهاية المرحلة الاولى من محاكمة درايفوس (انظر ص ٤٩ـ٥٠ اعلاه) ، وهي المحاكمة التي جعلت من هرتسل صهيونيا ـ كما يقول في احدى مقالاته (١٨) ـ نظرا لصيحات العداء لليهود التي رافقتها ، « الموت لليهود ! الموت للخونة ! » ، اذ ان الضابط الفرنسي درايفوس ، الذي اتهم زورا بالخيانة ، كان من اصل يهودي · ومهما يكن من امر هذه الظواهر اللاسامية ، ومدى تأثيرها على هرتسل فمن الواضح ، على كل حال ، ان اساس صهيونيته كان اللاسامية · وقد بقي هرتسل مصرا على موقفه هذا ، متشبثا برأيه الداعي الى ضرورة اقامة دولة يهودية بسبب وجود اللاسامية والضيق الذي تسببه لليهود فقط ، خلال فترة نشاطه الصهيوني بأسرها ، رغم الانتقادات الشديدة التي وجهت اليه من دوائر صهيونية عدة بسبب ذلك · كما تكشف يومياته حساسية بالغة تجاه كل ظاهرة لاسامية تصادفه او يسمع عنها : « ان اللاسامية تكبر وتكبر ـ وكذلك أنا ··· ليست اللاسامية ، عمليا ، الا نتيجة لتحرير اليهود · وعلى كل حال ، ان الجماهير التي ينقصها الفهم التاريخي ـ اي جميعها ـ لا تنظر الينا [اي اليهود] كنتاج تاريخي ، اي كضحايا العصور الماضية ، القاسية والضيقة الافق · انهم لا يدركون اننا وصلنا الى ما نحن عليه ، لانهم صنعونا كذلك بواسطة الارهاب ، ولان الكنيسة جعلت التعامل بالمال والفائدة عملا غير مشرف للمسيحيين ، ولان الحكام اجبرونا على التعامل بالمال · اننا نتمسك بالمال لانهم غمسونا فيه · وبالاضافة الى

ذلك ، كان علينا ان نكون على استعداد للهرب ، او لاخفاء ممتلكاتنا، خوفا من النهب · هكذا نشأت علاقتنا بالمال · واصبحنا نحن ، عبيد القيصر الخصوصيين ، اداة لجباية الضرائب · اخرجنا المال من ايدي الشعب ، وبعد ذلك سلب هذا المال منا ، او صادرته السلطة · وهذه الضائقة جعلتنا بشعين ··· وعندما يدير اليهود ظهورهم للمال ، ويتجهون الى تعاطي المهن ، التي منعوا من ممارستها سابقا ، يسببون ضغطا قويا على اوضاع الطبقة المتوسطة الاقتصادية ، ويقاسون من ذلك قبل غيرهم » (١٩) ·

مع وصول هرتسل الى هذه الاستنتاجات ، انطلق للعمل · وكانت اولى خطواته السعي الى مقابلة البارون هيرش ، اليهودي الفرنسي الثري مؤسس شركة يكا ، حيث شرح له خططه لحل المسألة اليهودية في اوروبا ، بواسطة شراء منطقة ما في العالم واقامة دولة لليهود فيها ، الا ان البارون لم يستسغ هذه الخطط ، فانهى المقابلة قبل ان يتمكن هرتسل من انهاء حديثة (٢٠) ·

ويظهر ان آراء هرتسل التي عرضها بخطوطها العريضة امام البارون هيرش ، اثرت عليه هو ، اكثر مما اثرت على هيرش ، اذ انه عكف حالا ، بعد ان ترك البارون ، على تدوينها بشكل منطقي منظم،يستطيع معه ان يعرضها امام الاخرين ، وذلك على شكل خطاب ، لالقائه امام ممثل عن آل روتشيلد ، العائلة اليهودية الثرية الاخرى في فرنسا ، الذي قرر هرتسل الاجتماع به ، عندما تتاح له الفرصة (٢١) · وفي الوقت نفسه ، حاول هرتسل جمع بعض المؤيدين لفكرته حوله ، من اليهود وغيرهم · وكان من ابرز اولئك المؤيدين الدكتور ماكس نورداو (١٨٤٩ ـ ١٩٢٣) ، الذي شعر هرتسل في اول لقاء معه ان « كل واحد منهما يقتبس الكلام من فم الاخر » ، وذلك بعد ان اتفقا ان « اللاسامية فقط هي التي جعلت منهما يهودا » (٢٢) · ونورداو ، مثل هرتسل ، يهودي من اصل هنغاري ، وبصفته ابن حاخام يهودي ، « كان قد تعرف على اليهودية في صباه ، ولكنه نسيها مع كبره » (٢٣) ، عندما ترك بلده واتجه الى باريس ، حيث مارس مهنة الطب · غير ان نورداو لم يكتف بهذه المهنة ، اذ اتجه ايضا الى الكتابة · وعندما تعرف اليه هرتسل كان كاتبا مرموقا ، ترجمت كتبه الى لغات اوروبية عدة ، ولهذا كان وقوفه الى جانب هرتسل ، في بداية طريقه ، مهما للغاية ، وساعد على نشر

الفكرة الصهيونية وكسب المؤيدين لها · وقد ثابر نورداو على تأييده لهرتسل ، واصبح من اكبر مناصريه ـ وكذلك من ابرز المنظرين الصهيونيين ، خلال عهد هرتسل وبعده (انظر ص ١٨٦ ـ ١٩٢ ادناه) · كذلك تعرف هرتسل ، في بداية طريقه ، على دافيد ولفسون (١٨٥٦ ـ ١٩١٤) ، تاجر اخشاب في مدينة كلن ، الذي اصبح من كبار مساعديه ورئيس المنظمة الصهيونية بعد وفاته · ولكن على الرغم من ذلك ، لم يحظ هرتسل بكسب عدد كبير من المناصرين له ، خصوصا بين اليهود ، « لان المساجين القدامى لا يخرجون برغبة من سجنهم » (٢٤)·
كما رفض عميد عائلة روتشيلد مقابلة هرتسل ، في هذه المرحلة ، رغم الرسائل المتكررة التي بعث بها اليه · ولهذا رأى من المناسب وضع كتاب يحتوي على آرائه · وفي اوائل شباط (فبراير) ١٨٩٦ اصدر في فينا ، بالالمانية ، كتابا بعنوان « دولة اليهود » ·

[٢]

يحمل كتاب « دولة اليهود » عنوانا فرعيا ، يشير فيه هرتسل الى أنه « محاولة لحل عصري للمسألة اليهودية »· وعند عرضه لهذا الحل، ينطلق هرتسل من فرضيات اساسية معينة ، مفادها « ان المسألة اليهودية قائمة في كل مكان يتواجد فيه اليهود بأعداد كبيرة » (١) ، وتبرز مجددا في كل مكان يصلون اليه ، « لاننا [اي اليهود] نتجه ، بالطبع ، الى الاماكن التي لا يضطهدوننا فيها ، ولكن مع وصولنا الى هناك يتبعنا الاضطهاد » (٢) · واسباب هذا الاضطهاد عديدة ، ولكن ينبغي « ان لا نخلط بين اللاسامية العصرية وبين كره اليهود ، لاسباب دينية ، في العصور الغابرة ، على الرغم من ان كره اليهود يتخذ الان طابعا دينيا ايضا في بعض الدول ، لان ما يميز حركة الكره لليهود يختلف الان· ففي دول اللاسامية الرئيسية جاء الكره نتيجة لتحرير اليهود ، اذ عندما اعترفت الشعوب المتمدنة بالقسوة الكامنة في قوانين التميز ضدنا ، وقررت تحريرنا ، جاء هذا التحرير متأخرا · ولم يكن باستطاعتنا ، في اماكن تواجدنا حتى الان ، قبول التحرير كما ينبغي · لقد تطورنا في الغيتو ، بصورة غريبة ، على شكل شعب من الطبقة المتوسطة ، وخرجنا من هناك كمنافسين مكروهين للطبقات المتوسطة [بين الشعوب الاخرى] · وهكذا وجدنا انفسنا نقف ، بعد التحرير ، في دائرة البرجوازية ، وهنا

علينا ان نتحمل ضغطا مزدوجا ، من الداخل والخارج · ان البرجوازية المسيحية لن تتردد ، بالطبع ، في تقديمنا قربانا على مذبح الاشتراكية ،ولكن هذا لن يفيدها كثيرا · [ومن ناحية ثانية] لا يستطيعون ايضا الغاء مساواة اليهود في الحقوق قانونيا ، لان ذلك قد يدفع اليهود كلهم ··· الى الاحزاب الثورية » (٣) · ثم « ان كل الشعوب التي يعيش اليهود بينها لاسامية ، بقناع او بدون قناع » (٤) ·

كذلك يعلن هرتسل « انه لا يعتبر المسألة اليهودية قضية اجتماعية او دينية ، رغم انها تلبس هذا الطابع او ذاك ، من حين الى آخر · انها مسألة قومية ، ولكي نحلها ينبغي ان نجعلها قضية سياسية عالمية ، بحاجة الى حل في مجلس يمثل الشعوب المتمدنة » (٥) · ثم ان اليهود شعب ، « فالعدو ، رغما عنا ، جعل منا شعبا ، كما حدث دائما في التاريخ · اننا نقف في الضراء وحدنا ، وعندها نكتشف قوتنا فجأة · لدينا بالطبع القوة لبناء دولة ـ ودولة مثالية ، ولدينا كل الادوات ··· الضرورية لذلك » (٦) ·

وكيف تقام هذه الدولة ؟ ـ الجواب بسيط : « لتمنح لنا السيادة على منطقة ما على وجه الارض ، تكون كافية لمتطلبات شعبنا المشروعة · وسنقوم بتدبير ما تبقى بانفسنا » (٧) · وعند حديثه عن المنطقة التي ينبغي ان توضع تحت سيادة اليهود ، لاقامة دولة لهم عليها ، يتطرق هرتسل الى النقاش الذي كان دائرا وقتذاك ، بين دوائر صهيونية مختلفة، حول الاستيطان في الارجنتين او في فلسطين ، ويعلن انه لا يفضل بلدا على الاخر · وان اليهود على استعداد لان « يأخذوا » اي بلد يعطى لهم · ولكن « اذا منحنا جلالة السلطان فلسطين ، فسنتعهد بحل مشاكل تركيا المالية بأكملها · وبالنسبة لاوروبا ، سنكون هناك سورا تجاه اسيا وطلائع لحراس المدنية ضد البربرية · وكدولة محايدة ، سنحافظ على علاقاتنا مع كل اوروبا ، التي ستضطر الى ضمان وجودنا · واما الاماكن المقدسة للمسيحية ، فممكن منحها وضعا اقليميا خاصا (Extra - Territorial Status) ، بحسب القانون الدولي » (٨) *

ولاقامة دولة اليهود ، يدعو هرتسل في كتابه الى انشاء مؤسستين : الاولى « جمعية اليهود » (Society of Jews) ، والثانية « الشركة اليهودية » (Jewish Company) ـ وهذه التسميات الانكليزية يوردها هرتسل نفسه في النص الالماني لكتابه ـ ولكل واحدة من هاتين

المؤسستين مهامها الخاصة بها ، « وما تقرر « جمعية اليهود » علميا وسياسيا ، تنفذه « الشركة اليهودية » عمليا » (٩) · « فجمعية اليهود هي مركز حركة اليهود النامية ··· ولها مهام علمية وسياسية ··· انها موسى اليهود الجديد ··· » ، وينبغي عليها الحصول على اعتراف اكبر عدد من اليهود ، ومن الدول المستقلة ، بها « كسلطة لاقامة دولة» ، ثم ادارة الشؤون السياسية عامة ، بهدف اقامة تلك الدولة ، وانشاء مؤسساتها الرئيسية قبيل اقامتها (١٠) · وهدف « جمعية اليهود » الاول ينبغي ان يكون الحصول على السيادة ، على البلد الذي ستقام فيه دولة اليهود ، وبعد ذلك يرسل ممثلو الجمعية والشركة ثم الشركات المحلية لدراسة امكانات البلاد الطبيعية والاقتصادية ، ثم تخطيط طرق استغلالها واستيطان اليهود فيها · اما « الشركة اليهودية » فيجب ان تقام « على غرار شركات استملاك الاراضي الكبرى ، اي ··· شركة يهودية ذات امتياز (A Jewish Chartered Company) (١١) ـ وهرتسل كان معجبا بشركة شرقي الهند ، التي كانت شركة بريطانية من هذا النوع · فدعا الى الافادة من تجربتها الاستيطانية الاستعمارية في الهند ، واقتفاء أثرها لاقامة الدولة اليهودية · وكان معجبا أيضا بالسير سيسيل رودوس ، مؤسس روديسيا ، وطلب مقابلته لسماع نصائحه ، ولكن رودوس توفي قبل ان يتمكن هرتسل من لقائه (١٢) · ولكن هذه الشركة « لا تتمتع بحقوق السلطة ، ومهامها ليست استيطانية فقط ··· انها شركة مساهمة ، ذات شخصية اعتبارية بريطانية ، مسجلة بحسب قوانين بريطانيا وتحت رعايتها ··· وهي اداة مالية بحتة ، منفصلة بالتأكيد عن جمعية اليهود » (١٣) · وتؤسس الشركة اليهودية فروعا لها في كل مكان ، يسمح لها فيه بذلك ، وفقا لامكاناتها ، وتعمل على تصفية املاك اليهود وحقوقهم المالية في الدول التي يعيشون فيها ، اما بواسطة بيعها الى سكان البلاد، او بواسطة شرائها على حساب الشركة وبيعها فيما بعد ، عندما تسمح بذلك الحالة الاقتصادية · وتقوم الشركة بنقل اليهود ، بعد تصفية املاكهم ، من دولهم الاصلية الى البلاد التي ستقام فيها دولتهم الجديدة ، ومساعدتهم على بدء حياة جديدة فيها · وتحصل الشركة على رأسمالها من طرح أسهمها للبيع في الاسواق المالية ، لليهود وغيرهم ، اذ لا يمكنها الاعتماد على البنوك الكبرى ، وعلى الرأسماليين اليهود لتمويلها · وكان هرتسل يعتبر نفسه في حالة حرب من الرأسماليين اليهود (١٤) ، منذ بداية خطواته ، خصوصا بعد ان رفض البارونان

هيرش وروتشيلد تبني خططه ، ودعـمه ماليا لتنفيذها ٠

ويعتقد هرتسل ان عـمال اليهود وفقراءهم سيكونون اول من يهاجـر الى الدولة اليهودية الجديدة ، وهـم الذين سيضعـون الاسس الضرورية لانشائها واقامة مجتمع جديد ٠ وبعـد انجاز هذه المرحلة ، تتوجـه الشركة اليهودية الى الطبقة المتوسطة بين اليهود ، وتعـمل عـلى تهجيرها الى الدولة ، محاولة نقل كل مجموعـة من سكان مدينـة او حي معين سوية ، واسكانهم في الدولة ، في حي واحد او مستوطنة واحـدة ، حتى لا يشعروا بالغربة ، مع الانتقال للعيش في بلدهم الجديد ، حيث يبـدأ بروز ملامح مجتمع جديد في دولة حديثة ٠

كذلك يطالب هرتسل ، في كتابـه ، بوضع دستور للدولة اليهوديـة ، ويقترح ان تكون هـذه الدولة جمهورية ارستقراطية ٠ « انني اعـارض الديموقراطية ــ هكذا كتب في يومياته ــ لانه من الممكن الحكم فقط بطريق ارستقراطية ٠٠٠ والاكاديمية الفرنسية [مثلا] ، هـي ارستقراطيـة بالاختيار ٠٠٠ واذا كان هنـاك شيء اهواه ، فهـو ان اعتبر مـن الارستقراطية النمساوية القديمة ٠٠٠ ولكن ينبغي الاهتمام بأن لا تخرب الارستقراطية وتتحول الى طغيان ٠٠٠ ويستطيع عندنا كل شخص كبيـر ان يصبح ارستقراطيا » (١٥) ٠ واما بشأن اللغـة فيستطيـع كل شخص التحدث بلغة بلاده الاصلية ، « اذ لـن يستطيع احدنـا ان يتحـدث مع الاخر باللغـة العبرية » ٠

ويدعو هرتسل ايضا الى سن قوانين موحـدة ، لكل فئات الشعب فـي الدولة ، والى اقامة جيش حديث ، مهمتـه الدفاع عـن البلاد فقـط ، لان « الدولة اليهودية ستكون محايدة »٠ ويقترح هرتسل علما ابيض اللـون للدولة ، رمزا للحياة الطاهرة الحديثة ، مزينا بسبع نجوم مذهبة ، رمـزا الى يوم عمل من سبع ساعات في الدولة اليهودية ٠

لم يكن هرتسل اول من عالج المسألة اليهودية في عصره ، وحـاول وضع الحـلول لها ، فقد سبقه في هذا المضمـار عـدة منظمـات ، واشخاص ، منهم ثلاثة عـلى الاقل ، كاليشر وهس وبينسكر (انظـر ص ٧٣ــ٧٥ و ٧٦ــ٧٩ و ٩٢ــ٩٤ اعـلاه) اقترحوا اقامـة دولة يهوديـة كحل للمسألة اليهودية ٠ ولهذا لا يحتوي « دولة اليهود » ، من حيث الاراء الرئيسية التي يقدمها ، اي جديد ٠ وقد عـلق عـليه آحاد هعـام بقوله : « ان كتيب هرتسل يعطينا انطباعـا كانه ترجمة لتعاليم بينسكر من لغـة

الانبياء القدامى الى لغة الصحافة المعاصرة » (١٦) · ولكن مثابرة هرتسل واصراره على تنفيذ خططه ، جعلته في نهاية الامر يتفوق على اولئك المفكرين جميعا ، ويستلم زعامة الحركة الصهيونية ·

وكان هرتسل قد كتب ايضا ، بالاضافة الى كتاب « دولة اليهود» ، رواية نشرت سنة ١٩٠٢ ، بعنوان « الارض القديمة ـ الجديدة » (« التنويلاند»)، شرح فيها فكرته وتصوره للدولة اليهودية التي ستقوم في فلسطين، والحالة فيها في نهاية الربع الاول من القرن العشرين · ويعرض هرتسل في روايته هذه ، صورة لارتباطات اقتصادية وثيقة للغاية بين الدول اليهودية وبين اوروبا واميركا · وتعتبر هذه الرواية ، وفقا للتقاليد الصهيونية ، ورغم انها لا تحتوي على شيء من آراء هرتسل الصهيونية العملية ، مكملة لكتاب « دولة اليهود » ، فيتضمنان معا خلاصة آرائه في الصهيونية · والسبب في ذلك ، كما يبدو ، هو ان هرتسل يشير في روايته هذه بصريح العبارة الى فلسطين ، بعد ان اهتدى الى « الصراط المستقيم » ، وانضم الى تلك الفئة من الصهيونيين التي كانت تطالب بفلسطين دون غيرها ، بينما لم يكن هذا موقفه بالضبط في كتابه الاول ، « دولة اليهود » · وكان ناحوم سوكولوف ، الكاتب اليهودي المعروف ، ورئيس المنظمة الصهيونية العالمية لاحقا ، قد قام بترجمة هذه الرواية الى العبرية (١٧)، بعنوان « تل ابيب » (« تل الربيع ») · ومن هنا جاء الاسم الذي اطلق على اول مدينة يهودية اقيمت في فلسطين ، بالقرب من مدينة يافا العربية ·

[٣]

لم يحظ كتاب « دولة اليهود » باهتمام كبير ، في الاوساط اليهودية او غيرها ، عند صدوره ، ولم يثر نقاشا كبيرا ، مما جعل هرتسل يعرب عن مخاوفه من تجاهل الرأي العام لكتابه ، ثم يعود بعد مدة ويسجل في يومياته ، بسرور ، ان هناك من يهاجمه في الصحف ، وهناك من يمتدحه ايضا (١) · ولكن هذا الكتاب جمع حول هرتسل جماعة من المؤمنين بالفكرة الصهيونية ، من اليهود وغيرهم · وكان من بين اولئك المؤيدين قس الماني ، يدعى وليام هيخلر ، كان يعمل في السفارة البريطانية في فينا · وهيخلر هذا ، بناء على نبوئات قام بتفسيرها ،

ونشرها سنة ١٨٨٢ ، في كراس بعنوان « عودة اليهود الى فلسطين بحسب اقوال الانبياء » ، توصل الى نتيجة مفادها ان فلسطين ستعود الى اليهود في اواخر القرن التاسع عشر • وما ان سمع بهرتسل وكتابه ، حتى هرع اليه لانه ، بحسب رأيه ، هو الشخص الذي ستتحقق النبوءات على يديه (٢) • وكان اول عمل قام به هذا القس ترتيب مقابلة لهرتسل ، بناء على طلبه ، مع دوق بادن الاكبر في المانيا ، لكي يستطيع هرتسل شرح فكرته للدوق ، لحمله على مساعدته • وكان هيخلر على علاقة طيبة بالدوق ، حيث عمل مدرسا لاولاده ، بينما كان الدوق نفسه يحظى باحترام القيصر ، فهو الذي قام بتتويجه بعد توحيد المانيا • وفي تلك المقابلة ، التي جرت في اواخر نيسان (ابريل) ١٨٩٦ ، وصف هرتسل المنافع التي سيجنيها الغرب والشرق من خطته الهادفة الى اقامة دولة يهودية في فلسطين ، محاولا تقوية رأي الدوق بصحة برنامجه، بتأكيده له ان هجرة اليهود من المانيا ستضعف الاحزاب الثورية هناك ، التي كانت تناوىء الحكم الملكي ، آملا ان يصل هذا الكلام للقيصر نفسه ـ فوعده الدوق بعرض الامر على القيصر في الفرصة المناسبة (٣) • وخلال هذه المقابلة استطاع هرتسل كسب ثقة الدوق ، ولجأ اليه فيما بعد، في اكثر من مناسبة ، طلبا للمساعدة •

استمر هرتسل في مساعيه لمقابلة ملوك وزعماء عصره ، وحملهم على تأييد فكرته لاقامة الدولة اليهودية • ولم يمض وقت طويل على مقابلته لدوق بادن حتى ذهب ، في ايار (مايو) ١٨٩٦ ، لمقابلة ممثل البابا في فينا ، بعد ان دخل الى مقره بحذر ، وهو يلتفت الى جانبيه ، « كمن يدخل الى بيت سمعته سيئة » (٤) ، الا انه لم يجن اية فائدة من مقابلته هذه ، بعد ان رفض ممثل البابا تأييد خطته • وفي منتصف حزيران (يونيو) ١٨٩٦ ، سافر هرتسل الى اسطنبول ، برفقة شخص بولوني ، يدعى فيليب نيفلنسكي ، عمل في السابق ملحقا في سفارة النمسا في تركيا ، وكان على اطلاع حسن على اوضاع البلد وحكامها ، وذلك في محاولة لمقابلة السلطان • ولكن لم تتح له الفرصة لذلك ، فاضطر الى اجراء محادثات مع بعض الوزراء فقط ، دون فائدة ، بعد ان دفع مبالغ طائلة لرشوتهم (٥) • ومن اسطنبول توجه هرتسل الى لندن . حيث استطاع ، في نهاية الامر ، مقابلة اللورد روتشيلد ، في منتصف تموز (يوليو) ١٨٩٦ ، والقى عليه الخطبة التي كان قد اعدها لال روتشيلد ، ولكنه اختلف مع اللورد ، الذي رفض تأييده ، فهدده هرتسل بانه سيتوجه « الى الجماهير » (٦) •

ومن ناحية ثانية ، كان هرتسل قد استطاع حتى هذا الوقت اصدار صحيفة اسبوعية ، بعد ان حصل على مساعدة مالية من والده ، اطلق عليها اسم « دي فيلت » (« العالم ») ـ وحولها فيما بعد الى المنظمة الصهيونية العالمية ـ ليستعملها اداة لنشر آرائه (٧) ، خصوصا بعد ان رفضت الصحيفة التي كان يعمل فيها ، باصرار ، الاشارة الى خططه او نشاطه ، وامتنعت حتى عن نشر كلمة «الصهيونية » على صفحاتها٠

وعند هذه المرحلة من نشاطه ، رأى هرتسل انه لا يستطيع الاستمرار في عمله على هذا المنوال ، محاولا « حل المسألة اليهودية » لوحده، اذ ان مفاوضاته كفرد مع الاخرين لم تؤد الى نتائج ملموسة ٠ ويبدو كذلك ان رفض روتشيلد الوقوف الى جانبه اقنعه ، نهائيا ، انه لا يستطيع الاعتماد على اثرياء اليهود ووجهائهم لتنفيذ خططه ، فلا بد من تنفيذ « تهديده » لروتشيلد والتوجه « الى الشعب » ، واقامة « جمعية اليهود » التي تحدث عنها في كتابه ـ وذلك على شكل مؤتمر صهيوني ٠ وفكرة عقد مؤتمر صهيوني عام ، للبحث في اوضاع « الحركة » الصهيونية ، التي كانت حتى ذلك الوقت عبارة عن جمعيات وتنظيمات مختلفة ، منتشرة في هذا البلد او ذاك ، بين اليهود في شرق اوروبا او غربها ، يسيطر عليها غالبا الصراع الداخلي والمنافسات التنظيمية ، واحيانا الغيبيات ، لم تكن من بنات افكار هرتسل ، اذ كانت موضوعا للنقاش قبل هذا الوقت بعدة سنوات ٠ وكان من اوائل من طالب بعقد مؤتمر صهيوني جمعية « كديماه » («الى الامام») للطلاب اليهود الجامعيين في فينا ، برئاسة الدكتور ناتان بيرنباوم (٨) (١٨٦٤ ــ ١٩٣٧) (وهو اول من استعمل كلمة « الصهيونية » ـ نسبة الى جبل صهيون في القدس ـ لتعريف الحركة الداعية الى عودة اليهود لفلسطين ، رغم انه تخلى عن الفكرة الصهيونية ، في اواخر ايامه) ٠ وكان بيرنباوم من اوائل من اتصل بهرتسل ، بعد نشر « دولة اليهود » ، الا ان الخلاف سرعان ما دب بين الرجلين (٩) ٠ كما اتصل بهرتسل صهيونيون آخرون للهدف نفسه (١٠) ، وعقد اكثر من اجتماع تحضيري ، للتداول في عقد المؤتمر ، خلال النصف الاول من سنة ١٨٩٦ (١١) ٠ ولم يتأخر هرتسل نفسه عن اللحاق بالركب ، فاتصل بزعماء صهيونيين ويهود في بلدان عدة ، طالبا تأييدهم (١٢) ، وارسل مبعوثين للقيام بالدعاية للفكرة (١٣) ، وعين آخرين لتنسيق اعمال الاعداد للمؤتمر (١٤) ٠ وكان نجاح هرتسل باهرا في رومانيا ، اذ قرر هواة صهيون هناك ،

بالاجماع ، الانضمام اليه (١٥) . ووافق الهواة في روسيا أيضا على حضور المؤتمر ، بعد ان وعدهم هرتسل بعقده علنا وبصورة شرعية (١٦). وعارض عقد المؤتمر جزء من هواة صهيون في المانيا وكل جمعياتهم في بريطانيا (١٧) ، غير ان هرتسل ومؤيديه لم يعبأوا بهذه المعارضة ، وقرروا عقده في مدينة ميونيخ بالمانيا ، ولكنهم اضطروا لنقله الى مكان آخر ، بعد معارضة حاخامي الطائفة اليهودية في المدينة (١٨) ، الذين اطلق عليهم هرتسل اسم « حاخامو الاحتجاج » .

[٤]

عقد المؤتمر الصهيوني الاول في مدينة بازل بسويسرا ، خلال ٢٩-٣١ آب (اغسطس) ١٨٩٧ ، بحضور ٢٠٤ مندوبين ، يمثل جزء منهم ١١٧ جمعية صهيونية مختلفة . وجاء نحو ٧٠ من اولئك المندوبين من روسيا وحدها ، الا ان مندوبين من اميركا والدول الاسكندنافية ، وحتى الجزائر، حضروا المؤتمر ايضا (١) .

افتتح هرتسل المؤتمر الصهيوني الاول بخطاب قصير ، اكد فيه ان الهدف من المؤتمر هو « وضع الحجر الاساسي للبيت الذي سيسكنه الشعب اليهودي في المستقبل » ، معلنا « ان الصهيونية هي عودة الى اليهودية قبل العودة الى بلاد اليهود » (٢) . ثم تبعه الدكتور نورداو ، فالقى محاضرة وصف فيها اوضاع اليهود ، في اكثر من مكان في العالم ،بالوان قاتمة (٣) - وكرر نورداو هذه المحاضرة ، مع اضافة التعديلات الملائمة عليها ، في عدد من المؤتمرات الصهيونية التي حضرها بعد ذلك (١٤) . ثم تعاقب على الكلام خطباء عدة ، فقدموا تقارير عن اوضاع اليهود في غاليسيا وبريطانيا والجزائر ورومانيا والنمسا والمانيا وبلغاريا وهنغاريا واميركا (٥) . وبعد تقديم هذه التقارير ، اعتلى المنصة الدكتور بيرنباوم فألقى محاضرة عن « حياة اليهود القومية »، اعلن فيها ان كلمات « قومية ، وعرق ، وشعب » هي الشيء نفسه بالنسبة للصهيونية ، وان « الشعب اليهودي منقسم حاليا الى جزئين : ... يهود الدول الغربية ويهود اوروبا الشرقية والشرق باسره » (٦) ، وان هدف الصهيونية ينبغي ان يكون « ارجاع يهود الشرق الى التقدم » ، «واحياء [اليهود] الغربيين ، من اوروبيتهم المميتة » (٧) . وتبع بيرنباوم الدكتور

دافيد فاربشتاين ، فالقى محاضرة عن « حياة اليهود الاقتصادية » (٨) ·
وبهذا اختتم اليوم الاول من المؤتمر ·

وكان اليوم الثاني للمؤتمر يوم نورداو ، الذي قدم مشروع قرار يحدد اهداف الحركة الصهيونية ، طالبا من المؤتمر اعتماده · وبعد نقاش غير طويل اقر المؤتمر اهداف الصهيونية (المعروفة منذ ذلك الوقت باسم « برنامج بازل ») ، على النحو التالي :

« تسعى الصهيونية الى اقامة وطن لليهود في ارض ـ اسرائيل ، معترف به وفقا للقانون العام ·

ـ لتحقيق هذا الهدف يتخذ المؤتمر الاجراءات التالية :

« (أ) تطوير ارض ـ اسرائيل بشكل منظم بواسطة توطينها باليهود المزارعين والحرفيين والمهنيين ·

« (ب) تنظيم اليهود بأسرهم وتجميعهم ، بواسطة مشاريع مفيدة ، محلية وعامة ، بحسب قوانين كل بلد ·

«(ج) تقوية الشعور القومي اليهودي والهوية القومية اليهودية ·

« (د) القيام باعمال تحضيرية للحصول على موافقة الحكومات ، حيث ينبغي الحصول عليها ، لتحقيق هدف الصهيونية » (٩) ·

وبقي هذا البرنامج ساري المفعول فترة تزيد على نصف قرن ، الى ان عدله المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرون ، المنعقد في القدس سنة ١٩٥١ ، بعد اقامة اسرائيل ، ثم عدل مرة اخرى في المؤتمر الصهيوني السابع والعشرين (١٩٦٨) ·

بعد اقرار برنامج الصهيونية ، اتجه المؤتمر الى وضع الاطر التنظيمية للحركة الصهيونية ، فصعد الى المنصة المحامي الدكتور ماكس بودنهايمر (١٨٦٥ ـ ١٩٤٠) ، عضو هيئة رئاسة المؤتمر ، والقى محاضرة ، ضمنها اقتراحاته بشأن الاسس التنظيمية للحركة ، معلنا ان تشتت اليهود في كل انحاء العالم هو الذي يمنعهم من التطور في قالب قومي · ولهذا ينبغي اقامة منظمة تستطيع التغلب على هذه الموانع ، شرط ان تكون «منظمةعامة شاملة، تضم صهيونيي كل البلدان في اطار واحد ، مع برنامج خاص لكل بلد فيه تجمع صهيوني » ، وهذا « الهدف يمكن تحقيقه دون التدخل في الاوضاع السياسية الداخلية للدول المعنية » ، لان « الهدف

الرئيسي للمنظمة ، في كل بلد ، هو نشر مبادئنا بين جماهير الشعب اليهودي ، وكسب اعضاء جدد ٠٠٠ الامر الذي يمكن من تنفيذ برنامجنا » (١٠) ٠ واعلن بودنهايمر عن تحفظه من اقتراح كان قد تقدم به البروفيسور هرمان شابيرا ، استاذ الرياضيات في جامعة هايدلبرغ بالمانيا ، وعضو المؤتمر ، يدعو فيه الى تأسيس صندوق لشراء الاراضي في فلسطين (١١) – ولكن المؤتمر الصهيوني الثاني عاد وتبنى ذلك الاقتراح ٠ وبعد مناقشة اقتراحات بودنهايمر ، شكلت لجنة تحضيرية من ١٠ اعضاء (ممثلين عن صهيونيي كل من روسيا والنمسا والمانيا ، وممثل عن صهيونيي كل من رومانيا وبلغاريا واميركا وبريطانيا) (١٢)٠ وفي اليوم الثاني ، قدمت اللجنة التحضيرية نتائج مداولاتها بشأن اقامة « منظمة صهيونية عالمية » ومشروع لوائحها التنظيمية ، فأقرها المؤتمر على النحو التالي :

« أ٠ المؤتمر [الصهيوني] هو تنظيم الصهيونيين الرئيسي ٠

«ب ــ فقرة أ ٠ كل صهيوني يريد ان يكون صاحب حق انتخاب للمؤتمر، عليه ان يدفع كل سنة بأرادته ، لاهداف صهيونية مبلغ شيكل واحد على الاقل ٠٠٠ » [والشيكل اسم لعملة يهودية قديمة ، وعندما اعتمده المؤتمر الصهيوني كوحدة لدفع رسوم العضوية في المنظمة الصهيونية ، اعتبره ذا قيمة زهيدة ، تساوي فرنك واحد او شلنين او نصف دولار او نصف غولدان او ٤٠ كوبيك او مارك واحد ٠ وكان الحاخام يهودا الكلعي اول من تقدم بهذا الاقتراح ، في حينه (١٣) ٠ وقد قررت اسرائيل مؤخرا، مبدئيا ، تغيير اسم الوحدة الاساسية لعملتها من ليرة الى شيكل] ٠

« فقرة ب ٠ ينتخب كل ١٠٠ من دافعي الشيكل مندوبا واحدا ٠ ويستطيع كل مندوب ان يمثل عدة مجموعات ، شرط ان لا يزيد عددهم على عشرة ٠

« جـ ٠ ينتخب المؤتمر بواسطة بطاقات تصويت [اي بالتصويت السري] لجنة تنفيذية صهيونية لتنفيذ القرارات وادارة شؤون [المنظمة] وتعيين مكان المؤتمر القادم ٠

« د٠ تتخذ اللجنة التنفيذية مقرا لها في فينا وتكون مكونة من ١٥ عضوا [اللجنة التنفيذية الكبرى ــ Greater Actions Committee] ،

منهم ٥ ينبغي ان يكون مقرهم الدائم في فينا [اللجنة التنفيذية المصغرة ـ Inner Actions Committee ، وهذه كانت ، عملـيا ، اللجنـة التنفيذية الحقيقية ـ The Executive] ، والباقـون موزعـون على التجمعات الصهيونية حسب بلدانها ••• وينتخب اعضاء اللجنة التنفيذية الموجودون خارج فينا من قبل المؤتمر ، ولكن بعد ترشيـح التجمعـات الصهيونية في البلدان المعنية • اما الاعضاء الخمسة الدائمون فيعينـون وينتخبون من قبل المؤتمر بأسره •

« هـ • لكل عضو في اللجنة التنفيذية ، غـير مقيم في فينا ، الحـق ، بحسب اتفاق مسبق مع اللجنة التنفيذية في فينا ، في تعيين ممثل صهيوني لـه في اللجنة التنفيذية •

« و • يمثل اعضاء اللجنة التنفيذية ، اللجنة [باسرها] امام اللجان الاقليمية في بلدانهـم •

« ز• للجنة التنفيذية الحق في تعيين امين سر ، مقره فينا •

« حـ• تعين اللجنة التنفيذية لجانا ، عند الضرورة ، [لمهام مختلفة] •

« ط • تنظم شؤون التنظيم والدعـاية الصهيونية ، في كل بلد ، بحسب الحاجة ووفقا لقوانين ذلك البلد ، وينبغـي ابلاغ اللجنة التنفيذية بالشكل الذي يتم فيه ذلك » (١٤) •

وبعد اقرار هذه الانظمة ، استمع المؤتمـر الـى تقارير عـن اوضاع المستوطنين اليهود في فلسطين ، ثـم انتخـب هرتسل رئيسا للجنـة التنفيذية ورئيسا للمنظمة الصهيونية العالمية ، واختتم جلساته •

كان المؤتمر الصهيوني الاول حدثا بارزا ، ونقطة تحـول مهمة في تاريخ الحركة الصهيونية ، خصوصا بعـد ان استطاع مؤسسوه جمع معظـم صهيونيي العـالم تحت سقف واحـد ، ضمن اطار المنظمة الصهيونيـة العالمية ، التي تولت الاشراف على الاجهزة الصهيونية ، منذ ذلك الوقت ، مما اكسبها مرونة وقوة عند التعامل مع الجهات الاخرى ، من دول وحكام، في سعيها لتحقيق اهدافها • وكانت اقامة المنظمة الصهيونيـة العالميـة فاتحة لعـهد جديد من النشاط الصهيوني ، دفع الحركة الصهيونية الـى السير عـلى طريق لم تعـهدها من قبل ، وفتح امامها افاقا جديدة للعمـل على تنفيذ مخططاتها • وقد اعتبر المؤسسون ان ما انجزوه في بـازل كـان

عـملا ناجحا ومهمـا للغـاية ، لدرجـة نرى معـها هرتسل يكتب فـي يومياته ، بعـد رجوعه الى فينا ، اثر انتهاء المؤتمر : « في بازل اسست دولة اليهود • لو قلت ذلك هذا اليوم علنا لكان الجواب ضحكا مـن جميع الجهات • ولكن ، ربما ، بعد ٥ سنوات ، وعلى الاكثـر بعـد ٥٠ سنة ، سيعترف بهذا الجميع » (١٥) •

[٥]

بعد انتهاء المؤتمر الصهيوني الاول ، انطلـق هرتسل للعـمل بعزم واصرار شديدين ، خاصة بعـد ان اصبح رئيسا لمنظمة صهيونية عالمية ، التي وان كانت لا تزال صغيرة وضعيفة وفي بداية طريقها • فان وجودها كان كافيا ، على الاقل ، لحمل اكثر من حاكم او زعيم ، من ابنـاء ذلك العصر ، عـلى مقابلة رئيسها والاستماع اليه • كذلك قوى مركز هرتسل ، بعـد انتخابه رئيسا للمنظمة ، عـند تعامله مع الفئات الصهيونـية ، او اليهودية ، المختلفة • فركز نشاطه منذ ذلك الوقت وحتى وفاته سنة ١٩٠٤، على محورين : اولهما تقوية المنظمة الصهيونية العالمية ، بواسطة المؤتمرات الصهيونية المتتالية التي عقدها ، وانشاء الاجهزة المكملة لها ودعمهـا ، وثانيهما الانتقال من بلد الى اخـر لمقابلة زعـماء وحكام عصره ، مـن ملوك وامراء وغـيرهم ، لحملهم على تأييده في مساعـيه ، للحصول على منطقة ما في العـالم لاقامة دولة لليهود فيها ـ في فلسطين او غيرهـا • الا ان الصهيونيين انفسهم اضافوا محورا ثالثا ـ اضطر هرتسل للعـمل فيه ـ بمعارضتهم او انتقاداتهم له ، او محاولة حمله على تغيير طريقـه ، واحيانا بتدبير « المؤامرات » ضده • وكانت المؤتمرات الصهيونية مركـزا اساسيا للعـمل عـلى هذه المحاور الثلاثة • وقد عـقدت ، خلال عهـد هرتسل ، عـدا عـن المؤتمر الصهيوني الاول ، ٥ مؤتمرات صهيونيـة اخرى (الثاني في بازل ، خلال ٢٨ـ٣١ آب (اغسطس) ١٨٩٨ ، بحضور ٣٤٩ مندوبا ، يمثلون ٩١٣ مجموعة صهيونية (١) ، الثـالث في بازل ، خـلال ١٥ ـ ١٨ آب (اغسطس) ١٨٩٩ ، بحضـور ١٥٣ مندوبـا ، يمثلـون ١١٤ر٣٧٠ صهيونيـا من دافعـي رسـوم الشيكل ، والرابـع في لنـدن ، خـلال ١٣ ـ ١٦ آب (اغسطـس) ١٩٠٠ ، بحضـور ٤٩٨ مندوبا ، يمثلون ٩٦ر٤٣٤ صهيونيا ، الخامس في بازل ، خلال ٢٦ـ ٣٠ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٠١ ، بحضور ٣٥٨ مندوبـا ، يمثلون ٩٦ر٦٢٦ صهيونيا والسادس في بازل ، خـلال ٢٣ـ٢٨ آب (اغسطس) ١٩٠٣ ، بحضور ٥٩٢ مندوبا ، يمثـلون ٢٣٢ر٦٤٥ صهيونيا) (٢) •

وعلى المحور الاول ، الهادف الى تقوية المنظمة الصهيونية العالمية ، واقامة الاجهزة المكملة لها ، اعتبر هرتسل ان « المؤتمر الصهيوني هو ... « جمعية اليهود » ، ولذلك فان « عمل السنة القادمة سيكون اقامة « الشركة اليهودية » ، وحاليا على شكل « بنك الاستيطان اليهودي » (٣) (Jewish Colonial Trust) · وهذا ما فعله هرتسل في المؤتمر الصهيوني الثاني (٤) ، فاعلن في خطاب الافتتاح امام المؤتمر ان اللجنة التنفيذية الصهيونية قد اتخذت الخطوات اللازمة لتأسيس بنك صهيوني ، وانه يتوقع ان يباشر البنك أعماله خلال سنة (٥) ، ثم قدم عقد تأسيس البنك للمؤتمر للموافقة عليه ـ وهنا برزت اول عقدة من الخلافات بين هرتسل ومناوئيه ·

تركزت الخلافات التي نشبت في المؤتمر الصهيوني الثاني ، واستمرت فيما بعد ، بين هرتسل ومؤيديه ، وعلى رأسهم نورداو ، من جهة وبين معارضيهم ، خصوصا الصهيونيين الروس ، من جهة اخرى ، في ناحية مهمة للغاية ، تتعلق باسلوب العمل الصهيوني نفسه · فقد كان رأي هرتسل ومؤيديه انه يتوجب على الحركة الصهيونية ، اولا وقبل اي شيء اخر ، ان تسعى الى الحصول على ضمانات سياسية واعتراف علني ، من قبل دولة او مجموعة من الدول ، بسيادة المنظمة الصهيونية على منطقة ما ، وحقها في اقامة دولة لليهود فيها ، وبعد ذلك فقط تبدأ عملية نقل اليهود من بلدانهم وتوطينهم في تلك الدولة ـ وعرف هذا الخط باسم « الصهيونية السياسية » · اما المعارضون ، فكانوا يطالبون بتشجيع الاستيطان العملي في فلسطين ، مهما كانت الظروف ، ثم السعي ، في الوقت نفسه ، الى الحصول على ضمانات دولية لاقامة دولة يهودية في البلد ـ وعرف هذا الخط باسم « الصهيونية العملية » · وكانت «الحرب » محتدمة بين الطرفين ·ولم يترك هرتسل نفسه الشكوك تحوم حول موقفه المؤيد « للسياسيين » ، اذ كان قد اشار الى ذلك في كتابه « دولة اليهود » ، ثم اعلن عنه بوضوح في الخطاب الافتتاحي امام المؤتمر الصهيوني الاول ، مؤكدا انه « لا يمكن ان نتبع الطرق السرية والوساطات الخفية غير المباشرة ، بل المفاوضات الحرة الخاضعة للرقابة الدائمة والعاقلة من قبل الرأي العام ... ولن تحقق الصهيونية اهدافها الا بالبحث العلني مع الدوائر السياسية المعنية ... ولقد وصل الاستيطان [اليهودي في فلسطين] ، حتى الان ، الى اقصى ما يمكن الوصول اليه ، وفقا لطبيعته ... ولكن هذا ليس حلا للمسألة اليهودية ، ولايمكن ان

يكون حلاً بشكله الحالي » (٦) · وفي مناسبة اخرى ، كتب هرتسل لنورادو : « انني اعارض التسلل [اليهودي الى فلسطين] ، لانه عديم الفائدة ، يخضع لرحمة او غضب اي باشا ، ويبقى دائما عرضة لفرض القيود عليه » (٧) · وفي خطابه الافتتاحي امام المؤتمر الصهيوني الخامس ، شن هرتسل ايضا هجوما عنيفا على هواة صهيون والصهيونيين « العمليين » ، معلنا « ان موقفنا من الصهيونيين القدامى يشبه موقف اولئك الذين يدخلون تعديلات حديثة على ماكينة قديمة ، غير صالحة للاستعمال · الاحترام كله للماكينة القديمة ـ ولكن مكانها في المتحف ··· لقد فشل الاستيطان القائم على الصدقات ، اما الاستيطان القومي فسينجح » (٨) ·

اما نورداو فكان اعنف من هرتسل ، في هجومه على الصهيونيين « العمليين » وهواة صهيون : « انني احتج بعنف وبكل قوة ـ هكذا كتب في احدى مقالاته ـ ضد اية محاولة لربط الصهيونية مع المستوطنات [اليهودية] القائمة في ارض ـ اسرائيل ،واعتبارهما شؤونا متعلقة ببعضها بعضا ··· ان الصهيونية لا تتحمل اية مسؤولية تجاه المستوطنات في ارض ـ اسرائيل · فاذا كبرت هذه المستوطنات وازدهرت ـ لن يسجل هذا لصالحها ، واذا اندثرت ـ لن يكون خطأها ·· · ان مستوطنات معدودة في ارض ـ اسرائيل لن تنقذ الشعب اليهودي ، لن تحسن احواله وليس لها اي تأثير على مصيره » (٩) · ثم ان طريقة هواة صهيون و « العمليين » في حل المسألة اليهودية ، ليست الا كطريقة ذلك الذي يريد « ضخ ماء المحيط بواسطة سطل » (١٠) · وهؤلاء ، بحسب رأي نورداو ، يسعون الى حل مشاكل اعداد صغيرة من اليهود في مستوطنات معدودة ، بينما تسعى الصهيونية الى حل المسألة اليهودية بأسرها · وفي مرحلة متأخرة ، وصف نورداو حركة هواة صهيون « بانها لم تكن الا عنوانا لكتاب صفحاته بيضاء · وكانت الصهيونية السياسية هي التي كتبت الكتاب لهذا العنوان الفارغ » (١١) · والواضح ان نورداو كسب بموقفه هذا ، عداوة الصهيونيين « العمليين » الذين « انتقموا » منه بعد وفاة هرتسل ، فوجد نفسه بعيدا عن دائرة العمل الصهيوني الفعال ·

وكانت نقطة الخلاف الثانية ، بين الطرفين ، شكوك المعارضة في ان هرتسل على استعداد لان « يأخذ » اية منطقة مناسبة ، لاقامة دولة يهودية عليها ، وليس فلسطين فقط ـ وهي شكوك لم تكن في غير محلها · ولهذا ما ان قدم للمؤتمر مشروع تأسيس البنك ، ورأى « العمليون » ان منطقة

عمل البنك ، بحسب عقد التأسيس المقترح ، هي « الشرق » حتى ثارت ثائرتهم ، وطالبوا باستبدال هذه الكلمة بكلمتي « سوريا وفلسطين » . وتزعم المعارضة مناحم اوسيشكين (١٨٦٣ ـ ١٩٤١) (١٢) ، احد الزعماء الصهيونيين الروس البارزين ، الذي قدم خدمات كبيرة للاستيطان الصهيوني في فلسطين ، بعد انتخابه رئيسا لمجلس ادارة شركة الكيرن كاييمت ، خلال فترة الانتداب البريطاني على البلد (١٣) . ولكن هرتسل، من جهته ، كان يشك في ان المعارضة لا تريد اساسا تأسيس البنك ، ولهذا طلب اقامة « لجان [لمناقشة الموضوع] ، لكي اتعبهم ... وبعد ان تركتهم يصرخون لمدة اربع ساعات حول هذه النقطة ، تنازلت عنها » (١٤) فوافق المؤتمر على الاقتراح . كذلك اصر هرتسل ، قبيل انشاء البنك عمليا ، على منح اسهمه التأسيسية ، التي يتحكم حاملوها في سياسة البنك ، الى سبعة من اصدقائه الصهيونيين « السياسيين » ، وعلى رأسهم ولفسون ، لكي يضمن لخطه السياسي السيطرة على المؤسسة المالية للمنظمة الصهيونية . وحاولت المعارضة ، في المؤتمر الصهيوني الثالث ، منعه من القيام بذلك ، فهدد بانه « سيستنتج النتائج » (١٥) ، ان تم ذلك ، ملوحا بالاستقالة ، فكان له ما اراد .

الا ان متاعب هرتسل ، في اقامة البنك ، لم تتوقف عند هذا الحد ، فقد رفض كبار الرأسماليين اليهود المساهمة في انشائه (١٦) ، وحتى شركة يكا وجمعية الاليانس اتخذتا الموقف نفسه (١٧) . لهذا اضطرت المنظمة الصهيونية الى طرح اسهم البنك للبيع في الاسواق المالية ، ولكنها لم تستطع ايجاد « بنك محترم » يتولى عملية البيع ، « لان كبار الرأسماليين اليهود يقاطعوننا » (١٨) . ولم تتم ايضا عملية بيع اسهم البنك ، الذي سجل في لندن في اواخر آذار (مارس) ١٨٩٩ (١٩) ، بالسرعة المتوقعة ، واضطر هرتسل الى استبدال المكلفين بتنفيذها ، لتلكؤهم في عملهم (٢٠) . وخلال فترة عرض الاسهم للبيع ، لم يكن هرتسل واثقا من ان العملية ستنجح ، حتى اعلن مرة انه على استعداد لمنح « عشر سنوات من حياته » (٢١) في مقابل ذلك . ولم يستطع القيمون على البنك جمع ربع مليون ليرة استرلينية من ثمن الاسهم التي عرضت للبيع ، من اصل رأسمال مسجل قدره مليونا ليرة ، وهو المبلغ الذي كان ضروريا لكي يباشر البنك أعماله ، الا بعد مرور سنتين على الاعلان عن تأسيسه ، اي سنة ١٩٠١ .وفي السنة التالية انشأ البنك مؤسسة مالية تابعة له(٢٢)، الشركة الانكليزية ـ الفلسطينية (Anglo - Plalestine Company)

التي افتتحت فرعا لها في مدينة يافا بفلسطين ، سنة ١٩٠٣ ، وتحول اسمها فيما بعد الى البنك الانكليزي - الفلسطيني (Anglo - Palestine Bank) (وبعد اقامة اسرائيل ، تغير اسم هذا البنك الى بنك ليئومي ليسرائيل) ٠

وتجدر الاشارة هنا الى ان امكانات المنظمة الصهيونية المالية، خلال عهد هرتسل على الاقل، كانت محدودة جدا، ووجدت نفسها في حالة عجز مالي اكثر من مرة ٠ ويبدو ان هذا الوضع هو الذي دفع هرتسل الى الاستمرار في عمله الصحفي ، والعيش منه ، رافضا استلام اي مرتب من المنظمة ٠

وفي المؤتمر الصهيوني الثاني ، اعلن هرتسل ايضا عن هدف آخر للحركة الصهيونية : « احتلال الطوائف اليهودية » (٢٣) ، من قبل الحركة الصهيونية ، وذلك بناء على نصيحة نورداو (٢٤) ، كرد على الموقف المعارض للصهيونية ، الذي انتهجته بعض الفئات اليهودية ٠ كذلك اتخذ المؤتمر اجراءات معينة ، لضمان شرعية الجمعيات الصهيونية في البلدان التي تعمل فيها ٠

وكانت المؤسسة الصهيونية الثالثة ، التي اقيمت في عهد هرتسل ، بعد المنظمة والبنك ، شركة الكيرن كاييمتليسرائيل (الصندوق القومياليهودي - Jewish National Fund) ، لاستملاك الاراضي في فلسطين ٠ وكان اقتراح بهذا الشأن قد قدم الى المؤتمر الصهيوني الاول من قبل احد المندوبين ، البروفيسور هرمان شابيرا ، على ان تمول الشركة من تبرعات يقدمها اليهود (٢٥) ، الا ان الاقتراح لم يبحث وقتها ٠ ولم يثر الموضوع مرة اخرى ، بسبب الخلافات بين الصهيونيين « السياسيين » و«العلمين»، الا في المؤتمر الصهيوني الرابع ، سنة ١٩٠٠ ، الذي اتخذ قرارا « مبدئيا » باقامة الشركة (٢٦) ٠ كما ان المؤتمر الصهيوني الخامس صادق على المشروع « بشكل مؤقت » (٢٧) ، الا ان هرتسل سارع الى الضغط على المندوبين ، فاستبدلوا قرارهم هذا بآخر ، « نهائي » (٢٨) ٠ وعند وضع انظمة هذه الشركة ، وتحديد صلاحياتها في شراء الاراضي او التصرف بها ، قررت اللجنة التنفيذية الصهيونية ان تكون الاراضي التي تشتريها الشركة « ملكا دائما للشعب اليهودي » (٢٩) ، لا يجوز بيعها ، ويسمح فقط « بتسليمها للفلاحة ، او تأجيرها لليهود من خلال منع التأجير الفرعي » (٣٠) - وصادق المؤتمر الصهيوني السادس على هذا القرار ٠ وفي سنة ١٩٠٥ ، باشرت الشركة نشاطها في فلسطين ، فاشترت اول قطعة ارض ، بعد ان عين بودنهايمر مديرا لها ٠ وفي سنة

١٩٠٧ ، سجلت الكيرن كاييمت رسميا كشركة مساهمة في بريطانيا ، معلنة في اول مادة من عقد تأسيسها ، ان هدفها العمل على استملاك الاراضي ، او اية حقوق فيها ، في المنطقة التي تضم « فلسطين ، وسوريا ، واية اجزاء من تركيا الاسيوية ، وشبه جزيرة سيناء او اي جزء منها ، وذلك بغية توطين اليهود في تلك الاراضي » (٣١) (وبعد اقامة اسرائيل ، عدلت هذه المادة فاصبحت المنطقة التي اعلنت الشركة أنها مخولة العمل فيها تضم « دولة اسرائيل ، ضمن اية مساحة خاضعة لقوانين حكومة اسرائيل ») (٣٢) ٠

واصبحت الكيرن كاييمت منذ تأسيسها ، اداة المنظمة الصهيونية الرئيسية لشراء الاراضي في فلسطين ٠ والتزمت ، منذ ذلك الوقت وحتى اليوم ، بقيود التصرف بالارض ، التي فرضت عليها ، فامتنعت عن تأجير اراضيها لغير اليهود ٠ وتؤجر اراضي الشركة لليهود ، لمدة ٤٩ سنة ، عادة (مراعاة لقوانين ملكية الاراضي التلمودية) ، قابلة للتجديد لمدة ٤٩ سنة اخرى ، ومن خلال الزامهم بتشغيل اليهود فقط على تلك الاراضي (٣٣) ٠

[٦]

كان المحور الثاني ، الذي نشط هرتسل للعمل فيه ، السعي لاقامة دولة يهودية ، في اي مكان تقريبا يمكن ان يتم فيه ذلك ، من خلال مقابلات كان يجريها مع ملوك وزعماء عصره ، لحملهم على تأييد فكرته ، محاولا دائما اقناع الشخص الذي يقابله بالفائدة التي ستعود عليه ، او على بلده ، من جراء ذلك ٠ ويبدو هرتسل في نشاطه هذا كأنه يسعى الى عقد « صفقة تجارية » (١) لاقامة دولة يهودية ، مع اية جهة توافق على ذلك ، ووفقا لاحسن الشروط التي يمكن الحصول عليها ٠

كانت المانيا اول دولة اتجه هرتسل اليها ،طالبا مساعدتها في اقامة دولة يهودية في فلسطين ، وذلك قبيل انعقاد المؤتمر الصهيوني الاول ، عندما سمع ان القيصر الالماني ينوي زيارة فلسطين ، فقدر « ان السياسة الالمانية تتجه نحو الشرق » (٢) ، وقرر ربط الحركة الصهيونية بعجلتها ، علها تنجح في الوصول الى فلسطين بواسطتها ٠ وعلى الاثر اتصل هرتسل بصديقه القديم ، دوق بادن الاكبر ، ثم اجتمع مع افلنبيرغ ،

سفير المانيا في النمسا وفون بيلوف ، وزير خارجية المانيا ، واخيرا مع مستشار المانيا نفسه ، هوهنلوهي (٣) . وفي اللقاءات ، اقنع هرتسل المسؤولين الالمان بالتوسط لدى القيصر ، لحمله على بسط حمايته على الحركة الصهيونية وتبني طلباتها ، مؤكدا « ان اساسا ثقافيا المانيا سيدخل مع اليهود الى الشرق » (٤) ، وان الحركة الصهيونية « تبعد اليهود عن الاشتراكية » (٥) ، وانها تطالب بالسيطرة على مساحة من الارض ، في فلسطين وجوارها تكبر بحسب حجم المهاجرين » (٦) اليها . واثارت هذه المحادثات لدى هرتسل احلاما كبيرة ، لان « حماية المانيا القومية ، الكبيرة ، الاخلاقية ، المدارة بشكل يثير العجب ، والتي تحكم بيد قوية ، ستؤثر التأثير الاحسن على الشعب اليهودي » (٧) . وفي اعقاب هذه اللقاءات ، دعي هرتسل لمقابلة القيصر ، بعد ان كان قد قرر ان الاراضي التي سيطالب بتسليمها لحركته ستمتد من «نهر مصر [في العريش] الى نهر الفرات » (٨) ، فأكد له ان الصهيونية تعمل على ابعاد اليهود عن الاحزاب الثورية ، التي كانت تناوىء الحكم القيصري، طالبا بسط الحماية الالمانية على الحركة ، والتوسط لدى سلطان تركيا لحمله على الموافقة على قيام شركة يهودية صاحبة امتياز بتوطين اليهود في فلسطين وجوارها (٩) . واوعز الالمان لهرتسل بالسفر الى فلسطين ، لمقابلة القيصر هناك ، بعد انتهاء زيارته لسلطان تركيا . وقد تمت هذه المقابلة في القدس ، في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٩٨ ، والقى هرتسل امام القيصر خطابا حول اهداف الصهيونية وطلباتها ، الا ان رد القيصر الفاتر على خطابه اقنعه بان وساطته لدى السلطان لم تجد نفعا (١٠) . وفي مرحلة لاحقة ، علم هرتسل من صديقه ، دوق بادن الاكبر ، ان السلطان رد على ملاحظات القيصر ، حول طلبات الصهيونية ، بشكل عنيف ، فلم ير الاخير من المناسب اعادة اثارة الموضوع (١١) ، خصوصا وان المانيا لم تكن مستعدة للضغط على تركيا ، خشية من بريطانيا واسطولها (١٢) .

ورغم هذا الفشل ، اعلن هرتسل في خطابه الافتتاحي امام المؤتمر الصهيوني الثالث (١٨٩٩) ، ان هدف حركته هو الحصول على امتياز من الحكومة التركية ، للبدء في تنفيذ خطتها في فلسطين ، تحت حماية السلطان وان الصهيونية تفضل الانتظار ، والحصول على ترخيص ، بدل ارسال اليهود بطرق غير مشروعة الى فلسطين (١٣) . ولم يعدم هرتسل وسيلة ، بعد انتهاء المؤتمر ، للوصول الى السلطان التركي ، اذ اتصل بنوري باشا ، المدير العام لوزارة الخارجية التركية ، ووعده بان يدفع له مبلغا من المال كرشوة ، لقاء مساعدته في ذلك (١٤) . ومن ناحية اخرى ،اتصل

هرتسل للهدف نفسه باستاذ جامعي يهودي في جامعة بودابست ، يدعى فامبيري ، « لا يعرف ـ على حد تعبير هرتسل ـ ما اذا كان تركيا اكثر او انكليزيا ، يؤلف كتبا بالالمانية ، ويتحدث بطلاقة باثنتي عشرة لغة ، اعتنق خمسة اديان ، وكان كاهنا لديانتين منها » (١٥) · وكان فامبيري على علاقة شخصية بالسلطان ، ولذا وعده هرتسل ايضا بمبلغ من المال ، اذا استطاع مساعدته · وقد اثمرت هذه الجهود · فدعي هرتسل ، في أيار (مايو) ١٩٠١ ، الى اسطنبول لمقابلة السلطان ، بصفته « رئيسا لليهود وصحفيا ذا تأثير » (١٦) ، ولكن حظر عليه التحدث معه عن الصهيونية· واثناء لقائه مع السلطان ، عرض هرتسل مساعدته على حكومة تركيا ، لتوحيد ديونها للممولين الاجانب ، الذين كانوا يضغطون عليها ويتدخلون في شؤونها الداخلية ، بسبب ديونهم ، بواسطة قرض طويل الامد ، يقدمه بعض الرأسماليين اليهود ، مقترحا مقابل ذلك اصدار « بيان صداقة » من قبل السلطان تجاه اليهود ، يرحب بقدومهم الى الامبراطورية العثمانية والاستيطان فيها (١٧) · وبعد هذه المقابلة ، استدعى عزت باشا ، احد مستشاري السلطان ، هرتسل للتفاوض معه بشأن اقتراحاته لتوحيد الديون ، وابلغه ان اليهود يستطيعون « ان يأتوا الينا » (١٨) ، شرط ان يوافقوا على قبول الجنسية العثمانية ، ولن يسمح لهم باستيطان جماعي في اي مكان · وخلال المفاوضات التي تبعت هذه اللقاءات، استدعي هرتسل مرة اخرى ، في شباط (فبراير) ١٩٠٢ ، الى اسطنبول ، وابلغ ايضا انه لن يسمح لليهود الذين يفدون الى الامبراطورية العثمانية بالاستيطان ، في البداية ، في فلسطين (١٩) ، وستعين الحكومة ، من حين الى آخر ، الاماكن التي سيسمح لها بالاستيطان فيها (٢٠)، ولكن هرتسل رفض هذا العرض · وادى موقف الحكومة التركية هذا من جهة ، وعجز هرتسل عن ايجاد المال اللازم ، لتوحيد الديون ، من جهة اخرى ، الى ايقاف المفاوضات بين الطرفين ، بينما اقتنع هرتسل بانه لن يحصل على امتياز توطين اليهود في فلسطين ، الا بعد تقسيم تركيا (٢١) ·

لكن رغم ذلك ، ورغم ان فامبيري عاد واكد لهرتسل ان السلطان يرفض السماح لليهود بالاستيطان في فلسطين ، وانه قد يسمح بذلك في اسيا الصغرى ، او في العراق ، على اراض تقدمها السلطة مجانا (٢٢) ، حاول هرتسل الابقاء على علاقة ما مع السلطات التركية ، واقترح عليهم ، مثلا، اقامة جامعة في تركيا ، يتولى التدريس فيها اساتذة يهود ، لمنع توجه الطلبة الاتراك لتلقي العلم في جامعات الغرب ، حيث يتشبعون هناك بالمبادىء الثورية ، المناهضة لحكم السلطان (٢٣) · الا انه لم يتلق اي جواب على

اقتراحه · وفي تموز (يوليو) ١٩٠٢ ، دعي هرتسل للمرة الاخيرة ،لزيارة اسطنبول ، للبحث معه في مسألة توحيد ديون الامبراطورية ، الا انه اكتشف ان هذه الدعوة كانت من قبيل الضغط على مجموعة من المولين الفرنسيين كانت الحكومة التركية تتفاوض معهم حول توحيد ديونها ، لحملهم على تقديم شروط افضل لها ، فرجع دون ان يحقق شيئا (٢٤) ·

ومن تركيا ، انتقل هرتسل الى بريطانيا ، بعد ان كان الصهيونيون قد قاموا ببعض الاعمال « التحضيرية » هناك · فالمؤتمر الصهيوني الرابع (١٩٠٠) كان قد عقد في لندن ، واثار في حينه اهتمام بعض الدوائر البريطانية بالصهيونية (٢٥) ، مما دفع هرتسل الى الكتابة في يومياته ، بعد انتهاء اعمال المؤتمر : « لقد قمنا بتظاهرة امام العالم الانكليزي ، وقد انتبهوا لتظاهرتنا » (٢٦) · وكان الاتحاد الصهيوني في بريطانيا ايضا قد اجرى « استفتاء » بين المرشحين للبرلمان حول موقفهم من الصهيونية ، ظهر في نتيجته ان ستين شخصا منهم يؤيدونها (٢٧) · كذلك كانت بريطانيا آنذاك معنية ، الى حد ما ، بالمساهمة في ايجاد حل لمسألة هجرة اليهود من بلدان اوروبا الشرقية اليها ، التي كانت قد اثارت معارضة في اوساط الرأي العام البريطاني ، اضطرت الحكومة على اثرها الى تشكيل لجنة لبحث الامر · وكان هرتسل نفسه من بين من دعي للادلاء بشهادته امام هذه اللجنة (٢٨) ·

قبل ان يقوم هرتسل بأي نشاط في بريطانيا ، اجتمع بمئير روتشيلد ، عضو مجلس اللوردات واحد الاشخاص البارزين بين زعماء اليهود في بريطانيا ، واقنعه بالتوسط لدى الحكومة البريطانية ، لحملها على منح المنظمة الصهيونية امتيازا لتوطين اليهود في العريش وشبه جزيرة سيناء وفي قبرص · وفي تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٢ ، دعي هرتسل لمقابلة وزير المستعمرات البريطاني ، جوزيف تشمبرلين ، فشرح للوزير انه بالامكان توطين اليهود في قبرص ، بعد حمل سكانها الاصليين على تركها (٢٩) ، او في العريش وشبه جزيرة سيناء ، ولكن « ليس في مصر ، فقد كنا مرة هناك » (٣٠) · الا ان تشمبرلين اقنعه بصرف النظر عن الاستيطان في قبرص ، والاتجاه الى العريش ، وهي منطقة تابعة لوزارة الخارجية ، وعلى هرتسل الاتصال بها · وعلى الاثر قام هرتسل بتقديم مذكرة الى وزير الخارجية البريطاني، لاندسون ، شارحا فيها خطته ، ومشيرا الى انه من المناسب لبريطانيا ان تكسب ثقة اليهود (٣١) · ثم قابل الوزير واتفقا على ان ترسل المنظمة الصهيونية شخصا الى مصر ، لمقابلة حاكمها اللورد كرومر واستطلاع رأيه · وفي القاهرة ، اتفق مبعوث

هرتسل ، غرينبرغ ، مع كرومر على ان تقوم المنظمة الصهيونية بارسال بعثة لدراسة طبيعة المنطقة التي تقترح تخصيصها لتوطين اليهود ، قبل البت بالامر (٣٢) ، بينما قام هرتسل باعداد مشروع امتياز (٣٣) ، يمنح للمنظمة في المنطقة التي سيتم الاتفاق عليها ٠ وفي اوائل شباط (فبراير) ١٩٠٣ ، وصلت البعثة الى العريش ، وعملت في مسح المنطقة حتى منتصف نيسان (ابريل) ، وارسلت اثناء عملها تقريرا اوليا غير مشجع ، من حيث ملائمة المنطقة للاستيطان ، نظرا لقلة موارد المياه فيها (٣٤) ٠ كما ان تقرير البعثة النهائي لم يكن مشجعا اكثر ، اذ اكد ان المنطقة « غير ملائمة تماما ، في الظروف الحالية ، للمستوطنين من الدول الاوروبية » ، لانها صحراوية وينبغي تزويدها بكميات كبيرة من المياه ، يحتاج جرها الى اموال طائلة (٣٥) ٠ وعلى الاثر سافر هرتسل الى القاهرة ، في آذار (مارس) ١٩٠٣ ، واجتمع بكرومر مرتين ، لاستطلاع موقفه وموقف الحكومة المصرية من المشروع، ولاحظ ان ردود الفعل كانت «فاترة» (٣٦)٠

اجتمع هرتسل ، في نيسان (ابريل) ١٩٠٣ ، بعد عودته من القاهرة ، مرة اخرى بوزير المستعمرات البريطاني ، تشمبرلين الذي كان قد رجع من جولة في افريقيا ، ليطلعه على ما وصلت اليه المفاوضات بشأن مخطط الاستيطان اليهودي في العريش ، فابلغه تشمبرلين ، بعد ان قدر ان هذا المشروع لن يحظى بنجاح باهر ، بأنه رأى خلال جولته في افريقيا « منطقة مناسبة » في اوغندا ، تصلح لاقامة دولة يهودية عليها ٠ الا ان هرتسل اجابه انه يفضل اولا مكانا للاستيطان قرب فلسطين ، يستطيع « الوثوب» منه الى هناك ، عندما تحين الفرصة ، ولهذا يفضل العمل على انقاذ ما يمكن انقاذه من مخطط الاستيطان في العريش ٠ اما اوغندا ، فانه على استعداد « لاستلامها » وتوطين اليهود فيها ، ولكن ليس الان ٠ ففلسطين لن تكفي لتوطين يهود العالم كلهم ، وربما تضطر الصهيونية ، على اي حال ، الى توطين قسم منهم في اوغندا ، في مرحلة لاحقة (٣٧) ٠

غير ان الاحداث التي وقعت بعد هذه الاتصالات ، اجبرت هرتسل على اعادة النظر في موقفه ٠ فخلال ايام ٦ـ٨ نيسان (ابريل) ١٩٠٣ ، التي صادفت نهاية عيد الفصح لدى اليهود وبدايته لدى المسيحيين الشرقيين ، وقعت في مدينة كيشينيف في روسيا ، مذابح واعتداءات ضد اليهود من سكان المدينة ، تذكر بتلك التي كانت تشن ضدهم في مطلع الثمانينات من القرن التاسع عشر ٠ وقد اشترك في هذه المذابح سكان المدينة ، غير اليهود ، من روس وغيرهم ، بمختلف فئاتهم ، واسفرت عن مقتل ٤٧ يهوديا ، واصابة مئات آخرين بجروح ، كما وجد الاف من

اليهود انفسهم دون مأوى ، نتيجة لنهب وتدمير نحو ١٥٠٠ مسكن ومتجر يهودي (٣٨) • واثارت مذبحة كيشينيف ، حينذاك ، سخطا واستنكارا عالميين واسعين ، اذ كانت الاولى من نوعها في القرن العشرين • ولكنها رغم ذلك لم تكن الا فاتحة لموجة من المذابح المماثلة ، استمرت نحو ٣ سنوات ، حتى اخماد ثورة ١٩٠٥ • وكان واضحا للغاية ، هذه المرة ، ان السلطات القيصرية هي التي دبرت هذه المذابح ، خصوصا بعد ان قرر وزير الداخلية الروسي ، بليفيه ، جزار الحركة الثورية واليهود ، ان يثير الكراهية ضد اليهود لاستغلالها كوسيلة لقمع المعارضة ، وتحويل الفوران الثوري من الصعيد السياسي الى مجال الكراهية العنصرية (٣٩) ، حتى ان الحكومة الروسية لم تكلف نفسها عناء تكذيب التهم التي وجهت اليها بشأن مسؤوليتها رسميا عن تلك الاحداث • وكانت تلك المذابح ، من ناحية ثانية ، فاتحة لموجة جديدة من الهجرة اليهودية من روسيا الى فلسطين ، بدأت سنة ١٩٠٤ ، وعرفت باسم الهجرة الثانية •

ولم يمر اقل من شهر على مذبحة كيشينيف، حتى علم هرتسل ان الخبير الذي كلفته الحكومة البريطانية بدراسة مخطط توطين اليهود في العريش اعلن عن معارضته له ، لان كمية المياه الضرورية لري المنطقة تزيد عن ضعفي الكمية ، التي قدرها خبراء المنظمة الصهيونية • ثم علم ايضا ان كرومر ينصح بالتخلي عن المشروع • واخيرا اعلنت حكومة مصر عن رفضها المطلق له (٤٠)، موضحة انها لا تستطيع التنازل عن كميات المياه الضخمة، التي كانت ستؤخذ من مياه النيل ، لري اراضي العريش وجوارها لاغراض الاستيطان اليهودي • وبذلك سقط المشروع نهائيا •

ولم يشعر هرتسل بالارتياح ، بالطبع ، في ضوء هذه النتائج ، اذ ان فشل هذا المخطط من جهة ، واستمرار الاعتداءات على اليهود في روسيا ، وبالتالي استمرار هجرتهم من هناك ، من جهة اخرى ، وضعاه امام مأزق حرج ، دفعه الى تكثيف جهوده لايجاد حل ما لهذه المشاكل ، فاتجه للتفكير في اوغندا وموزمبيق • وكانت موزمبيق انذاك خاضعة لحكم البرتغال ، فاتصل هرتسل بالسفير البرتغالي في فينا ، وعرض عليه مشروعا لتوطين اليهود فيها ، طالبا معرفة رأي الحكومة البرتغالية في الامر (٤١) • وحاول هرتسل ايضا ، خلال هذا الوقت ، مقابلة القيصر الروسي ، ولكنه دعي، بدلا من ذلك ، الى مقابلة بليفيه ، وزير الداخلية • وفي اوائل آب (اغسطس) ١٩٠٣ ، وصل الى العاصمة الروسية •

ولم يصعب على بليفيه وهرتسل التفاهم فيما بينهما ، بل لعل هرتسل

لم يتفاهم مع اي شخص من المسؤولين غير اليهود ، الذين قابلهم ، كما تفاهم مع وزير الداخلية الروسي · فبليفيه كان لاساميا ، يكره اليهود وله باع طولى في اضطهادهم ، لانه كان يراهم السبب في القلاقل التي تسببت لحكومة القيصر ، نظرا لاشتراك اعداد كبيرة منهم ، نسبيا ، في الحركات الثورية المناوئة للحكم القيصري · اما هرتسل ، فقد رأى في مواقف بليفيه مثالا حيا لنظريته الصهيونية ، المرتكزة على اللاسامية ، وكان معنيا ، بالطبع ، بخروج اليهود من روسيا ، اذا كان لا بد من ذلك ، باسهل الطرق الممكنة · ولهذا قرر التفاهم مع بليفيه ، خصوصا وان معظم قوى الصهيونية ، كما ونوعا ، كانت موجودة في ذلك الوقت بين يهود روسيا ، ومن الافضل التفاهم مع السلطات هناك لمنعها من اضطهاد الحركة او حظرها · وكانت حكومة القيصر ، بالطبع ، على اطلاع على النشاط الصهيوني في روسيا ، اما بليفيه نفسه ـ كما يتضح من التعليمات التي كان يصدرها لمسؤولي وزارة الداخلية الروسية ، بشأن الموقف من النشاط الصهيوني ـ فقد كان « خبيرا » في الشؤون الصهيونية واوضاع التنظيمات الصهيونية في روسيا ، التي لم توافق الحكومة على قيامها ، ولكنها ، من ناحية ثانية ، امتنعت عن التعرض لها ، عادة ، ما دام نشاطها منصبا على تهجير اليهود من روسيا ، الى فلسطين او غيرها · ولكن هذا الوضع تغير ، الى حد ما ، بعد تأسيس المنظمة الصهيونية العالمية ، اذ اقام الصهيونيون في روسيا علاقات مع زملائهم خارجها ، ونشطوا في تنظيم انفسهم في البلد ، فأسسوا فروعا لهم بين اليهود في أمكان عدة ، نشط بعضها في نشر الثقافة العبرية بين اليهود هناك ، بشكل لفت نظر بليفيه ، فأصدر في حزيران (يونيو) ١٩٠٣ امرا ، منع بموجبه القيام بأي شكل من اشكال النشاط الصهيوني في روسيا ، الا اذا كان موجها لتهجير اليهود منها (٤٢) ·

أجرى هرتسل في روسيا محادثات طويلة مع بليفيه ، ووصفها بانها « فاخرة ومريحة » · واجرى أيضا محادثات مماثلة مع مسؤولين روس آخرين · وفي هذه المحادثات شرح بليفيه لهرتسل اسس السياسة الروسية تجاه اليهود ، موضحا ان روسيا تسعى الى خلق وحدة متماسكة من سكانها ، لهذا فهي تعمل على صهر جزء من اليهود بين السكان ، بواسطة التعليم العالي والتقدم الاقتصادي ، ثم التخلص من الجزء الاخر بواسطة تهجيرهم · ولكن الوضع بين اليهود ازداد سوءا مؤخرا ، واصبحوا «يهتمون بالثقافة والتنظيم والقومية اليهودية اكثر من اهتمامهم بالصهيونية وفلسطين » (٤٣) · كما اجتمع هرتسل بوزير المالية الروسي،

فيطه ، للبحث معه في مسألة رفع الحظر عن بيع اسهم سندات بنك الاستيطان اليهودي في روسيا ، فابلغه فيطه ايضا ان اليهود في الاحزاب الثورية يشكلون نحو ٥٠٪ ، بينما يبلغ عددهم ، في روسيا بأسرها ، نحو ٧ ملايين بين ١٣٦ مليونا من الروس وسواهم ، و « لذلك نشجعهم على الهجرة » بطرق مختلفة ، واحيانا « بواسطة الرفص » (٤٤) ٠ وفي نهاية هذه المحادثات ، توصل هرتسل الى اتفاق مع المسؤولين الروس ، مفاده ان تبذل الحكومة الروسية مساعيها الحميدة لدى تركيا ، لتسهيل دخول اليهود الى فلسطين ، وان تقدم مساعدات مالية للمهاجرين ، تجمع من مصادر يهودية، وان تسهل تنظيم الجمعيات الصهيونية الملتزمة ببرنامج بازل (٤٥)، وسمح ايضا لبنك الاستيطان اليهودي ببيع اسهمه في روسيا ، شرط ان يفتح فرع له في البلد ، لكي تستطيع السلطات مراقبة عمليات البيع ٠ كذلك زود بليفيه هرتسل برسالة ، موقعة منه ، بعد ان بحث محتوياتها مع القيصر اعلن فيها ان الحكومة الروسية تنظر بعين العطف الى الصهيونية ، ما دام هدفها اقامة دولة مستقلة في فلسطين ، وانها على استعداد لمساعدتها ، « وهذه المساعدة قد تتخذ شكل حماية للممثلين الصهيونيين امام الحكومة العثمانية ، وتسهيل نشاط جمعيات الهجرة ٠٠٠ ومساعدتها ماليا ٠٠٠ من الضرائب التي تجبى من اليهود» (٤٦) ٠ وقد استغل هرتسل هذه الرسالة، في اكثر من مناسبة ، فيما بعد ٠

في ضوء هذه الاحداث ، افتتح هرتسل المؤتمر الصهيوني السادس (١٩٠٣) ، بعد ان كانت الحكومة البريطانية قد ابلغت رسميا المنظمة الصهيونية ، عن استعدادها للسماح بتوطين اليهود في اوغندا (وقام مكتب محامين في لندن ، عمل فيه لويد جورج ، الذي اصبح فيما بعد رئيسا للحكومة البريطانية التي اصدرت وعد بلفور سنة ١٩١٧ ، باعداد مشروع الاستيطان وامتيازاته) ٠ وفي الخطاب الافتتاحي ، الذي القاه امام المؤتمر عرض هرتسل، في احدى المرات النادرة التي تحدث فيها علنا عن اتصالاته السياسية ، ملخصا لنشاطه السياسي حتى ذلك الوقت ، بما في ذلك مفاوضاته مع السلطان ، ومع الحكومة البريطانية بشأن العريش ، وامتدح ايضا موقف الحكومة الروسية ، ثم قدم مشروع اوغندا ، حتى قبل ان يكون قد قام ببحثه في اللجنة التنفيذية الصهيونية ٠ واشار هرتسل في اثناء تقديمه لهذا المشروع ، الى ان الاقتراح الذي قدمته الحكومة البريطانية « يعني اقامة استيطان يهودي يتمتع بحكم محلي في جنوب افريقيا ، مع ادارة يهودية وحكومة محلية يهودية ومندوب سام يهودي ٠٠ وكل شيء طبعا تحت رقابة السيادة البريطانية العليا » (٤٧) ٠ واضاف هرتسل ايضا

ان « اوغندا ليست صهيون ، ولن تكون كذلك » ، ولكن هـــذا الاقتــراح « سيساهم قطعا في تحسين اوضاع الشعب اليهودي وتخفيف ضائقته ،دون ان نتنازل عن شيء من المبادىء الكبيرة التي تقوم عليها حركتنا » (٤٨)٠ وطلب من المؤتمر اقامة لجنة خاصة تتولى متابعة الامر ٠ وتحدث نــــورداو بعد هرتسل ، فالقى خطابا آخر ، بناء على طلب هرتسل ، دافع فيه بحرارة عن الاقتراح ، مؤكدا ان مشروع استيطان اوغندا لن يكون الا بمثابـــــة «ملجأ ليلي فريد من نوعه» (٤٩) ، يمنح لساكنيه المأوى والطعام ، ويصبح اداة تثقيف سياسي واجتماعي ، ويجعل اليهود من جهة ، والعالم مـــن جهة اخرى ، يرون تجسيدا للفكرة القائلة بان اليهود شعب واحد ، حتـــى بعد الفي سنة من تشتتهم (٥٠) (وبسبب هذا الخطاب ، حاول احد الطلاب اليهود ، فيما بعد ، اغتيال « نورداو الافريقي » في باريس) ٠

ولكن ردود الفعل على هذا الاقتراح لم تكن بسهولة طريقة تقديمه ، اذ ما ان طلب من المؤتمر البحث في اقامة لجنة لدراسة امكانات الاستيطان في اوغندا ، حتى ثار نقاش حاد بين اعضائه ، الذين انقسموا فيما بينهم ، بين مؤيد للفكرة ومعارض لها ٠ ولم ير المؤيدون اي ضرر مـــن قبـــول الاقتراح ، ولم يكن لديهم اي مانع يدفعهم الى معارضة اقامة دولة يهودية في اوغندا ، خصوصا بعد ان تعهدت دولة كبرى كبريطانيا بمساعدتهم على ذلك ، مؤكدين ان هذه فرصة لا تفوت ٠ اما المعارضون فقد اتهموا هرتسل ورئاسة المنظمة الصهيونية « بالخيانة » ، ومخالفة مقررات المؤتمـــــــر الصهيوني الاول وبرنامج بازل ، وهما يدعوان الى اقامة دولة يهودية في فلسطين دون غيرهـــا ، وان اقتراح هرتسل الداعي الى الموافقـــة على استيطان اليهود في اوغندا و « تنازله عن ارض ــ اسرائيل » ، يعتبر عملا « غير شرعي » ، لا يجوز للمنظمة الصهيونية القيام به ٠ فاضطرت رئاسة المؤتمر الى اجراء تصويت علني ، بالاسماء ، كانت نتيجته ان وافق ٢٩٥ عضوا على الاقتراح ، كان بينهم اعضاء منظمة مزراحي المتدينة ، وصوت ضده ١٧٨ عضوا ، معظم من يهود روسيا ، وامتنع الباقون عن التصويت٠ وما ان اعلنت هذه النتيجة حتى قام المعارضون بترك قاعة المؤتمر ، مطلقين على انفسهم اسم « صهيونيو صهيون » ، مهددين بالانشقاق عـــن المنظمة الصهيونية ٠ الا ان هرتسل تمكن من منع وقوع الانقسام ، بعـــد ان اكـــد مجددا ان ما يقصده من اقتراحه هذا ، هو اقامة لجنة لدراسة الاوضاع في اوغندا فقط ، وبعد ان تعهد بعدم إتخاذ اية خطوة ، تلزم المنظمـــــة الصهيونية ، بالقيام باعمال استيطان في اوغندا ، قبل الحصول علـــى موافقة مؤتمر صهيوني ، يعـــقد خصيصا لهذا الغرض ٠ ومنعت ايضـــا

رئاسة المنظمة من استعمال اموال بنك الاستيطان اليهودي او شركة الكيرن كاييمت لتمويل ارسال بعثة الى اوغندا (٥١) ، فاضطرت الى تأمين المصاريف اللازمة لذلك من غير مصادر المنظمة ·

وعلى الرغم من هذه التعهدات ، اثار اقرار مشروع اوغندا ، من قبل المؤتمر السادس ، عاصفة عنيفة في المعسكر الصهيوني ، قسمته الى شطرين (٥٢) ، وارسلت احتجاجات الى رئاسة المنظمة الصهيونية ، كان من اشهرها رسالة من اوسيشكين ، الذي كان موجودا عند انعقاد المؤتمر في فلسطين ، للعمل على تنظيم المستوطنين الصهيونيين هناك ، اعلن فيها ان قرار المؤتمر بشأن ارسال بعثة الى اوغندا « لا يلزمه » ، لانه يعني « تنازلا وانفصالا عن ارض ـ اسرائيل » · ورد هرتسل على هذه الرسالة بسخرية بالغة (٥٣) · ولم تمر مدة طويلة ، حتى اتضح انه لم يكن من داع للخلافات بين مؤيدي اقتراح استيطان اوغندا ، وبين المعارضين له ، اذ ما ان اعلن هذا الاقتراح حتى ابدى المستوطنون البريطانيون معارضة شديدة له ، اضطرت الحكومة البريطانية الى سحبه حالا · ولكن ذلك لم يمنع الصهيونيين الروس من عقد اجتماع خاص بهم في خاركوف ، في نهاية تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٠٣ ، للاحتجاج على الخطوات التي اتخذها هرتسل ، فقرروا توجيه انذار له بالكف عن محاولاته ، قبل ان تنقسم الحركة الصهيونية على نفسها · كذلك انشأ الاجتماع ما سماه « لجنة تنفيذية روسية » ، ارسلت بعض اعضائها لمقابلة هرتسل وتقديم الاحتجاج اليه ، الا انه رفض مقابلتهم ، بصفتهم تلك (٥٤) ، ولكنه عاد بعد ذلك فعقد اجتماع « صلح » للجنة التنفيذية الكبرى (٥٥) · غير ان اصداء مشروع اوغندا وتأثيره على المنظمة الصهيونية ، كما سنرى، لم يقفا عند هذا الحد·

بعد انتهاء المؤتمر السادس ، عاد هرتسل الى اسلوبه الاول في العمل السياسي ، محاولا مقابلة هذا الزعيم او ذاك ، وحمله على مساعدته لتنفيذ خططه · ففي كانون الثاني (يناير) ١٩٠٤ ، قابل ملك ايطاليا ، واطلعه على الرسالة التي كان بليفيه قد زوده بها ، وحصل منه على وعد بانضمام سفير ايطاليا لدى تركيا ، الى السفير الروسي هناك ، في مساعيه لحمل الحكومة التركيةعلى تسهيل دخول اليهود الى فلسطين(٥٦) · وفي الفترة نفسها ، قابل هرتسل ايضا البابا بيوس العاشر ، الذي رفض تأييد مشاريعه ، مؤكدا ان الكنيسة لا تستطيع الاعتراف باليهود كشعب ، ومن غير الممكن ان تساعدهم في الحصول على الاماكن المقدسة ، وانه اذا نجح هرتسل في مساعيه لتوطين اليهود في فلسطين « فسنحضر نحن الكنائس والكهنة ، لكي نعمدهم جميعا » (٥٧) ·

ولم يقم هرتسل بعد هاتين المقابلتين بنشاط يذكر ، اذ ان مرضه ازداد قوة ، حتى اقعده عن العمل · وفي ٣ تموز (يوليو) ١٩٠٤ توفي ، وعمره ٤٤ سنة ، دون ان تسفر مساعيه لاقامة دولة يهودية في فلسطين ، او غيرها عن اية نتيجة تذكر ·

ويلاحظ من متابعة عمل هرتسل ، خلال فترة نشاطه السياسي ، انه لم يحجم عن الاتصال باية جهة ، اذا رأى ان اقامة علاقات معها قد تفيد الحركة الصهيونية ، عدا فرنسا · ويبدو ان السبب في ذلك يعود الى ان هرتسل كان قد كون رأيا سلبيا عن النظام الفرنسي في ذلك الحين ، عندما عمل مراسلا صحفيا في باريس خلال سنوات ١٨٩١ ـ ١٨٩٥ · وكان هرتسل قد نشر كتابا عن فترة تجربته هناك ، بعنوان « هيكل بوربون » ·

ويلاحظ ايضا ان فشل هرتسل ، في مساعيه لاقامة دولة يهودية ، يعود في الاصل ، الى عدم توفر الظروف الموضوعية الكفيلة بحمل الدول الغربية على تأييد هذا المشروع ، في حينه ـ وكان على الصهيونية ان تنتظر حتى تحين الفرصة المناسبة ·

[٧]

مع وفاة هرتسل ، وجدت الحركة الصهيونية نفسها في وضع يختلف تماما عن ذلك الذي كان قائما عند ظهوره · ولم ينجم ذلك عن نشاط هرتسل وحده ، رغم اهميته ، بقدر ما نجم ايضا عن ردود الفعل ، من قبل فئات صهيونية مختلفة ، على ذلك النشاط او عن ظاهرة هرتسل بحد ذاتها · فمع اقامة المنظمة الصهيونية العالمية ، انشأت عمليا مؤسسة تدعي لنفسها حق تمثيل اليهود سياسيا ، لاول مرة في تاريخ اليهود في العصور الحديثة ، لتعامل فيما بعد على هذا الاساس ، من قبل دول عدة رغم انها لم تضم مرة اكثر من ٥٪ من اليهود في العالم اعضاء فيها ·كذلك جمعت المنظمة بين الصهيونيين في كافة انحاء العالم ، خصوصا من يعمل منهم في غرب اوروبا وشرقها ، بعد ان كان الاوائل منهمكين في دراسة وسائل التصدي للاسامية ، او منع اندماج اليهود في مجتمعاتهم ، فيما الاخرون غارقون في غيبيات البحث عن افضل الطرق للاسراع في ظهور المسيح ـ المخلص لانقاذ اليهود · ومع اكتشاف الصهيونيين لقوتهم الكامنة في اتحادهم ، في اطار منظمة صهيونية عالمية واحدة ، من جهة ، وتبلور فكرة اقامة دولة يهودية ثم ظهور بوادر الامل في اقامتها ، نتيجة لنشاط هرتسل ومشاريعه واتصالاته مع زعماء عصره ، من جهة ثانية ، اتجهوا

الى ملائمة انفسهم مع الواقع الجديد · وانطلاقا من هذا الوضع ، اعاد الصهيونيون تنظيم اجهزتهم واقاموا التحالفات فيما بينهم ، وتحولوا من مجموعات مؤلفة من جمعيات هجرة او نواد سياسية او افراد ، الى كيان سياسي متعدد الاحزاب ، ثم اجتماعي اقتصادي ، في مرحلة لاحقة ، يكاد يشبه اي كيان قائم في اية دولة مستقلة ، رغم كونهم موزعين على دول عديدة ·

ظهر التحول في اسلوب عمل الفئات الصهيونية ، ثم تنظيمها ، فمواقفها السياسية ، واخيرا عقيدتها ، كرد فعل على ظاهرة هرتسل ، في البداية ، ثم استمر بقوة التطور ، والتفاعل بين التنظيمات الصهيونية المختلفة · فرغم التقدير الذي حظي به هرتسل من قبل اكثرية الصهيونيين ، وجد عديدون فيه اكثر من عيب : من ذلك استناده ، في دعوته الى اقامة دولة يهودية ، على اللاسامية كأساس للصهيونية ، وكذلك جهله بالتراث اليهودي ، وطريقته «السياسية» في العمل الصهيوني ، التي رفض بموجبها البدء بأي نشاط استيطاني في فلسطين ، قبل الحصول على ضمانات دولية، واخيرا اسلوبه الفردي في ادارة سياسة المنظمة الصهيونية وشؤونها ·ومن هنا جاءت ردود الفعل على هرتسل ثم معارضته ·

كانت نقطة الاحتكاك الاولى ، بين الفئات الصهيونية المختلفة ، داخل المنظمة الصهيونية وخارجها ، الموقف من الثقافة اليهودية ، التي لم تكن عمليا الا تعبيرا آخر عن الموقف من الدين ، ومن السياسة الصهيونية الرسمية منه ، ثم الصراع الدائر بين المتدينين والعلمانيين حول ذلك · وتركزت الخلافات ، في هذه الناحية ، اساسا ، بين صهيونيي روسيا بفئاتهم المختلفة ، الذين كانوا يوفدون ، بسبب كثرة عددهم ، اكبر مجموعة من المندوبين الى المؤتمرات الصهيونية · وكان عدد اولئك المندوبين قد ارتفع ، من نحو ثلث اعضاء المؤتمر الصهيوني الاول الى ما يزيد على النصف في المؤتمر السادس ، وذلك بعد قيام الصهيونيين بنشاط تنظيمي واسع بين يهود روسيا ، اسفر عن ازدياد عدد الجمعيات الصهيونية هناك، من ٢٣ جمعية ، عشية انعقاد المؤتمر الصهيوني الاول ، الى ٣٧٣ ، ٨٢٥ ، ٩٦٥ ، ١١٤٦ و ١٥٧٢ جمعية عشية انعقاد المؤتمرات الخمسة التالية (١)· وكان الصهيونيون الروس منقسمين ، اجمالا ، الى اربعة تيارات رئيسية: هواة صهيون ، الذين اندمجوا تدريجيا بالصهيونيين « العمليين » ، الصهيونيين « السياسيين » من اتباع هرتسل ، و « الروحانيين » اتباع آحاد هعام ، واخيرا المتدينين ، الذين كانوا يرتعبون من الحديث عن « الثقافة اليهودية » ، التي لم تكن بالنسبة لهم الا غطاء للكفر واجراء

« اصلاحات » في الدين · وثارت هذه الخلافات ايضا بين صهيونيي روسيا من جهة ، وبين الصهيونيين من دول اوروبا الغربية ، العلمانيين باكثريتهم، من جهة اخرى ·

وفي المؤتمر الصهيوني الاول ، لم يثر نقاش واسع حول الشؤون الثقافية والدينية ، خصوصا وان الحاخامين الارثوذكس امتنعوا عن حضوره · غير ان تغييرا ملحوظا طرأ على موقف اولئك الحاخامين ،بعد نجاح هذا المؤتمر ، اذ غيروا آراءهم السابقة وحضروا المؤتمر الصهيوني الثاني · ويبدو ان ذلك تم بعد النداء ، الذي اصدره هرتسل ، وناشد فيه المتدينين عامة والحاخامين خاصة ، الانضمام الى مؤسسات المنظمة الصهيونية ، حيث اصبحوا من كبار مؤيدي الصهيونية « السياسية» (٢)· وكان صهيونيو روسيا قد عقدوا ايضا مؤتمرهم الاول ، في وارسو ، قبل اسبوع من انعقاد المؤتمر الصهيوني الثاني ، في آب (اغسطس) ١٨٩٨ ، بحضور ١٦٠ مندوبا ، وناقشوا فيه الموقف من المسائل الثقافية ، ولكنهم لم يصلوا الى اتفاق فيما بينهم ازاءها (٣) · ولهذا ثار النقاش في المؤتمر الثاني ، حول موقف المنظمة من الثقافة ، من قبل اكثر من جهة ، ودون اتفاق · فحاول المتدينون حمل المؤتمر على اتخاذ قرار يمنع المنظمة من العمل في الشؤون الثقافية ، بعد ان قدروا انه اذا اتخذ قرار بهذا الشأن فسيكون في صالح العلمانيين ، الا اذا اقر المؤتمر اقامة « مجلس حاخامي » ، مؤلف من كبار علماء التوراة ، للاشراف على النشاط الثقافي الصهيوني · ولكن المؤتمر رفض اقتراح المتدينين ، وقرر « ان الصهيونية تهدف الى بعث الشعب اليهودي ، ليس فقط من حيث وضعه الاقتصادي والسياسي ، وانما من حيث وضعه الروحاني ايضا » · غير أن المؤتمر اضاف في قراره ، مراعاة لمشاعر المتدينين وحتى لا ينفرهم ويدفعهم نحو الانشقاق ، « ان الصهيونية لن تقوم بأي عمل يتعارض مع تعاليم الدين اليهودي » (٤) · كما تقرر اقامة « مفوضية ثقافية » ، مستقلة في مجال عملها ، لا يحق للجنة التنفيذية التدخل في شؤونها ، الا اذا تجاوزت الصلاحيات التي يحددها لها المؤتمر · وخصصت لها ميزانية من رسوم عضوية الشيكل ، وكلفت بمتابعة النشاط الثقافي بين اليهود في فلسطين أيضا ، واقامة مدارس عبرية لهم (٥) ·

ولم يرض الصهيونيون المتدينون ، بالطبع ، عن هذا القرار ، فالمسالة بالنسبة لهم مبدئية ، وسكتوا على مضض ، ولكن مناوئيهم ايضا لم يرضوا به · وأتجه الطرفان الى تجميع قواهما ، فحدثت مجابهة اخرى

بينهما في المؤتمر الصهيوني الرابع ، الذي احتل النقاش فيه ، حول توسيع مجال النشاط الثقافي من قبل المنظمة الصهيونية ، حيزاً ملحوظا · واتخذ المتدينون في هذا المؤتمر موقفا متصلبا ، وطالبوا بتعيين ثلاثة حاخامين او متدينين ورعين اعضاء في اللجنة التنفيذية · ولكن الهجوم جاء من مناوئيهم، ووجه الى « فردية» هرتسل وسياسة المنظمة الصهيونية والمتدينين معا ، وافتتحه عضو المؤتمر حاييم وايزمان (١٨٧٤ ـ ١٩٥٢) (فيما بعد رئيس المنظمة الصهيونية العالمية ، واول رئيس لاسرائيل) ، الذي كان قد تخرج ، في السنة السابقة لعقد المؤتمر ، من جامعة فرايبرغ في المانيا ، بدرجة دكتوراه في الكيمياء ، مؤكداً بشدة على ضرورة توسيع النشاط الثقافي الصهيوني · الا ان عضواً آخر من الاعضاء المتدينين البارزين في المؤتمر ، الحاخام يتسحاق رينس (١٨٣٩ ـ ١٩١٥) ، حاخام بلدة ليدا في روسيا ، وزميل الحاخام شموئيل موهيليفر في حركة هواة صهيون سابقا ، هدد بأن اتخاذ مثل هذا الاجراء قد يؤدي الى ابعاد الآلاف ، من الاعضاء اليهود المتدينين ، عن المنظمة الصهيونية · ولم يكن هرتسل نفسه ، على كل حال ، من المتعاطفين مع المتدينين ، ولكنه كان يدرك ان الحاخامين يمثلون اعداداً كبيرة من المتدينين ، المؤيدين لحركته ، ولم يكن على استعداد للتنازل عن تأييدهم ، ولذلك اقترح شطب الموضوع من جدول الاعمال ، فأقر المؤتمر اقتراحه باغلبية ضئيلة : ١٢٠ ضد ١٠٥ اصوات (٦) ·

ولم يقبل اي من الطرفين ، مرة اخرى ، بهذا القرار ، ولكن المتدينين سكتوا ، بينما اضاف الطرف الآخر موقف هرتسل هذا الى جملة المواقف الاخرى، التي كانوا يناوؤنه بسببها · ولهذا صعدوا معارضتهم واتجهوا من القول الى العمل · وكانت المعارضة لهرتسل ، بين الفئات الصهيونية قد ظهرت حتى قبل ان يعقد المؤتمر الصهيوني الاول (٧) ، وازدادت بعد عقده ، خصوصا بعد ان اتضح ، بحسب رأي احدهم ، ان صهيونية هرتسل كانت « صهيونية سهلة » ، يطلب بموجبها من اليهود ان «يدفعوا رسوم الشيكل ، يصبحوا صهيونيين ، ويسكتوا » (٨) · وقد نفذ الصهيونيون الشرطين الاولين ، ولكنهم لم يسكتوا · ومع مرور الوقت ، ازدادت المعارضة قوة واتساعا ، متهمة هرتسل بأنه يعامل المؤسسات الصهيونية ، رغم نموها المتواصل وتعاظم قوتها ، « كذلك الأب الذي يرفض الاعتراف بأن اولاده بلغوا سن الرشد ، ويصر على معاملتهم كاطفال » · واتهم هرتسل بأن موقفه ، تجاه النشاط الصهيوني ، يتلخص في « ان تعمل المنظمة الصهيونية في بيع الشيكل ، وتوزيع اسهم بنك

الاستيطان ، الذي لم يكن يعمل في الاستيطان ، وكان على المؤتمر ان يتحول الى تظاهرة جميلة ، تجاه الداخل والخارج ـ لا اكثر ٠ اما العمل الكبير ـ حل المشكلة الرئيسية ، فقد بقي في ايدي [الزعيم] » (٩) ٠ ولم يكن هذا الوصف مجحفا بحق هرتسل ، الذي كان فرديا في تصرفاته ومحبا لذاته بشكل غريب : « يبدو لي انه لو اخترع احد معارفي طائرة ـ هكذا كتب مرة في يومياته ـ لصفعته على وجهه ٠ ولكان هذا ايضا اهانة بالغة لي ٠ لماذا هو ؟ ولست انا ؟ » (١٠) ٠ وكان هرتسل على علم بحقيقة موقف بعض الصهيونيين منه ، حتى قبل ان يعقد المؤتمر الصهيوني الاول : « لقد بدأ الحسد ٠ وقبل ان انهي اعمال التحضير [لعقد المؤتمر] ، يريدون تنحيتي » (١١) ، ولكنه ، من ناحية ثانية ، لم يكن يشعر باحترام عميق لهم ، ورد مرة على انتقادات وجهها له احدهم ، بقوله : « لقد شعر الدكتور كوكيش [مؤسس اول جمعية صهيونية في فينا ، وفيما بعد عضو اللجنة التنفيذية الصهيونية] باهانة كبيرة ، لاني لم آخذ بالاعتبار ورقة العمل (التي وضعتها) لمؤتمر (انا الذي اصنعه) للصهيونيين (الذين اصنعهم) ، واقتراحات التغيير التي قدمتها « اللجنة التحضيرية » (التي لا تصنع شيئا) » (١٢) ٠ ويبدو ان احد اسباب هذا الموقف ، من قبل هرتسل ، كامن ايضا في عجز الزعماء والمسؤولين الصهيونيين عن مجاراته في نشاطه وديناميكيته ، وانهماك معظمهم في ادارة اعمالهم الخاصة ، وعلى الاخص اعضاء اللجنة التنفيذية الصهيونية ـ « اللجنة اللاتنفيذية » ، كما وصفها هرتسل مرة (١٣) ـ ثم تذمرهم ، رغم ذلك ، من تصرفاته ٠ وعبر هرتسل عن هذه الصعوبات مرة بقوله : « [انني اواجه] صعوبات في اللجنة التنفيذية ، فالسادة يتذمرون من انني لا اطلعهم كثيراً على ما يجري ٠ ولكن عندما اطلب منهم عملا ٠٠٠ لا اجد الرجل في بيته » (١٤) ٠

كان اسلوب هرتسل هذا في العمل السياسي ، واصراره على السيطرة على النشاط الصهيوني ، بكافة جوانبه ، احد الاسباب الرئيسية في تبلور تيار آخر ، داخل الحركة الصهيونية ، معارض له ، وللمتدينين ، لكون اكثرية المنتمين اليه من المسكيليم ، الذين كانوا يطالبون باتباع الاساليب « الديمقراطية » في ادارة العمل الصهيوني ٠ وتزعم هذا التيار المثقفون الشباب ، من صهيونيي اوروبا الغربية ، او من الطلاب اليهود الروس الذين كانوا يدرسون في جامعاتها ، وبرز بينهم ، بشكل خاص ، الدكتور حاييم وايزمان وليو موتسكين (١٨٦٧ ـ ١٩٣٣) ، احد المشاركين في صياغة برنامج بازل ، ومن اوائل من استجابوا الى

دعوة هرتسل لعقـــد مؤتمر صهيوني ، والدكتور يتسحاق كوهين ـ برنشتاين · وكان وايزمان ، الذي لم يحضر المؤتمر الصهيوني الاول ، قد تعرف على هرتســـل في المؤتمر الثاني ، ولكنه لم يعجب به ، لان « صهيونيته بدت كنوع من الصدقة » (١٥) ، ولان [كتاب] دولة اليهود لم يحتو على فكرة واحدة جديدة بالنسبة لنا » (١٦) · ثم « ان الصهيونية بالنسبة لي [اي وايزمان] كانت شيئا عضويا ، ينبغي ان تنمـو مثـــل شجرة ، ويجب مراقبتها وريها والاعتناء بها ، اذا اريد لها ان تثمر · ولم اكن اعتقد ان الامور يمكن ان تتم على عجل » (١٧) · وكانت هذه النظرة اساس ما عرف باسم « الصهيونية المركبة » (١٨)، او « العضوية »، التي اطلقت على طريقة وايزمان في العمل الصهيوني ، خصوصا بعد ان اصبح رئيسا للمنظمة الصهيونية العالمية ، خلال فترة الانتداب البريطاني على فلسطين · ولم تكن مجموعة الشباب المعارضين ، على حد تعبير وايزمان ، من « الثوريين » ولكنهم لم يكونوا ايضا « رجعيين » : « كنا مجموعة مناضلة من الاكاديميين الشباب ، الذين لا يملكون اية قوة ولا اية مساعدة خارجية ، ولكن كانت لديهم نظرة محددة » (١٩) · وتركزت انتقادات هؤلاء الشباب على نقاط عديدة ، منها « الفخفخة » التي كانت تسيطر على المؤتمرات الصهيونية ، عند انعقادها ، واهتمام هرتســـل بالمتدينين المتقدمين في السن ، اكثر من اهتمامه بالشبـاب ، وركضـــه وراء الملوك والامراء ، آملا ان « يعطوه » فلسطين ، وفشله في تحقيق اي انجاز سياسي فعلي ، رغم « الكلام الكبير » الذي كان يطلقه ، وأسباب أخرى عديدة (٢٠) ·

وفي نيسان (ابريل) ١٩٠١ ، عقد المعارضون اجتماعا ، في مدينـة ميونيخ بالمانيا ، حضره عدد من ممثلي دوائر الطلاب الصهيونيين ، فـــي عدد من جامعات اوروبا الغربية ، للتشاور فيما بينهم حول الطـــرق المناسبة « لاصلاح » اوضاع المنظمة الصهيونية ، وقرروا عقد مؤتمر عام لهم ، في منتصف كانون الاول (ديسمبر) من السنة نفسها ، في بازل ، قبيل عقد المؤتمر الصهيوني الخامس في المدينة · وافتتح مؤتمر المعارضين هذا بحضور نحو ٤٠ مندوبا، زاد عددهم خلال المؤتمر ، بعد ان انضم اليهم اشخاص اخرون من المانيا والنمسا وفرنسا وسويسرا،معظمهم من الاكاديميين الشباب · والقيت خلال المؤتمر ، الذي استمر بضعة ايام ، محاضرات عدة ، طرحت خلالها وجهات نظر جديدة (٢١) · واختتم المجتمعون مؤتمرهم بالاعلان عن اقامة تنظيم مستقل ، داخـــل المنظمة الصهيونية ، اطلقوا عليه اسم « الكتلة الصهيونية الديموقراطية » ، للعمل

في سبيل تحقيق الاهداف التي اتفقوا عليها ٠

ومع اقامة الكتلة الديموقراطية ، كما عرفت فيما بعد ، تأسس اول حزب سياسي صهيوني ، كان تأسيسه ، الى حد بعيد ، نوعا من ردود الفعل على ظاهرة هرتسل ٠

ويبدو من البرنامج الذي اقرته الكتلة الديموقراطية انها كانت تعتبر نفسها ، عند تأسيسها ، بديلا لمنظمة هرتسل الصهيونية بأسرها ٠ ففي المادة الاولى من البرنامج ، تطرح الكتلة تعريفا جديداً للصهيونية ، لا يتلاءم تماما مع ما اقره برنامج بازل – « ان الصهيونية هي الطموح لتحرير الشعب اليهودي من الضغط التاريخي ، حل مشكلة الفرد اليهودي، بحيث تحل معــــه المشكلة الاقتصادية للشعب اليهودي ومشكلة اليهود السياسية » (٢٢) ٠ وجاء في برنامج الكتلة ايضا «ان تطور الانسانية يمكن ان يتحقق فقط بواسطة تطور الشعوب ذات القدرة على الحياة ٠٠٠ وان قدرة الشعب اليهودي على الحياة ، التي تمنحه حق الطموح لاستقلال قومي ، هي نتيجة لحقيقة ان اليهود يشكلون وحـدة قومية لهـا نفسية شعب ، تنبعث منها اشارات قومية جوهرية ، رغم الضغط التاريخي » ٠ ولهذا يعلن البرنامج « ان تحرير الامة اليهودية يهدف الى بعث الشعب اليهودي ، وبنائه مجدداً كوحدة عضوية ، تكون مؤهلة عند تجديد شبابها لتطوير مواهبها الاصلية الحقيقية ، وخلق قيم تربوية واجتماعية قيمة » ٠ « ويمكن تحقيق الصهيونية بواسطة ٠٠٠ تنظيم جماهير اليهود بالمفهوم الصهيوني ٠٠٠ خلق مراكز قوة رئيسية (بنـــك ، صناديق ماليـــة ، الخ) ٠٠٠ والحصول عـــلى موافقـــة الشعوب المعـنيـــة الاخـــرى وممثليها» (٢٣) ٠

وطالبت الكتلة الديموقراطية ، في برنامجها ايضا ، المنظمة الصهيونية بالاعتراف بحق الصهيونيين المنتمين اليها في اقامة احزاب مستقلة ، وان كانت وجهات نظرها مختلفة ، شرط ان تعمل من خلال تعاون وتضامن مع الاحزاب الاخرى القائمة في ظل المنظمة ٠ واعلنت الكتلة ايضا انه لا يجوز ابراز العوامل السلبية كأساس للصهيونية ، وذلك كرد عـلى ادعاء هرتسل بأن اللاسامية هي أساس الصهيونية ٠ وطالبت كذلـــك باتباع طرق اكثر ديموقراطية في ادارة المنظمة الصهيونية ، واعتمـــاد الانتخابات وسيلة رئيسية لملء المناصب الشاغرة في اجهزتها ، والزام الصحيفة الصهيونية المركزية بنشر بيانات كل الفئات الصهيونية ، واكدت على ضرورة تأسيس الاستيطان في فلسطين على قواعد تعاونية ، والتمسك

بمبدأ تأميم الارض في البلد (٢٤) ٠ وجاء في مذكرة ، بعث بها وايزمان الى هرتسل ، حول اهداف كتلته ، قوله « ان الكتلة تعتبر نفسها حلقة الوصل بين الجيل القديم والجيل الجديد ٠ وهي وحدها التي تستطيع محاربة الثوريين ، وتحاربهم فعلا ٠ وهي وحدها صاحبة الآراء المتحررة والمتقدمة في النواحي الاجتماعية ٠ انها تستخلص من الجماهير اصولها اليهودية وتصقلها وتلبسها صيغا اوروبية ٠ ما هو هذا العنصر اليهودي ـ هذا ما لا يريد الصهيونيون في الغرب ان يفهموه ، وحتى الزعماء لم يفهموه الى الآن فهما صحيحا » (٢٥) ٠

وفي المؤتمر الصهيوني الخامس ، الذي افتتح بعد ايام من الاعلان عن اقامة الكتلة الديموقراطية ، نشب الصراع مجدداً ، ولكن هذه المرة ليس بين « السياسيين » و « العمليين » او المتدينين ، وانما بين الكتلة و « العمليين » ، الذين انتقدوا مجرد اقامة الكتلة ، بالشكل الذي اقيمت به ، مما قد يسبب ضرراً للصهيونية ، خصوصا في روسيا ٠ وقام احد زعماء « العمليين » ، مناحم اوسيشكين ، بتنظيم مجموعة من ٣٥ مندوبا في المؤتمر ، للتصدي للكتلة ، التي ضمت ٣٧ مندوبا ٠ وتحدث ممثلو الكتلة في المؤتمر ، وعلى رأسهم وايزمان ، فطالبوا بتعميق العقيدة الصهيونية ، واتباع أسس اكثر ديموقراطية في ادارة المنظمة ، وبذل عناية اكبر بجيل الشباب ، واصروا بشكل خاص على اتخاذ قرار مبدئي حول المسألة الثقافية ، موضحين ان المؤتمرات الصهيونية السابقة قد اشبعت هذه المسألة بحثا ونقاشا ، ولم يبق الا اتخاذ القرار المبدئي ، الذي يوضح الموقف الصهيوني الرسمي منها (٢٦) ٠ ولكن المؤتمر الصهيوني رفض هذا الاقتراح بايعاز من هرتسل ، فترك اعضاء الكتلة قاعة الاجتماعات احتجاجا ٠ وعلى الاثر قام من استرضاهم وارجعهم الى القاعة ، واتخذ المؤتمر قراراً اوضح فيه انه « يرى في تعبير الثقافة ، التربية القومية لليهود ، ويعتبر هذا العمل مادة مهمة في البرنامج الصهيوني ويفرضها كواجب على كل صهيوني » (٢٧) ٠

والواضح ان هذا القرار حظي برضى الكتلة الديموقراطية التام ، ولكنه اثار ، في الوقت نفسه ، غضب المتدينين ، خصوصا بعد ان بدا واضحا ان الكتلة الديموقراطية تسعى باصرار الى علمنة مجالات النشاط الصهيوني كافة ، انطلاقا من الشعار القائل « ان اليهود ككل الشعوب » ، ذلك الشعار الذي كان احد الاسس الفكرية في الصهيونية العلمانية ، ولكنه لم يحظ ، بالطبع ، باعجاب المتدينين (٢٨) ٠ ولم يعارض

الصهيونيون المتدينون هذا القرار فحسب ، ولم يكتفوا ايضا بالاعلان ان الحركة الصهيونية لن تقوم بأي عمل يتعارض مع تعاليم الدين اليهودي ، بل طالبوا بضمانات تؤكد ان الحركة لن تتجاوز القيود التي فرضتها على نفسها ، ولن تتسبب في اضعاف الحياة الدينية ، او في تقوية الاسس العلمانية على حساب الدين · ولكن الحركة الصهيونية كانت تتجه، عمليا، اكثر فأكثر نحو اقرار مفهوم « القومية العلمانية » · ومن ناحية ثانية ، كان قد تبلور ، حتى ذلك الوقت ، بين فئات متدينة مختلفة ، مفهوم ديني جديد للصهيونية ، مفاده « ان هدف الصهيونية ··· هو انقاذ الشعب اليهودية وديانته ، وهما وحدة لا تتجزأ » (٢٩) · وما ان لاحظ المتدينون ان الكتلة الديموقراطية استطاعت ، بفضل تنظيمها ، احـراز نصـر للعلمانيين في المؤتمر الصهيوني ، بدا كأنه فاتحة لانتصارات اخرى نحو مزيد من العلمنة ، حتى قرروا تنظيم انفسهم ككتلة صهيونية دينية مستقلة، بغية العمل على جذب دوائر المتدينين ، خصوصا الحاخامين ، الـى الصهيونية من جهة ، ومحاربة دمج النشـاط الثقافي في البرنامـج الصهيوني الرسمي من جهة اخرى · ولم يمض اكثر من شهر ونصف شهر على عقد المؤتمر التأسيسي للكتلة الديموقراطية ، حتى كان المتدينون يعقدون مؤتمراً خاصا بهم في مدينة فيلنا ، في شباط (فبراير) ١٩٠٢ · وحضر هذا المؤتمر ، الذي رئسه الحاخام يتسحاق رينس ، ٧٢ ممثلا عن الصهيونيين المتدينين ، بينهم ٢٤ حاخاما ، جاؤوا من مدن روسية عديدة ، وتقرر في نهايته ، بعد مشاورات غير طويلة ، ابلاغ المنظمة الصهيونية عن اقامة منظمة ، اسمها مزراحي (اختصار كلمتي : « مركز روحاني ») ، باعتبارها كتلة متدينة مستقلة داخل المنظمة ـ وبهذا اقيم ثاني حزب سياسي صهيوني ·

اصدرت منظمة المزراحي فور اقامتها ، بيانا جاء فيه انه « في بلدان المهجر ، لا يمكن بعد لتوراة اسرائيل ، وهي روح الامة ، ان تسيطر بكل قوتها ، ولا يمكن اداء كل فرائض التوراة ، بكل قوة طهارتهـا · لهـذا ينبغي توجيه قلوب اليهود الى صهيون والقدس ، للمكان الذي سيجد فيه ايضا فقراء شعبنا الراحة المنشودة · ان بعث الامل في عودة صهيون سيمنح قاعدة آمنة ، وطابعا خاصا لشعبنا ، ومأمنا لتوراته ولكل اقداسه· ان صهيون والتوراة شيئان مقدسان ، يكمل كل منهما الآخر ، ويحتاج اليه » (٣٠) · واطلقت المزراحي ايضا في ذلك المؤتمر ، شعارها : « ارض ـ اسرائيل لشعب اسرائيل بموجب توراة اسرائيل » (٣١) ، واقرت لائحة تنظيم داخلية جاء فيها انه « يدخل منظمتنا الصهيونيون المتدينون او

الصهيونيون المعتدلون [من الناحيـــة الدينية] ، الذين يوافقـــون على تفاصيل منهاجنا » (٣٢) ٠ وفي المؤتمر العالمي الاول للمزراحي ، المنعقد في مدينة بريسبورغ بهنغاريا ، في آب (اغسطس) ١٩٠٤ ، اقر دستور للمنظمة ، جاء فيه « (١) ان المزراحي منظمة صهيونية ملتزمة ببرنامج بازل ، تسعى للعمل من اجل بعث حياة اليهود القومية ٠ وتعتقد المزراحي ان وجود الشعب اليهودي يعتمد على محافظته على التوراة والتقاليد [الدينية] واداء الفرائض والعودة الى ارض الآباء ٠ (٢) تبقى المزراحي في المنظمة الصهيونية ، وتناضل داخلها من اجل آرائها ووجهات نظرها ، ولكنها ستقيم تنظيمها الخاص بها ، من اجل ادارة نشاطهـــا الديني والثقافي ٠ (٣) رسالة المزراحي هي تنفيذ اهدافها ، بكل الطرق المشروعة، والاعلام عن مبادئها بواسطة نشر الادب الديني القومي وتثقيف الشباب بروحه » (٣٣) ٠

بعد مرور بضعة اشهر على اقامة المزراحي ، سنحت لها الفرصـة لامتحان قوتها التنظيمية ٠ ففي ايلول (سبتمبر) ١٩٠٢ ، عقد المؤتمر الثاني للصهيونيين الروس ، في مدينة مينسك (وكان المؤتمر الصهيوني الوحيد الذي يعقد في روسيا القيصرية بصورة شـــرعية) ، واستغلت المزراحي ، التي كانت ممثلة في المؤتمر بنحو ٦٠ مندوبا ، من بين ٥٠٠ مندوب (٣٤) ، المناسبة لحمله على تأييد موقفها من النشاط الثقافي ٠ غير ان المؤتمر اتخذ موقفا آخر ، ووافق على مشروع قرار مشترك ينص على حل وسط تقدمت به رئاسته ، بالاشتراك مع كل من الحاخام رينس وآحاد هعام ، اعلن فيه انه يرى التيارين الثقافيين ، « القومي ـ التقليدي، والقومي ـ التقدمي » متساويين في الحقوق ، ولهذا قرر تشكيل لجنتين ، الاولى للنشاط الثقافي المتدين والثانية للعلماني ، يختار اعضاء كل واحدة منها مؤيدو المجموعة المعنية ، وتعمل بشكل مستقل وغير متعلق بعمـل زميلتها (٣٥) : وكان هذا هو ايضا الحل الذي اراه المؤتمر الصهيوني السادس ، حين وقعت المجابهة شبه النهائية بين المزراحي (نحو ١٠٠ مندوب) والكتلة الديموقراطية (نحو ٥٠ مندوبا) ، حول موقف المنظمة الصهيونية من النشاط الثقافي ، وقرر اقامة لجنتين مستقلتين لمتابعة هذا النشاط ، الاولى علمانية والثانية متدينة ٠ ومنذ ذلك الوقت ، وهاتان الهيئتان قائمتان داخل المنظمة الصهيونية ٠

لم تكن الكتلة الديموقراطية والمزراحـــي التنظيمين ـ الحزبيـــــن الوحيدين ، اللذين اقيما داخل المنظمة الصهيونية ، « فالاولاد » ـ لاسف

هرتسل ومؤيديه ـ كبروا وتمردوا ، واقاموا احزابا اخرى ايضا ، رغم ان رئاسة المنظمة لم تكن تنظر بعين الرضى الى مثل هذه التطورات ، اذ كان من المفروض ، بحسب رأيها ، ان تبقى المنظمة وحدة متماسكة ، لا احزاب او تيارات سياسية داخلها ، ذات طابع معتدل ، مقبول لدى حكام ذلك العصر بأجمعهم ، تسعى فقط الى حل المسألة اليهودية بواسطة اقامة دولة يهودية · وبعد تحقيق هذا الهدف فقط ، يمكن التصرف من خلال الاحساس بالامن و « الرخاء » ، واقامة احزاب او غيرها · ولهذا لم تكن رئاسة المنظمة مرتاحة لظهور الكتلة الديموقراطية او المزراحي ، خصوصا وان الكتلة كانت تطلق شعارات « استفزازية » ، بحديثها عن « ديموقراطية » و« تقدمية » و« علمانية » وما شابه ـ ولكنها سكتت على مضض ·

غير ان الامر لم يتوقف عند هذا الحد ، اذ ظهر ايضا داخل المنظمة تيار آخر ، اطلق اصحابه على انفسهم اسم « الصهيونيين الاشتراكيين »· وكان ظهور هذا التيار نتيجة لتطورات مهمة وصلت حينذاك الى درجة عالية من الحدة والتناقض ، خصوصا بين يهود روسيا (انظر، للتفاصيل، الفصل التالي) · ففي السنة التي عقد فيها المؤتمر الصهيوني الاول واقيمت المنظمة الصهيونية العالمية (١٨٩٧) ، اسس ايضا في مدينة فيلنا ، في اجتماع سري وغير شرعي عقد في ايلول (سبتمبر) من السنة نفسها ، اي بعد اقل من شهر على انتهاء اعمال المؤتمر الصهيوني الاول ، اول حزب اشتراكي يهودي ـ « البوند » ، الاتحاد العام للعمال اليهود في روسيا وبولونيا (واضيفت لتوانيا فيما بعد) · وكان اتباع البوند والصهيونيون يتنافسون فيما بينهم ، على كسب تأييد الجماهير اليهودية في روسيا وغيرها ، ويحاربون بعضهم بعضا بعنف · غير انه وجد هناك ايضا من اعتقد ان المصلحة لا تكمن في الصراع بين التيارين ، بل في توحيدهما ـ على غرار عملية الدمج التي قام بها وايزمان بين « الصهيونية السياسية » و « الصهيونية العملية » فأنتج ما اسماه « الصهيونية المركبة » ـ فقام هؤلاء بعملية دمج مماثلة بين الصهيونية والاشتراكية ، انتجت « الصهيونية الاشتراكية » · وكان من ابرز اولئك نحمان سيركين ، الذي نشر سنة ١٨٩٨ كتابا بعنوان « المسألة اليهودية ودولة اليهود الاشتراكية » ، وذلك بعد ان قرر « ان يكون اشتراكيا بين الصهيونيين ، وصهيونيا بين الاشتراكيين » ، رغم « ان كل طرف رفضني بشدة ، ودفعني نحو الطرف الآخر » (٣٦) ·

ظهر « الصهيونيون الاشتراكيون » ، لاول مرة ، في المؤتمر الصهيوني الثاني ، حيث ابدت مجموعة منهم ، بزعامة سيركين ، نشاطا ملحوظا ، اثار استغراب باقي اعضاء المؤتمر وغضبهم ، بسبب اقتراحات « الاشتراكيين » وطريقة كلامهم ولهجتهم المعارضة ۰ واعلن سيركين ، خلال المناقشات في المؤتمر ، ان صراع الطبقات قائم ايضا داخل المنظمة الصهيونية ، ولهذا اقترح تعيين ممثلين عن الطبقة العاملة في كل اللجان التي يشكلها المؤتمر ۰ وكان الجواب على هذا الاقتراح ، اقتراحا مضاداً يطالب بطرد سيركين من المؤتمر ، « لان كل قوانا موجهة الان الى المحافظة على شعبنا من الدمار والهزيمة ۰۰۰ واما باقي الامور ، بما في ذلك الناحية الاجتماعية من نظام المستقبل عامة ، فانها مؤجلة ، حاليا ، الى زمن آخر ۰۰۰ وعليهم [« الاشتراكيون »] ان لا يندسوا بين صفوفنا » (٣٧) ۰ وفي المؤتمر الصهيوني الثالث القى سيركين محاضرة، في احدى القاعات الصغيرة ، حول موضوع « الصهيونية الاشتراكية » (وكانت هذه هي المرة الاولى التي يستعمل فيها هذا الاصطلاح) ، بعد ان وزعت دعوات على اعضاء المؤتمر تدعوهم لسماعها ، فاضطر هرتسل الى استنكار هذا العمل علنا ، ، موضحا انه لا يريد ان يفهم احد ، خطأ ، ان هناك تماثلا بين الصهيونية والاشتراكية (٣٨) ۰ غير ان « الصهيونيين الاشتراكيين » ، على كل حال ، كانوا خلال عهد هرتسل ، اقلية ضئيلة في المؤتمرات الصهيونية ، لا حول لها ، وبقوا كذلك مدة غير قصيرة في المستقبل ـ اذا لم تكن ساعة تعاظم نفوذهم ، وسيطرتهم على الحركة الصهيونية قد حانت بعد ۰

ومن ناحية ثانية ، سارعت رئاسة المنظمة الصهيونية ، رغم تحفظها من اقامة الاحزاب السياسية ، الى اجراء تعديلات ملائمة في هيكل المنظمة ، تمكنها من الاعتراف بشرعية تلك الاحزاب او الفئات السياسية المستقلة ، والتعامل معها ۰ فقد اقر المؤتمر الصهيوني الخامس تعديلا في لوائح المنظمة ، سمح بموجبه لكل ٥٠ جمعية صهيونية ، تبيع ٥ آلاف شيكل على الاقل ، باقامة اتحاد صهيوني مستقل ، له حق الاتصال المباشر باللجنة التنفيذية ، وذلك بالاضافة الى الاسلوب التنظيمي السابق الذي كانت المنظمة تعترف بموجبه بمركز اقليمي صهيوني واحد في كل دولة ، يمثل كل الصهيونيين فيها ۰ واقر تعديل آخر ، يعقد المؤتمر الصهيوني بموجبه مرة كل سنتين ، وليس مرة كل سنة ، كما كانت الحال في السابق (٣٩) ۰

ولم تكن مسألة اقامة الاحزاب السياسية الحالة الوحيدة ، التي اجبر

الصهيونيون فيها هرتسل ومؤيديه على تغيير وجهات نظرهم او مواقفهم ، اذ ان الشيء نفسه حدث ايضا بالنسبة للموقف من النشاط الاستيطاني في فلسطين • فنظرية هرتسل في العمل الصهيوني « السياسي » تؤكد ، كما اشرنا ، على ضرورة الاهتمام بالحصول على اعتراف سياسي دولي ، لاقامة دولة يهودية في فلسطين ، وتعارض بالتالي اقامة المستوطنات اليهودية هناك ، وتتجاهل وجود تلك التي كانت قائمة حتى ذلك الوقت في البلد • وكان مؤيدو هرتسل اكثر منه تعصبا ، في تأييدهم لهذه النظرية • والواضح ان هذا الموقف اثار ، بشكل خاص ، غضب المستوطنين اليهود في فلسطين ، فشن ممثلهم ، الدكتور هيليل يافيه ، رئيس اللجنة التنفيذية لهواة صهيون في فلسطين ، التي كانت مسؤولة عن تلك المستوطنات التي لم يتعهد روتشيلد ، او شركة يكا بعده ، برعايتها ، حملة شعواء على « الصهيونية المتجددة » ، التي اطلقها هرتسل ، لانها « خطيرة » ، ولان اولئك الصهيونيين « الذين خرجوا الان من البيضة » (٤٠) يجرأون على الاستخفاف بالنشاط الاستيطاني الفعلي في فلسطين ، ويتنكرون حتى لمصير المستوطنات الصهيونية فيها •

غير ان هذه المواقف ، من قبل الطرفين ، تغيرت تدريجيا واقتربت قليلا من بعضها ، اذ اضطر هرتسل ومؤيدوه الى الانحناء قليلا امام الضغوط التي وجهها اليهم « العمليون » ، وابداء الاهتمام ، على الاقل ، بأوضاع المستوطنات في فلسطين • فخلال عملية التحضير لعقد المؤتمر الصهيوني الاول ، ارسل الدكتور يافيه الى هرتسل ، بناء على طلبه ، تقريرا عن اوضاع المستوطنات الصهيونية في فلسطين (٤١) • وقدمت تقارير اخرى عن اوضاع تلك المستوطنات (٤٢) • وفي المؤتمر نفسه تقرر اقامة « لجنة استيطان ارض ــ اسرائيل » ، وارسل ليو موتسكين ، من قبل المؤتمر ، للتحقيق في اوضاع الاستيطان اليهودي في فلسطين عامة • ولدى عودته ، قدم موتسكين تقريرا الى المؤتمر الصهيوني الثاني ، ذكر فيه ان عدد اليهود في فلسطين عند زيارته لها (سنة ١٨٩٨) بلغ ٤٩ر٥١٩ نسمة ، يملكون ٢٦٨ر٢٧٨ دونما من الاراضي ــ منهم ٤٥ر١٦٩ نسمة يعيشون في المدن (القدس ــ ٢٨ر٢٥٤ نسمة ، صفد ــ ٦ر٦٢٠ ، يافا ــ ٣ر٠٠٠ ، طبريا ــ ٣ر٢٠٠ ، الخليل ــ ١ر٤٢٩ ، حيفا ــ ١ر٣٧٥ ،وغيرها) والباقون (٤ر٣٥٠ نسمة) في المستوطنات (٤٣) • وطالب موتسكين باتخاذ اجراءات عدة لتقوية الاستيطان اليهودي في فلسطين ، الا ان المؤتمر قرر انه يعترف فقط بالاستيطان الذي يتم بناء على ترخيص مسبق من قبل الحكومة التركية ، واعلن عن استعداد المنظمة لتقديم المساعدة

لمثل هذا الاستيطان ، شرط ان يتم بحسب برامج لجنة منتخبة من قبله ، وتحت رقابتها · كذلك قرر المؤتمر ان يتولى اليهود القاطنون في تركيا ، والمناطق الخاضعة لها ، القيام بالخطوات الاستيطانية الاولى في فلسطين· واقيمت لجنة لشؤون الاستيطان، مؤلفة من ١٠ اعضاء ، ومقرها لندن (٤٤) · وبعبارة اخرى ، اقر المؤتمر حلا وسطا ، ولكنه بقي ، فعليا ، ملتزما بالخط الصهيوني « السياسي » ·

واستمرت الضغوط من قبل « العمليين » على هرتسل ورئاسة المنظمة لكي يتخذوا خطا واضحا واجراءات اكثر فعالية ، لدعم الاستيطان الصهيوني في فلسطين · فاعلن هرتسل في خطابه الافتتاحي امام المؤتمر الصهيوني الخامس انه تقرر ان تقام المستوطنات الصهيونية في المستقبل على شكل « جمعيات تعاونية زراعية ـ انتاجية » (٤٥)· ودعي البروفيسور فرانز اوبينهايمر ، استاذ الاقتصاد والعلوم الاجتماعية في جامعتي برلين وفرانكفورت ، واضع نظرية الاستيطان هذه ، لالقاء محاضرة حولها امام المؤتمر الصهيوني السادس (٤٦) (وجربت هذه الطريقة ، فيما بعد ، عند اقامة مستوطنة مرحفياه ، الى الجنوب من الناصرة ، سنة ١٩١١ ، ولكنها لم تحظ بنجاح باهر) · وحسن هرتسل من ناحية ثانية علاقاته مع قادة المستوطنين الصهيونيين في فلسطين ، فراح الدكتور يافيه يرسل التقارير والمعلومات عن المستوطنات الصهيونية في البلد ، من حين الى آخر ، الى « سيدي الرئيس »(٤٧) ، ووافق ايضا على الاشتراك في البعثة التي اوفدتها المنظمة الصهيونية لمسح منطقة العريش ، رغم «ان المكان ليس صهيون » (٤٨) ·

ولكن رغم هذا الاهتمام ، لم تقم المنظمة الصهيونية ، فعليا ، بأي نشاط استيطاني عملي في فلسطين خلال عهد هرتسل ، ولم يتغير موقفها هذا الا بعد وفاته ، عندما سيطر « العمليون » عليها ·

[٨]

كانت احدى « المؤسسات » الصهيونية ، التي تركها هرتسل وراءه ايضا، الدكتور ماكس نورداو ، الذي عاش ١٩ سنة بعد وفاة هرتسل ، وتوفي في باريس سنة ١٩٢٣ · وكان نورداو من اوائل ، وابرز ، الشخصيات اليهودية التي كسب هرتسل ثقتها وجندها للصهيونية ، في بداية طريقه ، معربا عن رأيه بان « نورداو سيسير معي في النار والماء » (١) ـ ولم يخب امله · ولكن نورداو رفض ان يفرغ نفسه للنشاط الصهيوني ، وأصر

ايضا على ممارسة عمله السابق ككاتب (٢) ، كان اسمه معروفا في بلدان اوروبية عدة ، ولم يبد اهتماما كبيرا بالنشاط الصهيوني التنظيمي او بالعمل في الاجهزة الصهيونية ، حتى وصفه وايزمان ـ وكان من مناوئيه ـ بقوله : « لقد كان نورداو صهيونيا متحمسا خلال جلسات المؤتمرات الصهيونية فقط · ونادرا ما كنا نسمع عنه ، في الحركة ، خلال الايام الثلاثمائة والخمسين الاخرى ، اذ كان خلالها يتابع عمله ككاتب » (٣) · ولم يكن وايزمان مجحفا بحق نورداو ، اذ ان الرجل كان قد قرر مرة الامتناع حتى عن حضور المؤتمر الصهيوني الثالث ، وفضل عن ذلك متابعة محاكمة داريفوس ·الا ان هرتسل اقنعه بالعدول عن رأيه (٤) · ولكن من خلال عمله ككاتب ، قدم نورداو خدمات كبيرة للصهيونية ، اذ لم يكتف بالدفاع عن هرتسل ومهاجمة مناوئيه فقط ، وانما انهمك ايضا في بث الفكرة الصهيونية ، محاولا تعميقها وتجميلها في اعين اليهود والاجانب ، واطلاق النظريات الصهيونية ، الواحدة تلو الاخرى ·

كان نورداو من كبار المؤمنين بنظرية هرتسل في العمل الصهيوني «السياسي» ، فدافع بحرارة عن هذا الخط وهاجم معارضيه ، واولهم هواة صهيون (انظر ص ١٦٠ اعلاه) · ولم تسلم التيارات الصهيونية الاخرى ايضا من انتقاداته ، فقد سخر من الكتلة الديموقراطية وشعاراتها ونشاطها (٥) ، وهاجم نظرية « الصهيونية الروحانية » التي اطلقها آحاد هعام ، رغم انها حظيت بتأييد معين ، لان هذه الفكرة التي « لا طعم لها » ، حتى وان نجحت في اقامة « مركز روحاني » يهودي في فلسطين ، لن تحل مشاكل اليهود في المهاجر (٦) · كذلك عارض نورداو الصهيونيين المتدينين ، موضحا « ان الصهيونية الجديدة ، المسماة صهيونية سياسية ، تختلف عن القديمة ، المتدينة ، المسيائية برفضها كل الغيبيات ، وعدم تماثلها مع المسيائية ، ولا تتوقع العودة الى صهيون بطريق الاعجوبة، وانما تريد ان تعد لذلك بجهودها الخاصة» (٧)· وانتقد نورداو « الصهيونيين الاشتراكيين » ، لان الاشتراكية « تحققت في الصهيونية نفسها ··· واين يمكننا ان نجد ، لدى شعوب اخرى ، شيئا مشابها ـ ولو لماما ، لتلك العدالة الاجتماعية التي تنبعث من تعاليم موسى؟ » (٨) · كذلك حذر نورداو اليهود من خيبة الامل في الاشتراكية ، عندما تتحقق ، كما خاب املهم من حركات الاصلاح الدينية او حركات التحرر السياسية بين شعوب اوروبا ، او من الهسكلاه (٩) · اما « صهيونيو صهيون » ، الذين كانوا قد هددوا بالانشقاق عن المنظمة الصهيونية ، عندما اقر المؤتمر الصهيوني السادس مشروع اوغندا ،

فلم يكونوا ، بالنسبة لنورداو ، الا « طبعة جديدة ، ولكن غير منقحة ، من هواة صهيون » (١٠) ٠

الا ان خلاف نورداو الكبير ، الطويل والمرير ، كان مع الصهيونيين « العمليين » ، وبقي مستمرا نحو ٢٧ سنة ، اي منذ التحق نورداو بالصهيونية حتى اخر ايامه ٠ وكان هرتسل قد «اوصى» ، قبيل وفاته ، عددا من المقربين اليه بانتخاب نورداو ، ليحل محله في رئاسة المنظمة الصهيونية ، الا ان نورداو نفسه رفض قبول هذا المنصب ، عندما اقترحه عليه الزعماء الصهيونيون ، بعد ان قدر ان « العمليين » سيتغلبون تدريجيا على « السياسيين » وسيسيطرون ، في نهاية الامر ، على المنظمة الصهيونية ، وبالتالي لن يستطيع التعاون معهم ٠ وعندما تم ذلك في المؤتمر الصهيوني العاشر (١٩١١) ، الذي اقر اتباع الخط الصهيوني « العملي » ، بصيغته « المركبة » التي وضعها وايزمان ـ ولم يكن وايزمان في قرارة نفسه ، على حد تعبير نورداو ، الا واحدا من اتباع حركة هواة صهيون (١١) ، وهؤلاء ليسوا الا هواة للصهيونية ـ وانتخبت لجنة تنفيذية صهيونية ، اكثرية اعضائها من الصهيونيين « العمليين » ، امتنع نورداو عن حضور المؤتمر الصهيوني التالي (الحادي عشر ، ١٩١٣) ، واكتفى بكتابة رسالة الى اعضاء المؤتمر ، حثهم فيها على ان « يضعوا نصب اعينهم الفكرة الهرتسلية بكل شموليتها » ،وان « لا يتخذوا قرارات يصعب تنفيذها » (١٢) ٠ وفي مقال بعنوان « وصية للصهيونية » ، كتبه نورداو في اواخر ايامه ، سنة ١٩٢٠ ، برر موقفه هذا بقوله : ان المؤتمر الصهيوني الحادي عشر شهد انتصار « المحترفين الصغار » من « هواة صهيون في روسيا وحلفائهم في برلين » ، وهؤلاء « خربوا» الصهيونية ، التي كان هرتسل قد « اخرجها من اطار الكنيس والاجتهادات الدينية » ، ثم صاغها « على شكل حركة سياسية » ، فحولوها « الى مشروع استيطان خاص ، بائس وجبان » (١٣) ٠ كذلك سخر نورداو من « العمليين » الذين سيطروا على اللجنة التنفيذية الصهيونية ، ولكنهم رغم ذلك لم يستطيعوا تحقيق انجازات تذكر للصهيونية ، فعادا الى اتباع اساليب هرتسل وتحولوا ، اخيرا ، الى « سياسيين » (١٤) ٠

وانطلاقا من تأييده الشديد للخط الصهيوني « السياسي » ، وصراعه المتواصل مع التيارات الصهيونية الاخرى كلها ، صاغ نورداو نظراته الخاصة للصهيونية ـ التي قدر لها الانتشار مستقبلا بين دوائر صهيونية واسعة ـ من خلال اصراره على اعتبار نفسه « صهيونيا عموميا » ،

لا يميل الى « اليمين » ، نحو المزراحي ، ولا الى « اليسار » ، نحو « الاشتراكيين » (١٥) · ويرى نورداو استنادا الى هذا الموقف ، « ان الصهيونية الحديثة قد نمت ، من الناحية الاولى ، بسبب ضغط اليهودية نفسها ، من خلال اعجاب يهود مثقفين عصريين بتاريخ التضحية اليهودية وروحها ، وانتباههم لقيمتهم العرقية ، وامانيهم الشريفة لانقاذ الشعب القديم ، وضمان وجوده في المستقبل البعيد ، قدر الامكان ، واضافة اعمال جديدة يقوم بها البنون ، الى ماثر الاباء الكبرى · ولكن الصهيونية ، من الناحية الثانية ، هي نتيجة عاملين خارجيين : الاول هو الفكرة القومية ، التي سيطرت خلال نحو ٥٠ سنة على الفكر والشعور الاوروبيين ، وحسمت في شؤون السياسة العالمية ، والثاني هو اللاسامية ، التي قاسى منها اليهود في كل البلدان ، بصورة او بأخرى » (١٦) · ولهذا فان هناك مهمتين رئيسيتين تقعان على عاتق الصهيونية ، وان كانتا « في اتجاهين متضادين : عليها الحصول على ارض ـ اسرائيل للشعب اليهودي ، وتهيئة الشعب اليهودي لارض ـ اسرائيل ··· والمهمة الثانية اهم بكثير من الاولى » (١٧) ، لانه « اذا وصلنا الى ارض ـ اسرائيل ، ينبغي ان نكون متاكدين ، اننا سنظهر هناك كأمة محترمة » (١٨) ، ولذلك لا بد من القيام بنشاط تنظيمي وتثقيفي واسع بين اليهود ، لاعدادهم ·

ويعتقد نورداو ان المعارضة الرئيسية للصهيونية قائمة بين اليهود فقط، ولا علاقة جوهرية للشعوب الاخرى بها ، بحيث ان بعضهم يرفضها، مدعين انها تشكل خطرا على اليهودية او انها غير ضرورية · ولكنه يرى ، على العكس من ذلك ، ان الصهيونية ضرورية لانقاذ اليهودية ، ولا صحة للادعاءات المضادة التي يطلقها المعارضون : فالقول ، مثلا ، ان رسالة اليهود تكمن في انتشارهم بين شعوب العالم ، لينشروا القيم اليهودية بين الامم الاخرى ، وينبغي بالتالي الامتناع عن التفكير في اقامة دولة خاصة بهم ، لا صحة له ، ولعله من الافضل احالته على اللاساميين للاجابة عليه · ثم ان اللاسامية لن تختفي في المستقبل القريب ، وهناك خطر بان يضطر اليهود في اوروبا الغربية الى نكران ذاتهم نهائيا والانصهار كليا في مجتمعاتهم ، لكي يتجنبوا مطاردتها لهم · واما في اوروبا الشرقية ، فان اليهود سيحافظون على هويتهم الخاصة بهم ، ما دامت شعوب تلك المنطقة متاخرة ، ولكن مع وصولها الى مستوى شعوب اوروبا الغربية ، سيكون مصير اليهود في تلك الدول شبيها بمصيرهم في اوروبا الغربية · وهناك ايضا خطر في الادعاء بان

اليهود سيتحملون الاضطهاد الذي قد يوجه لهـم ، كما تحملوه في العصور الغابرة ، لانه لا يوجد هناك ضمان بـأن لا تقوى اجراءات الاضطهاد يوما ، وتؤدي الى ابادة اليهودية · و« قـد يكون من الصعب توطين ٦ ملايين يهودي في ارض ـ اسرائيل وحوران وسوريا ··· ولكن من الاصعب التأثير عـلى حكومات روسيا ورومانيا ، لحملها عـلى الغـاء قوانين اضطهاد اليهود في بلادها » (١٩) ·

وينتقل نورداو الى تحديد الفئات المعارضة للصهيونية بين اليهـود ، ويحصرها في ثلاث : اثرياء اليهـود ، الحاخامون المتزمتون والطبقـة العاملة اليهودية ، ويحـدد المواقف التي ينبغـي اتخاذها من كل فئـة : فالصهيونية تستطيـع التنازل عـن خـدمات اثرياء اليهود ، « وسنحصل عـلى المال اللازم لنـا ، رغـم كل شيء · جزء منه لدى الطبقتيـن ، المتوسطة والفقيرة ، من ابناء عـرقنا ، والجزء الاخضر ، ان كانت هنـاك ضرورة لذلك ، من العـالم المسيحـي ، الـذي ينبغـي ان نعمل عـلى اقناعـه بايجاد امكانات توظيف اموال ، مؤمنة ومربحـة ، لدينـا فيساعد ايضا ، دون اية تضحية من جانبـه ، عـلى تنفيـذ مشروع كهذا حضـارة مثالي » (٢٠) · اما « حاخامو الاحتجاج » المتزمتين ، فلا احد يؤيدهـم ، « وقيمتهم في اليهودية صفر » ، اذ « توقفوا منذ مدة عـن اداء دور معلمي الشعـب وزعمائه ··· ولم يستطيعـوا ان يحافظوا ، بين الجماهيـر اليهودية ، على معرفة اللغة العبرية ، والتاريخ اليهودي ، وعـادات اليهود وخصالهم » (٢١) · واما الطبقة العاملة اليهودية ، فلا يمكـن للصهيونية ان تعاديها ، واذا حدث ذلك ، « تكون مهمتنـا قد انتهـت · ففي مثل هذا الوضع ، لن يبقى لدينا خيار ، الا احناء رؤوسنا والاعتراف اننا هزمنا ، والتفتيش ، بعـد خيبة الامل التي ستصيبنا ، عـن مثـل جديدة ··· اننا لا نستطيع التنازل عـن الطبقة العاملة اليهودية بـأي شكل من الاشكال ، ولا حتى عـن جزء منها · وان كانوا يتنكرون لنـا ، لا ينبغـي ان نلعـب لعبة « الغضب » المتعجرف معـهم ، بـل ينبغـي السير وراءهم بنفس طويل ، خـطوة وراء اخـرى ، ونحاول ان نقنعـهم بان انعـدام التفاهم فقط يفصل بيننا وبينهم » (٢٢) ·

وكان نورداو قد دعـا ايضا الـى خـلق جيل يهودي جـديد « ذي عضلات » ، وذلك بتشجيع اليهود عـلى تعـاطي الرياضة البدنية ·

غير ان ما هو اهم من هذه الاراء ، كانت النظريـات التـي صاغها نورداو في موقف الصهيونية من العرب ، وطريقة التعامـل معـهم ،

وخصوصا شعب فلسطين ٠ فهرتسل ، معلم نورداو ، لم يهتم بالعرب في فلسطين او جوارها وتجاهل وجودهم ، حتى انه لا يذكر كلمة « العرب » في « دولة اليهود » او في يومياته كلها ، ولو مرة واحدة ٠ وفي مناسبتين فقط ، اعلن هرتسل ما يمكن ان نسميه « موقفه » من « العرب»: الاولى ، عندما زاره اليعيزر بن ـ يهودا ، وعرض عليه فكرة اصدار صحيفة صهيونية بالعربية ، فاعرب في يومياته ، عن استصوابه هذا الرأي (٢٣) ، والثانية حديثه في روايته ، « البلاد القديمة ـ الجديدة »، عن شخص يدعى « رشيد » ، يعيش بسلام في دولة المستقبل الصهيونية (٢٤) ٠ ولعل هذا الموقف ناجم عن جهل هرتسل وصحبه ، او تجاهلهم ، في بداية طريقهم ، بوجود عرب في فلسطين ، اذ يروي البروفيسور مارتن بوبر ، الفيلسوف اليهودي ـ الصهيوني المعروف ، الذي كان في ايام شبابه عضوا في الكتلة الديموقراطية ، انه عندما اطلع ماكس نورداو ، ساعد هرتسل الامين ، للمرة الاولى ، على تفاصيل اكثر حول وجود عرب في فلسطين ، هرع الى هرتسل قائلا : « لم اعرف ذلك ـ اننا نرتكب ظلما ! ٠٠٠ » (٢٥) ٠ غير ان تفاصيل اخرى ، عن العرب ، وصلت ـ على كل حال ـ فيما بعد ، وما نقص لدى هرتسل ، بشأن تحديد الموقف الصهيوني منهم ، اكمله نورداو ٠

تطرق نورداو الى الحديث عن موقفه من العرب لاول مرة في المؤتمر الصهيوني السابع (١٩٠٥) ، فاشار الى ان الحركة القومية العربية ، التي نشطت وقتئذ ، قد تلجأ الى وسائل تمس بسلطة تركيا على فلسطين وعلى البلدان المجاورة لها ، مما قد يدفع تركيا ، مع الدول الاوروبية، الى التفتيش عن عامل معين ، يكفل لها الهدوء في المنطقة ، فتضطر بالتالي ، ربما بعد تنسيق مع الدول الاوروبية ، الى الاستنجاد بالحركة الصهيونية ، والسماح باستيطان يهود في فلسطين ، يعملون على المحافظة على سيطرة السلطان التركي على البلد ٠ وحث نورداو زعماء الحركة الصهيونية على بذل كل ما في وسعهم ، للافادة من هذا الوضع ، حتى لا يقال في المستقبل « ان اللحظة الكبيرة وجدت جيلا صغيرا » (٢٦) ٠

وبعد هذا الخطاب ، سكت نورداو عن « المسألة العربية » لمدة ١٣ سنة اخرى ، الى ان صدر وعد بلفور (١٩١٧) ، واحتلت بريطانيا فلسطين ، وفرض الانتداب البريطاني على البلد (١٩٢٠) ، وما رافق هذه التطورات من مقاومة عربية لها ، فراح يطلق نظرياته ، الواحدة تلو الاخرى ، حول انسب الطرق التي ينبغي على الصهيونية اتباعها ،

لدحـر المقاومة العربية فـي فلسطين ، وتأمين سيطرتها عـليها (وهو مـا سيبحث في حينه) · وانتشرت تلك الاراء فيما بعد بين فئـات صهيونيـة عـديدة ، واصبحت اساسا عـقائديا لتيار صهيوني جديد ، يتصف بموقفه المتصلب من العـرب ·

[٩]

لم يترك هرتسل ، بعـد وفاته ، الكثيرين من المعجبين به ، او حزبـا ملتزما بخطه السياسي ومتأثرا بآرائه ، ولم تحرز الصهيونية خلال عهده اي انجاز سياسي عـملي · غـير ان المؤسسات الصهيونية ، التي كان ظهوره العـامل الاول في اقامتها من جهة ، ثم تبلور نظريات وسياسـات صهيونية اخـرى ، سرعـان ما افرزت تنظيمات مستقلة تلتف حولها مـن جهة اخـرى ، خلقت اوضاعـا جديدة وفجرت طاقات صهيونية ، لا شـك انها لم تخـطر عـلى بال هرتسل عـندما اعـلن عـن افتتاح مشروعـه الصهيوني · وقد نمت تلك المؤسسات الصهيونية ، الادارية منها والحزبية، وتطورت وتشعبت ، ولعبت ادوارا مهمة ، على كل صعـيد ، بشكل يصعـب معـه تصور قيام اي نشاط صهيوني ، بعـد وفاة هرتسل ، اواستمراره ، دون وجود تلك المؤسسات ، بصيغـها المختلفة ·

فالمنظمة الصهيونية العـالمية لا تزال قائمة ، منذ تأسيسها · وفـي حالتين ، عـلى الاقل ، عـند اصدار وعـد بلفور ، من قبل بريطانيـا ، سنة ١٩١٧ ثم قرار تقسيم فلسطين ، من قبل الامم المتحـدة ، سنة ١٩٤٧، لعبت دورا تاريخيا ، ان كان ذلك في التحضير لاصدار تلـك الوعـود والقرارات من جهـة ، او في التصدي لتحديات الوضع الجديد الـذي نشأ بعـد صدورها ، واستغـلالها لمصلحـة الصهيونية ، من جهة اخـرى ·

وشركة الكيرن كاييمت ايضا ، لا تزال قائمة حتى يومنا هذا ، رغم انها فقدت كثيرا من « هيبتها » بعـد اقامة اسرائيل · وقد لعبت الشركة دورا رئيسيا في دعـم الاستيطان الصهيوني في فلسطين ، خـلال فترة الانتداب البريطاني عـلى البلد ، خصوصا في مجال شراء الاراضي ·

اما بنك الاسيتطان اليهودي فلم يحالفه الحظ ·فالمؤسسة المالية الفرعية التي اقامها البنك ، لا تزال قائمة حتى اليوم تحت اسم بنك ليئومـي ليسرائيل ، وهو اكبر بنك في اسرائيل حاليا · ولكن بنك الاستيطان نفسه مني بخسائـر مالية كبيرة ، بحيث اصبح سنة ١٩٣٤ تابعـا للمؤسسـة المالية الفرعية التي اسسها ، البنك الانكليزي الفلسطيني ، وتوقف عـن

تعـاطي الاعـمال المصرفية ٠

والشيء نفسه ينطبق عـلى التنظيمات السياسية الصهيونية ، التـي تكونت داخـل المنظمة الصهيونية العـالمية ، خـلال عـهد هرتسل ٠ فالكتلة الديموقراطية خففت من نشاطها بعـد المؤتمر الصهيوني السادس، وهو آخر مؤتمر يحضره هرتسل ، واضمحلت تدريجيا ٠ ولكن مبادئهـا وبعض شخصياتها عـادت الى الظهور عـلى شكل حزب « الصهيونيين العموميين » ، الذي سيطر عـلى الحركة الصهيونية خلال العشرينات (وفي المؤتمر الصهيوني الرابع عشر ـ فينا ، ١٩٢٥ ـ وصل عـدد الاعضـاء المنتمين اليه ، الى ٥٧٪ من اعضاء المؤتمر) ، ثم تحـول الى حـزب الاحرار ، سنة ١٩٦١ ، بعـد ان اتحـد مع فئـة قريبة منه٠

ولا تزال منظمة المزراحـي ، منذ قيامهـا ، تعـمل فـي شؤون الدنيـا خـدمة « للآخرة » ، وتتعاطى السياسة لاعـلاء كلمة الدين ٠ وفي سنـة ١٩٢٢ ، أسست منظمة اخـرى موازية لهـا ، هابوعـيل (العـامل) همزراحي ، لتضم الطبقات العمالية بين المتدينين ٠ وقد اتحـدت المنظمتان، سنة ١٩٥٦، واقامتا الحزب الديني القومي (« مفدال ») ٠ ومنذ منتصف الثلاثينات ـ عدا عن فترات قصيرة ـ لعبت المزراحي دور الشريـك الامين للجناح العـمالي الصهيوني في ادارة الحركة الصهيونية ، ثـم في حـكم اسرائيل ، بعـد اقامتهـا سنة ١٩٤٨ ٠

اما « الصهيونيون الاشتراكيون » ، الذين واجه من ادعـى تمثيلهم في المؤتمر الصهيوني الثاني اقتراحـا بطرده ، لانه تجرأ على الربط بين كلمتي «صهيونية » و« اشتراكية » في مؤتمر صهيوني ، فقد كان عـليهم ان يشقوا ويتعبوا طويلا ، الى ان استلموا دور الحزب القائد في الحركة الصهيونية مع منتصف الثلاثينات ، ثـم الحزب الحاكم في اسرائيل ، بعـد اقامتها٠

وحتى نظريات نورداو ، فهي لم تنـم طويلا ، اذ لـم يمر على وفاتـه الا بضع سنوات حتى وجدت اكثر من جهـة تتبناها ، وتعـمل على نشرها٠ وكان من ابرز اولئك فلاديمير (زئيف) جابوتينسكي، الذي تلقف تلك التعاليم، فشذبها وهذبها واضفى عـليها طابعـا خاصا بـه ، وجعلها قاعـدة رئيسية لعـقيدة اليمين الصهيوني ، المعـادي بشدة للعـرب ، من خـلال الاستخفاف بهم وبقدراتهم ٠ وخلال الثلاثينات حول جابوتينسكي هـذه التعاليم الى المنظمة الصهيونية الجديدة ، التي ترأسها ، والتي نقلتهـا بدورها ، في مطلع الاربعينات ، الى المنظمة العسكرية القومية (الارغون ـ « اتسل ») ، التي اورثتها بدورها لحزب حيروت ، بعد اقامة اسرائيل ـ

ومنه انتقلت الى حركة ارض ـ اسرائيل الكبرى وباقي حركات التوسع الصهيونية ، التي ظهرت في اسرائيل ، بعد حرب ١٩٦٧ . كذلك تبنت اجنحة صهيونية اخرى عددا من الفرضيات الكامنة في تلك النظريات .

واراء هرتسل وتعاليمه كادت « تضيع » بعد وفاته ، في خضم هذه التطورات ، التي زادت في الغموض الذي اكتنفه مرة . ولم يبق حتى من عائلته اي ذكر ، اذ اعتنق ابنه واحدى ابنتيه المسيحية ، ثم انتحرا ، بينما لاقت الثالثة حتفها في معسكر اعتقال نازي ، خلال الحرب العالمية الثانية .

وكان من بين الاعمال الاولى ، التي نفذتها اسرائيل ، بعد تثبيت اسس حكمها وتوقيع اتفاقيات الهدنة مع الدول العربية المجاورة ، نقل رفاة هرتسل من فينا ، في آب (اغسطس) ١٩٤٩ ، واعادة دفنها في جبل الحمامة ، الى الغرب من القدس ، الذي اطلق عليه اسم « جبل هرتسل » .

الفصـل الرابـع

الهجرة الثانية

أسس النظام الصهيوني (١٩٠٤ ـ ١٩١٤)

[١]

بدأت في مطلع سنة ١٩٠٤ ، قبل وفاة هرتسل ببضعة اشهر ، موجة جديدة من الهجرة اليهودية من روسيا ، استمرت حتى نشوب الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤ ، واسفرت عن خروج مئات الاف اليهود توجهت اكثريتهم الى اميركا ، عدا جزء صغير منهم قصد فلسطين · ويقدر عدد المهاجرين اليهود الذين دخلوا فلسطين ، خلال هذه الفترة، التي عرفت فيما بعد بأسم الهجرة الثانية ، بنحو ٣٥ ـ ٤٠ الف مهاجر ، عادت اكثريتهم ونزحت عن البلد ، في وقت لاحق ، بعد وصولهم اليه بفترة قصيرة ، او خلال الحرب العالمية الاولى ، نتيجة للظروف التي كانت سائدة هناك ، او المصاعب التي نجمت عن الحرب·

كانت اسباب هذه الموجة الجديدة من الهجرة ، شبيهة بتلك التي فجرت موجة الهجرة الاولى من روسيا ، في بداية الثمانينات من القرن التاسع عشر ، بالاضافة الى التطورات الناجمة عن الفارق في الزمن بين الهجرتين · فحتى مطلع القرن العشرين ، كانت روسيا قد قطعت شوطا لا بأس به على طريق التطور الصناعي ، الذي كانت قد بدأت بالسير عليه منذ منتصف القرن التاسع عشر ، مما ادى الى تدهور اوضاع اليهود الاقتصادية والاجتماعية ، بشكل لم يعهدوه حتى ذلك الوقت ، خصوصا وان اكثريتهم في روسيا كانت تنتمي حينذاك الى الطبقة المتوسطة· زد على ذلك ان السلطات القيصرية الروسية راعت في تخطيط برامجها الاقتصادية تقوية الطبقة المتوسطة بين الروس ، على حساب مثيلتها بين اليهود · وكان التدهور الذي طرأ على اوضاع اليهود المعيشية بسبب سياسة الحكومة تلك ، سببا كافيا ، بحد ذاته ، لدفع اعداد كبيرة

منهم الى الهجرة الى بلدان اخرى ، سعيا وراء رزقهم • غير انه وجدت بين اليهود ايضا فئات معينة تصرفت بطريقة اخرى ، اذ قررت عناصر عديدة منهم ، خصوصا بين المثقفين والطلاب والعمال ، ان الوسيلة الفعالة لمجابهة هذه السياسة ليست الهجرة ، بل الانضمام الى الحركات الثورية الروسية . والتعاون معها لخلع النظام القيصري واستبداله بحكم اخر تقدمي ، يعمل على حل مشاكل البلد بشكل افضل • ولكن هذا الاتجاه ايضا، كان من ناحية ثانية ، مبررا كافيا ، بالنسبة للسلطات القيصرية ، لتصعيد اجراءاتها المناهضة لليهود عامة ، مما ادى بدوره الى ردود فعل معاكسة لديهم ، كان ابرزها انضمام عدد اكبر منهم الى الحركات الثورية ، التي كانت السلطات الروسية تعمل كل ما في وسعها للقضاء عليها او ، على الاقل ، للحد من تأثيرها •

لجأت السلطات القيصرية اكثر من مرة ، خلال الربع الاخير من القرن التاسع عشر ، في مساعيها للتصدي للحركات الثورية الروسية ، وفي محاولاتها الهادفة الى ابعاد انظار عامة الشعب عن الثورة من جهة ، وتشويه سمعة الثوريين الروس ، او تسهيل عمليات اضطهادهم وقتلهم من جهة اخرى ، الى اتباع طريق الدس ضد اليهود عموما ، زاعمة انهم يسعون الى تدمير روسيا بواسطة « حركاتهم » الثورية • ولذلك شجعت الاعتداءات عليهم ، واحيانا « نظمت » المذابح ضدهم ، في هذا المكان او ذاك ، او على الاقل سكتت عنها بعد وقوعها • ودأبت السلطات الروسية على الترويج لمواقفها هذه ، خلال فترة طويلة ، علها تستطيع بذلك نقل الغليان الشعبي ضدها الى أطر الكره الديني او القومي ، فتخفف بذلك من الضغوط الموجهة اليها • وكان وجود فتاة يهودية واحدة ، مثلا ، بين المجموعة التي اغتالت القيصر اسكندر الثاني ، سنة ١٨٨١ ، سببا كافيا ، في حينه ، لشن المذابح ضد اليهود في اماكن مختلفة من روسيا ، بعد ان حملوا مسؤولية اغتيال القيصر ، واتهموا بتأسيس الحركات الثورية المخربة ، رغم ان معظمهم كان ، عمليا ، بعيدا عن ذلك ، اذ كان عدد الاعضاء اليهود في تلك الحركات انذاك قليلا للغاية • غير ان هذا الوضع تغير مع مطلع القرن العشرين ، حيث كان « لتهمة » انضمام اليهود الى الاحزاب الثورية ما يبررها • فحتى ذلك الوقت ، كانت اعداد كبيرة من الشباب اليهود ، من مثقفين وطلبة وعمال ، قد انضمت الى كافة الاحزاب الثورية الروسية ، على اختلاف وجهات نظرها ، ودون استثناء • ولعب اليهود ادوارا بارزة في تكوين تلك الاحزاب وبلورة مفاهيمها ، كما ونوعا ، اذ وصلت نسبتهم في بعضها

الى عشرة اضعاف نسبتهم بين السكان ، وتسلموا ايضاً مراكز قيادية عدة (١) · ولم يكتف اليهود بهذا الدور ، بل اتجه بعضهم ايضا للعمل على « تصدير » الثورة لخارج روسيا ، خصوصا الى دول اوروبا الشرقية والغربية (٢) · ونتيجة لهذا الموقف ، واثر تصاعد موجة النقمة الشعبية ضد الحكم القيصري ، عادت السلطات الروسية الى « تدبير » المذابح ، من حين الى اخر ، ضد اليهود عامة ·

بدأت المرحلة الجديدة من سياسة الحكومة القيصرية ، الهادفة الى قمع الحركات الثورية و« تأديب » اليهود ، بمذبحة وقعت في نيسان (ابريل) ١٩٠٣ ضد من يسكن منهم في مدينة كيشينيف · وكانت هذه المذبحة قد دفعت هرتسل ، بعد وقوعها ، للسفر الى روسيا ، حيث التقى وزير داخليتها ، بليفيه ، وحصل منه ، من بين ما حصل عليه ، على وعد بالعمل على تحسين اوضاع اليهود في روسيا وتخفيف ضائقتهم · ولكن لم تمر الا بضعة أشهر على هذا اللقاء ، حتى وقعت مذبحة اخرى ، في آب (اغسطس) من السنة نفسها ، ضد اليهود في بلدة هومل · غير ان يهود البلدة كانوا قد تعلموا درسا مما حدث في كيشينيف ، فاقاموا كتائب للدفاع عنهم (« هاغاناه ») ، تمكنت من ايقاع عدد من الاصابات بين المهاجمين الروس ، بين قتلى وجرحى ،مما دفع السلطات الى القاء القبض على عدد منهم ومحاكمتهم (٣) ـ بينما فر الباقون الى فلسطين ، حيث ساهم بعضهم في وضع ما يعتبر أسس منظمة الهاغاناه الصهيونية في البلد ·

وفي صيف ١٩٠٤ اغتال احد اعضاء حزب الاشتراكيين الثوريين الروس ، وزير الداخلية بليفيه ، فعين بدلا منه شخص آخر ، وصف بانه « ليبرالي » · ولكن لم يمر اكثر من شهر على تعيينه ، حتى وقعت مذبحتان آخريان ضد اليهود في بلدتي سميلي وبروينو (٤) · وفي خريف ١٩٠٤ نشبت الحرب الروسية ـ اليابانية ، فقام الجنود الروس بارتكاب مذابح عدة ضد اليهود في اماكن مختلفة ، في طريقهم الى الجبهة ، لان « الصحافة اليهودية » في بريطانيا واميركا هي « المسؤولة » عن تحريض اليابان على مهاجمة روسيا · ولم تتوقف المذابح ضد اليهود حتى خلال الحرب ، اذ وقعت واحدة في مدينة فياودوسيا في شباط (فبراير) ١٩٠٥ ، وأخرى في مليطوفول في نيسان (ابريل) من السنة نفسها ، وثالثة في جيطومير ، في الشهر نفسه ، حيث تصدت كتائب الهاغاناه للمهاجمين واوقعت فيهم اصابات (٥) · وقبل وقوع هذه الاعتداءات ، كان بعض ممثلي الاحزاب والفئات اليهودية قد حاولوا عقد اجتماع في

مدينة اوديسا ، في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٠٤ ، لبحث امكانية اقامة كتائب دفاع قطرية بين اليهود ، في كافة انحاء روسيا ، الا ان الشرطة اعتقلتهم ومنعتهم من عقد الاجتماع (٦) ٠

انتهت الحرب اليابانية ـ الروسية ، خلال ١٩٠٤ ـ ١٩٠٥ ، بهزيمة روسيا ٠ وكان من نتيجة هذه الهزيمة نشوب الثورة في روسيا ، في صيف ١٩٠٥ ، التي ساهم اليهود بحماس فيها ، واشتركوا باعداد كبيرة، نسبيا ، في كل الاحزاب ـ المعسكرات التي قامت بها : الدستوريون ـ الديموقراطيون والاشتراكيون ـ الديموقراطيون والاشتراكيون ـ الثوريون (٧) ٠ وفي ١٧ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٠٥ ، اضطر القيصر الى اصدار منشور يمنح فيه بعض الحريات الديموقراطية للمواطنين ، ويعد باجراء انتخابات عامة لبرلمان (دومه) يمثل الشعب ٠ ولكن وقعت في اليوم الثاني سلسلة من الاعتداءات والمذابح ضد اليهود ، في كافة انحاء الامبراطورية الروسية ، داخل « منطقة الاستيطان» وخارجها ، استمرت اسبوعا كاملا ، واصابت مئات التجمعات اليهودية، في المدن والقرى ، باضرار بالغة (٨) ، وذلك على الرغم من ان منشور القيصر لم يمنح اليهود اية حقوق استثنائية ٠

شهدت روسيا بعد اصدار منشور القيصر « الدستوري » ، سنة ١٩٠٥ ، فترة من الحرية النسبية ، لم تعهدها من قبل ٠ الا ان هذه الفترة لم تدم طويلا ، اذ قام القيصر بحل الدومه الاولى في تموز (يوليو) ١٩٠٦ ، بعد ثلاثة اشهر من انعقادها ، لان اكثرية اعضائها المنتخبين جاءت من بين المعارضة ٠ وفي اثناء ذلك وقعت في بياليستوك ، في حزيران (يونيو) من السنة نفسها ، مذبحة ضد اليهود ٠ ولاقت الدومه الثانية المصير نفسه، اذ حلت في اوائل حزيران (يونيو) ١٩٠٧ ، بعد مرور اربعة اشهر على انعقادها ٠ وكان هذا الاجراء بمثابة تأكيد على عودة السيطرة الرجعية على البلد ، خصوصا بعد ان كانت السلطات قد مهدت له باتخاذ اجراءات مختلفة لقمع الثورة ، كان من بينها اقامة محاكم ميدانية ، اصدرت خلال فترة عملها القصيرة ، من آب (اغسطس) ١٩٠٦ الى نيسان (ابريل) ١٩٠٧ ، ٦٨٣ حكما بالاعدام ، نفذت باجمعها٠ وكانت المحاكم العسكرية الروسية قد اصدرت ، خلال الفترة ١٩٠٥ ـ ١٩١٠ ، ٥٧٣٥ حكما بالاعدام ، نفذ منها ٣٠١٥ حكما ، وذلك ،بالطبع ، عدا عن اولئك الذين اعدموا دون اية محاكمة (٩) ٠

وفي ظروف امتداد الردة الرجعية هذه ، جرت الانتخابات للدومه الثالثة ، في خريف ١٩٠٧ ، فأسفرت عن انخفاض عدد الاعضاء

المعارضين فيهما الى اقل من الربع · وعلى الاثر اقر تعديل للقانون ، سلب حق الانتخاب من اليهود القاطنين خارج « منطقة الاستيطان » اليهودية · واقرت الاجراءات الادارية السابقة ، التي حددت عدد الطلاب اليهود ، المسموح لهم بالالتحاق بالجامعات الروسية ، على شكل قانون خاص ، مما دفع اعدادا اكبر منهم للتوجه الى اوروبا الغربية ، لتلقي العلم في جامعاتها (١٠) ، حيث شارك العديد منهم ، بحماس ، في كافة مجالات النشاط الصهيوني في تلك البلدان ·

أثرت الردة الرجعية التي سادت روسيا ، بعد اخماد الثورة ، في موقف السلطات من الحركة الصهيونية ايضا · وكان صهيونيو مدينة مينسك قد استطاعوا ، سنة ١٩٠٦ ، الحصول على ترخيص يسمح لهم بتسجيل انفسهم كمنظمة شرعية ، الا ان المدعي العام استأنف القرار ، فقرر مجلس الدولة ، بناء على المعلومات التي قدمها وزير الداخلية ، « ان الصهيونيين يبدون في نشاطهم اتجاها لتقوية شعور الانفصال القومي بين جماهير اليهود ، في محاولة لتغيير اوضاع اليهود الحالية ، مما سيؤدي بالضرورة الى تقوية شعور الكره القومي للسكان الاصليين » ، ولهذا « يمنع تنظيم الصهيونيين على شكل جمعيات شرعية » (١١) · وبقي هذا القرار نافذ المفعول حتى نشوب الثورة الروسية سنة ١٩١٧ ، التي اتخذت موقفا اكثر عنفا من الصهيونية ـ مع اختلاف الدوافع لذلك ·

وفي اعقاب هذا القرار ، شددت السلطات الروسية من قبضتها على الصهيونيين ، وراقبتهم بصرامة ، لدرجة اضطر معها اعضاء اللجنة التنفيذية الصهيونية في روسيا الى ارسال رسالة ، في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٠٧ ، الى دافيد ولفسون ، وريث هرتسل في رئاسة المنظمة الصهيونية ، يبلغونه فيها « انه لم تبق لديهم اية امكانية للقيام بأي نشاط صهيوني ، بسبب معارضة السلطات ، استنادا الى قوانين الطوارىء » (١٢) · ولم يستطع ولفسون السكوت على هذا الوضع ، اذ كان الصهيونيون الروس يشكلون ، في ذلك الوقت ، اكبر مجموعة في المنظمة الصهيونية ، فلجأ الى اتباع الوسيلة نفسها التي اتبعها هرتسل قبله ، وطلب مقابلة رئيس الحكومة الروسية ، سطوليفين ، الذي استجاب لطلبه · وفي اللقاء الذي تم في تموز (يوليو) ١٩٠٨ ، سمع ولفسون من سطوليفين الكلام نفسه ، الذي كان هرتسل قد سمعه قبل ٥ سنوات ، من بليفيه ، بشأن موقف الحكومة الروسية من النشاط

الصهيوني في البلد : اي ان الحكومة لا تعارض النشاط الصهيوني ، ما دام موجها الى تهجير اليهود من روسيا ، او اقامة دولة لهم في فلسطين، ولكنها لا تستطيع السماح بأي نشاط يتعلق باوضاع البلد الداخلية (١٣) . وكان الصهيونيون الروس قد قرروا فعلا ، في مؤتمر هلسينغفورس (١٩٠٦) ، العمل على تحسين اوضاع اليهود داخل روسيا ايضا . وظهرت بينهم حتى ذلك الوقت تنظيمات ذات صبغة اشتراكية ، مناوئة للحكم القيصري (انظر ص ٢١٨ ـ ٢٢٠ و ٢٢٨ ـ ٢٣٠ ادناه) . لذلك لم تسفر زيارة ولفسون لروسيا عن أية نتيجة تذكر ، رغم ان السلطات سمحت له بالاجتماع مع اتباعه . كذلك اجتمع ولفسون ، اثناء زيارته هذه ، مع وزير الخارجية الروسي ، ومع السفير التركي في روسيا ، في محاولة لحملهما على العمل لتسهيل النشاط الاستيطاني الصهيوني في فلسطين .

بعد اخماد ثورة ١٩٠٥ ، وضمان حكم الرجعية في روسيا ، خفت الاعتداءات والمذابح ، التي كانت تشن ضد اليهود ، وكادت تختفي . غير ان حادثا وقع سنة ١٩١١ ، اعاد الرعب الى قلوب اليهود . ففي ربيع تلك السنة ، اتهم شاب يهودي ، يدعى مندل بيليس ، بقتل فتى روسي ، لاستعمال دمه في طقوس دينية يهودية ، وقدم لمحاكمة استمرت حتى خريف ١٩١٣ (١٤) . وخلال هذه الفترة شنت الصحافة الروسية حملة تحريض ، لا سابق لها ، ضد اليهود ، لدرجة اضطر معها بعض الكتاب الروس ، وعلى رأسهم مكسيم غوركي ، الى ارسال احتجاج للحكومة بسبب ذلك (١٥) ، حتى قبل ان تثبت براءة بيليس . وساهم الوضع المتأزم الذي ساد البلد خلال هذه الفترة ، بالنسبة لليهود ، الى دفع اعداد اخرى منهم للهجرة .

ويلاحظ من تتبع حركة الهجرة اليهودية من روسيا الى فلسطين ، خلال فترة ١٩٠٤ ـ ١٩١٤ ان اعداد المهاجرين كانت تزداد كلما ازداد الضغط على اليهودفي روسيا، أي خلال السنوات ١٩٠٥ ـ ١٩٠٧ و ١٩٠٨ ـ ١٩٠٩ و١٩١٢ ـ ١٩١٣ (١٦) ، ثم تخف الهجرة عندما يتغير الوضع .

ومن ناحية ثانية، لمتكن الضغوط التي تعرض لها اليهودفي روسيا، خلال السنوات العشر التي سبقت الحرب العالمية الاولى ،السبب الوحيد في هجرة اعداد منهم الى فلسطين ، اذ ساهم صهيونيو روسيا انفسهم في ذلك ايضا . فاكثرية الصهيونيين الروس كانت ، في ذلك الوقت ، من اتباع الخط الصهيوني « العملي » ، وتطالب بالاستيطان في فلسطين دون غيرها ، وقد ازدادوا تمسكا بموقفهم هذا بعد ان طرح مشروع

اوغندا ، في المؤتمر الصهيوني السادس (١٩٠٣) ، ورأوا ان من واجبهم دفع اكبر عدد ممكن من بينهم الى فلسطين ، كأحدى الوسائل لافشال ذلك المشروع . وبرز بشكل خاص في هذا المجال ، مناحم اوسيشكين ، احد كبار زعماء الصهيونيين الروس ، الذي كان يقوم بزيارة لفلسطين ، عندما انعقد المؤتمر السادس ، فلم يحضره .

كانت الزيارة التي قام بها اوسيشكين لفلسطين ، في صيف سنة ١٩٠٣ ، هي الثانية التي يقوم بها للبلد ، اذ كان قد قام بالاولى في مطلع سنة ١٨٩١ (١٧) . ورأى اوسيشكين خلال هذه الزيارة ان يعمل على تنظيم المستوطنين الصهيونيين في البلد ، « لان لدينا الان في ارض ـ اسرائيل ييشوف عبري ، يعيش على العمل » ، و« من الضروري تنظيم العلاقة الدائمة بينه وبين الجهات والمؤسسات العامة والشخصيات خارج البلد »، لخدمة « المصلحة العامة وتنظيم شؤون الجمهور وحاجاته المختلفة » (١٨) .ولهذا دعى اوسيشكين الى اجتماع لممثلي كل المستوطنات اليهودية في فلسطين ، عقد في زخرون يعقوب ، وحضره ٦٧ شخصا، حيث اسست منظمة تمثل الييشوف . كذلك اصدر اوسيشكين نداء الى المدرسين اليهود في فلسطين ، ناشدهم فيه تنظيم انفسهم في اتحاد خاص بهم ، لتسهيل مهمتهم في « تربية وتنشئة جيل ، كله قوة وحيوية، صحيح الجسم والنفس ، يعرف شعبه وبلاده ولغته حق المعرفة ويحبهم،جيل يحب العمل ، ويعتاش من عمله في بلده ، بحيث يكون هذا العمل مصدر رزقه ، ويلبي حاجات جسمه وروحه » ، ثم « خلق جمهور عبري واحد في ارض ـ اسرائيل ، وطائفة عبرية واحدة من بين كل الطوائف المختلفة ، الموجودة الان في البلد ... التي تخشى كل واحدة منها ان تنزع عن نفسها طابع بلد المهجر ، الذي جاءت منه » (١٩) . وعلى اثر هذا النداء ، عقد اجتماع للمعلمين اليهود في فلسطين ، تقرر فيه اقامة تنظيم خاص بهم . ولم يكتب النجاح للمنظمة الاولى ، منظمة الييشوف ، التي ساهم اوسيشكين في انشائها ، اذ لم تمض سنة على اقامتها حتى كانت تلفظ انفاسها الاخيرة (٢٠) ، ولكن المنظمة الثانية ، « نقابة المعلمين اليهود » ، لا تزال قائمة حتى يومنا هذا .

ولا يقل نشاط اوسيشكين هذا اهمية عن الموقف الذي اتخذه من مشروع اوغندا ، عندما اعلن عن معارضته له بشدة ، حال اقراره من قبل المؤتمر الصهيوني السادس ، وهو لا يزال في فلسطين ـ وكان هرتسل بدوره قد اعرب عن معارضته للنشاط التنظيمي الذي قام به اوسيشكين في البلد (٢١) . فبعد ان اقر المؤتمر السادس اقتراح

هرتسل ، الداعي الى ارسال بعثة صهيونية الى اوغندا ، لدراسة امكانات الاستيطان اليهودي فيها ، سارع اوسيشكين في العودة الى روسيا ، للعمل على تكتيل صهيونييها ضد ذلك المشروع وافشاله ، بعد ان كانت اكثريتهم ، على كل حال ، قد اعلنت عن معارضتها له في المؤتمر السادس نفسه · وكمقدمة لنشاطه هذا ، صاغ اوسيشكين اراءه في العمل الصهيوني ومواقفه من اوجه نشاطه المختلفة ، على شكل كراس بعنوان « برنامجنا » (٢٢) ، نشره سنة ١٩٠٤ ·

ينطلق اوسيشكين في « برنامجنا » من فرضيات ثلاثة اساسية ، اولها « ان الصهيونية الروحانية والصهيونية الدبلوماسية ليستا الا صيغتان مختلفتان لجوهر واحد ، هو الصهيونية السياسية » ، ثانيها ان العوامل الضرورية ، لبعث اية امة سياسيا ، هي : « الشعب والبلد والظروف الخارجية » ، وثالثها ان الجهد ينبغي ان يصب على هذه العوامل الثلاثة في الوقت نفسه ، اذ « بعد ان تتم تهيئة الشعب للاستيطان في البلد ، ويكون ذلك البلد جاهزا لتوطين الشعب ··· لن ينجح التزاوج اذا لم تكن الظروف الخارجية مهيئة لذلك » (٢٣) · وفي تحليله لاسباب النجاح الضئيل ، نسبيا ، الذي كان من نصيب الحركة الصهيونية ، خلال ربع القرن الاول من نشاطها ، اي منذ بداية الهجرة الاولى سنة ١٨٨١ ، وحتى وفاة هرتسل سنة ١٩٠٤ ، يؤكد اوسيشكين ان السبب في ذلك يعود الى ان هواة صهيون اهتموا بالنشاط الاستيطاني العملي في فلسطين ، واهملوا العمل السياسي ، بينما فعل هرتسل عكس ذلك · والطريق الصحيحة ، بحسب رأيه ، هي الدمج بين الاثنين (٢٤) ·

ويؤكد اوسيشكين ، عند انتقاله لطرح اسس برنامجه ، على ان المهمة الاولى ، للحركة الصهيونية ، هي تقوية الوعي الذاتي بين اليهود ، وينبغي على الجمعيات الصهيونية باسرها ان تهتم بذلك ، لا اللجنة التنفيذية الصهيونية وحدها · وفي هذا الاطار « يجب ان يتم عمل بعث اللغة العبرية بنشاط وعناد ، بموازاة النشاط لبعث الشعب · ويجب ان تصبح هذه اللغة ، اللغة الرسمية لحركتنا وزعمائنا وكوادرنا» · والى جانب ذلك ، « ينبغي ان يحتل العمل السياسي والدبلوماسي اهم واول مكان في برنامجنا » ، وذلك للتأثير على تركيا من جهة ، وحكومات اوروبا من جهة اخرى ، لمنح الحركة الصهيونية امتيازات استيطان في فلسطين · وتمهيدا لذلك ، « ولكي نستطيع تأسيس نظام ـ طائفة يهودي مستقل ، او بشكل ادق ،دولة يهودية في ارض ـ اسرائيل ، من الضروري،

قبل اي شيء ، ان تكون كل الاراضي في البلد ، او علـى الاقل معظمها، ملكا لليهود ·وبدون حقوق ملكية في الاراضي ، لن تكون ارض ـ اسرائيل ابدا يهودية ، مهما بلغ عـدد السكان اليهـود فيهـا ، فـي المدن او فـي القرى » · وافضل الطرق للحصول على حقوق الملكية تلك هـي شراء الاراضي ، بالوسائل العادية، من مالكيهـا ، والاحسن ان يتم ذلـك قبل حصول الصهيونية على امتيازات استيطانية في فلسطين ، فيرتفـع ثمن الاراضي ، ويزداد تمسك اصحابها بها ، ولهذا « يجب ان يصبح اعتاق الارض شعارنا في هـذا الوقت » (٢٥) ·

ويقترح اوسيشكين ان تخصص الاراضي التي تشتريـها المؤسسة الصهيونية لاقامة مستوطنات تعاونية عليها ، تهدف الى خلق اجيال جديدة من المزارعين اليهود الحقيقيين · ولكن هناك عقبة رئيسية ، تقف فـي هذه الطريق ، اذ كان اوسشكين قد لاحـظ ، خـلال زيارته لفلسطيـن ، ان اليهود في المستوطنات الزراعـية لم يتحولوا فعـلا الى مزارعـين ، بل سلموا اراضيهم الى عـمال عـرب مستأجرين ، من القرى المجاورة لتلك المستوطنات ، لفلاحتها ، بحيث « وجد الاف العـرب عـملا لهـم لدى اليهود ، بينما بقي يهـود كثيرون يتجولون دون عـمل ··· وبين الاف عـدة من العـمال العـرب ، نجـد ··· بضع مئات من العـمال اليهود· وهذا ، ببساطة ، وباء مزمن في استيطاننا · ومهما كانت هذه المسألـة عسيرة ، وحلها صعبا ، فمن الضروري حلها حالا ، واستبدال العمـال العـرب ، من الان وصاعـدا ، بعـمال يهـود » · ويتم هـذا الحـل بواسطة تأسيس جمعية عـمال يهودية شاملة ، « يلتزم كل عضو فيهـا بالهجرة الى ارض ـ اسرائيل ، لمدة ٣ سنوات ، وتأدية واجب عسكـري لليهود هناك ، لا بالسيف والبندقية ، وانمـا بالمعـول والمحـراث » · وبواسطة هذه الجمعية ، يتحقق هدف آخـر ، لا يقل اهمية عـن الهـدف الاول ، بان « تصبح العـلاقة بين البلد ويهود المهجر ، علاقة حيـاة حقيقية ، لا عـلاقة « خطية » ، تستنـد عـلى الكتـب والصلـوات والصحف (٢٦) ·

وما قيل حتى الان ، ضروري « لاحتلال ارض ـ اسرائيل اقتصاديـا »، ولكن ينبغـي « احتلال البلد ثقافيا » ايضا ، « واساس وجذور كل ثقافـة روحانية في اي بلد ، يكمنان في تثقيف شعبها » · ولهذا « من المناسـب ان تكون لنا مدارس خاصة في كل المستوطنـات والمدن ··· تكون اللغـة العبرية مسيطرة فيها ، بالنسبة لكل مواد الدراسة ··· والاهم مـن المدارس للمبتدئين ـ المدارس الثانوية والتقنية والمهنية ، والاهم مـن

الاثنتين : مؤسسات الدراسة العليا : دار معلمين ومعهد هندسي ـ تطبيقي » (٢٧) ٠

وفي ختام « برنامجنا » ، يناشد اوسيشكين الصهيونيين كلهم «بالمعودة ـ لا الى هوى صهيون ، لا الى الصهيونية الروحانية ، ولا الى الصهيونية الدبلوماسية ، وانما الى مزيج من هذه التيارات الثلاثة سوية ـ وبلغة اخرى ـ الى الصهيونية السياسية ، كما نص عليها برنامج بازل »(٢٨) ٠ وبعد ان يتم ذلك ، « ستمر عشرات السنين ، يقوى خلالها شعبنا في روحه وقوة تنظيمه ووسائله المادية ٠ وتصبح بلادنا ، تدريجيا ، ملكا لنا٠ ويقر ملوك وشعوب الارض بفكرتنا وبأملنا منذ العصور الغابرة ، ويعطي عملنا ثماره ٠ ويحين زمن القطاف ٠ وعندئذ سيظهر الرجل ، الذي ينتظر شعبنا مجيئه منذ الفي سنة ، قويا وعظيما ٠ لن يأتي الينا من المهجر، ولا من مضائق الغيتو ، النفساني او الروحاني ، وانما من اعالي جبال يهودا والجليل ٠٠٠ ويفتح امامنا ابواب الوطن ، لا من خارجها ، وانما من الداخل ٠٠٠ وتحت انظار العالم كله ٠٠٠ يرفع الراية ٠٠٠ على جبال صهيون » (٢٩) ٠

وقام اوسيشكين ، انطلاقا من موقفه هذا ، بنشاط اعلامي واسع بين الصهيونيين في روسيا ، للتغلب على اليأس الذي دب في قلوب بعضهم، بسبب وفاة هرتسل من جهة ، وتضييق الخناق على مؤيدي مشروع اوغندا من جهة اخرى (٣٠) ٠ وفي اوائل كانون الثاني (يناير) ١٩٠٥ عقد ، بمبادرة من اوسيشكين ، اجتماع « لصهيونيي صهيون » في فيلنا، اتخذ فيه عدد من القرارات تحت تأثير « برنامجنا » ، اذ قرر المشتركون في الاجتماع ، وعددهم ٤٧ مندوبا ، يمثلون جمعيات صهيونية في مختلف انحاء روسيا ، رفض مشروع اوغندا ، لانه « يناقض الهدف التاريخي للصهيونية ، وبرنامج بازل » ٠ وفي مقابل ذلك ، قرر المؤتمرون ايضا « التوجه ، دون تأجيل ، نحو القيام بنشاط فعلي في ارض ـ اسرائيل، مثل : اعتاق الارض ، تنظيم البيشوف ، تطوير الزراعة والحرف والتجارة والصناعة واقامة المدارس واحياء اللغة العبرية وغيرها » (٣١) ، واقاموا كذلك لجانا لمتابعة تنفيذ هذه الاعمال ٠ وكان من نتائج هذا الاجتماع ايضا حث عدد من الصهيونيين على الهجرة الى فلسطين٠

كذلك استغل اوسيشكين ، لتشجيع الهجرة اليهودية الى فلسطين ، نداء كان قد كتبه وارسله اليه يوسف فيتكين (٣٢) ، المعلم في احدى المدارس اليهودية في البلد ٠ وحث فيتكين ، في بداية ندائه ، الذي وقعه

باسم « مجموعة شباب في ارض ـ اسرائيل » ، الشباب اليهود خارج فلسطين على « القدوم الى ارض ـ اسرائيل ، لفلاحة ارضها والاستيطان فيها ··· دون اية مساعدة ··· او بأقل مدى ممكن من المساعدة » (٣٣) ، وذلك بعد ان ينظموا انفسهم في مجموعات صغيرة، مؤلفة من ٥٠ او ١٠٠ شخص · واوضح فيتكين ، في ندائه للشباب اليهود ، ان الهدف من مجيئهم الى فلسطين ، هو « تأسيس مستوطنات جديدة ، لهدم الاراء الخاطئة لدى الشعب عامة ، وسكان البلاد خاصة ، في الييشوف الحالي وامكانات الاستيطان في البلد ، وفقا للظروف الراهنة » (٣٤) ، ولهذا لا ينبغي ان تؤسس تلك المستوطنات بواسطة فرد او مجموعة ، من اليهود في الخارج ، وانما من قبل المستوطنين انفسهم · وينبغي على الشباب المهاجرين « ان يشتغلوا في المرحلة الاولى كعمال في المستوطنات والمدن ، وفي اي مكان يجدون فيه عملا · وبعد ان يعتادوا على ظروف البلد واقليمه ، ويكتسبوا شيئا من الخبرة في العمل ، يزيد عن تلك التي امتلكها سابقوهم ، عليهم ان يحصلوا على قطعة ارض خاصة بهم ، بواسطة الشراء او الايجار لمدة لا بأس بها ، لدى يكا او الكيرن كاييمت او شركات اخرى ، او لدى العرب او الحكومة ، ان كان ذلك ممكنا ، وتأسيس مستوطنات مزدهرة عليها ، لا بمساعدة الملايين ، وانما بفضل عملهم واجتهادهم وتفانيهم، الذي لا حدود له » (٣٥) ·وقد استغل اوسيشكين هذا النداء على اوسع نطاق ، وقام بطبعه وتوزيعه داخل روسيا وخارجها · ويلاحظ ، على كل حال ، ان عددا من المستوطنات اليهودية ، اقيمت فعلا في فلسطين، خلال هذه الفترة ، بواسطة السبل التي اقترحها فيتكين ·

ومع مرور الوقت ، احتلت اراء اوسيشكين (وفيتكين) التي اشرنا اليها من حيث تركيز الجهود على تشجيع النشاط الاستيطاني الصهيوني عمليا في فلسطين ، مركز الصدارة بين صهيونيي روسيا ، الذين رأوا ان من اول واجباتهم العمل على دفع المزيد من المهاجرين اليهود الروس الى فلسطين · كذلك تبنت المنظمة الصهيونية العالمية هذه السياسة رسميا، في نهاية الامر ، وان تم ذلك بعد معارك طويلة ، خاضها ، بشكل اساسي ، الصهيونيون الروس · ولهذا لم تكن دوافع ابناء الهجرة الثانية ، للقدوم الى فلسطين ، كامنة فقط في الاضطهاد الذي تعرض له اليهود في روسيا خلال هذه الفترة ، اذ ان جزءا منها يعود الى نشاط الصهيونيين الروس انفسهم ، الذين حاولوا استغلال موجة الهجرة ، الناجمة عن ذلك الاضطهاد ، وعن اسباب اخرى ، لخدمة

مآربهم ، فاستطاعوا تحويل جزء منها الى فلسطين ٠

[٢]

في الفترة التي كانت فيها طلائع الهجرة الثانية تصل الى فلسطين ، كانت الحركة الصهيونية تمر في وضع حرج للغاية ، بسبب وفاة هرتسل من جهة ، واشتداد الخلاف بين مؤيدي مشروع اوغندا ومعارضيه من جهة اخرى ، خصوصا بعد ان اتجهت كل من الفئتين الى تنظيم نفسها وتجميع قواها ، استعدادا للحسم في المؤتمر الصهيوني المقبل ٠ وتركز الخلاف ، من هذه الناحية ، بين صهيونيي روسيا اساسا ، اذ بالاضافة الى الاجتماع الذي عقده « صهيونيو صهيون » في فيلنا ، في كانون الثاني (يناير) ١٩٠٥ ، وقرروا فيه رفض مشروع اوغندا ، عقد مناوؤهم المؤيدون للمشروع ، اجتماعا مضادا في وارسو ، في نيسان (ابريل) من السنة نفسها ، حضره مندوبون من ١٥ مدينة ، بينهم الحاخام رينس ، زعيم المزراحي ٠ وقرر المؤيدون تبني المشروع ، والعمل في المؤتمر الصهيوني المقبل على تعديل برنامج بازل وانظمة بنك الاستيطان اليهودي والكيرن كاييمت وباقي المؤسسات الصهيونية ، على اساس ذلك (١) ٠

ولم يمر اكثر من شهر على الاجتماع الاخير ، حتى قررت اللجنة التنفيذية الصهيونية بالاجماع ، في ايار (مايو) ١٩٠٥ ، بعد ان كانت قد زادت عدد اعضائها ، اثر وفاة هرتسل ، من ٤ الى ١٣ عضوا ، انها لا تستطيع ان توصي المؤتمر الصهيوني بقبول مشروع اوغندا ، وذلك بناء على تقرير البعثة التي كانت قد اوفدتها لدراسة امكانات الاستيطان في تلك المنطقة ، في مطلع سنة ١٩٠٥ ، والذي لم يكن مشجعا (٢) ٠ ولهذا حضر مؤيدو المشروع ومعارضوه ، الى المؤتمر الصهيوني السابع ، الذي انعقد في بازل من ٢٧ تموز (يوليو) الى ٢ اب (اغسطس) ١٩٠٥، بحضور ٤٩٧ مندوبا يمثلون ١٣٧٫٠٧١ صهيونيا، متكتلين ومستعدين لحسم الموقف من قبله (٣) ٠ وقبيل افتتاح المؤتمر ، عقد مندوبو الصهيونيين الروس ، كالعادة ، اجتماعا لتنسيق مواقفهم ، الا انهم اختلفوا فيما بينهم حول الموقف من مشروع اوغندا، فانفض الاجتماع دون اتخاذ اي قرار ٠ اما المؤتمر الصهيوني نفسه ، فقد عقد في اليوم الثاني لافتتاحه ، مؤتمرا فوق العادة ، استمر مدة يومين ونصف اليوم ،

لمناقشة مسألة اوغندا ، وتقرر في نهايته رفض المشروع باكثرية كبيرة ، مع تقديم الشكر لحكومة بريطانيا ، لعرضها المشروع على الحركة الصهيونية · وعلى الاثر قام « الاوغنديون » بترك قاعة المؤتمر ، معلنين انشقاقهم عن المنظمة الصهيونية (٤) ·

وبعد الانتهاء من مناقشة مشروع اوغندا ، اتجه المؤتمر الى بحث السياسة الصهيونية في فلسطين ، فقرر ، تحت تأثير الاقتراحات التي قدمها « صهيونيو صهيون » ، « القيام بعمل منهجي لدعم مواقعنا في ارض ــ اسرائيل ، في موازاة النشاط السياسي الدبلوماسي ، كقاعدة عملية للنشاط في المجال الاخير ومن اجل تقويته » · وقرر المؤتمر ايضا تحديد ذلك « العمل المنهجي » بالوسائل التالية : «١ · القيام بابحاث متعددة الجوانب · ٢ ــ تطوير الزراعة والصناعة وما شابه [في فلسطين] ، بروح ديموقراطية قدر الامكان· ٣ ــ تنظيم ثقافي واقتصادي، وتحسين مركز اليهود في ارض ــ اسرائيل ، بواسطة تهجير قوى مثقفة جديدة · ٤ ــ السعي الى اجراء الاصلاحات الادارية والقانونية ، الضرورية لتحسين الاوضاع في ارض ــ اسرائيل ··· ويرفض المؤتمر الاستيطان المحدد ، الذي تنقصه الخطة والمنهج ويقوم على الصدقات ، ولا تنطبق عليه ··· المادة الاولى من برنامج بازل » (٥) · وقرر المؤتمر ايضا منع شركة الكيرن كاييمت من شراء الاراضي في فلسطين ، « ما دام من غير الممكن القيام بذلك على اساس قانوني مضمون » ، على ان يسمح للادارة الصهيونية ببحث كل صفقة شراء ارض بحد ذاتها ·

وبعد ان اعتذر نورداو عن الالتزام « بوصية » هرتزل ، ورفض ترشيح نفسه لرئاسة المنظمة الصهيونية ، انتخب المؤتمر للمنصب دافيد ولفسون، احد الصهيونيين « السياسيين » ، ومن المقربين لهرتسل سابقا ، وانتخب معه ستة اعضاء آخرين لعضوية اللجنة التنفيذية الصهيونية ، نصفهم من « السياسيين » ، والنصف الاخر من « العمليين » ، كحل وسط لارضاء التيارين المتصارعين · ونقلت رئاسة المنظمة الصهيونية من فينا الى مدينة كلن في المانيا ، مقر الرئيس الجديد ·

ومن ناحية ثانية ، اسفر انشقاق « الاوغنديين » عن المنظمة الصهيونية العالمية ، في المؤتمر الصهيوني السابع ، الى ظهور صنف جديد من الصهيونيين : « الاقليميون »· فقد قام المنشقون، وعددهم نحو ٤٠شخصا، حال خروجهم من المؤتمر ، بتأسيس منظمة جديدة ، اطلقوا عليها اسم المنظمة الاقليمية اليهودية (Jewish Territorial Organization) التي اعلنت

أن هدفها هو الحصول على أي مكان في العالم ، يمكن توطين اليهود فيه على اساس منحهم حكما محليا · وبذلت هذه المنظمة ، التي ترأسها الصهيوني البريطاني ، يسرائيل زانغويل ، وبعد ان افتتحت فروعا لها في بريطانيا وروسيا والولايات المتحدة الاميركية ، مساع عديدة للحصول على منطقة لتوطين اليهود فيها في بلدان عدة ، منها ليبيا والعراق (٦) · غير ان كل مساعيها باءت بالفشل ، فاضطرت الى حل نفسها سنة ١٩٢٥ ·

رغم القرار المبدئي ، الذي اتخذه المؤتمر الصهيوني السابع ، بشأن تقوية الاستيطان الصهيوني عمليا في فلسطين ، ثم انتخاب ثلاثة من الصهيونيين « العمليين » اعضاء في اللجنة التنفيذية الصهيونية ، لم تبذل المنظمة الصهيونية نشاطا يذكر في هذا المجال · فقد اعتبر رئيس المنظمة الجديد ، دافيد ولفسون ، صديق هرتسل الحميم ، ان من واجبه السير على خطى معلمه ، فرجح الكفة في اللجنة التنفيذية الى جانب « السياسيين » · كذلك يبدو ان طبيعة عمل ولفسون ، كتاجر ، منعته من الموافقة على اجراء « تجارب » استيطانية في فلسطين ، غير مضمونة النتائج سلفا · وكان الانجاز « العملي » الوحيد الذي حققه ولفسون ، في فترة ما بين المؤتمرين الصهيونيين ، السابع والثامن ، اصدار صحيفة اسبوعية باللغة العبرية ، « هاعولام » (« العالم ») ، تنطق باسم المنظمة الصهيونية العالمية ، تولى تحريرها الكاتب اليهودي المعروف ناحوم سوكولوف (١٨٦٩ ــ ١٩٣٦) ، رئيس تحرير « هاتسفيراه » ، اوسع الصحف العبرية اليومية انتشارا في ذلك الوقت · وكان ولفسون قد عرض ، بعد انتخابه ، على سوكولوف تعيينه امين سر له ، فأصر الاخير على اصدار تلك الصحيفة ، لقاء قبوله بالمنصب (٧) · اما صحيفة « هاعولام » فقد انتقلت ، بعد صدورها ، من مكان الى آخر ، وتوقفت عن الصدور خلال اكثر من فترة ، الى ان اغلقت سنة ١٩٤٩ ·

استعد « العمليون » ازاء موقف الادارة الصهيونية هذا ، لمعركة اخرى في المؤتمر الصهيوني الثامن ، الذي عقد في لاهاي ، من ١٤ ــ ٢١ آب (اغسطس) ١٩٠٧ ، بحضور ٣٢٩ مندوبا (نصفهم تقريبا من روسيا) يمثلون ١٦٤ر٣٣٣ صهيونيا · وكان الصهيونيون الروس قد استطاعوا ، حتى انعقاد المؤتمر ، رص صفوفهم ، خصوصا بعد ان انشق « الاقليميون » عنهم ، فعقدوا قبيل افتتاحه اجتماعا لهم ، قرروا فيه بالاجماع العمل على استصدار قرار من قبل المؤتمر ، يتبنى الخط

الصهيوني « العملي » نهائيا (٨) · وافتتح الهجوم في المؤتمر نفسه لصالح « العمليين » الدكتور حاييم وايزمان ، الصهيوني الروسي الاصل، الذي كان يسكن في بريطانيا آنذاك ، موضحا في خطاب القاه امام المؤتمر « ان نشاطنا الدبلوماسي مهم ، ولكن الانجازات الفعلية في فلسطين ستزيده اهمية · واذا استطعنا الدمج بين المدرستين الصهيونيتين ، نكون قد اجتزنا العقبة الرئيسية » (٩) ، لانه حتى لو حصل الصهيونيون على امتياز للاستيطان في فلسطين ، فلن تكون لهذا الامتياز اية قيمة فعلية « اذا لم يرتكز على ارض فلسطين نفسها ، وعلى سكان يهود ، تمتد جذورهم عميقا في تلك الارض ، وعلى مؤسسات ينشئها اولئك السكان ، ولمصلحتهم » (١٠) · وفي خطابه هذا اطلق وايزمان ايضاشعاره المشهور حول«الصهيونيةالمركبة»(Synthetic Zionism) (١١) من كل التيارات الصهيونية : السياسي والعملي والثقافي والروحاني، والذي اصبح منذ ذلك الحين شعار اكثرية الصهيونيين ·

وفي نهاية المؤتمر ، ونتيجة لنشاط الصهيونيين الروس واصدقائهم « العمليين » بين صهيونيي غرب اوروبا ، اقر الخط الصهيوني « العملي ـ المركب » ، باكثرية كبيرة · وكان من بين القرارات التي اتخذها المؤتمر في هذا الصدد ، « اقامة دائرة خاصة لشؤون ارض ـ اسرائيل ، في اللجنة التنفيذية المصغرة ، يتولى رئاستها احد اعضاء اللجنة» ، على ان يخصص ٢٥ ٪ من دخل اللجنة التنفيذية لهذه الدائرة ، بالاضافة الى الاموال المخصصة اساسا للاستيطان · وقرر المؤتمر ايضا تكليف تلك الدائرة باجراء ابحاث حول اقامة مستوطنة تعاونية في فلسطين ، بحسب مشروع اوبنهايمر . وانشاء صندوق اعتماد في فرع بنك الاستيطان اليهودي ، الذي كان قد افتتح في يافا سنة ١٩٠٣ ، لشراء او استئجار الاراضي في فلسطين · كذلك طلب المؤتمر توجيه اهتمام خاص للمؤسسات الثقافية في البلد (١٢) ·

وكان من بين القرارات التي اتخذها المؤتمر الصهيوني الثامن ايضا ، اعترافه « مبدئيا باللغة العبرية كلغة رسمية للحركة الصهيونية وادارتها ومؤتمراتها ولجانها » (١٣) ، على ان ينفذ هذا القرار تدريجيا ·وانتخب المؤتمر ادارة صهيونية جديدة ، ثلاثية ، برئاسة ولفسون · وكان قد اشترك في المؤتمر الصهيوني الثامن ايضا ، ولاول مرة ، أربعة مندوبين عن اليهود في فلسطين : يتسحاق بن ـ تسفي ويسرائيل شوحاط ويوسف اهرونوفيتش واليعيزر شوحاط ·

وبعد انتهاء المؤتمر مباشرة ، استدعت رئاسة المنظمة الدكتور ارتور روبين (١٨٧٦ ــ ١٩٤٣) ، الذي رغم كونه خريج كلية حقوق ، اهتم أساسا بدراسة اوضاع اليهود الاجتماعية ، وطلبت منه في نيسان (ابريل) ١٩٠٧ ، السفر الى فلسطين لدراسة اوضاع المستوطنات الصهيونية فيها (١٤) ٠ ولدى عودته من زيارته ، في نهاية السنة نفسها ، قدم روبين تقريرا اوضح فيه ان عدد اليهود في فلسطين بلغ حينذاك ، استنادا الى استقصاءات قام بها ، نحو ٨٠ الف يهودي مقابل ٧٠٠ الف عربي ، وان مساحة الاراضي التي يمتلكها اليهود هناك تبلغ نحو ٤٠٠ الف دونم، من مساحة فلسطين الاجمالية البالغة ، حسب التقسيمات الادارية آنذاك، نحو ٢٩ مليون دونم ٠ ولاحظ روبين في تقريره ان اليهود يعيشون اساسا في منطقتين : الاولى في وسط فلسطين ، في الجزء الواقع بين مدن القدس ويافا وغزة والخليل ، حيث يقطن نحو ٥٤٫٣٠٠ يهودي (بين ٢٠٨ الاف عربي) ، منهم نحو ٣٫٨٠٠ نسمة يعيشون في المستوطنات الزراعية (والباقون في المدن ، خصوصا القدس ، التي كان اكثر من نصف السكان اليهود في فلسطين ، يعيشون فيها في ذلك الوقت) ، ويفلحون نحو ٧٢٫٣٠٠ دونما من الارض ٠ اما المنطقة الثانية فتقع في شمال شرق فلسطين ، في الجليل ، بجوار مدينتي طبريا وصفد ، حيث يقطن نحو ١٥٫٤٠٠ يهودي (منهم نحو ٨ الاف في صفد ، و ٦ الاف في طبريا) ، بينما يعيش الباقون (١٫٣٥٠ شخصا) في المستوطنات الزراعية ، ويفلحون نحو ٩٢٫٢٠٠ دونما (١٥) ٠ وكانت الاراضي الباقية ، التي امتلكتها المؤسسات الصهيونية ولم يستطع المستوطنون اليهود استغلالها ، تسلم للفلاحين العرب لزراعتها ٠ واعلن روبين في تقريره ايضا ان الحكومة التركية لن تمنح اليهود ادارة ذاتية في فلسطين ، الا اذا اصبحوا اكثرية سكان البلد ، وامتلكوا اكثرية اراضيها ٠ ولما كان ذلك صعب المنال ، في المستقبل المنظور ، في فلسطين بأكملها ، فلا بد من التركيز على المنطقتين المذكورتين ، وتحويل اليهود الى اكثرية فيهما ، على ان يصار الى توحيدهما جغرافيا ، عندما تحين الفرصة لذلك (١٦) ٠ وقد وافقت المنظمة الصهيونية على هذه الخطة ، وقررت افتتاح مكتب لها في فلسطين، ليتولى تنفيذها ، وطلبت من روبين ادارته ٠ غير ان روبين اشترط موافقته باقامة شركة خاصة، يتولى ادارتها، لشراء الاراضي في فلسطين . فوافقت الادارة على الطلب واسست ، في اواخر سنة ١٩٠٧ ، « شركة تطوير اراضي فلسطين» (The Palestine Land Development Company وتعرف الشركة ايضا بأسم آخر : « شركة تحسين البلاد ») ، برأسمال

قدره ٥٠ الف ليرة استرلينية ٠ وبعد مرور نحو ٣ سنوات ، على اقامة هذه الشركة ، تحولت الى وكيلة لشركة الكيرن كاييمت ، لشراء الاراضي في فلسطين ، وذلك خلال الثلاثين سنة المقبلة ٠ وفي نيسان (ابريل) ١٩٠٨ ، وصل روبين الى يافا ، وافتتح هناك « المكتب الفلسطيني » (The Palestine Office) التابع للمنظمة الصهيونية العالمية (١٧)٠

وحاولت الادارة الصهيونية ايضا، بعد المؤتمر الصهيوني الثامن، اقامة علاقات مع الحكومة التركية الجديدة، التي استلمت الحكم بعد الثورة التي قام بها اعضاء جمعية تركيا الفتاة،في اواخر تموز (يوليو) ١٩٠٨،فساهمت في اقامة بنك في اسطنبول (The Anglo-Levant Banking Company) عين الدكتور يعقوبسون مديرا له ، بينما كانت مهمته الحقيقية محاولة اجراء اتصالات سياسية مع السلطات التركية ، ثم انتدب جابوتينسكي ليعمل مساعدا له ٠ كذلك عمل الصهيونيون على اصدار صحيفة باللغة الفرنسية هناك ، للتأثير على الرأي العام ٠ وفي حزيران (يونيو) ١٩٠٩ ، قبيل انعقاد المؤتمر التاسع ، سافر ولفسون الى اسطنبول واجتمع بالمسؤولين الاتراك ، الذين منعوه من مقابلة السلطان ، بعد ان كانت الثورة قد نشبت ضده اثناء وجود ولفسون في البلد ٠ وحاول ولفسون حمل اولئك المسؤولين على تغيير موقف الحكومة التركية السابق ، الذي ابلغ لهرتسل في حينه ، وتشجيع الاستيطان الصهيوني في فلسطين ، ولكنه لم يفلح (١٨) ٠ وفي سنة ١٩١٣ تقدمت المنظمة الصهيونية بطلب مماثل الى السلطات التركية ، غير ان هذا الطلب رفض ايضا (١٩) ٠

رغم النشاط الذي بذلته ادارة المنظمة الصهيونية ، بعد المؤتمر الصهيوني الثامن ، لتقوية اسس الاستيطان الصهيوني في فلسطين ، لم تحظ الزعامة الصهيونية برضى « العمليين » ، فحاولوا اسقاطها في المؤتمر الصهيوني التاسع ، المنعقد في مدينة هامبرغ بالمانيا ، خلال ٢٦ ـ ٣٠ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٠٩ ، بحضور ٣٦٤ مندوبا يمثلون ١٨٢ر٨٠٨ صهيونيين ٠ وقد شن « العمليون » ، في هذا المؤتمر ، هجوما عنيفا على رئيس المنظمة ولفسون ، وادارته ، فقوبلوا بهجوم اعنف من الطرف الآخر ٠ ووصلت الخلافات بين الفريقين الى درجة من الحدة ، وخصوصا بعد ان قدمت المعارضة للمؤتمر مشاريع قرارات تنم عن سخرية بولفسون ، لم يستطع المؤتمر معها انتخاب ادارة جديدة ، فبقيت الادارة السابقة على حالها (٢٠) ، وتقرر نقل مقرها الى مدينة كولون ٠ وبعد

انفضاض المؤتمر التاسع ، ازدادت الخلافات حدة بين الصهيونيين « العمليين » و « السياسيين » ، وكادت تهدد بشق الحركة ، الى ان عقد « صلح » بين الطرفين ، في الاجتماع السنوي للمنظمة الصهيونية العالمية ، الذي كان يعقد عادة بين مؤتمر صهيوني وآخر ٠ وفي هذا الاجتماع الذي عقد في برلين ، خلال ٢٧ ـ ٢٩ حزيران (يونيو) ١٩١٠ ، تعهد « السياسيون » بالموافقة على كل طلبات « العمليين » في المؤتمر الصهيوني المقبل ـ العاشر ، الذي انعقد في بازل ، من ٩ ـ ١٥ آب (اغسطس) ١٩١١ ، بحضور ٣٨٧ مندوبا يمثلون ١٧٥ر٨٩٤ صهيونيا ٠ وقد انتخب هذا المؤتمر البروفيسور اوتو واربرغ (١٨٦٩ ـ ١٩٣٨) ، استاذ علم النبات في جامعة ستراسبورغ رئيسا للمنظمة ، وانتخب معه ٤ اعضاء آخرين في اللجنة التنفيذية ، كلهم من « العمليين » (٢١) ٠ وبهذا يكون الصهيونيون « العمليون » قد استطاعوا ، بعد مرور اربع سنوات على تبني اسلوبهم في العمل الصهيوني ، في المؤتمر الصهيوني الثامن (١٩٠٧) ، السيطرة كليا على رئاسة المنظمة الصهيونية ٠ ولكن انتصار « العمليين » هذا لم يكن كاملا ، اذ بقيت مؤسسات الحركة المالية ، على اهميتها ، خصوصا بنك الاستيطان اليهودي وشركة الكيرن كاييمت ، بعيدة عن متناول ايديهم ، اذ كان هرتسل قد عين اصدقاءه « السياسيين » في رئاسة هذه المؤسسات ، التي كانت تتمتع باستقلال نسبي في ادارة اعمالها ٠ وفي المؤتمر الصهيوني الحادي عشر ، المنعقد في فينا ، خلال ٢ ـ ٩ ايلول (سبتمبر) ١٩١٣ ، بحضور ٥٣٩ مندوبا يمثلون ٢١٧ر٢٣١ صهيونيا ، وهو آخر مؤتمر صهيوني ينعقد قبل نشوب الحرب العالمية الاولى ، أكمل « العمليون » الدورة وسيطروا على مؤسسات الحركة المالية ايضا (٢٢) ٠ وقد اعاد هذا المؤتمر انتخاب الادارة السابقة ، التي كان قد انتخبها المؤتمر الصهيوني السابق ٠ وأقر المؤتمر الحادي عشر أيضا ، بحماس كبير ، اقتراحا يطالب الادارة الصهيونية باتخاذ الخطوات الضرورية لاقامة جامعة عبرية في القدس (٢٣) ٠ وكان البروفيسور هرمان شابيرا ، صاحب مشروع الكيرن كاييمت الذي قدم للمؤتمر الصهيوني الاول ، هو ايضا صاحب هذا الاقتراح اساسا ، الذي تبناه وايزمان ، وعمل بدأب على تنفيذه (٢٤) ٠

وقبل ان يتمكن الصهيونيون «العمليون» من السيطرة على المنظمة الصهيونية العالمية ، كانت ادارة ولفسون « السياسية » قد استطاعت ، على كل حال ، تحقيق انجاز « عملي » مهم في مجال الاستيطان الصهيوني في فلسطين ٠ فبناء على اقتراح تلك الادارة ، اقر المؤتمر الصهيوني التاسع اعتماد

طريقة البروفيسر اوبنهايمر ، رسميا ، من قبل الحركة الصهيونية لاقامة المستوطنات اليهودية في فلسطين · وقبل اتخاذ هذا القرار ، دعي اوبنهايمر ، مرة ثانية ، لالقاء محاضرة امام المؤتمر حول اسس نظريته في اقامة المستوطنات الجديدة ، فاوضح ان ما يدعو اليه هو اقامة « مستوطنات تعاونية » في فلسطين ، تنشأ على ثلاث مراحل · ففي المرحلة الاولى ، تقام قرية كبيرة ، بادارة مهندس زراعي خبير ، يتقاضى العمال الذين يعملون فيها ، بالاضافة الى اجرتهم ، التي تعين بحسب كفاءتهم وانتاجهم ، جزءا من الارباح ، يزيد ايضا بحسب زيادة الاجرة · وبعد ان تمر هذه المرحلة ، التي يفترض ان يكون العمال قد استطاعوا خلالها ادخار مبلغ لا بأس به من المال ، عليهم ان يتحدوا في « جمعية عمال زراعية تعاونية ــ انتاجية » ، تباشر بادارة القرية على حسابها · وتكون مسؤولة عن الخسارة والربح · وعندما يتحقق ذلك ، تبدأ المرحلة الثالثة والاخيرة : اقامة « المستوطنة التعاونية » ، ويسمح اذ ذاك لعناصر غير زراعية ، كالحرفيين والباعة واصحاب المهن الحرة ، بالانضمام اليها · كما يحق للاعضاء ، في هذه المرحلة ،ترك التعاونية ، ان شاؤوا وفلاحة قطعة الارض التي تعطي لهم، من ناحية، ويحق للتعاونية قبول اعضاء جدد فيها ، من ناحية ثانية (٢٥) · وفي ربيع ١٩١٠ سافر اوبنهايمر الى فلسطين للاشراف على اقامة مستوطنة تعاونية ، بحسب نظريته هذه · وبعد سنة من وصوله الى هناك اقيمت مستوطنة مرحفياه ، قرب بلدة العفولة ، الى الجنوب من الناصرة ، على هذه الاسس · ولم تحظ تجربة اوبنهايمر ، على كل حال ، بنجاح باهر ، فادخلت عليها مع مرور الزمن تعديلات جوهرية · ولكنها كانت احدى الاسس التي انبثقت منها ، فيما بعد ، « الكبوتساه » ثم « الكيبوتس » من جهة و « مستوطنة العاملين » (« موشاف عوفديم ») من جهة اخرى ·

وعلى صعيد آخر ، وخلال الفترة نفسها التي كان الصهيونيون العلمانيون ، من « سياسيين » و « عمليين » و « روحانيين » وغيرهم ، يخوضون فيها صراعا واسعا ، ادى في نهاية الامر الى اتحادهم بزعامة « العمليين » ، تحت شعار « الصهيونية المركبة » ، كان الصهيونيون المتدينون يخوضون ايضا صراعا مماثلا ، ادى الى نتائج تختلف عن تلك التي وصل اليها العلمانيون · فبعد تأسيس المزراحي ــ التي اثر عليها ايضا الخلاف الذي نشب بين الصهيونيين العلمانيين، « السياسيين » و « العمليين » ، فأدى الى قيام تيارين داخلها ايضا ، « سياسي » و « متدين » ــ نشطت بعض الفئات داخل المنظمة في التنظير ، بحماس ،

لمحاسن الوحدة الصهيونية ، وضرورة التعاون مع الصهيونيين العلمانيين، واحيانا تحمل « هرطقتهم » ، للعمل في سبيل اقامة دولة يهودية في فلسطين ، بشكل اعتبره بعض اتباع المزراحي ، وغيرهم ، ماسا بالتعاليم الدينية اليهودية التقليدية (٢٦) · ولكن المعارضين سكتوا على مضض ، الى ان عقد المؤتمر الصهيوني العاشر (١٩١١) ، الذي لم يكتف الصهيونيون « العمليون » بالانتصار الذي احرزوه فيه ، عندما تسلموا زعامة المنظمة الصهيونية العالمية ، بعد ان انتخبوا اعضاء اللجنة التنفيذية الصهيونية بأجمعهم من بينهم ، وانما حملوا المؤتمر ايضا على اتخاذ قرار ، فرض بموجبه « على اللجنة التنفيذية الصهيونية واجب تنظيم وتركيز النشاط الثقافي العبري في ارض ـ اسرائيل وبلدان الشرق » (٢٧)، رغم معارضة المزراحي الشديدة · واعاد المؤتمر بقراره هذا ، الخلاف بين الصهيونيين العلمانيين والمتدينين ، حول موقف المنظمة الصهيونية الرسمي من النشاط الثقافي ، الى الواجهة ، بعد ان كان قد هدأ منذ وفاة هرتسل · وكان المتدينون ، من ناحيتهم ، قد بلوروا حتى ذلك الوقت موقفا من هذه المسألة ، مفاده ان يترك الخيار لكل فئة من العلمانيين والمتدينين في ممارسة النشاط الثقافي ، كما تراه مناسبا ، شرط ان لا تتدخل المنظمة الصهيونية، رسميا ، لصالح اي من الطرفين · ولكن القرار اخل بهذا التوازن الدقيق، اذ انه يعني، على الاقل، الزام المتدينين بتمويل مشاريع ثقافية علمانية ، بواسطة رسوم عضوية الشيكل التي يدفعونها للمنظمة الصهيونية· وقد يكون من بين تلك المشاريع ـ على حد تعبير احد المتدينين المعاصرين ـ « تغطية ارض ـ اسرائيل بشبكة من المدارس [العلمانية] ، بروح الكفر والفجور ، خصوصا بعد ان اعلن عن مبادىء متدررة ، مقيتة وغريبة عن روح اسرائيل المقدسة ، مثل حرية الاديان ، ومنح النساء حق الانتخاب ، ورفض الالتزام بقوانين التوراة وما شابه »، وذلك من خلال « وقاحة متعجرفة ، لا مثيل لها في العالم اليهودي» (٢٨)·

ولم تستطع المزراحي السكوت عن هذا القرار ، الذي اصدره المؤتمر الصهيوني العاشر ، فعقدت حال انفضاض المؤتمر اجتماعا لدراسة الوضع الجديد ، واتخاذ الاجراءات المناسبة · وخلال الاجتماع ، طالب البعض بالانفصال عن المنظمة الصهيونية ، بسبب قرارها هذا ، الا ان الاكثرية رفضت هذا الطلب ، داعية الى التروي وضبط النفس ، فقام المعارضون بمغادرة مكان الاجتماع ، معلنين انشقاقهم عن المنظمة الصهيونية والمزراحي معا (٢٩) · واتصل المنشقون ، على الاثر ، ببعض الحاخامين ومجموعات اليهود المتدينين الورعين ، خصوصا في

فرانكفورت بألمانيا ، وفي هنغاريا ، وقرروا عقد مؤتمر لهم ، لاقامة منظمة متدينة جديدة ٠

عقد مؤتمر المتدينين الورعين في بلدة كاتوفيتش في النمسا ، في اواخر ايار (مايو) ١٩١٢ ٠ وافتتح المؤتمر الحاخام يعقوب روزنهايم ، معلنا ان هدف الاجتماع ليس تأسيس تنظيم كباقي التنظيمات ، وانما « اعادة بعث شعب التوراة » ٠ واوضح روزنهايم في خطابه الافتتاحي انه « منذ ان اجلي اليهود من بلادهم ، من قبل الرومان ، حملوا معهم ، بين ايديهم وفي قلوبهم ، توراتنا المقدسة » ، فاستطاعوا بواسطة تعليم التوراة وقيمها الثقافية من جهة ، ورفض المجتمعات التي عاشوا بينها لهم من جهة اخرى ، المحافظة على وجودهم ٠ ولكن هذا الوضع تغير منذ نشوب الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩ ، بسبب المبادىء التي نادت بها ، بحيث « لم تعد التوراة عمليا ، مع الاسف ، النقطة المركزية في الوجود اليهودي بأسره ٠٠٠ وهذا سبب البلاء ٠٠٠ ولا بد من ايجاد الدواء ٠٠٠ » ، واعادة العلاقة « بين ابنائنا ومجموع اليهود ، وليس فقط العلاقة الروحانية مع الماضي ، بل مع الجماهير اليهودية حاليا » (٣٠) ٠ ولهذا « من الواجب علينا العمل لمصلحة مجموع اليهود ، في كل مجالات الحياة » ، بتكريس « قوانا لدعم وتقوية تدريس التوراة والثقافة اليهودية على نطاق واسع ٠٠٠ » ، وتنظيم الناحية المادية للوجود اليهودي « تنظيما شعبيا يستند على روح التوراة »، ثم « الوقوف بالمرصاد للدفاع عن حرمة التوراة ، في اي مكان ينبغي القيام فيه بذلك ، تجاه الداخل او الخارج » (٣١) ٠ وبما ان هذا التنظيم « يستند على سلطة التوراة » ، ينبغي تأسيس « مجلس علماء التوراة » ، ليكون « الهيئة الروحية العليا » المشرفة عليه (٣٢)٠
واعلن في نهاية المؤتمر، عن تأسيس منظمة « اغودات يسرائيل » (« رابطة اليهود») العالمية ، على اساس روح الخطاب الذي القاه روزنهايم ٠ وجاء في « لائحة الانظمة المؤقتة » التي اصدرتها المنظمة ، ان « هدفها الرئيسي هو : حل القضايا المختلفة التي تواجه مجموع اليهود ، في حياتهم اليومية ، بحسب روح التوراة والفرائض » (٣٣) الدينية المختلفة ٠

وناصبت اغودات يسرائيل ، منذ تأسيسها ، الحركة الصهيونية بكافة تياراتها ، العداء ، وأبدت تحفظها تجاه النشاط الصهيوني في اكثر من مناسبة ، واحيانا على الصعيد الدولي (٣٤) ٠ ويعود السبب في ذلك ، اساسا ، الى اختلاف جوهري في بعض المفاهيم الاساسية لدى الطرفين ، منها « ان مفهوم الوحدة [اليهودية] الصهيوني المزيف ،

ينزع عن الشعب اليهودي شهادة وحدانيته التاريخية ـ العالمية ، كحامل فكرة التوحيد الالهية المطلقة ، ويبيحه لوحدة وهمية من المادية » (٣٥) ٠وعارض منظرو اغودات يسرائيل ايضا مفهوم الصهيونيين المتدينين « لفريضة استيطان ارض ـ اسرائيل » ، التي استغلت لحمل المتدينين على الهجرة الى فلسطين والاستيطان فيها (انظر ص ٥٦ ـ ٥٨ اعلاه) : « ان فريضة استيطان ارض ـ اسرائيل ليست الا واحدة من ٦١٣ فريضة [تلزم اليهودية ابناءها بها] ٠٠٠ ولا يمكن الغاؤها ، في مطلق الاحوال ، بسبب اساءة استعمالها وعدم فهمها من قبل الصهيونية ٠٠٠ اننا نسمح لانفسنا بان نشعر بالبعد عن تهمة تقليد الصهيونية ٠ وعندما يقدم التاريخ مناسبة لتأدية هذه الفريضة ، بشكل دقيق ومفصل » ، لن نتردد في ذلك ٠ و« نحن ملتزمون بتأدية الـ ـ ٦١٣ فريضة ، بينما يلتزم الصهيونيون بواحدة فقط » (٣٦) ٠

وعارضت اغودات يسرائيل ايضا مفهوم وشعار « مركزية ارض ـ اسرائيل في حياة الشعب اليهودي » ، الذي اطلقته الحركة الصهيونية: « ان اغودات يسرائيل لا تشجب المهجر ، ولكنها لا تحبذه ايضا ٠٠٠ وما دام الخلاص بعيدا ، والمهجر قائما ، تعترف اليهودية المتدينة الورعة بوجوده ، ولا تتجاهله » ٠ كما تؤيد اغودات يسرائيل توطين اليهود في فلسطين ، ولكنها « تمتنع عن الزام البيشوف بأكثر من طاقته وجعله ٠٠٠ اساسا وحيدا لليهودية » ، رغم انها « تعتبره استعدادا للخلاص ، وشرطا سهلا للمحافظة على وجود الشعب ٠٠٠ والتوراة ، ولكن ليس هدفا بحد ذاته ، ولا غاية الوجود اليهودي ٠ ان ارض ـ اسرائيل والمهجر ، بالنسبة لاغودات يسرائيل ، شيئان متعلقان ببعضهما ، ويكملان بعضهما » (٣٧) ٠

وفي مطلع العشرينات ، اقيم تنظيم مواز لاغودات يسرائيل ، هو بوعالي (عمال) اغودات يسرائيل ، يضم الفئات العمالية الملتزمة بتعاليم اغودات يسرائيل ٠ وكانت اغودات يسرائيل قد اصرت ، خلال فترة الانتداب البريطاني على فلسطين ، على الاعتراف بها كطائفة مستقلة ، منفصلة عن الطائفة اليهودية الرئيسية في البلد ، حتى لو كانت تضم متدينين او علمانيين ـ فكان لها ما ارادت ٠

وبعد اقامة اسرائيل ، اتحد فرعا اغودات يسرائيل وعمال اغودات يسرائيل ، والعاملون فيهما ، في اطار الجبهة الدينية التوراتية ، وان تم ذلك بشكل واه ، اذ كانت المنظمتان تتحدان ثم تنفصلان ، من حين الى آخر ٠

[٣]

وقعت في روسيا ، حتى مطلع القرن العشرين ، خصوصا خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، تغييرات اقتصادية ، أدت الى تغييرات اجتماعية مهمة ، والى اعادة توزيع الخريطة الطبيعية والسكانية للبلد ، وظهور طبقات جديدة · ونجم عن ذلك نشوء منظمات واحزاب سياسية تعبر عن هذا الواقع الجديد · وكان معظم المهاجرين اليهود ، الذين قدموا الى فلسطين خلال فترة الهجرة الثانية، من ابناء هذه الطبقات الجديدة ، التي نشأت اثر تلك التغييرات وحددت لنفسها ، تحت تأثيرها ، مفاهيم سياسية جديدة ، احضرها اولئك المهاجرون معهم عندما دخلوا البلد ·

بدأت روسيا ، منذ منتصف القرن التاسع عشر ، كما أشرنا ، تسير على طريق التطور الصناعي ، بعد ان تم ، في الوقت نفسه ، تحرير الفلاحين الروس من سيطرة كبار مالكي الاراضي · وكانت قد تكونت في البلد مع بداية القرن العشرين ، نتيجة لذلك ، طبقة عمالية واسعة ، سرعان ما اصبحت عنصرا مهما ، ذا تأثير ملحوظ على السياسة الداخلية ، خصوصا بعد ان تكونت بينها الاحزاب الثورية المختلفة، المناوئة للحكم القيصري ، ومعظمها ذو صبغة اشتراكية · وقد أثر هذا التطور ، بالمدى والشكل نفسيهما ، على اليهود في روسيا ايضا ، « فدمر » الطبقة المتوسطة اليهودية ، التي كانت تشكل اكثرية السكان اليهود هناك ، حتى ذلك الوقت ، وحول اكثريتها الى عمال · ووجد اولئك انفسهم يمرون في ظروف معيشية صعبة للغاية ، خصوصا وان اكثريتهم كانت مركزة داخل حدود « منطقة الاستيطان » اليهودية ، التي ضاقت سبل العيش فيها ، لاكتظاظها بالسكان بعد ان حظرت السلطات القيصرية على اليهود عامة مغادرتها (١) · وكانت المصاعب الناجمة عن اوضاع اليهود هذه ، بالاضافة الى الاضطهاد الذي لاقوه ، هي الاسباب الرئيسية التي دفعتهم الى الهجرة ، الى مناطق اقل اكتظاظا بالسكان داخل « منطقة الاستيطان » في المرحلة الاولى ، ثم الى خارج روسيا ، خصوصا اميركا ، أخيرا (٢) · وتجدر الاشارة هنا ، الى ان تطورات تكاد تكون مماثلة لتلك التي وقعت في روسيا ، حدثت ايضا في دول اوروبية عدة ،خلال الفترة نفسها ، واسفرت عن

هجرة نحو ٣٠ مليون نسمة من اوروبا الى اميركا ، وخصوصا الى الولايات المتحدة الاميركية ، خلال السنوات ١٨٥٠ ـ ١٩٢٥ ·

غير ان الهجرة لم تكن ردة الفعل الوحيدة ، التي أجاب بها اليهود في روسيا ، على الاوضاع التي وجدوا انفسهم يمرون فيها ، او الاضطهاد القيصري الذي لحق بهم · فاعداد كبيرة منهم ، اي بضعة ملايين ، بقيت في البلد ، رغم الهجرة الواسعة الدائمة بين صفوفهم · وقد تمثلت ردود فعل الباقين ، عامة ، في ثلاثة اتجاهات · فقد انضم بعضهم الى الحركة الصهيونية ، وانخرط آخرون في الاحزاب الثورية الروسية ، على اختلاف عقائدها ، بينما قام الباقون بتأسيس تنظيمات عمالية ـ اشتراكية يهودية خاصة بهم ·

ولم تكن الحركات الاشتراكية اليهودية ، التي تبلورت خلال هذه الفترة، هي الرائدة في هذا المجال ، اذ في منتصف السبعينات من القرن التاسع عشر ، كانت قد اسست ، مثلا ، جمعية في لندن ، برئاسة اهرون ليبرمان ، احد الاشتراكيين اليهود ، اطلق عليها اسم « جمعية الاشتراكيين اليهود » (٣) · ولكن تجربة هذه الجمعية ، لم تتعد ، على اية حال ، المجال النظري (٤) ، بعكس التنظيمات العمالية ـ الاشتراكية التي ظهرت بعد ذلك بربع قرن ، في مطلع القرن العشرين ، في روسيا ، بين طبقة عمالية يهودية واسعة ، كانت تجابه مشاكل متشعبة ، شكلت بحد ذاتها احد الاسباب الرئيسية في قيام تلك التنظيمات ، ودفعتها الى اتخاذ مواقف واجراءات عملية للغاية ، واحيانا يومية ، لمجابهتها ·

اما الاسباب الداعية الى تأسيس تنظيمات يهودية اشتراكية ، قائمة بحد ذاتها ، ومستقلة عن اي تنظيم اشتراكي آخر في روسيا ، فتعود ، بحسب رأي الاشتراكيين اليهود ، الى عاملين : اولهما ، احساسهم بوجود مشاكل خاصة تواجه اليهود ، ينبغي حلها بالطريقة الاشتراكية فقط ، بواسطة منظمات يهودية اشتراكية ، تتعاون في الوقت نفسه مع التنظيمات المماثلة بين غير اليهود في روسيا ، لاقامة حكم اشتراكي في البلد · وثانيها ، اتخاذ اكثر من فئة اشتراكية موقفا سلبيا ، في حينه ، من اليهودية واليهود ، وشجب « وجودهم » ، واحيانا « اضطهادهم » ، لاعتبارهم أياهم ، او على الاقل الرأسماليين منهم ، جزءا من نظام الحكم القيصري ، الذي كان يضطهدهم · ونجم هذا الموقف ، الى حد بعيد ، عن آراء كارل ماركس نفسه · ففي سنة ١٨٤٣ ، كتب ماركس مقالا بعنوان « حول المسألة اليهودية » (٥) ،حمل فيه بشدة على الاديان ، خصوصا المسيحية واليهودية ، والنظم الاجتماعية

القائمة عليها ، ودعا الى تحرير الانسان والدولة من هاتين الديانتين ، وتأثيرهما الروحي والمادي ـ وكال اقذع الشتائم لليهودية : « ما هو دين اليهودي الدنيوي ؟ ـ التجارة [الباعة المتجولون] · ومن هو الهه الدنيوي ؟ ـ المال · حسن ، اذن ! ان التحرر من التجارة والمال ، وبالتالي من اليهودية العملية والحقيقية ، يعني التحرر الذاتي في عصرنا · ان نظاما اجتماعيا ، يلغي الظروف المسبقة [الضرورية] لوجود الباعة المتجولين ، وبالتالي امكانية وجودهم ، سيجعل وجود اليهودي مستحيلا · وسيتبخر وعيه الديني ، عندئذ ، مثل ضباب خفيف في هواء المجتمع الحقيقي ، الحيوي ··· اننا نرى في اليهودية ، اذن ، عنصرا عاما غير اجتماعي في وقتنا الحاضر ، عنصرا وصل خلال التطور التاريخي ـ بعد ان ساهم اليهود انفسهم في بلورة هذه الناحية الضارة ـ الى وضعه ··· الحالي ، الذي ينبغي بالضرورة ان يبدأ بالاضمحلال ··· لقد اصبح المال قوة عالمية ، واصبحت الروح اليهودية الحقيقية روح الامم المسيحية الحقيقية · فقر حرر اليهود انفسهم بالمدى الذي اصبح فيه المسيحيون يهودا » (٦) · واعلن ماركس ايضا في مقاله « ان اليهود لم يحافظوا على وجودهم رغما عن التاريخ ، بل بفضله » (٧) ، واضاف : « في التحليل النهائي ، ان تحرير اليهود هو تحرير الانسانية من اليهودية ··· وتحرير اليهود اجتماعيا يعني تحرير المجتمع من اليهودية » (٨) ·

ولم تكن من حاجة لعرض هذا المقال هنا ، لولا المواقف المضادة التي نجمت عن الاراء التي يطرحها ، وادت في نهاية الامر ، رغم ما في ذلك من غرابة ـ لاول وهلة ـ الى تقوية الصهيونية وصقلها · فقد كانت احدى النتائج الرئيسية لاراء ماركس هذه ـ رغم تحفظ ماركسيين عديدين منها ـ وتعميم وصفه للرأسماليين اليهود لينطبق على اليهود بأسرهم ، بما في ذلك الطبقات الفقيرة منهم ، امتناع عدد كبير من الاشتراكيين ، مع بداية انتشار الافكار الاشتراكية ، عن التفكير في ايجاد حلول للمسألة اليهودية ، او على الاقل تجاهلها ، واحيانا نسب بعض مظاهرها ، وما قد يترتب عليها ، الى «البرجوازية اليهودية » ، او التغاضي عنها · ويلاحظ أيضا ، من ناحية ثانية ، انه حتى عندما قرر اتباع ماركس ، او المتأثرون بأرائه ، اتخاذ موقف من الصهيونية ، لم يستطيعوا الخروج عن اطار اعتبارها نتاجا « برجوازيا يهوديا » ، ومن ثم تجاهلها ، رغم ان الفكرة انتشرت ونمت بشكل خاص بين الطبقات العمالية اليهودية · وكانت تلك الطبقات قد كبرت بصورة ملحوظة في روسيا القيصرية ، في اواخر القرن التاسع عشر ، بعد ان

ضاق مجال العيش امام الحرفيين اليهود ، أثر تحول البلد نحو التطور الصناعي • وكان من نتيجة هذه المواقف ، الى حد ما ، ان ظهر « الحل الصهيوني » للمسألة اليهودية ، احيانا ، كأنه الحل الوحيد الذي يمكن اللجوء اليه ، مما ساعد على تقوية الحركة ، وأحيانا العقيدة ، الصهيونية •

كانت اولى التنظيمات العمالية اليهودية ، التي ظهرت في روسيا ، البوند ـ الاتحاد العام للعمال اليهود في روسيا وبولونيا (وفيما بعد : لتوانيا) ، الذي اسس في اجتماع عقد في فيلنا ، حضره ١٣ مندوبا ، عن جمعيات اشتراكية يهودية مختلفة ، وذلك في منتصف تشرين الاول (اكتوبر) ١٨٩٧ ، اي بعد مرور اقل من شهرين على انعقاد المؤتمر الصهيوني الاول واقامة المنظمة الصهيونية العالمية • ولم يمض وقت طويل على تأسيسه ، حتى التحق البوند بالحزب الاشتراكي الديموقراطي الروسي (حزب لينين) ، ثم اقام فروعا له في كافة انحاء روسيا ، واصبح اكبر الفئات اليهودية المنظمة في البلد ، واحتفظ بمركزه هذا حتى نشوب الثورة الروسية سنة ١٩١٧ (٩) •

وكانت زعامة البوند ، عند تأسيسه ، مؤلفة اساسا من اشتراكيين يهود ، منصهرين في المجتمع الروسي ، ولذا لم يعيروا المسألة القومية ، بالنسبة لليهود ، اي اهتمام ، رغم ان القضية كانت مطروحة حينذاك من قبل مناوئيهم الصهيونيين • ولكن مع مرور الوقت ، وانضمام فئات مختلفة من الاشتراكيين والعمال اليهود الى صفوفه ، غير البوند نظرته هذه ، تدريجيا ، وراح يطالب بالاعتراف بحق الادارة الذاتية لليهود في روسيا وبولونيا، خصوصا بالنسبة للشؤون الثقافية، باعتبار ان اليهود في روسيا ، مثل باقي التجمعات القومية التي تعيش في البلد ، قومية منفصلة ، قائمة بحد ذاتها ، لها تاريخها وتقاليدها ومصالحها المشتركة ، ولغتها الخاصة بها (الايديش) • وطرأ هذا التغيير التدريجي على موقف البوند ، الى حد كبير ، تحت تأثير نظرية البروفيسور شمعون دوفنوف (١٨٦٠ ـ ١٩٤١) ، استاذ التاريخ اليهودي في « جامعة الشعب اليهودي » في سانت بيترسبورغ ، حول « القومية اليهودية العلمانية » في المهجر (انظر ص ١٢٨ اعلاه) • وكان دوفنوف قد نشط في نشر ارائه ، اثر تأسيس البوند ، ثم تعاظم النشاط الصهيوني في روسيا ، بعد اقامة المنظمة الصهيونية العالمية سنة ١٨٩٧ . واصرار الصهيونيين على الترويج بحماسة لفكرتهم بشأن حل المسألة اليهودية بواسطة اقامة دولة يهودية فقط ، وفي فلسطين دون غيرها ـ

باعتبارها جوابا على افكار الصهيونيين من جهة ، والبوند من جهة اخرى ٠ ولم يكن دوفنوف من مؤيدي اي من الطرفين ٠

شن دوفنوف حملته هذه في شكل سلسلة من المقالات ، نشرها خلال السنوات ١٨٩٧ ـ ١٩٠٢ ، دعا فيها الاحزاب اليهودية في المهجر كافة، على اختلاف وجهات نظرها ، الى اعتماد نظرية الادارة الذاتية ،والمطالبة بمنح اليهود هذا الحق في اي بلد يتواجدون فيه باعداد ملحوظة ، باعتباره الوسيلة الوحيدة للحفاظ على وجودهم٠ ويستند دوفنوف فيتقديمه لنظريته هذه ، الى حقيقة تقول ان المهجر اليهودي كان قائما قبل دمار مملكة اسرائيل الثانية ، على ايدي الرومان ، خلال القرنين الاول والثاني بعد الميلاد ٠ وبقي اليهود يحافظون على وجودهم في المهجر ، منذ ذلك الوقت ، اي خلال الفي سنة ، « بواسطة اداراتهم الذاتية ، وسلطة طوائفهم المستقلة ، ومؤسساتهم العامة والثقافية ٠٠٠ وقد اظهر التطور الحديث للحركة القومية ، ان اليهود امة حية ، مجزأة بين دول عدة ، وليس الدين الا احد مظاهرها ٠٠٠ وينبغي ان يقف على رأس الادارة الذاتية ، التنظيم القومي العلماني ، وليس الطائفة الدينية » (١٠)٠ فعلى الاحزاب اليهودية جميعا ، ان تجعل هدفها الاول المطالبة بحقوق اليهود القومية ، اسوة بباقي الاقليات القومية ، التي تعيش في دول عدة، بالاضافة الى المطالبة بمنحهم حقوقهم المدنية ، في الدول التي لم يحصلوا فيها على تلك الحقوق بعد ٠

وكان البوند اول حزب يهودي يتأثر بنظريات دوفنوف ويتبناها ٠فأعلن في مؤتمره الرابع (١٩٠١) « ان دولة مثل روسيا ، مؤلفة من قوميات مختلفة وعديدة ، ينبغي ان تتحول في المستقبل الى اتحاد فدرالي من القوميات ، مع ادارة ذاتية قومية كاملة لكل امة ، دون علاقة بالاقليم الذي تسكنه »٠ كذلك قرر مؤتمر البوند « ان التعبير «امة» يمكن ان ينطبق ايضا على الشعب اليهودي » ، ولكن بما انه « من السابق لاوانه ، في الظروف الحالية ، المطالبة بادارة ذاتية قومية لليهود » ،يكتفي الحزب « بالنضال لالغاء القوانين الخاصة الموجهة ضد اليهود ، والتأكيد على حقيقة اضطهاد الامة اليهودية ، والاحتجاج على ذلك ، من خلال الامتناع عن تضخيم الشعور القومي ، الذي قد يؤدي الى التعتيم على الوعي الطبقي لدى البروليتاريا ، ويدفعها نحو الشوفينية » (١١) ٠

وفي مؤتمره الخامس (١٩٠٣) ، حدد البوند بعض نواحي موقفه هذا ، بشكل اكثر وضوحا ، باعلانه انه يعتبر نفسه « فرع الحزب الاشتراكي الديموقراطي بين البروليتاريا اليهودية ،

غير المقيد بحدود اقليمية ضيقة · وينضم البوند الى الحزب كممثل البروليتاريا اليهودية الوحيد » · ولهذا فان « برنامج البوند هو برنامج الحزب [الاشتراكي ـ الديموقراطي] العام · ويحق للبوند بالنسبة للقضايا الناجمة عن اوضاع اليهود الخاصة ، وعلاقاتهم الاجتماعية ، استكمال برنامج الحزب ، باضافة مواد خاصة ، لا تتعارض مع ذلك البرنامج » (١٢) · الا ان هذا الموقف لم يحظ بموافقة فئات عدة في الحزب الاشتراكي ـ الديموقراطي ، وعارضه بشكل خاص لينين ،الذي اعلن « ان فكرة القومية اليهودية المستقلة ، التي لا اساس لها ، ليست بحسب مفهومها السياسي الا فكرة رجعية ··· تتعارض مع مصالح البروليتاريا اليهودية » (١٣) ·

وعندما طرح هذا الموضوع للبحث في المؤتمر الثاني للحزب الاشتراكي ـ الديموقراطي (١٩٠٣) ، عارضت الاكثرية (البولشيفيك) موقف البوند · واتخذ الحزب قرارا اعلن فيه « ان اقامة علاقات تنظيمية بين البروليتاريا اليهودية والبروليتاريا الروسية ، على اساس فدرالي ، يمكن ان تصبح عائقا اساسيا امام التقارب التنظيمي الكامل لدى الطبقات ذات الوعي البروليتاري ، بين الشعوب المختلفة ، وقد تسبب ضررا كبيرا لمصالح البروليتاريا الروسية عامة واليهودية خاصة » (١٤) · وقدم الحزب الاشتراكي ـ الديموقراطي لقراره هذا ، المعارض لموقف البوند ، بقوله « ان اتحادا كاملا بين البروليتاريا اليهودية وبروليتاريا الشعوب الاخرى ، التي يعيشون بينها ، ضرورة مطلقة لاجل نضالنا في سبيل التحرر السياسي والاقتصادي ··· واتحاد كامل كهذا فقط يؤمن للاشتراكية ـ الديموقراطية النجاح في حربها ضد الشوفينية واللاسامية » · ثم « ان الاتحاد لا يمس ابدا باستقلالية حركة العمال اليهودية ، بما يتعلق بتفاصيل مهامها الاعلامية ، بين الجماهير اليهودية ، الناجمة عن ظروف الواقع واللغة الخاصة » (١٥) ·

وفي اعقاب هذا القرار ، انشق البوند عن الحزب الاشتراكي ـ الديموقراطي ، وتبعه معظم زعماء ومنظري الحزب اليهود · الا ان البوند عاد وانضم ثانية الى الحزب ، سنة ١٩٠٦ ، رغم ان اسس الخلافات ، بين الطرفين ، بقيت على حالها · وفي نهاية الامر ، دفع البوند ثمن موقفه هذا غاليا ، اذ قام لينين بتصفيته ، في مطلع العشرينات ، بعد ان تسلم دفة الحكم في روسيا · غير انه لم يمر وقت طويل على ذلك ، على كل حال ، حتى عاد الاتحاد السوفييتي واعلن عن اعترافه باليهود القاطنين فيه كقومية مستقلة ، قائمة بحد ذاتها ، تتمتع

بنفس الحقوق الممنوحة للقوميات الاخرى في البلد (وبموقفه هذا ، كان الاتحاد السوفييتي اول دولة في العالم تعترف بوجود قومية يهودية ،وقبل قيام اسرائيل بفترة طويلة) ٠ كما اعترف الاتحاد السوفيتي بالايديش ايضا لغة قومية لليهود ، وسمح باصدار الكتب والنشرات المختلفة ، المكتوبة بهذه اللغة ـ اي النظرية البوندية ، دون البوند ، اذ كانت هذه هي الطلبات نفسها ، التي اتهم البوند بسببها « بالانحراف القومي الشوفيني » ، عندما رفع شعار « الادارة الذاتية الثقافية » لليهود ، الذي ادى الى تصفيته ٠

ومن الواضح ، من ناحية ثانية ، انه على الرغم من هذا الخلاف كان البوند ، بفضل عقيدته هذه، على خلاف شديد مع الصهيونيين، الذين بادلوه بدورهم العداء٠وخلال فترة نشاط التيارين في روسيا،التي انتهت بعد نشوب الثورة سنة ١٩١٧ ، لم يتوقف احدهما عن محاربة الاخر ٠ وكان البوند قد قرر في مؤتمره الرابع (١٩٠١) انه « يعتبر الصهيونية ردة فعل ، من قبلالطبقات البورجوازية، على اللاسامية، ووضع الشعب اليهودي القانوني غير الطبيعي ٠ وان هدف الصهيونية السياسية النهائي ، بشأن الحصول على بلد للشعب اليهودي ، ليس ذا اهمية كبيرة ولا يضع حدا للمسألة اليهودية ، ما دام من غير الممكن الا توطين جزء صغير فقط من الشعب اليهودي هناك ٠٠٠ ثم ان الدعاية الصهيونية تثير لدى الشعب الشعور القومي ، وقد تعيق تطور الوعي الطبقي لديه ٠٠٠ ولا ينبغي منح الصهيونيين ، بأي حال من الاحوال ، موطىء قدم في الاجهزة الاقتصادية والثقافية » (١٦) التابعة للبوند ٠

واعلن البوند ايضا في مؤتمره الخامس (١٩٠٣) انه « من الضروري محاربة الصهيونية ، بكل تياراتها واتجاهاتها » ، لانها ليست الا « حركة البورجوازية الصغيرة والمتوسطة ، التي تقاسي من عبء مزدوج : عبء المنافسة من قبل رأس المال الكبير ، من جهة ، وعبء قوانين التمييز والتحريض من قبل الحكومة والبورجوازية المسيحية من جهة اخرى » ٠ ثم ان الصهيونية التي « فرضت على نفسها مهمة اقامةدولة متعددة الطبقات في ارض ـ اسرائيل ، من خلال افتراضها ان اللاسامية ابدية ، تسعى الى التعتيم على الصراع بين الطبقات، باسم مصالح تزعم انها يهودية اجمالا»٠ وقرر مؤتمر البوند ايضا « ان تكتيك الصهيونية الرجعي ينبع بالضرورة من اسسها» ، مما يدفعها الى اتخاذ «موقف معاد للحركة الثورية للبروليتاريا اليهودية ، وتأييد اللامبالاة السياسية ، والخنوع للحكومة الاوتوقراطية ،

واعاقة تطور شعور المواطنية لدى اليهود ، وتقوية نفسية الغيتو في قلوبهم » (١٧) ٠

وفي المقابل ، لم يكن البوند بالنسبة للصهيونيين الا « مجموعة من اليهود المنصهرين ، المتنكرين لمصالح شعبهم » ٠

بعد مرور بضعة سنوات على تبني البوند لنظريات دوفنوف بشأن « القومية اليهودية العلمانية » وطرحه شعار « الادارة الذاتية الثقافية » لليهود في المهجر ، اتخذ الصهيونيون الروس ايضا مواقف تكاد تكون مشابهة لمواقف البوند هذه ، بعد ان ادخلوا عليها ، بالطبع ، التغييرات الناجمة عن عقيدتهم ٠ وقد اضطر الصهيونيون الروس الى اتخاذ هذه المواقف بعد فشل مساعيهم في التعاون مع الاحزاب اليهودية الاخرى في روسيا ، للدفاع عن حقوق اليهود هناك ، من جهة ، والانتقادات التي وجهت اليهم بشأن تجاهلهم الاوضاع الراهنة لليهود في البلد ، واهتمامهم المفرط بالمشاريع المستقبلية ، بشأن الدولة اليهودية واجهزتها ، من جهة اخرى ٠ وكان رد الصهيونيين الروس على هذه الانتقادات ، خصوصا بعد ان اقتنعوا بعد وفاة هرتسل ، بان الطريق لاقامة دولة يهودية طويل للغاية (١٨) ، القرار الذي اتخذوه في مؤتمرهم العام الثالث ، المنعقد في هلسينغفورس ، في منتصف كانون الاول (ديسمبر) ١٩٠٦ ، واعلنوا فيه انهم يؤيدون « انضمام الجماهير الصهيونية الطبيعي الى حرب التحرير التي تخوضها شعوب ٠٠٠ روسيا ، ويرون ضرورة توحيد اليهودية قوميا ، على اساس اجراء تغييرات في النظام السياسي الروسي ، من حيث الاعتراف بالقومية اليهودية ، وحقها في الادارة الذاتية القانونية، في كل نواحي الحياة القومية اليهودية » ٠ ولذلك اقر الصهيونيون الروس ، في مؤتمرهم هذا ، برنامجا سياسيا ، دعوا فيه الى دمقرطة النظام السياسي الروسي ، على اساس برلماني ، ومنح حريات سياسية حقيقية ، وادارات ذاتية للمناطق التي تسكنها قوميات مستقلة ، « ومنح اليهود مساواة كاملة ومطلقة في الحقوق ٠٠٠ والاعتراف بالامة اليهودية كوحدة مستقلة ، ذات حق بسلطة مستقلة ، في كل ما يتعلق بشؤونها القومية ، وعقد اجتماع قومي يهودي روسي شامل ، لبلورة اسس منظمة قومية ، والاعتراف بحق استعمال اللغة القومية [وهي ، بالنسبة للصهيونية ، العبرية ، وليس الايديش] في المحاكم والمدارس والحياة العامة ، وتعيين السبت ، بدل الاحد ، يوم عطلة » (١٩) ٠ وكان موقف الصهيونيين هذا سببا في تشديد قبضة السلطات القيصرية عليهم ،وتوسيع مراقبتها لنشاطهم ٠

وعلى صعيد آخر ، لم يحظ الخلاف الذي نشب بين البوند والصهيونيين، حال اقامة منظمتيهما سنة ١٨٩٧ ، برضى العديد من اليهود الروس ، الذين رأوا ان المصلحة ، من الناحية النظرية على الاقل ، لا تكمن في الخلاف بين التيارين ، وانما في محاولة التوفيق بينهما ، من خلال دمج اسس الاشتراكية بالصهيونية • وكان من اوائل من برز في هذا المجال ، الدكتور نحمان سيركين (١٨٦٨ ـ ١٩٢٤) ، الطبيب اليهودي الروسي ، الذي كان قد حاول الترويج لآرائه في المؤتمرات الصهيونية التي حضرها ، رغم المعارضة التي جابهته هناك • فبعد مضي اقل من سنة على تأسيس البوند والمنظمة الصهيونية العالمية ، نشر سيركين ، سنة ١٨٩٨ ، كراسا بالالمانية بعنوان : « المسألة اليهودية ودولة اليهود الاشتراكية » (٢٠) ، شرح فيه ضرورة تطبيق الاشتراكية على الحل الصهيوني للمسألة اليهودية • وجاء هذا الكراس بمثابة فاتحة لبلورة تيار آخر داخل الحركة الصهيونية ،عرف باسم « الصهيونية الاشتراكية » •

يستهل سيركين كراسه هذا بقوله انه « منذ فقد اليهود استقلالهم القومي والسياسي في ارض ـ اسرائيل ، بدأوا يعيشون حياة عجيبة » ، تمثلت في عزلهم واضطهادهم وتضييق الخناق عليهم من قبل الشعوب المسيحية التي عاشوا بينها ، مما « ملأ قلوبهم مرارة » ، ودفعهم ، للمحافظة على وجودهم ، الى انتحال شخصيتين : واحدة للعالم الخارجي ،واخرى داخلية ، تحاول الخروج عن قيود الواقع • ولهذا لم يكن اليهود فقط « شعبا من التجار والباعة ، وانما من المفكرين والحكماء ايضا ••• وتحت ضغط المعاناة ، خلق في الغيتو جو خاص من نوعه ، كان باستطاعته ضمان وجود الشعوب اليهودي ، رغم كل متاعب الحياة ••• وعلى ارضية الكره والاضطهاد ، والاهانة والاحتقار ، نما امل الخلاص ، وهو امل تحرير اليهود من الشعوب وبعثهم قوميا » (٢١) •

ولكن وضع اليهود هذا تغير عندما « اعلنت البورجوازية الحرب من اجل مصالحها الطبقية ••• التي تستند على المطالبة بالحرية والحصول على الحقوق السياسية » ، لتستطيع تأمين تلك المصالح ، ولهذا « حررت ايضا اليهود فجأة ، وبدون اي مجهود من قبلهم تقريبا ، من قيود عبودية العصور الوسطى » • ولكي يلائم اليهود انفسهم مع هذا الوضع الجديد من المساواة في الحقوق ، تنازلوا عن « اساسهم القومي » ، فتحول « اكثر الشعوب الانفصالية والمحافظة فيالعالم ، الذي رضع رحيق حياته في المهجر من الشعور القومي ، الى مبشر للتنكر القومي لا مثيل له »، بحيث « بدأ الكنيس يمتزج داخليا مع بورصة اليهود في فرانكفورت ، ويخلقان كيانا واحدا » ، يدعي « ان اليهود ، بطبيعتهم ، ليسوا امة،

وانما طائفة دينية ، خلقها الله منذ البداية عن قصد لكي تحمل مشعل الايمان بوحدانيته بين الشعوب » . ولكن حماس اليهود لتحريرهم ، ومحافظتهم رغم ذلك على تضامنهم ، ثم نشاطهم في المجال الاقتصادي، تسبب في نشوء اللاسامية ، « الاخذة في الانتشار ... ، والقوى التي تحارب بعضها حاليا ، ستتكتل في النهاية ... لشن حربها المشتركة ضد اليهود » (٢٢) .

وازاء هذا الوضع ، « يتخذ احتجاج اليهود تجاه العالم ... ضد المد اللاسامي ... طابعا حضاريا واخلاقيا فقط » . وهذا الموقف خاطىء، بحسب رأي سيركين ، لانه لا يمكن بواسطته فقط التصدي للاسامية ، التي لا يمكن ان تختفي الا اذا « اختفى صراع الطبقات من جهة ، وحصل [اليهود] على كيان قومي خاص بهم من جهة اخرى » . ولهذا « ينبغي على اليهود الانضمام للبروليتاريا ، باعتبارها المعسكر الوحيد الذي يغلق الباب امام حرب الطبقات ، ويصبو الى تقسيم السلطة بالتساوي . وكما كان اليهود حتى الان من مؤيدي الليبرالية ، لان الليبراليين هم الذين منحوهم المساواة في الحقوق ، من خلال صراع مع قوى المجتمع القديم ، عليهم الان الانضمام الى المحاربين من اجل الاشتراكية ، بعد ان خانت البورجوازية الليبرالية مبادئها السابقة » . ويهاجم سيركين « الاشتراكيين اليهود المنصهرين » ، الذين ظهروا في اوروبا الغربية خاصة ، لانه على الرغم من « اختفاء معظم الصفات القومية لدى اليهودية ، وتشتتها في بلدان عدة ، واستعمال ابنائها للغات عديدة، وانعدام الثروات القومية او القوى القومية الخلاقة لديها ، تبقى على الرغم من ذلك امة متميزة ، يمنح مجرد وجودها ضمانا لحاضرها » . ولهذا « ينبغي على اليهود ان لا يتنكروا لذاتهم ... بل ينبغي ان يعطوا لحياتهم مضمونا قوميا عاليا ، والعمل منذ الان على اسقاط كل العوائق التي تقيد ظهور النبوغ اليهودي القومي ... ويجب ان تكون اشتراكية اليهود اشتراكية يهودية حقيقية » . ولا يتم ذلك الا « عندما يؤمن اليهود بالاشتراكية كيهود ، ويجعلوا منها حزبهم القومي ، بعد تحريرها من هذيان الانصهار . ان البروليتاريا الاشتراكية هي حليفة اليهود الوحيدة ، وانتصارها يعني القضاء على اسباب ضائقتهم » (٢٣) .

وعلى الرغم من ذلك ، لا تستطيع الاشتراكية ، بحسب راي سيركين ، الا حل جزء من مشاكل البروليتاريا اليهودية فقط ، في الوقت الحاضر ، لان الطبقات المسحوقة تشكل اكثرية البروليتاريا اليهودية من جهة ،ولان

الاحزاب الاشتراكية لا تقف دائما الى جانب اليهود من جهة اخرى ٠ وفي روسيا بالذات ، حيث تعيش اكثرية اليهود ، لا يمكن ان تلغى قوانين التمييز ضدهم الا عند انتصار الاشتراكية نهائيا ، ولا بد ان يستغرق ذلك زمنا غير قصير ٠ لانه حتى اذا انتصرت المعارضة في روسيا الان ، فلن تلغى قوانين التمييز تلك ، اذ لا توجد في البلد طبقة واحدة ، لها مصلحة في الغائها ٠ « والنتيجة المؤسفة والغريبة » لهذا الوضع هي انه ليس لدى اليهود ، في الوقت الحاضر ، اية اداة لاستعمالها في تخفيف ضائقتهم ٠ ومن هنا تكتسب الصهيونية ، « وهي التعبير الحقيقي عن الحياة اليهودية » ، أهميتها ، في دعوتها لاقامة دولة يهودية ، ستحل جزءا من مشاكل اليهود ، مهما كان شكلها ٠ ولكن صراع الطبقات قائم ايضا بين اليهود المنقسمين الى طبقات مختلفة ، يضطهد بعضها الاخر (٢٤) ٠ ولا تستطيع البروليتاريا والاشتراكيون اليهود ، ومن غير المسموح لهم ، المساهمة في اقامة جمهورية ، تولد من خلال معارضة مبادىء التعاون الاجتماعي ، « ولهذا ستضطر الصهيونية ان تأخذ بالحسبان الاتجاهات الاشتراكية لدى البروليتاريا اليهودية والاشتراكيين اليهود ٠٠٠ ومصيرها الاندماج بالضرورة مع الاشتراكية ٠ وستكون دولة اليهود بالضرورة اشتراكية » (٢٥) ٠

وينهي سيركين تقييمه للصهيونية بقوله : « ان الصهيونية باعتبارها حركة اليهود البناءة ، لا تتعارض مع صراع الطبقات ، بل تقف فوقه ٠ وتستطيع كل الطبقات اليهودية قبولها ، دون الاهتمام بالفوارق بينها » (٢٦) ٠ والواضح ان موقف سيركين هذا لا يختلف كثيرا ، في النتيجة التي يصل اليها ، عن مواقف الفئات غير الاشتراكية بين الصهيونيين ، اذ انهما يقران ، مبدئيا ، ان الصهيونية فوق الخلافات العقائدية او الفئوية ، رغم وجود اجتهادات مختلفة حول طرق تطبيقها ٠ ولذلك لم تكن الطريق طويلة للوصول الى تعاون بينهما ٠

ويقترح سيركين ، عند انتقاله للبحث في الوسائل التي ينبغي على الصهيونيين اتباعها ، للحصول على فلسطين واقامة دولة لهم فيها ، خلافا لمواقف اكثرية الفئات الصهيونية ، « الاتصال مع الشعوب المضطهدة الخاضعة لحكم الاتراك والتعاون معها ، للتحرر من نيرهم » ٠ وبعد ان يتم ذلك ، « يجري تبادل السكان بطرق سلمية ، من خلال تقسيم الارض على اسس قومية ٠ وارض ـ اسرائيل ، غير المكتظة بالسكان، التي يشكل اليهود الان نحو عشرة بالمائة من سكانها ، ينبغي ان تفرغ لهم » ، خصوصا وان الدول الغربية معنية بتوطين سكانها اليهود

هناك ، لكي تتخلص منهم · « ولكن اذا فشلت كل المحاولات للحصول على ارض ـ اسرائيل ، يختار اليهود بلدا اخر ، يمكن تخصيصه لهم مقابل المال » (٢٧) ·

وكانت آراء سيركين هذه بمثابة الاسس النظرية الاولية لعقيدة الجناح العمالي الصهيوني ، الذي قدر له ان يستلم قيادة الحركة الصهيونية ، في نهاية الامر ·

غير ان سيركين لم يكن الشخص الوحيد الذي ظهر، خلال هذه الفترة ، وحاول الدمج بين الصهيونية والاشتراكية، كما لم يبق البوند والصهيونيون الحزبين ـ التنظيمين الوحيدين، اللذين تبلورا خلالها· فالارضية والظروف نفسها التي ادت الى تأسيس البوند ، او امتداد الصهيونية في روسيا ، أو ظهور سيركين وغيره ، ساعدت ايضا على قيام احزاب وتجمعات وفئات أخرى ، بين اليهود في البلد ، على اسس قومية ، اشتراكية او مختلطة · ولم تمض بضعة سنوات على تأسيس البوند واقامة المنظمة الصهيونية العالمية ، حتى ظهرت بين اليهود في روسيا ، خصوصا قبيل نشوب الثورة الروسية سنة ١٩٠٥ وبعد فشلها مباشرة ، عدة احزاب وتجمعات سياسية يهودية اخرى ، اثرت بنشاطها ومطالبها وعقائدها على البوند والصهيونيين من جهة ، وتأثرت بهم من جهة اخرى · وكان من بين الاحزاب التي ظهرت بين اليهود في روسيا ، خلال هذه الفترة ، حزب العمال اليهودي المستقل (١٩٠١) ، الذي كان معارضا للبوند ، وحزب العمال الصهيوني الاشتراكي ، الذي انقسم الى تيارين ، اولهما تبع الصهيونيين الاقليميين ، وثانيهما نادى بمبدأ البرلمانات القومية غير الاقليمية (سيام) ، كحل قانوني للمشكلة القومية اليهودية ، ثم حزب الشعب ، الذي اسسه دوفنوف (٢٨) · وكانت هذه الاحزاب كلها في المعسكر المناوىء للصهيونية ، بشكل او بآخر ·

غير ان الاهم من نشاط هذه الاحزاب ، من حيث التأثير على الصهيونية ، كان ظهور مجموعات من العمال اليهود في مختلف انحاء روسيا ، خصوصا في الجزء الشمالي من « منطقة الاستيطان » اليهودية · واطلقت هذه المجموعات على نفسها اسم « بوعالي تسيون » (« عمال صهيون») ، ومن بينها جاءت طلائع المهاجرين اليهود الذين دخلوا فلسطين خلال فترة الهجرة الثانية · وكان احد الاسباب المباشرة الذي ادى الى ظهور بوعالي تسيون على شكل جمعيات مستقلة ، القرار المعادي للصهيونية الذي اتخذه البوند في مؤتمره الرابع ، المنعقد في اواخر ايار

(مايو) ١٩٠١ (انظر ص ٢٢٣ اعلاه) ، واسفر عن طرد العمال الصهيونيين من بين صفوفه ·

كان بوعالي تسيون ، عند ظهورهم ، عبارة عن جمعيات صهيونية عمالية ، غير متماسكة وبدون اطار تنظيمي يوحد فيما بينها ، ولا عقيدة مشتركة ، عدا انتمائها الطبقي من جهة ، والعقائدي ـ الصهيوني من جهة اخرى ، مما فرض عليها اطرا فكرية وسياسية عامة · ونمت هذه الجمعيات مع مرور الوقت ، وكبرت وتشعبت ، وانتشرت مع الهجرة اليهودية ، في بلدان عدة خارج روسيا ،خصوصا في النمسا وهنغاريا والولايات المتحدة وفلسطين ، واقامت مؤسسات وأطرا تنظيمية مختلفة ، منها الشيوعي واليساري والقومي ،واحيانا المتدين · ويخيل لمن يتتبع نشاط هذه التنظيمات ، انها أصبحت منظمة صهيونية عالمية أخرى ، تعمل بموازاة المنظمة الاصلية ، واحيانا من خلال الصراع معها ، وتتحكم فيها الخلافات نفسها ، العقائدية والتنظيمية والفئوية ، التي كانت تسيطر على المنظمة الام ، مع فارق واحد ، هو تمسك بوعالي تسيون بأصلهم « العمالي » ·

وبرز بين بوعالي تسيون ، منذ ظهورهم تياران ، اولهما ذلك الذي عرف باسم « تيار مينسك » ، نسبة الى جمعية عمال صهيون في مدينة مينسك ، التي تزعمته · وكان اتباع هذا التيار من المعادين للبوند والاشتراكية ، واعلنوا في مؤتمرهم الاول ، المنعقد في اواخر تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠١ ، ان « هدفهم الوحيد هو تحسين اوضاع العمال اليهود الاقتصادية ، ورفع مستواهم الثقافي » (٢٩) ، وذلك بالاضافة الى التزامهم « بالفكرة الصهيونية ، كما عبر عنها برنامج بازل ··· وتقوية الشعور القومي اليهودي لدى العمال اليهود » (٣٠) · والى جانب هذا التيار ، ظهرت مجموعات اخرى من بوعالي تسيون ، كانت تؤمن بالمبادىء الاشتراكية وبالصهيونية في آن واحد ، وان لم تحاول الدمج بين العقيدتين · وكان من ابرز زعماء هذه المجموعات بير بروخوف (١٨٨١ ـ ١٩١٧) ، الذي كان عضوا في الحزب الاشتراكي ـ الديموقراطي الروسي خلال سنتي ١٩٠٠ ـ ١٩٠١ ، ولكنه طرد منه « بسبب تأثيره الضار على العمال اليهود » (٣١) ، فأسس سنة ١٩٠١ ما سماه « جمعية عمال صهيونية ـ اشتراكية » ·

حدث اول تطور ملحوظ في مواقف بوعالي تسيون وعقيدتهم ، في روسيا ، خلال السنوات ١٩٠٣ ـ ١٩٠٥ ، نتيجة لتصاعد المد الثوري في البلد من جهة ، ومذابح كيشينيف وما تبعها ، والخلاف حول

مشروع اوغندا ، من جهة اخرى (٣٢) · وكان السبب الاخير هو محرك التغيير · فقد ادى الخلاف حول مشروع اوغندا ، الذي تبناه المؤتمر الصهيوني السادس ، كما اشرنا ، الى انشقاق في الحركة الصهيونية ـ ظهر على اشد ما يكون حدة بين الصهيونيين الروس ، اذ كانت اكثريتهم من المعارضين الذين شنوا حربا دعائية شعواء على الاقلية « الاقليمية » التي ايدته ، اسفرت في نهاية الامر عن انشقاق «الاقليميين» عن المنظمة الصهيونية · ولادارة هذه الحرب، جند اوسيشكين ، الزعيم الصهيوني الروسي المعارض لمشروع اوغندا ، مساعدين له ، كان بينهم فلاديمير جابوتينسكي (١٨٨٠ ـ ١٩٤٠) ، وكان صحفيا وخطيبا معروفا بين الصهيونيين الروس ، وبير بروخوف · وتولى الاخير شن الدعاية ضد الصهيونيين الاشتراكيين من اتباع سيركين ، الذين ايدوا مشروع اوغندا (٣٣) (وكان سيركين قد اعلن عن انشقاقه ، مع اتباعه ، عن المنظمة الصهيونية العالمية ، بعد ان رفض المؤتمر الصهيوني السابع هذا المشروع ، الا انهم عادوا والتحقوا بالمنظمة ، عند افتتاح المؤتمر التاسع ، منتقدين انفسهم بسبب الخطأ الذي وقعوا فيه)· وكتب بروخوف ، خلال حملته هذه ، سلسلة من المقالات بعنوان « حول صهيون والاقليمية » (٣٤) ، وصل فيها ، من خلال الاستناد الى مباديء اشتراكية ، الى نتيجة مفادها ان الحل الوحيد للمسألة اليهودية يكمن في عودة اليهود الى فلسطين ، واقامة دولة لهم فيها ، « فصهيون تعني تحرير الشعب اليهودي ··· واحياء الثقافة العبرية··· والعودة الى الوطن القديم » · واختتم بروخوف مقالاته تلك بقوله : « ان ارض ـ اسرائيل هي المنطقة الوحيدة المطلوبة ··· والموجودة ··· والمخصصة لنا · وسنحتل ارض ـ اسرائيل تدريجيا ، بقوة الضرورة التاريخية » (٣٥) ·

وكان اوسيشكين قد ابدى ، في حينه ، تخوفه من نشاط بروخوف خاصة ، ومواقف الصهيونيين الاشتراكيين عامة ، محذرا من عواقب اللهجة اللاسامية في مؤلفات بعض آباء الاشتراكية ، التي قد تدفع اتباعهم الى معاداة اليهودية ، « فمن يضمن لنا ان البروليتاريا ايضا لن تنسى ان معلميها الاوائل كانوا كارل ماكس وفريديريك لاسال ، كما لم ينس المسيحيون من كان المسيح الناصري والقديس بولس ؟ » (٣٦)· الا ان جابوتينسكي ، الذي اصبح فيما بعد الاب الروحي ، والزعيم غير المنازع لليمين الصهيوني في فلسطين ، وبالتالي الد اعداء الجناح العمالي، كان ابعد نظرا، فطالب، على عكس اوسيشكين، بدعم ذلك النشاط

وتقويته· أما السبب فهو « ان صهيونية بوعالي تسيون واضحة ، بمجرد اعترافهم علنا بضرورة اقامة دولة يهودية ، بينما كانت البروليتاريا اليهودية المنظمة بأسرها ، حتى ظهورهم ، ضد دولة يهودية ··· رغم انهم يحتاجون للوقت وحرية التطور الكاملين ، حتى تكتسب نظريتهم الجديدة ··· مكانها الملائم بين وجهتي النظر القومية والطبقية · ويجب علينا ان نهيء لهم حرية التطور هذه ، بالاعتراف بهم كاتحاد [صهيوني] مستقل ، له حق الحصول على مبالغ ملائمة من صندوق المنظمة الصهيونية ، لتغطية مصاريفه الخاصة » (٣٧) · وقد صدق جابوتينسكي في توقعاته هذه ، اذ لم تمر فترة طويلة حتى استطاع تيار كبير من بوعالي تسيون « الملاءمة بين وجهتي النظر القومية والطبقية » ، فنشر بروخوف، سنة ١٩٠٦ ، اربع مقالات بعنوان « منهاجنا » (٣٨) ، اعتبرت بمثابة اسس عقيدة بوعالي تسيون الصهيونية ـ الاشتراكية ، ومكملة لكراس سيركين ·

ينطلق بروخوف في « منهاجنا » من فرضيتين اساسيتين ، كان قد توصل اليهما في مقالاته السابقة « حول صهيون والاقليمية » ، اولاهما ان المشكلة القومية هي عبارة عن صراع بين تطور قوى الانتاج لدى اية فئة اجتماعية، وبين الظروف والشروط التي تعمل فيها قوى الانتاج تلك ، وثانيتها ان الارض هي الاساس الضروري لحياة قومية مستقلة · وعندما ينتقل بروخوف لتطبيق فرضياته هذه على اليهود ، يقسمهم الى اربع فئات : البورجوازية الكبيرة ، البورجوازية الصغيرة ، والجماهير التي تمر في مرحلة التطور البروليتاري ، والبروليتاريا ، وهؤلاء جميعا من سكان المدن ، وذلك لانعدام وجود طبقة من المزارعين بين اليهود · ولا يعلق بروخوف اهمية كبيرة على الطبقة الاولى ، البرجوازية الكبيرة ، خصوصا وان الطبقات الاخرى ، اجمالا ، تشكل الاكثرية بين اليهود · وهذه الطبقات تقاسي ، باستمرار ، من التنافس القومي مع الشعوب التي يعيش اليهود بينها ، وهي الخاسر الرئيسي من هذا التنافس ، لانها الاضعف ، ولذلك تتجه نحو الهجرة والتفتيش عن بلدان جديدة تعيش فيها · ولكن هذه الهجرة متروكة لنفسها حتى الان ، ولهذا تنتشر في بلدان عديدة ، مما يمس بامكانية تجميع اليهود في مكان واحد ، وتأخير الحل الاقليمي للمسألة اليهودية · وعلى البروليتاريا اليهودية العمل على تنظيم تلك الهجرة ،لانها هي الوحيدة التي تستطيع القيام بذلك (٣٩) ·

ويرى بروخوف « ان البورجوازية المتوسطة لا تتقن الا طرق الاعلان الاحتفالي عن الصهيونية والاقليمية ،واثارة الضجة حول صيهونيتها ،

والتلاعب بالسياسة في الاجتماعات والمؤتمرات » · ولكن لا يزال من الممكن تعليق بعض الامال عليها ، لان « روح المبادرة لديها قوية للغاية ، رغم ان الدوافع التي تحركها ضعيفة بالمدى نفسه » · ومن هنا يكتسب الدور الذي ينبغي ان تلعبه البروليتاريا اهمية خاصة ، فقد «وصل الاقتصاد الرأسمالي اليوم الى درجة من التطور ، لا يمكن معها احداث ثورة فيه ،دون اشتراك البروليتاريا ، وبالذات البروليتاريا المنظمة ··· ان تحرير الشعب اليهودي ينبغي ان يتم على ايدي الحركة العمالية ، او انه لن يتم ابدا ··· ان الصهيونية البروليتارية ممكنة فقط ، عندما تكون الصهيونية قابلة للتنفيذ، بواسطة صراع الطبقات · والصهيونية ممكنة فقط اذا كانت الصهيونية البروليتارية ممكنة ايضا · ولكن اذا لم تكن لدى البروليتاريا اليهودية طرق خاصة بها لتحقيق الصهيونية ـ فان الصهيونية ليست الا خرافة لا اساس لها » (٤٠) ·

ولكن بروخوف يدرك « ان الصهيونية البروليتارية ظاهرة معقدة للغاية، وثمرة تطور فكر البروليتاريا اليهودية المعقد ، الذي لم يتبلور بعد ··· وهي نتيجة لصراع مستمر بين احتياجات الجماهير الاشتراكية الواسعة من جهة ، وانعدام امكانية الاستجابة لها من جهة اخرى · والقوى الاساسية ، التي تحرك هذا الصراع ، تعمل في اتجاهين اساسيين : صراع اجتماعي مباشر بين تطور قوى انتاج البروليتاريا اليهودية ووضع علاقات الانتاج المتبادلة ، التي تعيش فيها من جهة ، وصراع قومي مباشر بين تطور قوى انتاج البروليتاريا اليهودية وبين مجمل ظروف الانتاج التي تؤثرعليها من جهة اخرى ··· والصراع الاجتماعي اكثر وضوحا وقوة ، بالنسبة للبروليتاريا ، من الصراع القومي » (٤١) · والنتيجة الرئيسية المترتبة على هذا التحليل ، هي ان الطبقة العاملة اليهودية لا تزال في وضع تستطيعمعه فقط التأثير على توجيه جزء من الهجرة اليهودية الى فلسطين، تضم فئات يهودية مختلفة ، عمالية وغيرها · ولذلك على العمال اليهود ان ينشطوا في اتجاهين : تأسيس كيان يهودي مستقل ، بالتعاون مع باقي الطبقات من جهة ، وتقوية مراكزهم ونفوذهم ، للقيام بالثورة الاشتراكية، عندما تحين الفرصة لذلك ، وبعد تهيئة الظروف الملائمة ، من جهة اخرى ·

ولا يتوقع بروخوف ان يصطدم اليهود ، عند دخولهم الى فلسطين ، بمقاومة سكانها العرب ، الذين « ينقصهم اي طابع اقتصادي وحضاري مستقل ، وهم منشقون ومتفتتون ـ وليس فقط بسبب طابع البلد الجغرافي ··· ان ابناء ارض ـ اسرائيل [اي عرب فلسطين] ليسوا امة واحدة ، ولن يكونوا كذلك قبل مرور وقت طويل · انهم يكيفون انفسهم ، بسهولة

كبيرة وبسرعة ، لاية حضارة اكثر تقدما من حضارتهم ، قد تأتي من الخارج • انهم لا يستطيعون التكتل للقيام بمقاومة منظمة لتأثيرات خارجية، وغير مهيئين لتنافس قومي ••• وسيكيف سكان ارض ـ اسرائيل انفسهم لاي نموذج اقتصادي حضاري ، يسيطر اقتصاديا على البلد » • والنهاية هي ان عرب فلسطين « سينصهرون اقتصاديا وثقافيا بين الذين يدخلون النظام الى البلد ، ويلقون على عاتقهم تطوير قوى الانتاج فيه » ، وبما ان « المهاجرين اليهود هم الذين سيقومون بتطوير قوى الانتاج في ارض ـ اسرائيل ، فان السكان المحليين سينصهرون فيهم ، مع مرور الوقت ، اقتصاديا وحضاريا » (٤٢) •

وكان بروخوف ، في محاولاته لتطبيق الماركسية على الصهيونية ،قد كتب ايضا بالاضافة الى مقاليه السابقين مقالا اخر، بعنوان « الاسس الطبقية للمسألة اليهودية» • واوضح بروخوف في مقاله هذا انه زيادة على ما ذكره حول تقسيم المجتمع الانساني الى طبقات مختلفة وفق علاقات الانتاج بينها، هناك ايضا ظروف انتاج ، اساسها الارض واوضاعها الجغرافية ، تؤثر على العلاقات بين الطبقات المختلفة ، « وشعور القرابة على اساس الماضي التاريخي المشترك ، الكامن في ظروف انتاج متناسقة ومشتركة ـ هو الذي يسمى قومية » • ولهذا نرى كل امة متعلقة بشكل مباشر بارض معينة . وهنا تكمن ضرورة ايجاد ارض خاصة باليهود ، « لحل مشكلة الامة اليهودية القومية » (٤٣) •

وكان بروخوف ، قبيل وفاته ، وفي خطاب القاه في مؤتمر بوعالي تسيون، المنعقد في كييف في اواخر سنة ١٩١٧ ، قد اعاد النظر ، في نواح عديدة من مواقفه (٤٤) • ولكن حتى ذلك الوقت ، كان اتباعه قد انتشروا وتطوروا على شكل آخر • ومنذ ان وضع بروخوف نظرياته ظهرت فئات صهيونية مختلفة ، من حين الى اخر ، تبنت نواح عديدة منها ، وكان آخرها حزب مبام ، الذي اسس سنة ١٩٤٨ •

ويوم كان بروخوف يضع نظرياته تلك ، نشط بوعالي تسيون ، من ناحية ثانية ، في تنظيم انفسهم ، فعقدوا مؤتمرهم التأسيسي في مدينة بلتافا في روسيا ، خلال آذار (مارس) ١٩٠٦ ، واعلنوا فيه تأسيس « حزب العمال الاشتراكي ـ الديموقراطي اليهودي ، بوعالي تسيون (عمال صهيون) » • وجاء في مشروع برنامج الحزب ، الذي قدمته اللجنة المركزية للمؤتمر ، ان هدف الحزب هو « تحويل كل وسائل الانتاج الى المجتمع باسره ، واقامته على اسس اشتراكية • والطريق الوحيدة التي يعترف بها الحزب لتحقيق ذلك : صراع الطبقات ، من قبل البروليتاريا

اليهودية ، في صفوف الاشتراكية ـ الديموقراطية العالمية » · واما ما « يميز بين بوعالي تسيون والاحزاب الاشتراكية ـ الديموقراطية الاخرى، فهو المطالبة بادارة ذاتية اقليمية للشعب اليهودي ، تقوم على اسس ديموقراطية ، كشرط ضروري لتطوير قواه الانتاجية بحرية ··· وهذا التطور الاقليمي يمكن ان يتحقق في ارض ـ اسرائيل فقط ، والبروليتاريا اليهودية ملزمة بالمساهمة في تحقيق ذلك ··· بواسطة صراع الطبقات · وتوجد علاقة مباشرة ، لا يمكن فصلها ، بين صراع الطبقات والتثقيف السياسي للبروليتاريا اليهودية في المهجر من جهة ، وبين النشاط العملي في ارض ـ اسرائيل من جهة اخرى » (٤٥) ·

وبعد مرور نحو سنة ونصف السنة على تأسيس حزب بوعالي تسيون في روسيا ، عقد مندوبون عنه ، مع مندوبين عن فروع الحزب الاخرى ، العاملة خارج روسيا ، مؤتمرا في لاهاي ، ابان انعقاد المؤتمر الصهيوني الثامن ، وقرروا اقامة اتحاد عالمي لهم ، اسموه « الاتحاد العالمي للاشتراكيين اليهود ، بوعالي تسيون » ·

وكان الاتحاد العالمي لبوعالي تسيون قد عقد مؤتمره الثاني في كراكو ، خلال كانون الاول (ديسمبر) ١٩٠٩، وأقر فيه دستوره على النحو التالي: « ١ ـ ان الاتحاد العالمي للاشتراكيين اليهود ، بوعالي تسيون ، كجزء من البروليتاريا العالمية ، يسعى معها على قدم المساواة الى الغاء النظام الاقتصادي الرأسمالي ، واقامة المجتمع الاشتراكي · ولهذا (أ) ينظم الاتحاد الطبقة العاملة من اجل محاربة الرأسمالية تكتيكيا وسياسيا · (ب) ينضم الى الاممية الاشتراكية ، ككتلة قومية مستقلة ، تسعى الى تحقيق مساواة قومية في الحقوق للشعب اليهودي ، في الحركة الاشتراكية ، (او اية هيئة اخرى) ، في اية دولة · ٢ ـ يسعى بوعالي تسيون ، بالتعاون مع الشعب اليهودي الى تركيز اكثرية ابناء الشعب في ارض ـ اسرائيل ، وخلق مجتمع يهودي يتمتع بادارة ذاتية فيها · ملاحظة : « بأرض اسرائيل» نعني ارض ـ اسرائيل والدول المجاورة لها · (أ) ينضم بوعالي تسيون كهيئة مستقلة الى المنظمة الصهيونية العالمية، على اساس فدرالي،ويطالبون بتمثيل نسبي في كل مؤسساتها ، ويشتركون في المؤتمرات الصهيونية · ملاحظة : اننا نعتبر المنظمة الصهيونية ومؤتمراتها اتحادا لكل طبقات الشعب اليهودي واحزابه وتياراته ، يهدف الى ايجاد الحل الاقليمي للمسألة اليهودية في ارض ـ اسرائيل · (ب) يشترك الاتحاد في نشاط المؤسسات الصهيونية ، مثل الشيكل ، والكيرن كاييمت ، ويطالب بتطبيق المبادىء الديموقراطية عليها · (ج) يطالب الاتحاد بانشاء المشاريع

الاقتصادية كلها ، التي تقام باموال المؤسسات القومية [في فلسطين] ، على اسس تعاونية ، قدر الامكان · (د) يسعى الاتحاد ايضا الى خلق مؤسسات ، تساعد على تبلور معسكر عمالي يهودي في ارض ـ اسرائيل ، في القرية والمدينة ، وتدافع عن مصالح العمال اليهود ، في حربهم مع الرأسمالية » (٤٦) ·

وبرز ايضا ، من ناحية ثانية ، خلال الفترة التي ظهرت جمعيات بوعالي تسيون فيها ، نوع آخر من الجمعيات العمالية الصهيونية ، اطلقت على نفسها اسم جمعيات « هاتحياه » (« البعث ») ، كانت تختلف عن بوعالي تسيون في تحفظها من الاشتراكية ، واحيانا معاداتها ، ثم شجبها لمفهوم صراع الطبقات ، كما طرحه الاشتراكيون ـ الديموقراطيون · وفي المؤتمر الوحيد الذي عقدته جمعيات هاتحياه ، سنة ١٩٠٦ ، تقرر « انه يمكن تحقيق الصهيونية بتعاون كل فئات الشعب اليهودي فقط ، لان تأسيس حركة قومية يتطلب قوة كل الشعب الموحدة والمنظمة ، وليس طبقة واحدة، تقة على رأس المنظمة [الصهيونية] ، وتدير الحركة لوحدها » · كذلك قرر ذلك المؤتمر « ان توطين اليهود ، الذي تديره المنظمة الصهيونية ، على نطاق واسع ، في ارض ـ اسرائيل ، ينبغي ان يستند على اسس تعاونية ···» (٤٧) · وبعد هذا المؤتمر ، اتحدت معظم جمعيات هاتحياه مع حركة « تساعيري تسيون » (« شباب صهيون ») ·

كانت اولى جمعيات تساعيري تسيون قد تكونت بين اليهود في روسيا ، خلال السنوات ١٨٩٨ ـ ١٩٠٠ ، ونشطت بشكل خاص خلال السنوات ١٩٠٣ ـ ١٩٠٥ · وفي اول مؤتمر لهم ، عقد في اواخر سنة ١٩٠٦ ، امتنع تساعيري تسيون عن اقرار برنامج سياسي يلزمهم ، واكتفوا بوضع « خطوط » عامة ، لشرح مواقفهم وفكرهم السياسي · ولكن المؤتمر اعلن ايضا ان هدف جمعيات تساعيري تسيون هو « اقامة فدرالية للعمال الصهيونيين ، توحد العمال اليهود ، للدفاع عن مصالحهم وتحسين اوضاع حياتهم وظروف عملهم في المهجر ، قدر الامكان » · كذلك اعلن المؤتمر « ان الصهيونية حاجة تاريخية للشعب اليهودي » ، وشجب مواقف بوعالي تسيون الطبقية ، لانها « تتعارض مع مبادىء المصلحة الصهيونية العامة ، لان الطبقية قد تؤدي الى التنكر لمصالح الشعب اليهودي القومية الخاصة، وتدفعه نحو الانصهار »، وينبغي ان يؤجل تحقيق الاشتراكية ، « حتى اقامة مجتمعنا الجديد في ارض ـ اسرائيل » (٤٨) ·

وحتى عند تأسيس منظمة تساعيري تسيون ، ابان انعقاد المؤتمر الصهيوني الحادي عشر ، في ايلول (سبتمبر) ١٩١٣ ، في فينا ، لم تبتعد

المنظمة كثيرا عن هذه المبادىء ، ولم تكلف نفسها عناء وضع برنامج سياسي شامل لها ، واكتفت بالاعلان انها « تعتبر واجبها الاول ، عدا النشاط الصهيوني العملي ، هو النشاط الثقافي بين الجماهير العبرية ، والقيام باعلام واسع ، خصوصا بين الشباب ، والتثقيف الذاتي الجماعي للصهيونيين الشباب واعداد الطلائعيين [لارسالهم] الى ارض ـ اسرائيل » (٤٩) ٠ وقررت المنظمة ايضا توثيق علاقاتها مع حزب هابوعيل هاتسعير (« العامل الشاب ») ، القريب منها فكريا ، والذي كان قد اسس في فلسطين سنة ١٩٠٥ (٥٠) ٠

ومن بين صفوف هذين التيارين الرئيسيين ، بوعالي تسيون من جهة وتساعيري تسيون من جهة اخرى ، جاءت اكثرية المهاجرين اليهود ، وخاصة الشباب المتحمس ، الذين دخلوا الى فلسطين خلال فترة الهجرة الثانية ، ناقلين معهم مبادىء احزابهم ، لتطبيقها عمليا في البلد ٠

[٤]

لم يجابه ابناء الهرة الثانية ، عندما بدأت طلائعهم تترك روسيا ، خلال الاسابيع الاخيرة من سنة ١٩٠٣ ، عقبات تذكر ، تحول دون دخولهم الى فلسطين ، اذ « ان الاستيطان اليهودي في البلد لم يحظ قط ـ على حد تعبير رئيس اللجنة التنفذية لهواة صهيون في فلسطين ـ بموقف مريح من قبل السلطات [العثمانية] ، يشبه الموقف الذي يحظى به في هذه الايام » (١)٠ ويبدو ان نشاط هرتسل واتصالاته مع حكام تركيا ، خلال تلك الفترة ، والذي لم يسفر ، على كل حال ، عن اية انجازات سياسية للمنظمة الصهيونية العالمية ، ساهم ، على الاقل ، في تخفيف قبضة السلطات العثمانية في فلسطين عن مشاريع الاستيطان الصهيوني في البلد ، وغض الطرف عن دخول المهاجرين اليهود اليه ٠ ويبدو ايضا ان الاتصالات التي اجراها الزعماء الصهيونيون ، بعد وفاة هرتسل ، ساهمت في حمل السلطات العثمانية على الابقاء على موقفها هذا ، حتى نشوب الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤ ٠

ولكن اذا كان دخول المهاجرين اليهود الجدد الى فلسطين عملية غير صعبة ، فان تأقلمهم في البلد واستيعابهم بين سكانه اليهود لم تكن عمليات سهلة بالمدى نفسه ، بسبب مواصفات المهاجرين انفسهم من جهة ،واوضاع الاستيطان الصهيوني من جهة اخرى ٠ فقد كانت اكثرية اولئك المهاجرين،

الذين قدموا الى فلسطين بسبب اضطهاد السلطات القيصرية لليهود في روسيا من جهة ، وتأثير النظريات الصهيونية الجديدة التي طرحها حزبا بوعالي تسيون وتساعيري تسيون من جهة اخرى، من ابناء الطبقة اليهودية المتوسطة (٢) ، الذين لم تكنلديهم اية خبرة في الاعمال الزراعية او اليدوية التي صمموا على تعاطيها ، تحت تأثير حماسهم لعقيدتهم وتمسكهم بها ، لاقامة مجتمع صهيوني عمالي في فلسطين · ولم يكن الاستيطان الصهيوني في فلسطين مهيئا ، من ناحية ثانية ، لاستيعاب مثل اولئك المهاجرين ·

مع بداية الهجرة الثانية ، كان السكان اليهود في فلسطين منقسمين ، اجتماعيا واقتصاديا ، الى شطرين : اولهما ، السكان القدامى ، الييشوف القديم ، الذين كانوا يعيشون في البلد قبل بداية الهجرة الاولى الصهيونية اليها سنة ١٨٨١ ، والذين كانوا مركزين باكثريتهم في المدن ، ويعيشون على صدقات نظام الحلوكاه ، وبالتالي لم يكن للمهاجرين الجدد مكان لديهم · وثانيهما ، سكان المستوطنات الصهيونية ، التي اقيمت خلال فترة الهجرة الاولى ، والتي لم تكن اوضاعها احسن بكثير من اوضاع الييشوف القديم · فبعد ان تخلى روتشيلد عن المستوطنات ، التي كان قد ساهم في اقامتها في فلسطين وسلمها ، سنة ١٩٠٠ ، الى شركة يكا ، اصبحت الشركة ، مع اللجنة التنفيذية لهواة صهيون في فلسطين ، العاملين الرئيسيين اللذين ادارا دفة الاستيطان الصهيوني في البلد · وكانت يكا الجهة الاقوى والاكثر نفوذا ، في تأثيرها على السياسة الاستيطانية ، نظرا للامكانات المالية الضخمة ، التي كانت تحت تصرفها ·

وعندما استلمت يكا ادارة مستوطنات روتشيلد في فلسطين ، كانت اوضاع تلك المستوطنات عامة ، واوضاع العمال اليهود فيها خاصة ، سيئة للغاية (٣) · وقد اتبعت يكا ، الشركة اليهودية غير الصهيونية ، التي لم تكن مهتمة باقامة دولة يهودية في فلسطين ، بقدر اهتمامها بتوطين المهاجرين اليهود في اي مكان ، وحل مشاكلهم ، سياسة جديدة في ادارة المستوطنات التي سلمت لها ، تختلف عن اسلوب الوصاية الذي اتبعه روتشيلد · واذا كان اسلوب روتشيلد ، في ادارة تلك المستوطنات ، شبيها باسلوب « تلك الام التي تدلل اولادها ، حتى افسادهم » ، فأن شركة يكا تصرفت « كزوجة الاب العاقلة ، التي تريد القيام بواجباتها فقط » ، تجاه اولاد الزوجة الاولى (٤) · ولهذا عملت الشركة على تحسين اوضاع المستوطنين بطرق مختلفة ، بغية ايصالهم الى مرحلة من الاستقلال الاقتصادي ، يستطيعون معها العيش بقواهم الذاتية، دون اشراف اداري، او مساعدة مالية من الخارج · وقامت الشركة ايضا بشراء مساحات كبيرة من الاراضي، لاقامة

مستوطنات جديدة عليها ، لاولئك المستوطنين ، الذين لم تكن لديهم اراض كافية في مستوطناتهم الاصلية ، او للعمال اليهود في تلك المستوطنات ، بعد ان اقامت مزارع نموذجية لتدريب المزارعين اليهود فيها • واما اولئك الذين لم يكن بالامكان ايجاد عمل لهم ، وبينهم عدد من العمال ، فقد دفعت لهم الشركة المصاريف الضرورية للسفر من فلسطين ، الى اي مكان يختارونه ، رغم معارضة المؤسسات الصهيونية لسياستها هذه (٥) •ولهذا لم يلاق مهاجرو الهجرة الثانية ترحيبا كبيرا ، عند وصولهم الى فلسطين، من قبل اية فئة من اليهود فيها •

كذلك لم تكن المستوطنات الصهيونية ، في فلسطين ، بحاجة الى عمال اضافيين ، عند قدوم المهاجرين الجدد الى البلد ، اذ ان العمال العرب كانوا يقومون بمعظم الاعمال المتوفرة في تلك المستوطنات ، ان في حقل المستوطن او ورشته او بيته • وقدر عدد العمال العرب في تلك المستوطنات خلال هذه الفترة ، بنحو ٥٠٠٠ عامل ، اي ما يزيد على ضعفي عدد سكان المستوطنات انفسهم ، مقابل نحو ٣٥٠ عاملا يهوديا فقط (٦) •وكان المستوطنون اليهود يصرون على استخدام العمال العرب ، ويفضلونهم على العمال اليهود ، لاسباب عديدة ، اهمها قلة اجورهم ، بالنسبة للعمال اليهود ، من جهة ، وجودة عملهم من جهة اخرى (انظر القطعة التالية)• كذلك لم يعجب المستوطنون القدامى ، المتدينون ــ المحافظون باكثريتهم ، بعقائد المهاجرين الجدد ومبادئهم وتصرفاتهم ، مما اثر على تعامل الطرفين • يضاف الى هذا كله ان المؤسسات الصهيونية لم تكن ، في تلك الفترة ، تهتم كثيرا بالعمال او بمشاكلهم ، وخلال مدة غير قصيرة امتنعت حتى عن القيام بأي نشاط فعلي في فلسطين •

في ضوء هذه الظروف غير المشجعة ، اضطر المهاجرون الجدد الى الاعتماد على انفسهم ، فقاموا بتعاطي اية اعمال توفرت لهم ، في المدن او في المستوطنات (٧) ، وراحوا يكيفون انفسهم وفق الظروف الجديدة ،ويسعون الى تأمين وجودهم في فلسطين، من خلال اقامة تنظيمات ومؤسسات، قدر لها انتنمو وتكبر وتصبح اسس النظام الصهيوني الذي نشأ هناك، علىكافة الاصعدة ، التنظيمية والسياسية والاقتصادية ، وحتى العقائدية • والواضح ان تلك التنظيمات والمؤسسات اقيمت ، الى حد بعيد ، تحت تأثير الخلفية السياسية التي اكتسبوها في روسيا من جهة ، والاوضاع التي سادت فلسطين حينذاك من جهة اخرى ، ومن خلال صراع مع الاجهزة الصهيونية الرسمية والمستوطنين اليهود القدامى في البلد والعرب عامة ، والعمال منهم خاصة ، مما طبعها بطابع فريد من نوعه •

كانت اولى المؤسسات التي اقامها المهاجرون الجدد في فلسطين ، بعد وصولهم اليها بفترة قصيرة ، الاحزاب السياسية الخاصة بهم ، لتجمع شملهم وتكون اداة في ايديهم ، تساعدهم على مجابهة الواقع الجديد في البلد ، وذلك في ضوء تجربتهم في العمل الحزبي في بلدهم الاصلي ، روسيا٠ والظاهر ان حاجة المهاجرين الجدد الى عمل يعتاشون منه كان السبب الاول، الذي دفعهم الى تنظيم انفسهم في احزاب ، تعمل على تأمين العمل لهم٠ ففي تموز (يوليو) ١٩٠٥ ، عقد نحو ٣٠-٤٠ عاملا ، من المهاجرين الجدد الذين كانوا يعملون في مستوطنة بيتح تكفا ، اجتماعا لهم ، قرروا فيه ، نظرا للصعوبات التي لاقوها في ايجاد عمل دائم لهم ، اقامة جمعية مهمتها « احتلال العمل في المستوطنات » من قبل العمال اليهود (٨) ٠ وادى قرار عمال بيتح تكفا هذا الى اقامة عدد من الجمعيات المماثلة في عدد من المستوطنات اليهودية الاخرى ، مثل ريشون لتسيون ورحوفوت ونس تسيونه ٠ وعقدت هذه الجمعيات في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٠٥ ، مؤتمرا لها في يافا ، حضره بضعة عشرات من العمال ، قررت فيه اقامة منظمة توحدها ، اطلق عليها اسم « منظمة هابوعيل هاتسعير » («العامل الشاب») التي جاءت بمثابة اول حزب صهيوني ، يقيمه المهاجرون الجدد في فلسطين٠ وفي نيسان (ابريل) ١٩٠٦ ، عقد هابوعيل هاتسعير مؤتمرا ثانيا ، لوضع اسسه التنظيمية والعقائدية ، حيث عارضت الاكثرية ، التي كانت قريبة في نظرتها العقائدية من تساعيري تسيون في روسيا ، وضع برنامج اساسي ملزم ، خصوصا من الناحية العقائدية ، وطالبت بوضع خطوط عامة ،تحدد نشاط الحزب فقط ٠

وفي آب (اغسطس) ١٩٠٦ ، عقد هابوعيل هاتسعير مؤتمرا آخر له ، في بيتح تكفا، لدراسة «الاسس» السياسيةالتي كانت قداستكملت حتى ذلك الوقت فأقرها على النحوالتالي :« مبادىء عامة : (١) يلعب احتلالالمواقع الاقتصادية والثقافية في ارض ـ اسرائيل دورا حاسمافي تحقيقالصهيونية٠ (٢) الشرط الضروري للاحتلال الاقتصادي هو تركيز الاملاك والعمل في ايدي اليهود ٠ (٣) مهمة هابوعيل هاتسعير في ارض ـ اسرائيل هي العمل على تحقيق الصهيونية عامة ، والاهتمام الخاص باحتلال العمل من قبل اليهود » ٠ ثم ينتقل الحزب الى تعريف مهامه ، فيعلن ان من واجباته : « (١) الدفاع عن العمال اليهود في ارض ـ اسرائيل ، وزيادة عددهم ، وتحسين اوضاعهم الاقتصادية والثقافية ٠ (٢) احتلال العمل من قبلالعامل اليهودي ، وتنظيم العمل ودراسة ظروفه ٠ (٣) مساعدة النشاط الاستيطاني الصهيوني ، بواسطة تقديم المعلومات والوقائع المهمة ٠(٤) الاهتمام بملائمة

المؤسسات في البلد ونشاطها لاهداف واماني الشعب ٠ (٥) الاهتمام بتحسين الاوضاع الاقتصادية والثقافية لليهود في ارض ـ اسرائيل ٠(٦) الاهتمام بسيطرة اللغة العبرية في ارض ـ اسرائيل » (٩) ٠

كذلك حدد الحزب في « أسسه » الاولى الوسائل المختلفة ، التي سيتبعها لتحقيق اهدافه ، ومنها تأسيس مطاعم مشتركة واسواق شعبية وصناديق للقروض والمساعدة وحمامات شعبية ومساكن ، واقامة مكاتب استخدام وتشجيع الصناعة المحلية الصغيرة والحرف ، وتأسيس المكتبات وتنظيم الرحلات ، والاهتمام بتسهيل دخول اليهود الى فلسطين ، ونشر المعلومات عن اوضاع البلد وظروف العمل فيه ، والقيام بحملات اعلامية لتشجيع الاستيطان ، واقامة علاقات مع كل المنظمات التي تسعى الى توطين اليهود في فلسطين (١٠) ٠

ويلاحظ ان حزب هابوعيل هاتسعير ، خلافا للفئات الصهيونية الاخرى العاملة في فلسطين حينذاك ، شدد بشكل خاص على ضرورة استعمال اللغة العبرية ٠ وبدأ ، منذ سنة ١٩٠٧ ، باصدار مجلة بالعبرية حملت اسمه ، اهتمت بنشر الادب العبري وتشجيع الدراسات الادبية ، بالاضافة الى اهتمامها بمعالجة القضايا السياسية والعقائدية (١١)٠ وتولى يوسف اهرونوفيتش، احد منظري الحزب رئاسة تحرير تلك المجلة٠كذلك اتصف حزب هابوعيل هاتسعير بموقفه الرافض لنظرية صراع الطبقات ، التي اعتنقها بوعالي تسيون ، لانه « لا مكان لصراع الطبقات ، بمفهومه الاوروبي ، في الظروف التي يعيشها الشعب اليهودي ، او في ارض ـ اسرائيل » (١٢) ٠

وكان من ابرز زعماء هابوعيل هاتسعير ، عند تأسيسه ، يوسف شبرينتساك (١٨٨٥ ـ ١٩٥٩) ويوسف اهرونوفيتش وناحوم طبرسكي ٠

ولم يمر اقل من شهر على اقامة حزب هابوعيل هاتسعير ، حتى اجتمع نحو ٩٠ عضوا من اعضاء حزب بوعالي تسيون ، الذين كانوا قد وصلوا من روسيا ، حتى ذلك الوقت ، في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٥ ، في يافا، وقرروا اقامة فرع لحزبهم في فلسطين ، وانتخبوا لجنة لوضع برنامج له ٠ وفي تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٠٦ ، اجتمعت هذه اللجنة في الرملة ، ووضعت « برنامجا نظريا » (« برنامج الرملة ») ، اقره الحزب في مؤتمره الاول ، الذي عقد في اوائل كانون الثاني (يناير) ١٩٠٧ ، في مدينة يافا، واضاف اليه برنامجا عمليا ٠ وجاء الفرع الذي اقامه بوعالي تسيون في فلسطين نسخة طبق الاصل عن الحزب الام في روسيا ٠ وحتى الاسم الذي اتخذه الحزب في فلسطين ـ « حزب العمال اليهود الاشتراكي ـ

الديموقراطي في ارض ـ اسرائيل ، بوعالي تسيون (عمال صهيون) » ـ كان مطابقا لاسم الحزب في روسيا ٠

اتبع حزب بوعالي تسيون في فلسطين ، في برنامجه النظري ، تفسير بروخوف للماركسية ، ومحاولاته تطبيقها على الصهيونية ، دون تردد ، اذ جاء في المادة الاولى من البرنامج « ان تاريخ الانسانية عبارة عن صراع بين الامم والطبقات ٠ وان الطريقة التي ينتج بها البشر حاجاتهم الاستهلاكية الضرورية ، والظروف التاريخية والطبيعية التي تحيط بعملية الانتاج ، هي التي تقسم البشرية الى مجتمعات وطبقات ٠٠٠» ٠ ثم ينتقل البرنامج الى الحديث عن الاوضاع في فلسطين، فيعلن «ان نظرة الى الحياة الاقتصادية ـ الثقافية في ارض ـ اسرائيل تثبت ان النظام الاقطاعي يتحكم فيها ٠ ولكن في الوقت نفسه تظهر هنا بوادر رأسمالية ، تنمو بواسطة قوى الانتاج ،التي تهاجر الى البلد ، فتحدث ثورة في النظام القائم ٠ وتلعب قوى الانتاج بين المهاجرين اليهود ، دورا مهما في هذا التطور الثوري ٠٠٠ وتظهر بوادر الرأسمالية النامية ، على اوضح ما يكون ، في القطاع الزراعي ، حيث ينشط اساسا رأس المال المتوسط ٠٠٠ وتحتاج الرأسمالية النامية في ارض ـ اسرائيل الى عمال مثقفين ونشيطين ٠ وبما ان العمال من ابناء البلد لا يزالون في الحضيض ، فان التطور الرأسمالي في ارض ـ اسرائيل متعلق بهجرة عمال اكثر تطورا ، من خارج البلد » ٠ كذلك فان الرأسمالية ، « بتثويرها للنظام الاقطاعي ، تحول الفلاحين تدريجيا الى بروليتاريا » ٠ ولا يتوقع الحزب أية صعوبات في هجرة رأس المال اليهودي الى فلسطين ، لان الظروف التي يمر فيها ، خارج فلسطين ، ستدفعه الى ذلك (١٣) ٠

ويعلن حزب بوعالي تسيون في فلسطين ، في الشطر العملي من برنامجه ، انه « يسعى الى تجميع وسائل الانتاج وبناء مجتمع على اسس اشتراكية ٠ ويرى ان الوسيلة الوحيدة لذلك هي صراع الطبقات ، الذي تختلف اشكاله، بحسب الزمان والمكان» ٠ كذلك اعلن الحزب انه يسعى الى « استقلال سياسي للشعب اليهودي » في فلسطين ، وبشعاره هذا كان اول حزب صهيوني يطالب ، عمليا ، باقامة دولة يهودية في البلد ، موضحا انه « سيحارب كل العوائق التي تقف في طريق الهجرة اليهودية الى ارض ـ اسرائيل ، ويطلب من المؤسسات اليهودية العامة (يكا والمنظمة الصهيونية) اقامة الاجهزة الضرورية في ارض ـ اسرائيل ، لتنظيم الهجرة اليها » ٠ واعلن الحزب ايضا انه سيشترك في المؤتمرات الصهيونية ، كمنظمة مستقلة ، وسيوثق علاقاته مع فروع بوعالي تسيون خارج فلسطين ، وينضم الى الاممية الاشتراكية ٠ اما « طلباتنا الملحة

فهي : حق الانتخاب العام لمؤسسات الادارة الذاتية في المدينة والمستوطنة ··· والمراقبة الديموقراطية على كل المؤسسات التي اقيمت في ارض ـ اسرائيل ، باموال الجمهور اليهودي » · « ومن خلال الافتراض، ان فرص تحسين الاوضاع الاقتصادية للعامل قد تكون اوفر حظا في النجاح ، اذا اقيمت منظمات تضم عددا كبيرا من العمال ، يعترف الحزب بضرورة تنظيم العمال اليهود في ارض ـ اسرائيل في نقابات مهنية غير حزبية » ، ينضم اليها مؤيدو الاحزاب المختلفة ـ وكان هذا هو المبدأ الذي اتبع عند اقامة الهستدروت ، النقابة العامة للعمال اليهود في فلسطين ، سنة ١٩٢٠ · واوضح الحزب ايضا ، مشيرا الى نشاط يكا وهواة صهيون في فلسطين ، انه « سيحارب نظام الصدقات ، بالمدى الذي يؤدي فيه الى تخفيض المستوى الاخلاقي للسكان اليهود في فلسطين ، ويعيق نمو قوى الانتاج » فقط (١٤) ·

ولكن هذا البرنامج « المتحجر » ، الذي لم يكن ملائما لاوضاع اليهود في فلسطين ، بقدر ملائمته لنظريات بوعالي تسيون في روسيا وغيرها ، لم يحظ بتأييد فئات ذات تأثير داخل الحزب في فلسطين ، كان على رأسها دافيد غرين (بن ـ غوريون) (١٨٨٦ ـ ١٩٧٣) ويتسحاق شمشيليفتش (بن ـ تسفي) (١٨٨٤ ـ ١٩٦٣) ، اللذين طالبا بتغييره وملائمته مع الواقع في فلسطين ، من خلال محاولة التقرب الى هابوعيل هاتسعير ، وان ادى ذلك الى اساءة العلاقات مع بوعالي تسيون خارج فلسطين · وواظبت تلك الفئات على ضغوطها في هذا الاتجاه ، فاستطاعت ، مع مرور الوقت ، حمل الحزب على تغيير مواقفه في ثلاث نقاط رئيسية ، اولها استبدال الايديش بالعبرية ، كلغة قومية ، فبدأ بوعالي تسيون ، منذ سنة ١٩١٠ ، يصدرون مجلة بالعبرية ، باسم « هيتأحدوت » (« وحدة ») (وعندما حاولت جمعية « عزره » اليهودية الالمانية ، عند افتتاح التخنيون، معهد الهندسة التطبيقية في حيفا ، سنة ١٩١٣ ، التي كانت قد ساهمت في تأسيسه ، استعمال اللغة الالمانية للتدريس ،ثار المستوطنون واجبروا ادارة المعهد على استبدال الالمانية بالعبرية ، كلغة التدريس الرئيسية) · اما النقطة الثانية فكانت التحول من موقف يشجب استيطان العمال الى اخر يطالب بالاستيطان العمالي ، بينما شددت الثالثة على ضرورة الانتقال من نظرية صراع الطبقات الى الصراع من اجل العمل العبري (١٥) · ومع وصولهم الى هذه المرحلة ، اقترب بوعالي تسيون كثيرا من مواقف هابوعيل هاتسعير ، الذي خفف بدوره من عدائه للنظريات الطبقية ، وراح الحزبان يعملان سوية ، وان اصر

كل منهما ، بشدة ، على الاحتفاظ بتنظيمه المستقل ٠

لعبت الاحزاب الصهيونية في فلسطين ، في بداية طريقها ، دورا مهما للغاية في حياة اعضائها ، اذ سرعان ما اصبحت ، بالنسبة لهم ، كل شيء تقريبا ٠ ففي ظروف البيئة المعادية لاستيعاب العمال من المهاجرين الجدد، وعدم الاهتمام بهم ، واحيانا مقاطعتهم ، اصبح الحزب الجهاز الرئيسي الذي يكفل للمهاجرين حاجاتهم المعيشية ، ويهتم بتثقيفهم سياسيا ، وتدريبهم مهنيا ، ثم الاطار الاجتماعي الذي يوحد الاعضاء داخله ٠ ونشطت الاحزاب ، في الوقت نفسه ، في تجنيد اعضاء جدد من المهاجرين القادمين الى فلسطين ، من خلال تنافس شديد فيما بينها - ولا يزال هذا التنافس ، على تجنيد الاعضاء من المهاجرين الجدد ، احد السمات المميزة للنشاط الحزبي الصهيوني ، منذ ذلك الوقت ٠ ولاجل تنفيذ تلك المهام ، التي القتها الاحزاب على عاتقها ، اقامت اكثر من مؤسسة اقتصادية او اجتماعية ، لخدمة العمال اليهود في فلسطين - وفيما بعد المستوطنين الآخرين ٠ ففي سنة ١٩١٠ ، مثلا ، اقام بوعالي تسيون « صندوق عمال ارض - اسرائيل » ، لتقديم القروض للعمال الذين يريدون اقامة تعاونيات انتاجية (١٦) ٠ كذلك اقامت الاحزاب نواد للعمال ، كان اولها النادي الذي افتتح في بيتح تكفا سنة ١٩١١٠ وفي سنة ١٩١٣ انشأ ايضا «صندوق المرضى » (« كوبات حوليم ») للضمان الصحي (١٧) ، وافتتح اول مكتب استخدام في بيتح تكفا (١٨) ٠ وقد نمت هذه المؤسسات ، وتشعبت فيما بعد ، لتقدم للمستوطنين الصهيونيين في فلسطين خدمات عديدة ، لم يكن باستطاعة معظمهم الاستغناء عنها ٠

وقامت تلك الاحزاب من جهة ، والمهاجرون من جهة اخرى ، بنشاط ملحوظ في المجال الاستيطاني - الزراعي ، من حيث تنظيم العمال الزراعيين من ناحية ، والمساهمة في اقامة المستوطنات و « اختراع » طرق استيطان جديدة من ناحية اخرى ٠ وكان العمال الزراعيون اليهود ، وهم الفئة الكبرى التي تكونت بين المهاجرين الجدد ، اول من شعر بالحاجة الى تنظيم انفسهم ، لتحسين ظروف عملهم ، بسبب منافسة العمال الزراعيين العرب لهم من جهة ، واتجاه المزارعين اليهود ، عامة ، الى تفضيل العمال العرب عليهم من جهة اخرى ٠ وباشر العمال الزراعيون اليهود نشاطهم التنظيمي ، باقامة منظمات محلية صغيرة ، تضم عددا صغيرا منهم ، وتعمل في مناطق محددة ، مثل منظمتي « هاحوريش » (« الحارث ») و « هاكولكتيف » (« التعاونية ») ، اللتين اقيمتا في الشجرة ، سنة ١٩٠٧ ٠ غير ان هذه المنظمات سرعان ما تفككت ، بعد ان

عجزت عن تأدية المهام التي اقيمت من اجلها ٠

ومع ازدياد عدد العمال الزراعيين اليهود ، بعد اقامة مستوطنات جديدة من جهة ، ووصول موجات اضافية من المهاجرين الجدد من جهة اخرى ، تجددت المحاولات لاقامة منظمات عمالية جديدة ـ وتكللت هذه المرة بالنجاح ٠ ففي منتصف نيسان (ابريل) ١٩١١ ، عقد مؤتمر في مستوطنة دغانيا (ام جوني) ، بالقرب من بحيرة طبريا ، بحضور ١٧ مندوبا عن العمال الزراعيين ، في كافة انحاء الجليل ، تقرر على اثره اقامة « منظمة عمال الجليل » (١٩) ٠ وحتى نشوب الحرب العالمية الاولى ، سنة ١٩١٤ ، عقدت المنظمة خمسة مؤتمرات ، بحثت فيها في شؤون الزراعة والعمال الزراعيين والاستيطان (٢٠) ٠ ولم يمر اقل من شهرين على اقامة هذه المنظمة ، حتى اجتمع ممثلون عن العمال الزراعيين في المستوطنات اليهودية القائمة في وسط فلسطين ، في مطلع حزيران (يونيو) ١٩١١ ، وقرروا ايضا اقامة منظمة مشابهة ، اطلقوا عليها اسم « المنظمة الزراعية في يهودا » (٢١) ، التي عقدت ، حتى نشوب الحرب العالمية الاولى ، اربعة مؤتمرات ، بحثت فيها القضايا نفسها ، التي كانت مواضيع البحث في مؤتمرات منظمة عمال الجليل (٢٢) ٠ (وبعد اقامة الهستدروت ، سنة ١٩٢٠ ، اتحدت المنظمتان في اطارها ، واقامتا « منظمة العمال الزراعيين ») ٠ وفي اواخر ايار (مايو) واوائل حزيران (يونيو) ١٩١٤ ، كان قد عقد ايضا اول مؤتمر للعاملات اليهوديات ، في مستوطنة مرحفياه (٢٣) ٠

غير ان نشاط الهجرة الثانية ، الاكثر اهمية ، انحصر خلال هذه الفترة، في انشاء مستوطنات صهيونية جديدة في فلسطين ، تقوم على اسس مستحدثة ، اصبحت فيما بعد العمود الفقري للاستيطان الزراعي الصهيوني في البلد ٠ وقد تم ذلك بفضل ظروف جديدة ، ساهمت في خلقها اكثر من جهة ٠ فمع بداية الهجرة الثانية ، كانت شركة يكا المؤسسة الرئيسية ، والى حد ما الوحيدة ، التي عملت في مجال توطين اليهود في فلسطين ، وامتنعت خلال مرحلة عملها الاولى ، عادة ، عن اقامة المستوطنات الجديدة بكثرة ، مفضلة ، بدلا من ذلك ، استكمال عملية تأسيس المستوطنات القديمة ، التي استلمتها من روتشيلد ٠ وفي سنة ١٩٠٤ ، مثلا ، عند بدء الهجرة الثانية ، اكتفت الشركة باقامة مستوطنة واحدة (عتليت) بينما لم تؤسس اية مستوطنة في السنتين التاليتين ، ١٩٠٥ و ١٩٠٦ ، وان لم تتوقف عن شراء الاراضي خلال تلك الفترة ٠ ولكن هذا الوضع تغير سنة ١٩٠٧ ، عندما باشرت المنظمة الصهيونية

العالمية باتخاذ الخطوات الاولية ، بناء على قرارات المؤتمر الصهيوني الثامن ، الذي انعقد يومها ، للقيام بنشاط استيطاني في فلسطين ،فارسلت الدكتور ارتور روبين الى البلد لدراسة اوضاع المستوطنات الصهيونية ، ثم افتتحت ، سنة ١٩٠٨ ، « المكتب الفلسطيني » التابع لها في يافا ٠ ومع هذا التغيير في السياسة الاستيطانية للمنظمة الصهيونية في فلسطين ، نشطت عمليات شراء الاراضي في البلد ، بعد ان دب التنافس بين الجهات الرئيسية الثلاث التي كانت تعمل في هذا المجال : المنظمة الصهيونية ، بواسطة شركتي تطوير اراضي فلسطين والكيرن كاييمت ، وشركة يكا بالتعاون مع روتشيلد ، وبعض الافراد والجماعات المستقلة ، الذين كانوا يعملون لحسابهم الخاص ٠ واسفر هذا النشاط عن شراء مساحات كبيرة من الاراضي العربية في فلسطين ، بحيث ارتفعت مساحة الاراضي ، التي امتلكها الصهيونيون في البلد ، من ٢٢٠ر٧٠٠ دونما سنة ١٩٠٠ الى ٤٢٠ر٦٠٠ دونما سنة ١٩١٤ (٢٤) ، عشية نشوب الحرب العالمية الاولى ، منها نحو ٢٤٢ر٤٤٠ دونما اشترتها يكا وروتشيلد و ١٥٨ر٤١٨ دونما اشتراها افراد ومؤسسات خاصة و ١٦ر٧٢٠ دونما اشترتها الكيرن كاييمت (٢٥) ٠ وكانت مساحة كبيرة من هذه الاراضي واقعة في شمال شرق فلسطين ، اذ كان الصهيونيون قد استطاعوا ، خلال السنوات ١٨٨٩ ـ ١٩٠٢ ، شراء نحو نصف اراضي قضاء طبريا (٢٦) ، التي كانت ملكا لعائلة عربية اقطاعية تسكن في دمشق ٠

وخلال السنوات ١٩٠٧ ـ ١٩١٤ ، اقيم على اجزاء من تلك الاراضي ١٥ مستوطنة جديدة ، تركزت في الجزء الشمالي الشرقي من فلسطين وفي وسطها ، اي بجوار مجموعتي المستوطنات اللتين كانتا قد اقيمتا في البلد ، خلال فترة الهجرة الاولى (انظر الخريطة ، ص ١٣٧) منها ثلاث مستوطنات اقيمت سنة ١٩٠٧ : بئير يعقوب ، بن شيمن ، حولده ، واثنتان سنة ١٩٠٨ : كنيرت (كبوتساه) ، متسبيه ، وثلاث سنة ١٩٠٩ : دغانيا (فيما بعد دغانيا أ) ، كنيرت (موشافاه) ، احوزات بايت (فيما بعد تل ابيب) ، وواحدة سنة ١٩١٠ : مغدال ، وثلاث سنة ١٩١١ : كفار ميلال، مرحفياه، روحامة وواحدة في كل من السنوات ١٩١٢ و١٩١٣و١٩١٤: كفار اوريا ، كركور (بارديس حانه) ، نحلات يهودا ٠ وقد فشلت التجربة الاستيطانية في خمس من تلك المستوطنات ـ بن شيمن ، حولده ، كفار اوريا ، كفار ميلال ، كركور (بارديس حانه) ـ فهجرت ، ثم اعيد استيطانها في سنوات ١٩٥٢ و ١٩٣٠ و ١٩٤٤ و ١٩٢٢ و ١٩٤٤ على التوالي ٠ وبذلك وصل عدد المستوطنات الصهيونية في فلسطين ، سنة

١٩١٤ ، الى ٤٠ مستوطنة ، بلغ عدد سكانها نحو ١٢٫٠٠٠ نسمة (٢٧)، كانوا يستغلون معظم مساحات الاراضي التي اشترتها المؤسسات الصهيونية في البلد ٠ وكانت معظم الاراضي ، الصالحة للفلاحة ، تستغل لزراعة الحبوب ، عدا مساحات صغيرة مزروعة بالاشجار المثمرة ، على اختلاف انواعها ، منها نحو ٢٠ الف دونم من كروم العنب ، و ١٠ آلاف دونم من كروم اللوز ومساحة مماثلة من البيارات (الحمضيات) و ٥ آلاف دونم كروم زيتون ومساحة مماثلة من اشجار الكينا (٢٨) ٠

ومع اقامة هذه المستوطنات في فلسطين ، ادخلت تغييرات ملحوظة على اساليب الاستيطان الصهيوني في البلد ، الزراعي او المدني ٠ فثلاثة من تلك المستوطنات ، بن شيمن وحولده وكنيرت ، كانت ، عمليا ، عبارة عن مزارع نموذجية اقيمت من قبل مؤسسات الاستيطان الصهيونية ، وتولى ممثلوها الاشراف المباشر عليها، لتدريب المزارعين اليهود فيها على اساليب الزراعة الحديثة ، قبل توطينهم في مستوطنات جديدة ٠ وقبل اقامة هذه المزارع ، كانت المدرسة الزراعية في مكفيه يسرائيل ، التي اسستها الاليانس سنة ١٨٧٠ ، المؤسسة الوحيدة التي عملت في مجال تدريب العمال الزراعيين ٠ كذلك كانت اربعة من تلك المستوطنات ، مغدال وروحامه وكفار اوريا وكركور ، في بداية طريقها ، عبارة عن مزارع خاصة ، يملكها افراد او شركات ، نشطوا للعمل في فلسطين ،عندما غيرت المنظمة الصهيونية سياستها الاستيطانية في البلد ، ممهدين بذلك الطريق لاقامة مستوطنات يهودية « خصوصية » هناك ، تابعة لافراد او شركات ، نشطوا بشكل ملحوظ للعمل في هذا المضمار ، خصوصا خلال فترة الانتداب البريطاني ٠ اما المستوطنات الثمانية الباقية ، فكانت مقسمة ، من حيث الطريقة التي اتبعت في تأسيسها وادارتها وتنظيم اوضاع معيشة المستوطنين فيها ، الى نوعين ٠ فقد انشئت خمسة ، من بين هذه المستوطنات ، وفقا للاسس التقليدية ، التي كانت متبعة حتى ذلك الوقت ، في اقامة المستوطنات الصهيونية في فلسطين ، اي انها كانت جميعا من صنف الموشافوت (المفرد : موشافاه) ٠ والموشافاه عبارة عن قرية عادية ، ، تقوم على اساس المبادرة الفردية ، واراضيها ملك خاص لمستوطنيها ومقسمة فيما بينهم ، بحسب قواعد الملكية الخاصة ٠ ويستغل المستوطنون اراضيهم بواسطة العمل فيها بانفسهم ، او باستئجار عمال لمساعدتهم ٠ وكانت معظم المستوطنات اليهودية التي اقامها هواة صهيون او يكا في فلسطين ، من هذا النوع ٠ اما المستوطنات الثلاثة الباقية ، مرحفياه ودغانيا واحوزات بايت ، فكانت عبارة عن تجارب استيطانية

جديدة ، في بداية طريقها ٠

ففي مرحفياه ، التي اسست سنة ١٩١١ ، وضعت الاسس لاقامة مستوطنة من نوع جديد ، بموجب نظرية اوبنهايمر في الاستيطان التعاوني ، التي كان قد عرضها امام المؤتمرين الصهيونيين ، السادس والتاسع (انظر ص ١٨٦ و ٢١٢ ـ ٢١٣ إعلاه) ٠ الا انه لم يمر وقت طويل ، حتى اتضح ان هذه النظرية غير ملائمة للتطبيق في فلسطين (٢٩) ، ففشل الاستيطان بموجبها في مرحفياه ، وادخلت عليها تعديلات جوهرية ، ادت الى قيام نوع جديد من المستوطنات ـ « موشاف شيتوفي » (« مستوطنة تعاونية ») ٠ وبموجب هذه التعديلات ،بقي الانتاج في المستوطنة فقط ، الزراعي او غيره ، مشتركا ، وارسيت قواعد الاستهلاك والحياة العائلية على اسس شخصية خاصة ٠ وكان عدد المستوطنات من هذا الصنف ، التي اقيمت في فلسطين ، فيما بعد ، قليلا للغاية ٠

اما في دغانيا ، فقد تمت تجربة استيطانية جديدة ، فريدة من نوعها ، كان لها تأثير بعيد المدى على مستقبل الاستيطان الصهيوني في فلسطين ٠ فقد كانت اراضي دغانيا (ام جوني) ، الواقعة على الشاطىء الجنوبي لبحيرة طبريا ، غربي نهر الاردن ، جزءا من مزرعة كنيرت ، المخصصة لتدريب العمال الزراعيين اليهود ٠ وكانت الكيرن كاييمت قد اشترت هذه الاراضي ، وسلمتها الى شركة تطوير اراضي فلسطين لادارتها ، التي عينت بدورها احد المهندسين الزراعيين مديرا لها ٠ وفي خريف ١٩٠٩ ، نشب خلاف حاد « بين المدير البورجوازي والعمال اليهود المثقفين » (٣٠) ، الذين كانوا يعملون في المزرعة ، فاشتكوا الى الدكتور روبين ، طالبين عزل المدير من منصبه ، وتسليمهم المزرعة باسرها لادارتها ذاتيا ٠ الا ان روبين رفض طلبهم ، واقترح تسليمهم الاراضي الواقعة في دغانيا فقط ، فوافقوا على الاقتراح ٠ وعلى الاثر عقد روبين اتفاقا مع مجموعة (« كبوتساه ») العمال تلك ، وهم ستة شبان وفتاة ، تعهدوا بموجبه بادارة المزرعة ، على مسؤوليتهم ، لمدة سنة ، وذلك لقاء اجر جماعي ، قدره ٤٥ فرنكا في الشهر ، ومسكن ونصف ارباح المزرعة خلال تلك السنة ، على ان توزع هذه الارباح ، ان وجدت ، بالتساوي بين العمال ٠ وسلمت ادارة المزرعة الى اثنين من اولئك العمال، اعتبرا مسؤولين تجاه الشركة عن المزرعة ، وعن عمل زملائهم الآخرين فيها (٣١) ٠ وبعد التوقيع على الاتفاق ، كتب روبين الى رئاسة الكيرن كاييمت ، التي كانت لا تزال حتى ذلك الوقت في مدينة كلن بالمانيا ،ليطلعها

على الاجراءات التي اتخذها ، طالبا عدم الاعلان عن تجربة الاستيطان « الشيوعية » هذه ، الا حين نجاحها · وقد نجحت التجربة فعلا ، وكان الموسم الزراعي لتلك السنة رابحا ، فحصل العمال على حصتهم من الربح ، الا انهم رفضوا الاستمرار في العمل ، في تلك المزرعة ، وانتقلوا الى مكان آخر ، فاحضرت بدلا منهم ، مجموعة من العمال اليهود من الخضيرة ، كانوا اكثر مراسا في اساليب العمل الجماعي ، للعمل في المزرعة ، بموجب الاسس نفسها · وبعمله هذا وضع روبين ومن حيث لا يدري ، الاسس للمستوطنات الصهيونية الجماعية من نوع الكيبوتس ، في فلسطين ، التي لعبت ، فيما بعد ، دورا مهما ورئيسيا في تاريخ الاستيطان الصهيوني في البلد (٣٢) ·

وكان من بين الاهداف ، التي انشئت شركة تطوير اراضي فلسطين لتحقيقها ، العمل ايضا على اقامة احياء سكنية لليهود في فلسطين ، على اساس تجاري (٣٣) · ولتنفيذ مهمتها هذه ، نشطت الشركة في شراء الاراضي في المدن الرئيسية في فلسطين ، يافا والقدس وحيفا · ففي يافا ، وحدت الشركة جهودها مع مجموعة من « ٦٠ عائلة يهودية ، معظمها من التجار والمدرسين والاكاديميين » ، كانت قد ضاقت ذرعا بالسكن في المدينة ، « لان شوارعها قذرة للغاية ، والمساكن ، التي يمتلكها العرب ، تخلو من كل وسائل الراحة الضرورية للمحافظة على الصحة ، وفق المقاييس الاوروبية » (٣٤) · ولهذا اسست تلك العائلات شركة ، اسمتها احوزات بايت ، اشترت نحو ٢٢٠ دونما من الارض الواقعة الى الشمال من يافا ، لاقامة مساكن لها عليها · وقد ساعدت شركة تطوير اراضي فلسطين على اقامة تلك المساكن ، ثم عملت على شراء اراضي اخرى في المنطقة ، فاستطاعت ، حتى سنة ١٩١٨ ، شراء ٧٩٣ دونما (٣٥) · وقد اقيمت على تلك الاراضي احياء سكنية اخرى ، خططت لكي تصبح مدينة مستقلة ، اطلق عليها اسم تل ابيب ، التي كبرت تدريجيا ، حتى اصبحت اكبر مدينة يهودية في فلسطين ، وابتلعت جارتها يافا العربية ، في نهاية الامر ·

وفي القدس ، استطاعت شركة تطوير اراضي فلسطين ، شراء ١٩٢ دونما من الارض ، حتى سنة ١٩١٨ (٣٦) ، وذلك على جبل سكوبس ، حيث اقيمت الجامعة العبرية فيما بعد ، وفي المنطقة التي انشأ عليها شارع بن ـ يهودا ، والشوارع المحيطة به في القدس الجديدة · وكانت هذه الاراضي ملكا للورد انكليزي ، وللبطريرك اليوناني في القدس (٣٧) ·

واشترت الشركة في حيفا ايضا ، حتى سنة ١٩١٣ ، ما مساحته ٢٤٩ دونما من الارض على جبل الكرمل · واقيم على جزء من تلك الاراضي ، آنذاك ، معهد الهندسة التطبيقية ، التخنيون · وفي سنة ١٩١٨ ، اشترت الشركة ٢٫٥٣٦ دونما ، في اماكن مختلفة في المدينة ، معظمها ملك لالمان ، كانوا يسكنون هناك حتى ذلك الوقت (٣٨) ·

[٥]

وضعت خلال فترة الهجرة الثانية ايضا ، الاسس الاولية للعسكرية الصهيونية في فلسطين · وقام بذلك طلائع الهجرة الثانية ، من حزب بوعالي تسيون ، الذين كانوا اعضاء في كتائب الدفاع ، العاملة بين بعض التجمعات اليهودية في روسيا · وكان اولئك الاعضاء قد اضطروا الى مغادرة البلد بعد أن طاردتهم شرطة القيصر ، عقب اعمال الشغب التي نشبت هناك اثر المذابح التي وقعت ضد اليهود ، واحضروا معها الى فلسطين فكرة اقامة كتائب دفاع مماثلة (١) · ولم يكن اولئك المهاجرون يختلفون كثيرا ، في نظرتهم العقائدية ، عن باقي اعضاء حزبهم ، بوعالي تسيون ، اذ كانوا ، مثل زملائهم الاخرين ، يؤيدون ايضا « احتلال العمل » في المستوطنات اليهودية ، من قبل العمال اليهود · ولكنهم ، بالاضافة الى ذلك ، لاحظوا أيضا أن الحراسة في المستوطنات اليهودية « محتلة » ايضا ، من قبل العرب والشركس ، اذ كانت كل واحدة من تلك المستوطنات قد عهدت بشؤون حراستها الى احدى القبائل البدوية العربية ، أو الشركس ، الذين يسكنون قربها (٢) · كذلك خلقت لدي قضية الشركس – كما يقول أحد زعماء المستوطنين ، يسرائيل شوحاط – افكارا جديدة : حفنة اشخاص في بحر من العرب ، ولكن رغم ذلك كسبوا لانفسهم احتراما ، ومدوا جذورهم في الارض ، وأقاموا قرى خاصة بهم · ولهذا لاينبغي فقدان الامل · من الممكن أن نصمد ، ونستوطن في البلد ، ونمد جذورنا فيه ، ومن الممكن ان نحمل الجار العربي على احترامنا · وعلينا لذلك ان نتحلى بالشجاعة والمثابر » (٣) ·

ولكي « نحمل الجار العربي على احترامنا » ، قررت تلك المجموعة من المهاجرين(التي كان بين زعمائها ، بالاضافة الى يسرائيل شوحاط ، يتسحاق بن – تسفي والكسندر زايد ويحزكيئيل حنكين ، كبير وكلاء شركة تطوير اراضي فلسطين ، الذي اشترى مساحات كبيرة من الارض لحساب

الشركة) العمل في مجال الامن اولا ، فأجروا اتصالات مع زعماء حزبهم لاقامة كتائب دفاع عن المستوطنات ، على غرار تلك التي اقامها الحزب بين اليهود في روسيا ، ولكن طلبهم رفض . ثم حاولوا كسب تأييد اشخاص آخرين من زعماء المستوطنين في فلسطين ، ولكن اولئك ايضا تحفظوا حيال خططهم. ولذلك تحولوا الى اقامة المنظمات العمالية، شبه العسكرية، وكانوا من بين المبادرين الى تأسيس جمعيتي « الحارث » و « التعاونية » في مستوطنة الشجرة (انظر ص ٢٤٣ اعلاه) ، اللتين لم تحظيا بنجاح كبير . وبعد فشل المجموعة في الحصول على تأييد زعماء المستوطنين اليهود ، او احزابهم ، في فلسطين ، اتجهوا الى طلب التأييد والمساعدة من بعض الزعماء اليهود خارج فلسطين ، غير ان الفشل كان من نصيبهم هذه المرة ايضا (٤) . ولهذا قرروا اخذ الامور بأيديهم ، والعمل وحدهم ، وعلى مسؤوليتهم .

وفي اواخر ايلول (سبتمبر) ١٩٠٧ ، خطت المجموعة اول خطوة على طريق تنفيذ خطتها ، اذ عقد في ذلك الوقت المؤتمر الثالث لحزب بوعالي تسيون في يافا ، وحضره مندوبا الحزب الى المؤتمر الصهيوني الثامن ، يتسحاق بن - تسفي ويسرائيل شوحاط ، اللذان كانا قد عادا لتوهما من اوروبا، بعد انتهاء اعمال المؤتمر ، حيث كان الصهيونيون « العمليون » قد تغلبوا على « السياسيين » ، وحملوا المنظمة الصهيونية على البدء بنشاط استيطاني عملي في فلسطين . وخلال جلسات مؤتمر الحزب ، شرح بن تسفي وشوحاط لزملائهما ، الاوضاع الجديدة التي نجمت عن قرار المنظمة الصهيونية هذا ، مؤكدين ان الوقت قد حان لتنفيذ خططهم ، دون طلب الموافقة او المساعدة ، ان احتاج الامر ذلك ، من اية جهة . وعلى الاثر عقدت اجتماعات في غرفة بن - تسفي في يافا ، حضرها ثمانية من اعضاء المجموعة ، تقرر في نهايتها اقامة منظمة سرية ، اطلق عليها اسم « بار - غيورا » (٥) (تخليدا لاسم احد القادة اليهود ، الذين حاربوا الرومان في فلسطين ، قبل سقوط مملكة اسرائيل الثانية) . وكان قد تقرر خلال الاجتماع ان هدف المنظمة هو العمل على ايجاد الوسائل الكفيلة بتحقيق الغايات التالية : « (أ) اصلاح اوضاع الييشوف : محاربة نظام الحلوكاه والصدقات على اختلاف انواعها . (ب) تشجيع العمل من خلال الارادة الحرة . (ج) السعي الى اساليب معيشة جديدة ، وطرق عمل جديدة ، تستند الى زيادة مسؤولية العامل . (د) عمل عبري ، وحراسة عبرية . (هـ) ثقافة صهيونية اشتراكية . (و) توحيد الطبقة العاملة . (ز) اقامة قوة دفاعية - مقاتلة » (٦) . وانتخب المؤتمر يسرائيل

شوحاط رئيسا للمنظمة ، ويتسحاق بن ـ تسفي ممثلا سريا لها في حزب بوعالي تسيون ٠

لم يكن من السهل ، بالطبع ، على اعضاء بار ـ غيورا تنفيذ هدفهم الرئيسي ـ « اقامة قوة دفاعية ـ مقاتلة » ـ لعدم قدرتهم على ذلك من جهة ، وللظروف الموضوعية التي كانت قائمة حينذاك من جهة اخرى ٠ ولهذا قاموا بتجميع انفسهم في مستوطنة الشجرة ، وهدفهم القيام بأعمال الحراسة فيها ، وتدريب انفسهم على استعمال السلاح ، خلال تنفيذ تلك الاعمال ٠ وقد عهد اليهم بحراسة المستوطنة ، بعد ان غافلوا الحارس الشركسي ، الذي كان يعمل فيها ، فسرقوا بغلة من بين المواشي التي كان مكلفا بحراستها ، بحيث اضطر مدير المستوطنة الى اقالته من عمله ، وتسليم الحراسة لهم (٧) ٠ وبعد مرور نحو سنة ونصف على اقامة بار ـ غيورا ، عقد اعضاؤها مؤتمرا ، في منتصف نيسان (ابريل) ١٩٠٩ ، وقرروا اقامة منظمة علنية ، اطلقوا عليها اسم « هاشومير » (« الحارس ») ، معلنين ان هدفها هو « تطوير عنصر الحراس اليهود ، في بلادنا ،الذين يستحقون القيام بعملهم » ، على ان يشمل ذلك تنظيم الحراس العاملين في المستوطنات ، بواسطة شراء ادوات الرياضة لهم ، وتعليمهم ركوب الخيل والرياضة واستعمال السلاح ، وتحسين اوضاعهم المادية ، واقامة صندوق لمنحهم قروضا (٨) ٠

ونشطت منظمة هاشومير ، بعد اقامتها ، في العمل على فرض سيطرتها على الحراسة في المستوطنات اليهودية ، فاستطاعت حتى سنتي ١٩١٣ ـ ١٩١٤ ، استلام زمام اعمال الحراسة بصورة او بأخرى ، في معظم المستوطنات التي كانت قائمة في فلسطين حينذاك ، عدا بيتح تكفا وزخرون يعقوب وروش بينا (٩) ٠ غير ان هذا النجاح لم يدم طويلا ، وذلك لاسباب تتعلق بطبيعة هاشومير وطرق عملها ٠ فالمنظمة كانت تتصرف من خلال نظرتها الى نفسها كأنها طلائع قوى الدفاع عن المستوطنين اليهود في فلسطين ، ولكنها اصرت ، في الوقت نفسه ، على رفض اية رقابة عليها ، او تنسيق معها من قبل زعماء المستوطنين او احزابهم ٠ كذلك وقعت المنظمة في خطأ مزدوج ، في موقفها من العرب ، فمن جهة حاول اعضاؤها تقليد العرب والتقرب منهم وتعلم لغتهم وعاداتهم (١٠) ، مما اثار شكوك المستوطنين الصهيونيين فيهم ، فخف التأييد لهم ، ومن جهة ثانية لجأوا الى استعمال القوة مع العرب ، أثناء قيامهم بأعمال الحراسة ، فدفعوهم الى استعمال قوة مضادة ، كان من نتيجتها سقوط

١٠ قتلى من أعضاء المنظمة ، خلال السنوات الخمس الاولى لقيامها ، رغم ان عدد اعضائها لم يزد، آنذاك ، على ٣٠ شخصا (١١)٠ وكان من نتيجة الخلافات التي كانت تثور ، من حين الى آخر ، بين رجال هاشومير والسكان العرب في القرى المجاورة للمستوطنات اليهودية ، ان اضطرت تلك المستوطنات الى اعادة الحراس العرب ، تدريجيا ، لتولي اعمال الحراسة فيها ، الى جانب الحراس اليهود ، ففشلت « الحراسة العبرية »، وحلت مكانها الحراسة المختلطة (١٢) ٠

وعند اقامة الهاغاناه ، سنة ١٩٢٠ ، نشب خلاف شديد بينها وبين هاشومير ، كانت نتيجته ان اضطرت هاشومير الى حل نفسها « وسلمت » مهمة « الدفاع » عن المستوطنين اليهود في فلسطين الى الهاغاناه ، ولكنها لم تسلمها سلاحها الا سنة ١٩٢٩ ٠

ومن ناحية ثانية ، كان من بين النتائج التي ترتبت على ظهور هاشومير، والخط « المستقل » الذي اتبعته ، قيام تنظيمات حراسة محلية في عدد من المستوطنات اليهودية ، مناوئة لها ، و «ملتزمة » بقرارات قادة المستوطنين الصهيونيين في فلسطين ٠ وكان من ابرز تلك التنظيمات « المجموعة اليافاوية » ، التي اسسها الشباب اليهودي في تل ابيب ، في اواخر الحرب العالمية الاولى (١٣) ٠ ولم تحرز هذه المجموعة انجازات تذكر خلال فترة قيامها ، غير انه من بين صفوفها خرج الياهو غولومب (١٨٩٣ ـ ١٩٤٥) ، « الاب الروحي » لمنظمة الهاغاناه ، ورئيسها منذ تأسيسها ، سنة ١٩٢٠ ، وحتى وفاته ٠ كذلك كان بين اعضاء هذه المجموعة موشي شرتوك (شاريت) (١٨٩٤ ـ ١٩٦٥)، الذي اصبح فيما بعد رئيس الدائرة السياسية في الوكالة اليهودية ، واول وزير خارجية في اسرائيل (١٤) ٠

[٦]

امتازت الهجرة الثانية ، عما سبقها من منظمات وهيئات او زعماء صهيونيين ، باتخاذ موقف سياسي صريح واضح ـ وعدائي ـ تجاه العرب ، لم تنتهجه اية فئة اخرى غيرها ، حتى ذلك الوقت ٠ وكان هذا الموقف المعادي للعرب قد تبلور حتى قبل ان تصل طلائع تلك الهجرة الى فلسطين ، اذ ان كل الزعماء الصهيونيين الذين لعبوا دورا بارزا في صياغة عقيدة اولئك المهاجرين ، او الذين حثوهم فعليا

على الهجرة الى البلد ، اتخذوا مواقف عدائية صريحة من العرب ٠ فاوسيشكين ، مثلا ، أعلن في « برنامجنا » ، الذي نشر قبل بداية الهجرة الثانية ببضعة اشهر ، وكان نشره بحد ذاته حافزا بالنسبة للبعض على الهجرة ، ان احد الاهداف الرئيسية للمهاجرين اليهود الى فلسطين ، ينبغي ان يكون احتلال العمل من ايدي العرب ، خصوصا في المستوطنات اليهودية ، بينما تنبأ بروخوف ، في « منهاجنا ». بانصهار عرب فلسطين بالمهاجرين الذين سيفدون اليها ، واختفائهم كشعب مستقل ، قائم بحد ذاته ٠ اما سيركين ، فكان قد طالب ، منذ سنة ١٨٩٨ ، بتهجير عرب فلسطين من بلدهم ليحل اليهود مكانهم (انظر ص ٢٠٣ و ٢٢٧ ـ ٢٢٨ و ٢٣٢ ـ ٢٣٣ اعلاه) ٠

واذا كان هذا هو الموقف « المبدئي » الذي اتخذه آباء الهجرة الثانية ، فقد اضطر الابناء انفسهم ، مع وصولهم الى فلسطين ، الى اتخاذ موقف عملي لا يقل حدة عنه ، بسبب الصعوبات التي لاقوها اثناء عملية استيعابهم في البلد ، الناجمة عن عدم قدرتهم على منافسة العمال العرب ، والحلول مكانهم ٠ ولهذا لم يكن شعار « احتلال العمل » من ايدي العمال العرب ، الذي أطلقه ابناء الهجرة الثانية ، باعتباره احدى المهام الرئيسية التي ينبغي عليهم تنفيذها ليتسنى لهم اقامة « المجتمع الصهيوني الاشتراكي » ، تجسيدا للنظريات التي صاغوها قبيل قدومهم الى فلسطين ، من جهة ، بقدر ما كان ، في الوقت نفسه ، تعبيرا عن سعيهم الى تأمين حاجاتهم الاقتصادية ، بواسطة ضمان العمل لانفسهم ، من جهة اخرى (١) ٠ وقد جابه ابناء الهجرة الثانية ، في مساعيهم « لاحتلال العمل » ، مصاعب جمة، خصوصا بعد ان امتنع ارباب العمل اليهود ، عامة ، عن استخدامهم، مفضلين العمال العرب عليهم ، وذلك لاسباب عديدة ، شرحها احد زعماء المستوطنين ، يوسف فيتكين ، بقوله : « ان العامل الاجنبي [اي العربي] مريح لهم [لارباب العمل اليهود] ، لاسباب عدة : انه صحيح الجسم وقادر على العمل ، اجرته زهيدة وطلباته قليلة ٠ واحيانا لا يستخدمه مزارعونا كعامل فقط ، وانما كمرشد ايضا في اعمال كثيرة لا يزالون مبتدئين فيها ٠ وبالاضافة الى ذلك فهو دائما خادم مطيع ٠٠٠ ومن الممكن استغلاله دون اي ازعاج من جهته ٠ اما العامل اليهودي فانه ، على العكس ، لا يزال عديم الخبرة ، واحيانا تنقصه القوة الجسدية ، الملائمة لصعوبات العمل ٠ ولكنه ، على الرغم من ذلك ، لا يقلل من طلباته المعهودة ، يصر على التمتع باجازته ،

ويحافظ على كرامته ، واحيانا بشيء من العصبية المريضة • والاهم من هذا كله ، لا يحبذ مزارعونا نمو عنصر العمال اليهود » (٢) • ويوضح هذا الوصف ، الذي ينطبق على موقف العمال اليهود والمؤسسات الصهيونية من العمال العرب في فلسطين ، منذ بداية الاستيطان الصهيوني في البلد وحتى اليوم ، السبب الرئيسي للموقف العدائي ، الذي انتهجه العمال الصهيونيون ، ثم المؤسسات الصهيونية ، تجاه العمال العرب • ويلاحظ ايضا ، من ناحية ثانية ، ان الحزبين الرئيسيين ، بوعالي تسيون وهابوعيل هاتسعير ، اللذين قادا الهجرة الثانية في فلسطين لم يتفقا في اي نقطة من برنامجيهما ، بقدر ما اتفقا حول ضرورة السعي الى « احتلال العمل »•

وشعار « احتلال العمل » ، الذي وجد صيغة جديدة له في تعبير آخر ، « العمل العبري » ، لم يبق وحده طويلا ، اذ سرعان ما ارفق به شعار آخر ، « احتلال الارض » ، الذي جاء مكملا له ، فاصبح الشعاران كوجهي العملة • وشعار « احتلال الارض » ايضا ، احضره المهاجرون الصهيونيون معهم من روسيا ، ومصدره الاراء التي كانت سائدة بين المثقفين الروس والقائلة ان الارض ملك لمن يفلحها (٣) • وكان هذان الشعاران ، خلال فترة الهجرة الثانية ، شغل زعمائها الدائم ، الذين لم يتوقفوا مرة عن مناقشتهما ، في محاولات دائمة للتفتيش عن اجدى الطرق الكفيلة بتحقيقهما • ومع تراكم الصعوبات ، تدريجيا ، على طريق تنفيذ هذين الشعارين ، ان تم ذلك بسبب ضعف المستوطنين الذاتي ، وبالتالي عجزهم عن تحقيق شعاراتهم من جهة او نتيجة للظروف الموضوعية التي سادت فلسطين ، ومنعتهم من ذلك من جهة اخرى ، ازداد النقاش حدة ، وطرحت اراء جديدة • ففيتكين، مثلا ، احد رجال هابوعيل هاتسعير ، وصل اخيرا الى قناعة مفادها ان العمال اليهود قد كرهوا القيام بالاعمال اليدوية ، كمستأجرين وراح بعضهم ينزح عن البلد • ولهذا لا بد من مساعدتهم واقامة مؤسسات خاصة لرعايتهم ، يكون هدفها خلق طبقة عمالية يهودية واسعة في فلسطين ، ثم تأسيس مستوطنات جماعية او تعاونية ، « فاحتلال العمل يتم فقط بواسطة احتلال الارض والاستيطان فيها » (٤) • ولكن محرر مجلة الحزب ، يوسف اهرونوفيتش ، عارضه في ذلك ، موضحا ان المبادرة الفردية هي التي ستنشيء كيانا سياسيا لليهود في فلسطين • ولذلك لا بد من اقناع اصحاب الاعمال الخاصة باستخدام اليهود لديهم ، بواسطة الاشارة الى الاضرار الناجمة عن استخدام العمال العرب . باعاقتها نمو كيان مستقل لليهود في فلسطين من جهة ، وتركيز العمال

اليهود في تلك الفروع من العمل التي يمكن السيطرة عليها ، «واحتلالها» نهائيا ، من قبلهم ، من جهة اخرى ـ اذ يمكن فقط الزام المستوطنات التي تنشئها المؤسسات الصهيونية الرسمية على اتباع قواعد العمل العبري (٥) ٠

وانضم الى الاثنين يتسحاق بن ـ تسفي، رجل بوعالي تسيون ، فأكد ان اصحاب العمل اليهود يفضلون العمال العرب ، وان الاوضاع الاقتصادية في فلسطين ، في ذلك الوقت ، لا تسمح باستيعاب عمال يهود جدد ٠ ولذا فالحل يكمن في تحسين اوضاع العامل المادية ، وانشاء مستوطنات على اسس تعاونية ، بواسطة مؤسسات الاستيطان الصهيونية الرسمية (٦) ٠ وانضم الى بن ـ تسفي زميله في الحزب شلومو كابلانسكي ، معلنا ان العامل اليهودي اثبت انه لا يصلح لتنفيذ المهمة التي القيت على عاتقه ، لاحتلال العمل ، وانه ليس عاملا جيدا اساسا ، ولذلك يكمن الحل في ايجاد اسلوب استيطاني مستقل ، لا علاقة له برأس المال الخاص (٧) ٠ اما بيرل كاتسنلسون ، « اللا ـ حزبي » ، فقد وصف احجام ارباب العمل اليهود عن استخدام العمال اليهود ، بانه « لاسامية اقتصادية » (٨) ٠ ويلاحظ ان تلك الاقتراحات ، التي تقدم بها زعماء الهجرة الثانية ، اصبحت فيما بعد من اسس الاستيطان الزراعي الصهيوني في فلسطين ، خصوصا خلال فترة الانتداب البريطاني ٠

ولم يتوقف قادة الهجرة في مساعيهم لتعميق مفاهيم شعاري « احتلال العمل » و « احتلال الارض » ، وتقريبها من قلوب المستوطنين اليهود ، عند هذا الحد ٠ فقد بذل بعضهم محاولات مضنية لاضفاء طابع ايجابي عليها ايضا ، من خلال الادعاء ان « لشعار احتلال العمل مفهوما مزدوجا : احتلال اماكن عمل للعامل اليهودي ، واحتلال العامل لذاته ، بواسطة العمل ٠٠٠ فنحن ابناء شعب عامل ، طرد خارج المعسكر ، وسلب منه حقه في العمل ٠ اننا لسنا عمالا نفتش هنا عن مكان عمل ، بل شعب باكمله ، يفتش عن مكان عمله في العالم ٠٠٠ » ٠ ثم « ان العمال كانوا ، باكثريتهم الساحقة ، صغارا في السن ، لم يذوقوا طعم العمل الجسماني في المهجر » (٩) ، بل كانوا طلابا وباعة ومدرسين وما شابه ، ولهذا من الضروري نقلهم الى العمل في الارض، « للتخلص من الامراض اليهودية المهجرية » ٠

وكان ابرز من نشط في هذا المجال ، اهرون دافيد غوردون (١٨٥٦ ـ ١٩٢٢) ، الذي كان قد هاجر من روسيا الى فلسطين سنة ١٩٠٤ ، وعمره

٤٨ عاما ، وذلك على عكس الاكثرية الساحقة من مهاجري الهجرة الثانية ، الذين وصلوا الى فلسطين قبل ان يكملوا العشرين من عمرهم. وعمل غوردون ، في فلسطين ، مثل اكثرية ابناء الهجرة الثانية ، في الزراعة ، وانتقل هناك ، سعيا وراء العمل ، من مكان الى آخر . وبالاضافة الى عمله هذا ، تعاطى الكتابة ايضا ، ونشر عشرات المقالات، حول القضايا العملية والنظرية التي واجهت مستوطني الهجرة الثانية ، فأعاد بذلك صياغة نظرياتهم وعمقها ، واضفى عليها طابعا جديدا .وساهم غوردون بعمله هذا ، اكثر من اي شخص آخر ، في نقل هذه النظريات الى المهاجرين الذين قدموا الى فلسطين في مراحل لاحقة .

يشدد غوردون ، في نظرياته ، على محاسن العمل ، الذي « يقوي الجسم ويصقل الروح » ، وضرورة توجيه الفرد لتعاطي هذا النوع من الاعمال من جهة ، ثم ضرورة تحويل اليهود عامة الى حياة العمل المنتج ، من جهة اخرى . « ان شعبا سلخ باكمله عن الطبيعة ، وكان سجينا خلال الفي سنة داخل الاسوار ، شعبا اعتاد على كل اصناف الحياة ، عدا العمل وفقا لرغبته وخدمة لمصلحته ـ شعبا كهذا لن يستطيع ان يتحول الى شعب حي وطبيعي ومنتج ، دون ان يبذل كل ما لديه من قوة ارادة . ينقصنا الاساس حتى الان . ينقصنا العمل ـ لا العمل بالاكراه ، بل ذلك الذي يرتبط الانسان به بعلاقة تنظيمية ، طبيعية ، ويتعلق بواسطته بارضه وحضارته ، التي تنمو بدورها من ارضه وعمله » (١٠) . وهذه الحضارة اليهودية الجديدة لا يمكن ان تنشأ الا في فلسطين ، لان « ارض ـ اسرائيل هي مركز الشعب كله ، وهي فقط يجب ان تصبح مركزا لوحدة الشعب ، وتطلعاته القومية وعمله القومي ... هناك من يقول ان ارض ـ اسرائيل لا تتسع لكل اليهود ... انني لا اعتبر ذلك مصيبة ... لان الاجزاء المشتتة يمكن ان تصبح بمثابة اغصان تمتد خارج دائرة نموها » (١١) . « ان بعث الشعب ، وتجديد روحه على شكل شعب عامل ومنتج ، لا يمكن ان يتم الا بواسطة العمل في الطبيعة . وعلى ابناء الشعب جميعا ان يعملوا » ، اذ « لا يوجد بلد عدا ارض ـ اسرائيل ، يستطيع اليهودي ان يذوق طعم الوطن فيها ، الوطن الطبيعي ، الحقيقي ... والاساس هو العمل في ارض ـ اسرائيل ... والعيش فيها » ، و« الشيء الوحيد الآمن بالنسبة لنا هو العمل في البلد ، ومن اجله » (١٢) .

ومثل باقي زعماء الهجرة الثانية ، يطالب غوردون ايضا بتنفيذ شعار« العمل العبري» ، ولكن وفق مفهومه الخاص لهذا الشعار : «ان

لاسلوب العمل ، ثم سيطرة العامل اليهودي على كل فروع العمل ، مفهوما خاطئا • وليس لاجل هذا ، اي لاجل العمل في مزارع او مصانع الاخرين ، جاء اصحاب فكرة العمل الى هنا • وليست هذه هي فلسفة العمل • ان هذه الفلسفة تنص ، قبل كل شيء ، على استقلال العامل ذاتيا في عمله ، في مزارعه او مصانعه الخاصة او الجماعية»• ولذلك لا بد ان يسود العمل العبري كاملا ، في تلك المزارع والمصانع ، دون ان يسمح لاي عامل عربي بدخولها ـ وتجاهل هذا المطلب ليس الا « تصرفا يهوديا مهجريا »• « فمن يستوطن ارضا عليه ان يفلحها بنفسه او بمساعدة ابناء بيته ، لان الارض ملك للامة ، ويستطيع ان يأكل ثمارها من يفلحها بنفسه فقط » ، لان « امنا ارض ـ اسرائيل تطلب منكم الروح والجسم معا ، او هي لا تطلب شيئا ••• وعليكم ان تدركوا ان امنا ارض ـ اسرائيل تستطيع ان تمنحكم اكثر مما باستطاعتكم منحها » (١٣)•

ونظرا لتشديد غوردون على فكرة العمل ، واعتبارها اساس الوجود الصهيوني في فلسطين ، اطلق انصاره على تعاليمه اسم « دين العمل » (١٤) ، واعتبرها بعضهم ملخصا لما افرزته الهجرة الثانية من مبادىء ايجابية • غير ان غوردون وضع ايضا ، من خلال تشديده على ما سمي « دين العمل » ، اسس ما يمكن ان يسمى ايضا « دين العنصرية » ، لان التأكيد على تحويل اليهود الى حياة العمل والدعوة الى التمسك بالعمل العبري كاملا ، تتبعهما نتائج سياسية تجاه العرب عامة ، والعمال خاصة ، الذين كانوا يشكلون اكثرية سكان فلسطين • وقد ادرك غوردون ، بالطبع ، ابعاد دعواته هذه ، واستنتج النتائج المترتبة عليها ، التى اصبحت بدورها جزءا من عقيدة الجناح العمالي الصهيوني ، الذي عمل بدأب على تنفيذها ، خصوصا بعد ان استطاع السيطرة على الحركة الصهيونية منذ منتصف الثلاثينات ، ولا يزال القوة الرئيسية بين الاحزاب الصهيونية ، التي تحكم اسرائيل منذ قيامها • وكان غوردون واضحا للغاية في استنتاجاته تلك : « ان كل مستوطناتنا ، من اساسها حتى سقفها ، وكرومها وبياراتها ، ينشئها العرب ، وهم الذين يعملون فيها »• وفي وضع كهذا « لن يكون البلد لنا ، اكثر مما هو عليه الان ، ولن يكون الشعب اكثر حيوية ، او اقل مهجريه ، مما هو عليه الان ، وحتى لو كانت ايدينا الكواشين [سندات ملكية الارض] ، التي يتوخاها صهيونيونا العمليون ، او امتيازات الاستيطان ، التي تفرح قلوب السياسيين » • ولكن البلد سيكون ، في نهاية الامر ، « ملكا لمن يقاسي من اجله ، ويعمل فيه اكثر من غيره » ،

فاذا « لم نفلح الارض بايدينا ، لن تكون ملكا لنا ، لا بالمفهوم الاجتماعي او القومي ، ولا بالمفهوم السياسي » (١٥) · وعليه ، لا ينبغي الاكتفاء بشراء الاراضي من العرب فقط ، وانما يجب ايضا احلال اليهود مكانهم للعمل فيها ·

غير ان غوردون ادرك ، من ناحية ثانية ، ان مواقفه هذه ستؤدي الى صدام مع العرب ، خصوصا وانه لاحظ بوادر نهضة العرب القومية ، التي بانت انذاك ، فطالب ، بالاضافة الى نظرياته تلك ، بايجاد « طريق لحياة مشتركة مع العرب ، وعمل مشترك ، يكون بركة على الطرفين » (١٦) · ولكن ذلك يجب ان يتم من خلال « حق اليهود التاريخي في البلد ··· وهذا الحق في التنافس السلمي ، والتوسع في البلد ، ليس حق المجموعة [اليهودية] الصغيرة التي تقطن هنا ، ولكن حق [اليهود] بأسرهم » · ولهذا لا بد ان يقوم اليهود بشراء الاراضي في فلسطين ، ولكن من خلال « الحذر الشديد في علاقاتنا مع العرب ··· ومن المستحسن ان نسترضي اصحاب الارض الحقيقيين، الذين يقطنونها ويعملون فيها ، عندما نكون بحاجة ماسة لارضهم » · ولكن الارض ، في النهاية ، ملك لمن يفلحها ، واليهود هم الذين يجب ان يفلحوها ويجعلوها ملكا لهم ، « فحقنا في ارض ـ اسرائيل قائم ما دمنا موجودين ، وما دام لدينا الاتجاه لخلق ارض ـ اسرائيل رائعة، لم تخلق من قبل ، ولا يستطيع غيرنا خلقها » (١٧) · وينتقد غوردون ، انطلاقا من موقفه هذا ، حزب بوعالي تسيون بشدة ، بسبب تمسكه بنظرية صراع الطبقات ودعوته الى اقامة مجتمع اشتراكي في فلسطين : « لم نأت الى ارض ـ اسرائيل من اجل الاشتراكية ، ولا باسمها ··· ولا من اجل صراع الطبقات ، وكره الطبقات وغباء الطبقات ··· والصراع من اجل العمل هنا لا يتخذ طابع صراع الطبقات · ان فحواه قومي صرف » (١٨) · ثم « ماذا خلق العرب ، خلال كل فترة وجودهم في البلد ؟ ··· ان خلق التوراة فقط ، يمنحنا حقا ابديا لا يمكن الغاؤه في البلد الذي اعطيت فيه [التوراة] ، خصوصا وان الشعب الذي جاء بعدنا لم يخلق اي انتاج بهذه الروعة ، بل لم يخلق اي شيء » (١٩)·

وتسللت اراء غوردون هذه مع مرور الوقت ، الى عقلية اكثر من زعيم او مفكر صهيوني ، ولعبت دورا واضحا في تأثيرها على تفكير الجناح العمالي الصهيوني (٢٠) . لا يقل عن تأثير ذلك الدور الذي لعبه نورداو ، بالنسبة لتفكير الصهيونيين الاصلاحيين ـ اليمينيين ·

وكان بين شخصيات الهجرة الثانية ، الذين لعبوا دورا واضحا في

الترويج لفكرة العمل العبري الصهيونية ، الكاتب يوسف حاييم برينر (١٨٨١ ـ ١٩٢١) ٠ وكان برينر قد تعاطى الكتابة، منذ صغره ، في بلده الاصلي روسيا ، واستمر في عمله هذا بعد هجرته الى فلسطين سنة ١٩٠٩ ، ونشر هناك عددا من القصص والروايات والاعمال الادبية المختلفة ٠ وفي معظم كتاباته ، يصف برينر الوجود اليهودي في المهجر بصفات سلبية للغاية ، ويؤكد ان معنى الصهيونية هو تغيير اسلوب الحياة اليهودية ،والعودة الى حياة العمل ، لبعث اليهود وتنقيتهم (٢١) ٠ وكان برينر قد قتل اثناء الاضطرابات التي نشبت بين العرب واليهود ، في يافا وتل ابيب ، في أيار (مايو) ١٩٢١ ٠

لم يتوقف ابناء الهجرة الثانية، في اصرارهم على موقفهم المعادي للعمال العرب عند القول فقط ، اذ تعدوه الى العمل ايضا ، فاتخذوا في اكثر من مناسبة ، اجراءات عنصرية واضحة المعالم في مقاومتهم للعمال العرب ، كانت بحد ذاتها دليلا على السياسة التي يمكن ان يتبعوها تجاه العرب ، عندما يصلون الى السلطة ٠ ففي سنة ١٩٠٨ ، مثلا ، قررت شركة تطوير اراضي فلسطين ، في اول مراحل نشاطها ، زرع غابة من اشجار الزيتون، في مزرعة بن ـ شيمن ، بالقرب من اللد، تخليدا لذكرى هرتسل ، واستخدمت عمالا عربا قاموا بتنفيذ العمل ٠ واحتجاجا على ذلك عقد العمال اليهود في المنطقة اجتماعا في اللد ، ثم ارسلوا مجموعة منهم ، قامت بقلع اشجار الزيتون واعادة غرسها (٢٢) ، لانه لا يجوز « استخدام عمال اجانب في عمل كهذا ، يتعلق باسم هرتسل المبجل»، فالواجب يتطلب «ازالة العار عن اسم اليشوف والشعب» (٢٣)٠ ودفع هذا التصرف الادارة الصهيونية في فلسطين ، الممثلة في « المكتب الفلسطيني » في يافا ، الى اصدار أمر لمديري مزارعها والمشرفين على مستوطناتها ، بالامتناع عن استخدام العمال العرب في اعمالهم ، واصبح هذا الامر بمثابة قانون ينبغي التقيد به (٢٤) ٠ وفي خريف ١٩١٣ ، عندما استخدم مدير مزرعة كفار اوريا عمالا عربا ، ترك العمال اليهود اماكن عملهم ورفضوا الرجوع اليها ٠ وفي خريف السنة التالية، عندما وقع مدير مزرعة الشجرة في « الخطأ » نفسه ، اعلن العمال اضرابا عاما ، أدى الى استبدال المدير بآخر (٢٥) ٠

وعندما اقيمت مدينة تل ابيب ، اول المدن اليهودية في فلسطين واكبرها، قرر مؤسسوها ايضا الامتناع عن استخدام العمال العرب في اعمال البناء (٢٦) ، ونفذوا قرارهم هذا عند اقامة المساكن الاولى ٠ الا ان هذه المساكن انهارت ، بسبب عدم خبرة العمال اليهود الذين اقاموها ، فاضطر

المؤسسون الى اللجوء للعمال العرب ، الذين « اشتهروا بمهارتهم وبتجاربهم التي اكتسبوها في حقل البناء » (٢٧) · وقد استمر العمال العرب ، على كل حال ـ رغم ادعاءات الصهيونيين بأنهم يسعون لتحويل اليهود الى حياة العمل اليدوي والانتاج ـ في بناء تل ابيب ، وغيرها من المدن اليهودية ، منذ ذلك الوقت ـ خلال الحكم التركي في فلسطين والانتداب البريطاني على البلد ، وحتى بعد اقامة اسرائيل ·

ولم يقف مستوطنو الهجرة الثانية ، في حربهم على العمال الفلسطينيين العرب ، عند هذا الحد ، خصوصا بعد ان اتضح ان العامل العربي كان « عاملا زراعيا بالولادة » (٢٨) ، ليس من السهل منافسته · ولكن مؤسسات الاستيطان الصهيوني لم تقبل بهذا الواقع ، وراحت تفتش عن وسائل اخرى ، الى ان استقر رأيها اخيرا على فرضية مفادها انه اذا كان من الصعب على العامل اليهودي الغربي منافسة العامل العربي ، فربما يستطيع اليهودي الشرقي القيام بذلك · ولهذا لم ير زعماء المستوطنين في فلسطين حرجا في العمل على تهجير اعداد من يهود اليمن الى فلسطين ، آملين استغلالهم ، « بناء على مستوى معيشتهم المنخفض » (٢٩) ، في منافسة العمال العرب في المستوطنات الزراعية اليهودية ، والتغلب عليهم · وفي سنة ١٩١١. ارسل المكتب الفلسطيني احد زعماء الهجرة الثانية ، شموئيل يفنيئيلي، مندوبا من قبله الى اليمن ، لحث يهودها على الهجرة الى فلسطين (٣٠)· وحمل يفنيئيلي معه لاقناع يهود اليمن المتدينين ، رسالة موجهة اليهم ، مكتوبة بلغة عبرية قديمة ، تشبه تلك التي يستعملها الحاخامون ورجال الدين اليهود (٣١) ، مدعيا ان حاخامي فلسطين هم الذين طلبوا منه نقلها اليهم ، مع ان الذى كتب الرسالة كان الحاخام ابراهام يتسحاق كوك (فيما بعد الحاخام الاشكنازي الاكبر ليهود فلسطين)وحده · وبواسطة هذه الحيلة ، استطاع يفنيئيلي حمل نحو الفي يهودي من اليمن على الهجرة الى فلسطين ، قبل الحرب العالمية الاولى ·

غير ان يهود اليمن لم يفلحوا هم ايضا في « احتلال العمل » ، في المستوطنات اليهودية ،من ايدي العمال العرب · فعندما سافر يفنيئيلي الى اليمن ، سنة ١٩١١ ، زار آحاد هعام فلسطين ، وكتب اثر زيارته ـ كعادته ـ مقالا أبدى فيه ، بناء على ما رآه من اوضاع العمال في المستوطنات اليهودية ، شكوكه في امكانية تحقيق شعار « العمل العبري»، في اي حال من الاحوال ، بسبب كثرة العمال العرب في تلك المستوطنات ، واستحالة الاستغناء عن خدماتهم · ويؤكد

أحـــاد هعـام في مقالــه انـــه فـي مستوطنة زخـرون يعقـوب ، « العمال كلهم تقريبا من العـرب » ، وفي الخضيرة « اكثرية العـمال من العـرب ، ولكن يوجد بضعـة عشرات من العمال اليهود » ، وفـي بيتح تكفا ـ « العـرب بالالاف ، وفي بعض البيارات لا يوجـد اي عامل يهودي » ،واما في غديره ، « فلا يوجد عمال يهود ابدا » (٣٢) · ولـم يطرأ أي تغيير يذكر ، على هـذا الوضع ، حتى بعـد ثـلاث سنوات من قدوم اليهود اليمنيين الى فلسطين ، اذ وجد ، بحسب شهادة بن ـ تسفي، في المستوطنات اليهودية في فلسطين ، مع اواخـر سنة ١٩١٣ ، نحـو ٢٠٠ر١ ـ ٣٠٠ر١ عامل يهودي ، بينهم ٤٠٠ يمني ، مقابـل ٠٠٠ر٨ ـ ٠٠٠ر١٠ عامل عربي (٣٣) · واضطر يفنيئيلي نفسه الى الاعتراف « ان هجرة اليمنيين ··· لم تحل مسألة العمل العبري ، لانهم لم يتغلغلـوا في فروع العـمل الزراعـي الاكثر اهمية » (٣٤) ·

ورغم هذا الفشل في تحقيق شعارات «احتلالالعمل» و « احتلال الارض» و « العمل العبري » (٣٥) ، بقيت الاكثرية الساحقة من مهاجري الهجرة الثانية ، بما في ذلك اكثرية قادتهـم ومفكريهم ايضـا ، متمسكة بهـا وتسعـى حثيثا الى تحقيقها ، دون ان تحاول التفتيش عـن اية سياسـة اخـرى تجاه العـرب · وعـندما انتقد بعـض الافراد القلائل هـذه السياسة ، كان جواب الاكثرية الاصرار عـلى التمسك بها · وكان اول من هاجم هذه السياسة وحـذر من مخاطرها (وربما كان الوحيد الـذي قام بذلك) ، الدكتور يتسحاق ابشتاين ، الذي طالب بعـقد حلف مـع « حـزب الفلاحين » العـرب ، والكف عـن اضطهادهم والاستيلاء عـلى اراضيهم (انظر ص ١٣٩ ـ ١٤٠ اعلاه) الا ان ابشتاين لم يجـد احدا يقف الى جانبه ، والذين ردوا عـليه ، ومنهـم الفـلاح ـ الكاتب موشي سميلانسكي (١٨٧٤ ـ ١٩٥٣) ، قدموا تبريرات ، زادت عنصرية عقائد الهجرة الثانية اتساعا :« اذا كان من المحظور علينا ان نسلب الفلاحين، ونعاملهمبقسوة، لكي لا يتحول المسلوبون الى سالبين، فلا ينبغي علينا ان نساعدهم ايضا ، لكي لا تزداد قوتهم !·· يجب ان نقوم باعمالنا في الحقل والورشة بواسطة اليهود فقط ، لكي لا يزداد العـرب غـنى وقوة من هذا العـمل ، ولكي يزداد عـدد اليهود ··· عـلينا الا نقترب اكثر مـن اللزوم من الفلاحين العـرب ! لكي لا يسير اولادنا الصغـار على طرقهم ويتعلموا عاداتهم القبيحـة ··· ولا حاجة لان يتعلموا اساليبنا ، فـي كيفية العـمل في الحقل والمحافظة على الاشجار · وان كانت تميزهـم ظاهرة الاكثرية العـددية والقوة الجسدية ، فلنبق في ايدينا صفة الحياة والعـمل الحضاريين · وسيأتي يوم يتوجهون فيه الينا ، طالبيـن ان

نعلمهم ، وعـندئذ سنعلمهم ! عـندما يقتنعـون ان ثـمة بركة في الحياة والعـمل الحضاريين · وعندئذ لن نعـرض انفسنا للخـطر ، عـندمـا ندرسهم اساليبنا، لاننا سنكون الاكثرية يومئذ!» (٣٦) (ولكن سميلانسكي، على كل حال ، غير موقفه هـذا بعـد ان اصبح رئيسا لاتحـاد المزارعين اليهود ، خـلال فترة الانتداب ، وراح يطالـب « بالعـمل المختلـط » ، باشتراك عـمال يهود وعرب ، بدل « العـمل العبري » الصرف ، ويؤيد اقامة دولة ثنائية القومية ، من العرب واليهود ، في فلسطين) ·

وتصدى ايضا يتسحاق بن ـ تسفي باسم حزبه ، بوعالي تسيون، لهذه المشكلة ، خصوصا وان البعض انتقد الحزب ، لانه كان يطالب باقامـة المجتمع الاشتراكي ويتحـدث عـن صراع الطبقات والتضامن البروليتاري من جهة ، ويطارد العمال العرب من جهة اخرى · ورد بن ـ تسفي على هذه الانتقادات بقوله انه « عندما يحدث تصادم بين مبدأ قومي واخر اشتراكي ينبغي التنازل عن المبدأ الاشتراكي لصالح العمل القومي » · والعمال اليهود الذين يطالبون بتحقيق شعار « العمل العبري » يدافعون عن مبدأ قومي ، ولذا ينبغـي تأييدهم · ثم ان « تحرير الارض بواسطة شرائها قد بدأ يتحقق الى حـد ما ، ولكن تحرير العـمل لا يزال بعيدا ··· وتطور الييشوف اليهودي يجب ان يسير بخطوات اكثر سرعة من [القطاع] العربي صحيح انه يتوجب عـلينا من وجهة نظرنا ، ان نهب الى مساعـدة العامل العربي ··· وتحسين اوضاعـه ··· ولكن ما دمنا لم نصبح قوة ، يكون الاخرون ملزمين بالاعتراف بها واخذها بالاعتبار ـ ان شاءوا او أبوا ـ فلا نستطيع ، ولا يجوز ان نعمل على مساعدة الاخرين » (٣٧) · امـا الدكتور هيليل يافيه ، رئيس اللجنة التنفيذية لهواة صهيون في فلسطين، الذين كانت مستوطناتهم تعج بالعـمال العـرب ، فقد اعـلن « اننـا ملزمون بان نعـارض التقارب من المجتمع العربي بكل شدة » (٣٨) ·

من الواضح ان مفاهيم ابناء الهجرة الثانية هذه اثرت ، من ناحيـة ثانية ، عـلى موقفهم السياسي من العـرب بكافة جوانبه ، ودفعتهـم ، في احسن الاحوال ، الى تجاهل وجود العـرب والابتعـاد عـنهم (وسيطر هذا الموقف عـلى عقلية فئات صهيونية عـديدة ، فيما بعـد) · وانطلاقا من موقفهم هذا ، او ربما كتتمة له ، عـلق زعـماء الهجرة الثانية آمـالا كبيرة عـلى الثورة التي نشبت في تركيا سنة ١٩٠٨ ، وتوقعـوا ان تكون فاتحة عـهد جديد بالنسبة لهم ، واصدر حـزب بوعـالي تسيون فـي فلسطين بيانا سريا خاصا يشيد بها (٣٩) ، وتزلف زعماؤه لقادتهـا · ولم يغـير المستوطنون موقفهم هذا ، ولم يحاولوا اتخـاذ موقف اكثـر

وضوحا من العرب ، حتى بعد ان خاب املهم بالثورة ، بل ان بعض زعمائهم ، وعلى رأسهم دافيد بن - غوريون ويتسحاق بن - تسفي ، سافرا الى تركيا سنة ١٩١١ ، لدراسة اللغة التركية ، والاطلاع عن كثب على اوضاع البلد ، لكي يحسنوا فهم الاتراك والتعامل معهم عند الضرورة (٤٠) ، ولم يفكروا ، مثلا ، في دراسة لغة « جيرانهم العرب » ٠ ويلاحظ ايضا ، على سبيل المثال ، ان حزبي الهجرة الثانية الرئيسيين ، بوعالي تسيون وهابوعيل هاتسعير ، كانا قد عقدا نحو ٢٥ مؤتمرا واجتماعا عاما لهما ، منذ تأسيسهما سنة ١٩٠٥ وحتى نشوب الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤ ، لم يبحث في اي منهما ، بشكل جدي ، الموقف من العرب ٠ وكانت أحدى الحالات النادرة التي اتخذ فيها احد زعماء الهجرة الثانية موقفا من العرب ، مطالبة شلومو كابلانسكي ، مندوب بوعالي تسيون في المؤتمر الصهيوني الحادي عشر (١٩١٣) ، باتخاذ اجراءات من قبل الادارة الصهيونية ، توضح للعرب « منافع الصهيونية » بالنسبة لهم (٤٢) ٠

ويلاحظ ان زعماء الهجرة الثانية اصروا على التمسك بموقفهم هذا . على الرغم من ان الفترة التي قدموا خلالها الى فلسطين (١٩٠٤ - ١٩١٤) ، شهدت أيضا بداية معارضة جدية من قبل الحركة القومية العربية لهم ، وللسلطات العثمانية ، من جهة ، وصدور صحف عربية في فلسطين، منها « الكرمل » و« فلسطين » و« المنتدى » ، راحت تهاجمهم بشدة ، من جهة أخرى (٤٣) - وكان « المكتب الفلسطيني » الصهيوني في يافا قد أنشأ ، في مطلع سنة ١٩١٢ ، وحدة خاصة لمتابعة الصحافة العربية وتزويد الاجهزة الصهيونية المختلفة بملخص عما تكتبه عن الصهيونيين (٤٤) ٠ واشتدت المعارضة العربية للصهيونيين ، بشكل خاص ، خلال السنوات ١٩٠٩ - ١٩١١ ، بعد ازدياد عمليات شراء الاراضي العربية ، من ناحية ، واصرار المستوطنين الصهيونيين على تنفيذ شعار « العمل العبري » ، وطرد العمال العرب من عملهم في المستوطنات اليهودية ، من ناحية أخرى ٠ كذلك وصلت هذه المعارضة الى السلطات العثمانية المركزية في اسطنبول ، حيث قام النواب العرب في البرلمان التركي ، بالتحذير من نتائج الهجرة اليهودية الى فلسطين ، واقدام الصهيونيين على شراء الاراضي فيها ، خصوصا بعد ان ارسل نحو ١٥٠ وجيها من قضاء الناصرة برقية احتجاج بهذا الشأن الى السلطات العثمانية ، في اذار (مارس) ١٩١١ (٤٥) ٠ ولكن رغم ذلك لم يحرك زعماء المستوطنين ساكنا ، واكتفوا بالاعلان « ان العرب المسيحيين ، الذين تثقفوا لدى الرهبان اليسوعيين ، هم الذين يدسون

ضد اليهود » (٤٦) · وكان هذا الرأي بشأن موقف العرب المسيحيين المعادي لليهود والصهيونيين ، سائدا في اوساط صهيونية عدة (٤٧) ، التي استغلته كمبرر لاقناع نفسها بان المعارضة العربية للصهيونية محصورة في فئات قليلة للغاية ، رغم ان بعض الصهيونيين حذر من خطورة الاعتقاد بان المسلمين من العرب يقلون عداء للصهيونية عن المسيحيين منهم (٤٨) ·

كان موقف زعماء الهجرة الثانية ، المتجاهل للعرب ، متناسقا ، في أسسه ، مع « السياسة » العربية التي انتهجتها المنظمة الصهيونية العالمية أيضا · فبعد وفاة هرتسل ، الذي اتبع سياسة تجاهل وجود العرب في فلسطين ، برز الصراع بين الصهيونيين « السياسيين » و« العمليين» على المنظمة ، الذي لم يترك لاي فئة متسعا من الوقت لوضع اي سياسة عربية ، او محاولة تطبيقها · ولم تنتخب اية قيادة صهيونية ، قادرة على التحرك والعمل ، الا بعد حسم الصراع بين الفئتين ، « السياسية » و« العملية »، لصالح الثانية ، في المؤتمر الصهيوني العاشر (١٩١١) · وحتى ذلك الوقت ، كانت الحركة الصهيونية قد أنشأت مكتبين لها ، في اسطنبول ويافا ، وجد المسؤولان عنهما نفسيهما في وضع دفعهما الى التعامل مع العرب · وكان موقفا المسؤولين عن هذين المكتبين ، الدكتور يعقوبسون في اسطنبول والدكتور روبين في يافا ، متشابهين في دعوتهما الى ايجاد طرق للتفاهم مع العرب · ونجم هذا الموقف المشترك عن الظروف الموضوعية التي جابهت هذين المسؤولين اثناء عملهما ، اذ كان الاول معنيا بتخفيف معارضة النواب العرب ، في البرلمان العثماني ، للصهيونية ، ليتمكن من حمل السلطات على تخفيف القيود التي فرضتها على الهجرة اليهودية الى فلسطين (٤٩) ، بينما كان الثاني مهتما بتخفيف المعارضة العربية لاجراءات الاستيطان الصهيوني في البلد (٥٠) · وفي سبيل تحقيق هذا الهدف ، اعلن روبين ايضا عن تحفظه من سياسة « العمل العبري » ، التي اتبعها المهاجرون الجدد ، وطالب بأعادة تنظيم المستوطنين في فلسطين ــ وحظي بتأييد وايزمان له (٥١) ·

وانطلاقا من هذه المواقف ، راح يعقوبسون وروبين يرسلان التقارير ، من حين لآخر ، الى ادارة المنظمة الصهيونية في برلين ، مطالبين بأتخاذ موقف من العرب وتحديد السياسة الصهيونية تجاههم · واجتمعت الادارة الصهيونية أكثر من مرة ، للبحث في هذه الناحية ، ولكنها لم تتخذ اي قرار واضح وملزم · غير انه مع ارتفاع ضغوط يعقوبسون وروبين من جهة ، وازدياد المعارضة للصهيونيين ، أثر قيام جمعيات معادية

للصهيونية في مدن عدة في فلسطين وجوارها ، منهـا القدس وحيفـــا ونابلس وبيروت واسطنبول (٥٢) ، من جهة أخـرى ، اضطرت الزعامـة الصهيونية الى اتخـاذ بعـض الاجراءات العـملية في هذا الشأن ،فأوفدت في مطلع سنة ١٩١٤ ناحوم سوكولوف ،عضو اللجنة التنفيذية الصهيونية في زيارة الى المشرق ، لاستطلاع الوضع (٥٣) ٠ وكانت اللجنة التنفيذية الصهيونية قد كلفت سوكولوف ،منذ انتخابـــه عضوا فيهـــا ، فـــي المؤتمر الصهيوني العاشر (١٩١١) ، بأدارة الشؤون السياسية فـــي المنظمة ، فوجه السياسة الصهيونية ، بشكل واضح ، نحو الغرب ٠ وكان سوكولوف قد اجرى ، خـلال الفترة التي تلت تعيينه ، اتصالات متشعبـة مع معـظم دول اوروبا الغربية ، ونشط مبعوثوه حتى في اميركا ، وركز كل جهوده لكسب تأييد الدول الغربية للصهيونية ، ومساعدتها في تحقيـق أهدافها (٥٤) ، واكتفى في مقابل ذلك بأقامة علاقات واهية مع السلطات التركية ٠

وقبيل وصول سوكولوف الى فلسطين ، في مطلع سنة ١٩١٤ ، كـــان المسؤولون الصهيونيون في البلد قد استطاعـوا أقامة علاقات مع عـدد من الزعماء العرب ، فاجتمع سوكولوف ببعضهم ، للبحث في امكانية ايجـاد سبل للتفاهم بينهم وبين الصهيونيين وتوحيد جهود الطرفين ٠ كذلك تـم الاتفاق عـلى عـقد اجتماع عربي ـ صهيوني في برمانا ، بالقرب مـــن بيروت ، في صيف سنة ١٩١٤ ٠ وكان بعـض الزعـماء العرب ، وخاصة رجال حزب اللامركزية في مصر ، وبعـض المثقفين في بيروت ، قـــد حاولوا في تلك الفترة كسب ود الصهيونيين واستمالتهم ، لحملهم عـلى الوقوف الى جانبهم ضد الاتراك (٥٥) ٠ وبسبب هذه الاتصالات ، امتنـع المؤتمر العربي الذي عـقد في باريس ، في حزيران (يونيو) ١٩١٣ ، عن اتخاذ موقف علني مناوىء للهجرة الصهيونية الى فلسطين (٥٦) ٠ غيـر انه اتضح ، عندما حانت مرحلة التنفيذ ، ان الوصول الى اي اتفاق كـان صعبا للغـاية ، اذ لم يكن أساسا لدى اي من الطرفين ، العربـــي او الصهيوني ، ما يعرضه عـلى الآخر ٠ فقد أمل الزعـماء العـرب ، مـن وراء اتصالهم بالصهيونيين ، في الحصول عـلى الاموال اللازمة لتطويـر بلادهم ، بعـد طرد الاتراك منها ، بينما كانت الحركة الصهيونية ، عمليا، فقيرة للغـاية ، ولـم تكن تملك حتى النـزر اليسير من تلك الاموال ٠كذلك طلب الزعـماء العـرب من الصهيونيين التعـهد بعدم طرد الفلاحين العرب من اراضيهم ، وهو ما لم يستطع الصهيونيون الالتزام به صراحـــة ٠ وبالاضافة الى ذلك ، كان اولئك الزعماء يخشون من التعامل علنـــا مع

الصهيونيين ، بسبب العداء لهم بين مختلف الاوساط العربية (٥٧)٠ أما بالنسبة للصهيونيين ، فقد أتضح لهم ، عندما جوبهوا بالمشاكل الناجمة عن « المسألة العربية » انه لم تكن لديهم سياسة واضحة تجاه العرب ، ولا موقف منهم ، ولم يكونوا يملكون ما يستحق ان يعرض عليهم لاسترضائهم ، بما في ذلك المال ٠ كذلك لم تكن لديهم آنذاك حتى القوى البشرية الملائمة لمتابعة الشؤون العربية (٥٨) ٠

ومع نهاية مرحلة الهجرة الثانية ، قبيل نشوب الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤ ، كان اليهود في فلسطين ، قد عادوا الى اتباع اسلوب حياة الغيتو ، اجتماعيا واقتصاديا ، الذي كانوا قد درجوا عليه في الماضي، في اوروبا ٠ ونجم ذلك عن اصرار مستوطني الهجرة الثانية على التمسك بشعارات « احتلال الارض » و« احتلال العمل » و« العمل العبري » ، والسياسة العنصرية المترتبة عليها تجاه العرب ، وتأسيس المنظمات « العسكرية » لمقاومتهم ٠ وكان واضحا ، بسبب هذا الموقف من جهة ، واتجاه السياسة الصهيونية نحو الغرب ، ومحاولاتها كسب تأييده لتنفيذ مخططاتها في فلسطين ، من خلال تجاهل سكانها العرب من جهة اخرى ، انه لم يبق لدى الفلسطينيين الا طريق الصراع مع الصهيونية ٠

[٧]

دخل الى فلسطين ، خلال السنوات ١٩٠٤ ـ ١٩١٤ ، ضمن موجة الهجرة الصهيونية الثانية ، نحو ٣٥ ـ ٤٠ الف مهاجر يهودي ، عاد معظمهم وهاجر ثانية منها ، فبقي فيها عشية نشوب الحرب العالمية الاولى ، نحو ١١ ألفا منهم وحتى اكثرية الباقين هاجرت من فلسطين، خلال سنوات الحرب ، فبقي في البلد ، في نهاية الامر ، نحو الفي مهاجر فقط (١) ٠ ولكن رغم قلة عدد من بقي من ابناء الهجرة الثانية في فلسطين ، لعب اولئك المهاجرون دورا فعالا وحاسما ، في تاريخ الوجود الصهيوني في البلد ، خلال الحكم العثماني او الانتداب البريطاني ، وامتد تأثيرهم الى ما بعد اقامة اسرائيل ، بشكل وبمدى لم يكونا من نصيب اية مجموعة ، من المهاجرين الصهيونيين الذين دخلوا فلسطين ، قبل الهجرة الثانية او بعدها ٠ ولا تزال آثار بصماتهم واضحة حتى اليوم في اسرائيل ٠

اجبرت الظروف التي سادت فلسطين ، خلال فترة الهجرة الثانية ،

معظم المهاجرين الذين قدموا اليها على تركها · ولكن تلك الظروف نفسها صقلت الباقين منهم ودفعتهم ، من خلال التمسك بعقيدتهم التوسعية المعادية للعرب ، واهدافهم المعلنة في السيطرة على فلسطين ، الى اقامة مؤسساتهم الخاصة بهم ، الحزبية ـ السياسية والثقافية والاجتماعية والاستيطانية ، وحتى « العسكرية » ، لتكون اداة في المحافظة على بقائهم وتنفيذ مخططاتهم (٢) · وبعملهم هذا ، كان اولئك المهاجرون اول من عمل في نقل مركز الثقل الصهيوني من خارج فلسطين الى داخلها (٣) ، في الوقت الذي كان فيه معظم الزعماء الصهيونيين الاخرين لا يجدون لديهم وقتا كافيا لزيارة البلد ، رغم انهماكهم في العمل لاقامة دولة يهودية فيه · وكان من نتيجة ذلك ان لعب مهاجرو الهجرة الثانية ، دور المؤسس بالنسبة للكيان الصهيوني في فلسطين ، واحتلوا الحيز الذي يحتله المؤسسون عادة ، وحضروا للمهاجرين الذين انضموا اليهم ،فيما بعد ، اسسا عقائدية وتنظيمية ، على اختلاف انواعها ، ما كان على هؤلاء الا القبول بها وتطويرها ، وهو ما تم فعلا · ومع مرور الزمن ، نمت وكبرت المؤسسات التي اقامتها الهجرة الثانية ، وحلت مكانها ، احيانا ، مؤسسات اخرى ، اكثر تطورا منها ، انشئت بموجب الاسس نفسها ، ولعبت دورا رئيسيا في بلورة الكيان الصهيوني في فلسطين ، ومن ثم في اقامة اسرائيل ، ومعظمها لا يزال يؤدي مهامه حتى اليوم ·

فحزب بوعالي تسيون في فلسطين ، مثلا ، وهو اكبر احزاب الهجرة الثانية ، اتحد سنة ١٩١٩ مع مجموعة من غير الحزبيين ، واسس حزب احدوت هعفوداه ، الذي اتحد بدوره ، سنة ١٩٣٠ مع حزب هابوعيل هاتسعير ـ اخيرا ـ واقاما حزب مباي ، الذي عاد واتحد بدوره سنة ١٩٦٨ ، مع مجموعتين كانتا قد انشقتا عنه ، سنتي ١٩٤٤ و١٩٦٥ (احدوت هعفوداه ورافي) ، فاقاموا حزب العمل الاسرائيلي· ومنذ تأسيس هذا الحزب ، سنة ١٩٠٥ ، وحتى اليوم ، كان ـ مهما كانت الاسماء التي حملها ـ ولا يزال ، اكبر الاحزاب الصهيونية بين اليهود في فلسطين ، ويلعب دور الحزب الحاكم في اسرائيل ، منذ تأسيسها · وعند تأسيس حزب مباي ، سنة ١٩٣٠ ، كان ١٦ (من بين ٢٠) عضوا من اعضاء لجنته المركزية ، من ابناء الهجرة الثانية (٤) · وعندما جرت الانتخابات للكنيست (البرلمان) الاسرائيلي، لاول مرة، سنة ١٩٤٩ ،انتخب ١١ نائبا (من بين ١٢٠)،ينتمون لمباي وحده،من بين اولئك المهاجرين (٥)· ولا تزال المؤسسة الحزبية في اسرائيل تلعب ، حتى اليوم ، ذلك الدور الكبير ، في حياة المنتمين اليها (٦) ، والذي كانت تقوم به عندما اسست لاول مرة في مطلع القرن الحالي (٧) ، بعد ان تحولت الاحزاب الصهيونية،

عامة ، الى مؤسسات اقتصادية كبيرة ٠

ومنظمات العمال الزراعيين ، التي اقامها مهاجرو الهجرة الثانية ، في شمال فلسطين ووسطها ، كانت النواة التي انبثقت منها الهستدروت ، النقابة العامة للعمال اليهود في فلسطين ، سنة ١٩٢٠ ، والتي تحولت بدورها الى منظمة ضخمة تضم ، منذ تأسيسها ، اكثرية العمال اليهود٠ وبصفتها هذه ، وبجانب كونها نقابة عمال ، فقد لعبت الهستدروت ايضا ادوارا سياسية واقتصادية مهمة للغاية ، في تاريخ الكيان الصهيوني في فلسطين ٠

ومنظمة هاشومير صفيت فعلا ، سنة ١٩٢٠ ، ولكن في الوقت نفسه اقيمت على انقاضها منظمة الهاغاناه ، التي ولدت منظمتين آخريين خلال فترة الانتداب البريطاني على فلسطين ، ومنها انبثق الجيش الاسرائيلي، سنة ١٩٤٨ ٠

والكيبوتس ، الذي وضعت اسسه في دغانيا سنة ١٩٠٨ ، نما وتبلور، واصبح رأس الحربة في تنفيذ المشاريع الاستيطانية الصهيونية في فلسطين٠ فالعاملون فيه ، وابناؤهم ، هم الذين اقاموا معظم المستوطنات اليهودية في فلسطين ٠ وكان شباب الكيبوتس ، ولا يزالون ، من اكثر الشباب الصهيوني اندفاعا وحماسا ، ومن بينهم جاءت القوى البشرية الرئيسية التي تولت تنفيذ معظم المهام الصهيونية الحرجة والمهمة ، خلال فترة الانتداب او حتى بعد اقامة اسرائيل ٠

ومؤسسات الضمان الصحي والاجتماعي ، والصحف ودور النشر، والتعاونيات ، لا تزال كلها قائمة منذ تأسيسها خلال فترة الهجرة الثانية ٠ ومنذ ذلك الوقت ازداد ، بالطبع ، عددها وتوسعت مهامها ٠

وبالاضافة الى ذلك ، خرج من بين ابناء الهجرة الثانية عدد من الزعماء الصهيونيين ، في مختلف مجالات العمل الصهيوني ، لعبوا ادوارا مهمة في تاريخ الصهيونية في فلسطين او خارجها ، فساهموا بالتالي في دعم المؤسسات التي اقامها رفاقهم وتقويتها ٠ ومن بين هؤلاء ، على سبيل المثال ، دافيد بن ــ غوريون ، سكرتير الهستدروت (١٩٢١ ــ ١٩٣٥) ، ورئيس الوكالة اليهودية (١٩٣٥ ــ ١٩٤٨) ،واول رئيس حكومة في اسرائيل ووزير دفاعها (١٩٤٨ ــ ١٩٥٣ و١٩٥٥ ــ ١٩٦٣) ، ويتسحاق بن ــ تسفي ، رئيس « هافاعاد هليئومي » (« اللجنة القومية ») ، وهي اللجنة التنفيذية للمجلس الملي اليهودي في فلسطين (« كنيست يسرائيل ») (١٩٣١ ــ ١٩٤٨) ، وثاني رئيس لاسرائيل

(١٩٥٢ ــ ١٩٦٣) ، وليفي اشكول ، من كبار العــامليــن في مجال الاستيطان الصهيوني في فلسطين ، خــلال فترة الانتداب ، وثالث رئيــس حكومة في اسرائيل (١٩٦٣ ــ ١٩٦٩) ، ويوسف شبرينتساك ، سكرتير الهستدروت (١٩٤٥ ــ ١٩٤٨) ، ورئيس الكنيست (١٩٤٩ ــ ١٩٥٩) ، وبيرل كاتسنلسون ، مؤسس صحيفة «دافار» الهستدروتية (١٩٢٥) ، الصحيفة شبه الرسمية ، ودار النشر « عام عوفيــد » ، و « المفــوض الثقافي » للمستوطنين العــمال في فلسطين ، ويتسحاق طابنكين ، منظــر حركة الكيبوتسات وزعــيم حزب احــدوت هعفوداه (١٩٥٤ ــ ١٩٦٨)، وابراهام هارتسفيلد ، كبير منفذي برامج الاستيطان الصهيونــي فــي فلسطين ، منذ منتصف العشرينات ، وشموئيل دايان (والد موشي دايان)، احد مؤسسي المستوطنات من صنف الموشاف ، وعــيده ميمون (فيشمان)، احدى مؤسسات حركة العاملات ، وغيرهم ٠

وانه لقول لا يخــلو من الصحــة اذن ، ان الهجرة الثانية هي التــي وضعــت اسس الكيان الصهيوني في فلسطين ، والتي قامت اسرائيــل عليها فيما بعــد ٠

الفصـل الخامس

الحرب العالمية الاولى ووعد بلفور
تحالف الاستعمار والصهيونية (١٩١٥ ـ ١٩١٧)

[١]

بدأت الحرب العـالمية الاولى في اواخـر تموز (يوليو) ١٩١٤ ، وبعد مرور ثلاثة اشهر على اندلاعـها ، انضمت اليها تركيا ، بعد ان اعـلنت كل من روسيا وبريطانيا وفرنسا الحرب عـليها ، في الاسبوع الاول من تشرين الثاني (نوفمبر) من السنة نفسها ، أثر الاستفزازات التي قامت بها تركيا ضد هذه الدول ، بتحريض من المانيا • وفي السنة التالية (١٩١٥) انضمت ايطاليا للحرب ، الى جانب الحلفاء ، بريطانيا وفرنسا وروسيا• وفي الاسبوع الاول من نيسان (ابريل) ١٩١٧ ، انضمت اليها الولايات المتحـدة الاميركية ايضا • وانتهت هذه الحـرب ، سنة ١٩١٨ ، بعـد اربع سنوات من نشوبها ، بانتصار الحلفاء •

فاجأت الحرب ، عند نشوبها ، المنظمة الصهيونية العـالمية ، واربكـت قادتهـا ، وخلقت مشاكل حرجة ، كان عـليهم مجابهتها • فقد كانـت رئاسة المنظمة الصهيونية ، عـند نشوب الحرب ، في برلين ، مما سهـل عـليها ، خصوصا بعـد ان دخـلت تركيا الحرب الى جانب المانيا ، فـي مساعـيها للمحافظة ، عـلى الاقل ، عـلى الوجود اليهودي في فلسطين ، وارسال المساعـدات الاقتصادية لليهود في البلد ، بواسطة استغـلال النفوذ الالماني لدى تركيا الحليفة • وكانت المانيا من ناحية ثانية ، فـي حالة حرب مع روسيا ، حيث تعيش اكثرية اليهـود والصهيونيين ، الذين انقطعت اتصالاتهم بقيادتهم مع نشوب الحرب • وكانت القيادة الصهيونية ملزمة بدورها بالتصرف بحذر ، خاصة في تعاملها مع المانيا ، خشية من ان يؤدي اي موقف من جهتهـا ، قد تعتبره روسيا غـير ودي تجاهـها ، الى تشديد سياسة الاضطهاد ضد اليهود ، التي كانت متبعـة في روسيـا

اساسا · كما كانت القيادة الصهيونية ملزمة بالتروي والامتناع عن التقرب ، علنا على الاقل ، من هذا الطرف او ذاك من الاطراف المتحاربة ، خشية من ان يؤدي ذلك الى المس بهذه المجموعة الصهيونية او تلك ، من المجموعات التي كانت منتشرة في كل دول اوروبا الغربية والشرقية · كذلك حرصت القيادة الصهيونية على ان لا تضع بيضها كله في سلة هذا الفريق او ذاك من الدول المتصارعة ، اذ لم يكن واضحا ، عند نشوب الحرب ، من سيكون المنتصر في نهايتها (١) ·

كانت ادارة المنظمة الصهيونية العالمية تضم ، عند نشوب الحرب ، ستة اشخاص ، اثنان منهم – رئيس المنظمة البروفيسور اوتو واربرغ ، وارتور هنتكه – من صهيونيي المانيا ، والاربعة الاخرون – فكتور يعقوبسون ، ناحوم سوكولوف ، يحيئيل تشلينوف وشمرياهو ليفين – من صهيونيي روسيا · ولم يكن باستطاعة الاعضاء الاربعة من الصهيونيين الروس ، بالطبع ، الحضور الى برلين بعد نشوب الحرب ، للاشتراك في جلسات اللجنة التنفيذية الصهيونية ، فتقرر نقل رئاسة المنظمة الصهيونية، في كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٤ ، الى مدينة كوبنهاغن ، عاصمة الدانمارك المحايدة، بحيث يسهل اجراء الاتصالات منهناك مع الصهيونيين في كافة انحاء العالم ، بينما بقي واربرغ وهنتكه في برلين · وكانت تعقد في كوبنهاغن لقاءات بين الزعماء الصهيونيين ، من حين الى اخر· ونقلت ، في الوقت نفسه ، رئاسة شركة الكيرن كاييمت من كلن في المانيا الى لاهاي في هولندا ، وسلمت ادارتها الى زعيم صهيوني هولندا ، نحاميا دي – ليما (٢) ·

وبعد نشوب الحرب مباشرة ، كانت بعض المنظمات اليهودية في المانيا، باشتراك الصهيونيين الالمان ، قد اقامت هيئة سمتها « اتحاد المنظمات اليهودية في المانيا من اجل المحافظة على حقوق [يهود] الشرق » (« لجنة الشرق ») ، برئاسة البروفيسور اوبنهايمر ، صاحب نظرية الاستيطان التعاوني الصهيونية ، وعضوية الدكتور بودنهايمر ، واضع اللوائح التنظيمية للمنظمة الصهيونية العالمية ، وصهيونيين آخرين ، وكان هدف هذه اللجنة العمل على تحرير اليهود في بولونيا والمناطق الشرقية من روسيا ، بمساعدة الجيش الالماني (٣) · غير ان اللجنة التنفيذية الصهيونية الكبرى ، التي اجتمعت في كوبنهاغن ، لاول مرة بعد نشوب الحرب ، في الاسبوع الاول من كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٤ ، شجبت تشكيل هذه اللجنة ، واعلنت عن معارضتها لاشتراك اي زعماء صهيونيين في « اي نشاط سياسي ، بالمدى الذي قد يضر بأمن اليهود في احدى الدول

المتحاربة » (٤) ، معلنة بذلك عن موقف صهيوني رسمي ،مفاده الالتزام بالحياد تجاه اي من تلك الدول • ولكن اللجنة التنفيذية قررت ايضا تكليف رئاسة المنظمة العمل على تأمين « الحقوق القومية والسياسية » لليهود، في البلدان التي لا يتمتعون فيها بتلك الحقوق ، بالاضافة الى العمل على تنفيذ برنامج بازل ، ومنح حقوق لليهود في فلسطين ، واجراء الاتصالات الضرورية مع الدول المعنية ، حتى وان كانت من المشتركة في الحرب • وناشدت اللجنة الصهيونية ايضا اليهود،في كافة انحاء العالم، التبرع بالمال والمعدات لمساعدة المستوطنين اليهود في فلسطين (٥) •

وقررت اللجنة التنفيذية الصهيونية ، في اجتماعها المشار اليه ، تسهيلا لتنفيذ قراراتها المذكورة ، ايفاد احد اعضائها ، يحيئيل تشلينوف، الى بريطانيا ، للقيام بمهام اعلامية هناك ، فطالب بان يرافقه سوكولوف، لمساعدته • وفي بريطانيا ، انضم الاثنان الى وايزمان وآحاد هعام • وشكلوا نواة لمجموعة صهيونية ، نشطت في العمل لحمل الحكومة البريطانية على تبني طلبات الصهيونية (٦) • كما ارسلت اللجنة ايضا شمرياهو ليفين الى الولايات المتحدة ، للقيام بمهمة مماثلة ، فاستطاع كسب ثقة احد الزعماء اليهود البارزين هناك ، لويس برانديس ، واقاما « لجنة طوارىء صهيونية » (٧) • وكان برانديس ، في الوقت نفسه ، صديقا ومستشارا للرئيس الاميركي ولسون ، الذي عينه قاضيا في المحكمة العليا الاميركية • وحتى ذلك الوقت ، كانت قد اقيمت بعض التنظيمات الصهيونية بين اليهود في الولايات المتحدة ، التي جاء اعضاؤها مع المهاجرين اليهود ، الذين قدموا الى هناك من روسيا •

ورغم ظروف الحرب ، استمرت اللجنة التنفيذية الصهيونية في نشاطها، فعقدت اجتماعين آخرين في كوبنهاغن ، في حزيران (يونيو) ١٩١٥ وآذار (مارس) ١٩١٦ • ولكن مركز الثقل في النشاط الصهيوني كان ينتقل ، خلال هذه الفترة ، تدريجيا ، الى بريطانيا ، ويتركز حول الدكتور حاييم وايزمان وصحبه ، لاسباب عديدة ، منها ما يتعلق باوضاع المنظمة الصهيونية العالمية ، ونشاط وايزمان نفسه ، ومنها ما نجم عن التعقيدات الدولية التي ظهرت حينذاك • وكان وايزمان قد قرر ، بعد تخرجه من الجامعة ، ان يقيم بصورة دائمة في بريطانيا ، فسكن في مدينة مانشستر ، وعين استاذا للكيمياء في جامعتها ، ثم تعرف هناك على شارل سكوت ، محرر صحيفة مانشستر غارديان ، واقنعه بصحة مساعي الصهيونية لاقامة دولة يهودية في فلسطين ، وضرورة تبني بريطانيا لها ، حفاظا على مصالحها في المنطقة • وكان سكوت على

علاقات طيبة مع عدد كبير من الزعماء البريطانيين ، فعرف بعضهم على وايزمان ، لعرض آرائه امامهم · وكان وايزمان من ناحية ثانية ، قد قرر عدم الالتزام بقرار اللجنة التنفيذية الصهيونية ، التي ناشدت الزعماء الصهيونيين اتخاذ مواقف محايدة ، في علاقاتهم مع الدول المتحاربة ، وعندما افتتح مكتب كوبنهاغن قاطعه ، ولكنه وثق علاقاته في مقابل ذلك ، مع براندیس وليفين في اميركا (٨)· كما كان وايزمان من المؤمنين ان بريطانيا هي الدولة الوحيدة التي قد تساعد الصهيونية على تحقيق اهدافها (٩) (وبقي متمسكا برأيه هذا حتى آخر ايامه) ، وما ان سنحت الفرصة له للقاء مسؤولين بريطانيين ، حتى استغلها · ففي كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٤ ، اجتمع مع سكوت بوزيرين بريطانيين ، لويد جورج وهربرت صموئيل (وهو اول يهودي يدخل الحكومة البريطانية) ، للبحث في خطط الحركة الصهيونية ومستقبل فلسطين (١٠)· وفي الشهر التالي ، كانون الثاني (يناير) ١٩١٥ ، قدم صموئيل مذكرة الى رئيس وزراء بريطانيا ، اسكويث ، واتبعها بمذكرة مماثلة ، وزعها على باقي الوزراء ، في آذار (مارس) من السنة نفسها ، مقترحا اقامة محمية بريطانية في فلسطين ، يسمح لليهود بالهجرة اليها ، لاقامة مركز ثقافي وروحي لليهودية ، مما ستكون له نتائج حميدة على موقف اليهود في العالم من بريطانيا · واقترح صموئيل ايضا ان يمنح اليهود، الذين يفدون الى البلد، حكما محليا، قد يتطور، مع مرور الوقت، الى دولة تكون موالية لبريطانيا · وحظيت هذه المذكرة ايضا بتأييد السير ادوارد غراي ، وزير الخارجية ، ولويد جورج ، الذي « لم يكن يهتم باليهود ، ولا بماضيهم او مستقبلهم ··· ولكنه كان يخشى وقوع الاماكن المقدسة ··· في قبضة فرنسا الملحدة » · ولكن معارضة رئيس الحكومة للمشروع ادت الى اسقاطه (١١) ـ وكان على الصهيونيين ان ينتظروا اللحظة التي تتطابق فيها اطماعهم في فلسطين مع مخططات الدول الغربية في المنطقة ، التي اخذت في التبلور · ولكن ذلك لم يتم الا بعد مضي فترة غير قصيرة من الوقت ، حدثت خلالها تغييرات سياسية مهمة في موقف الحلفاء من تركيا·

قدم أنضمام تركيا الى الحرب العالمية الاولى ، ضد دول الحلفاء ، مناسبة فريدة من نوعها ، بالنسبة لتلك الدول ، لتحقيق اطماعها في السيطرة على مناطق واسعة ، ذات ميزات استراتيجية واقتصادية كبيرة ، كانت خاضعة للحكم العثماني · وكانت مختلف الدول الغربية تسعى ، قبل نشوب الحرب بفترة طويلة ، الى مد نفوذها على هذه المنطقة او تلك من اراضي الامبراطورية العثمانية ، وضمها اليها اوالتحكم بها ،

ونجحت احيانا في مساعيها هذه ، الا ان معظم محاولاتها منيت بالفشل الى حد ما ، بسبب خوف تلك الدول من بعضها بعضا ٠ وكانت بعض الدول الغربية أيضا قد تدخلت في الماضي ، بسبب المنافسة بينها ، لصالح تركيا ، في اكثر من مناسبة ، ضد دول غربية أخرى ، لمنعها من السيطرة على هذه المنطقة او تلك ، من الاراضي الخاضعة لحكم الامبراطورية العثمانية ، كلما حاولت احداها القيام بذلك ٠

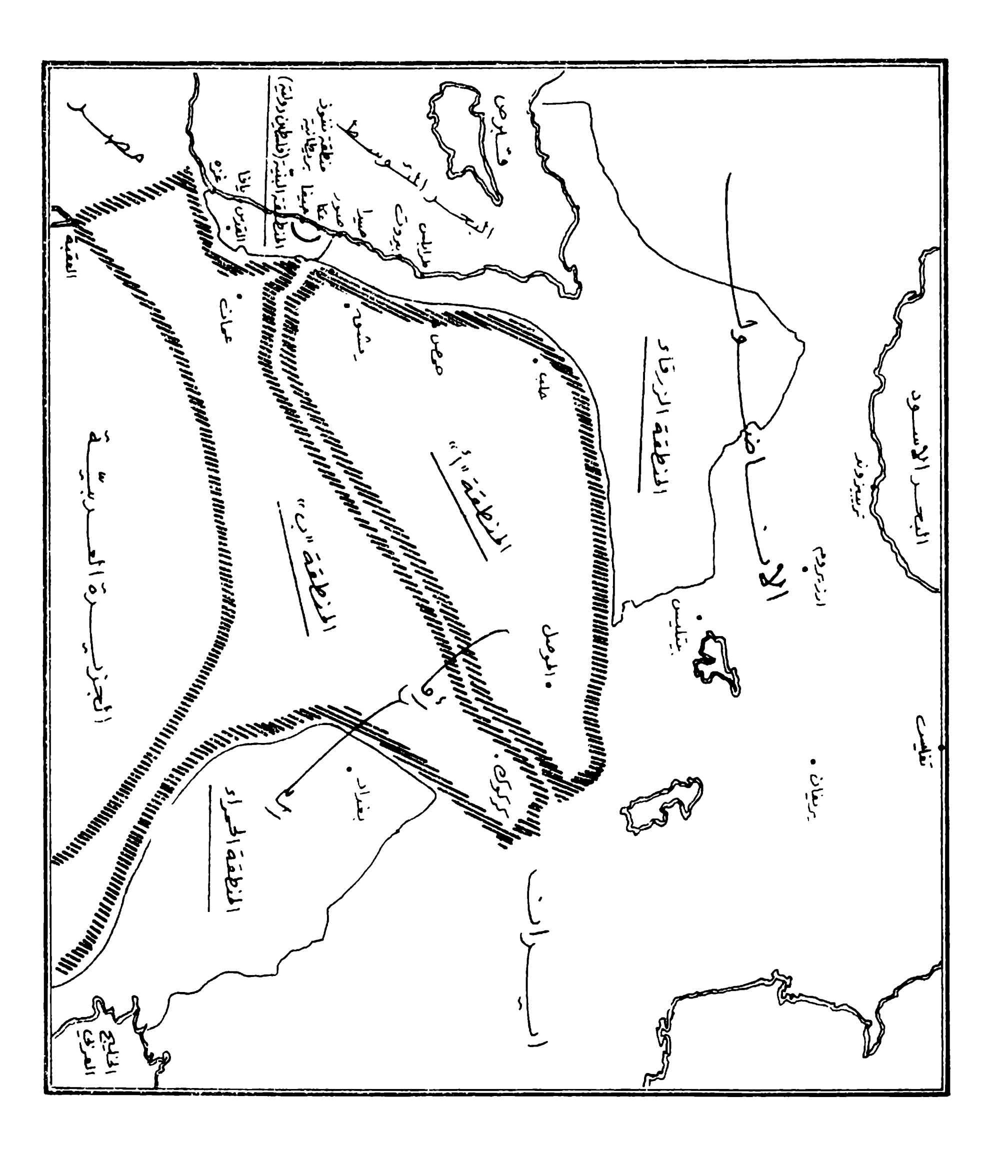
وكانت بريطانيا حتى اواخر القرن التاسع عشر قد استطاعت بسط نفوذها على مصر ، التي كانت خاضعة رسميا للحكم العثماني ، بينما كانت فرنسا تحاول الحصول على مناطق نفوذ مماثلة لها في سوريا الكبرى ٠ لهذا كانت السياسة البريطانية تتجه ، حتى نشوب الحرب ، الى المحافظة على نفوذ بريطانيا في مصر ، لتأمين خطوط المواصلات البريطانية مع الهند ، عن طريق قناة السويس ، من جهة ، ومنع فرنسا وباقي الدول الاوروبية من التغلغل في الامبراطورية العثمانية ، وبالتالي المحافظة على الحكم العثماني في المشرق العربي ، من جهة اخرى ٠ ولكن هذا الوضع تغير بعد ان زالت تلك الصعوبات ، اثر دخول بريطانيا وفرنسا وروسيا الحرب ضد تركيا ، ثم انضمام ايطاليا اليهم في مرحلة لاحقة ، مما مكن هذه الدول من انتهاج سياسة موحدة تجاه تركيا ، والبلدان الخاضعة لسيطرتها ٠

بدأت المفاوضات بين دول الحلفاء الثلاث الاولى ، بريطانيا وفرنسا وروسيا ، لتقرير مصير المناطق الخاضعة للحكم التركي ، خصوصا في المشرق العربي ، في منتصف اذار (مارس) ١٩١٦ ، عندما اتجه ممثل عن بريطانيا ، مارك سايكس ، وآخر عن فرنسا ، جورج بيكو ، الى روسيا ، لاجراء محادثات مع سلطاتها بهذا الشأن (١٢) ٠ ولكن في هذا الوقت نفسه ، وقبل ان تبدأ المفاوضات بين الدول الثلاث ، كانت بريطانيا ، من ناحيتها ، قد اكملت جولة من المفاوضات مع الشريف حسين في مكة ، في محاولة لكسبه الى جانب الحلفاء ، باعتباره ممثلا للعرب، واتخذت خلالها موقفا من مصير مناطق المشرق العربي ، بعد انتهاء الحرب مع تركيا ٠ وكانت تلك المفاوضات قد جاءت على شكل ١٠ رسائل ، تبودلت بين الشريف حسين والسير هنري مكماهون ، المفوض البريطاني في مصر ، كتب الاولى منها الشريف حسين ، بتاريخ ١٤ تموز (يوليو) ١٩١٥ ، والاخيرة السير مكماهون ، بتاريخ ١٠ آذار (مارس) ١٩١٦ (وعرفت هذه الرسائل فيما بعد بأسم مراسلات حسين ـ مكماهون) ٠ وتم الاتفاق بين الشريف حسين ومكماهون ، بموجب هذه المراسلات ، على

ان يعلن الشريف حسين الثورة ضد الاتراك ، ويشن العرب الحرب عليهم ، الى جانب الحلفاء ، وهو ما تم فعلا ، شرط ان تقدم بريطانيا المساعدة للعرب ، وتتعهد بالاعتراف باستقلال المشرق العربي ، بعد انتهاء الحرب ، وتحرير المنطقة من النير التركي ، وعلى ان تحظى بريطانيا بنفوذ اقتصادي وسياسي في المنطقة ، بعد استقلالها . وبعد صدور وعد بلفور ، سنة ١٩١٧ ، واعلان بريطانيا عن نيتها في اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين ، والاجراءات التي اتخذت اثر ذلك ، ثار نقاش واسع ، لا تزال اصداؤه تسمع ، احيانا ، حتى يومنا هذا ، حول ما اذا كانت فلسطين من ضمن المناطق ، التي تعهد البريطانيون بالاعتراف باستقلالها ، بعد الحرب ، او انها استثنيت من تلك التعهدات. وكانت الحكومة البريطانية قد قامت بنشر تلك المراسلات ، رسميا ، في مطلع سنة ١٩٣٩ (١٣) ، عند انعقاد مؤتمر لندن ، الذي دعي العرب واليهود لحضوره ، في محاولة لايجاد حل للقضية الفلسطينية ، خلال المرحلة الاخيرة من الثورة العربية الكبرى (١٩٣٦ ـ ١٩٣٩) التي نشبت في فلسطين ، ثم عينت لجنة خاصة ، مؤلفة من بريطانيين وعرب ، لدراستها . غير ان اللجنة قدمت تقريرا (١٤) اعلنت فيه انها لم تستطع التوصل الى اتفاق بشأن تفسير تلك المراسلات ، او تحديد الالتزامات التي تعهدت بريطانيا بها ، تجاه فلسطين (١٥) .

وعلى كل حال ، ومهما يكن من امر الموقف الذي التزمت بريطانيا به، تجاه فلسطين ، في مراسلات حسين مكماهون ، او غموضه ، فقد كان واضحا للغاية ، انه عندما اتجه سايكس ، مع بيكو ، الى روسيا ، للتفاوض معها بشأن مصير المناطق الخاضعة للحكم العثماني ، ومن ضمنها المشرق العربي ، كانت بريطانيا قد تعهدت بوضوح ، في مراسلات ممثلها مع الشريف حسين ، وبما لا يدع مجالا للشك ، بالاعتراف باستقلال العرب في المشرق . ولكن ذلك لم يمنعها ، من الدخول في مفاوضات مع فرنسا وروسيا حول مصير تلك المناطق ، توصلت الدول الثلاث في نهايتها الى اتفاق مناقض تماما ، في بعض بنوده ، للتعهدات البريطانية بموجب مراسلات حسين ـ مكماهون. وبدا ذلك كأنه حلقة اولى في سلسلة من المؤامرات الامبريالية ، الهادفة الى تقوية سيطرة دول الغرب الاستعمارية على المشرق العربي ، او غيره من المناطق ، في اسيا وافريقيا .

استمرت المفاوضات ، بين بريطانيا وفرنسا وروسيا ، حول مصير البلدان الخاضعة للحكم العثماني في اسيا ، نحو شهرين ، وانتهت في



تقسيم المشرق العربي بين بريطانيا وفرنسا وروسيا وايطاليا
بحسب اتفاقية سايكس ـ بيكو ، ١٩١٦

٩ ايار (مايو) ١٩١٦ بتوقيع اتفاقية بين الدول الثلاث ، عرفت باسم اتفاقية سايكس ـ بيكو ، نسبة الى ممثلي بريطانيا وفرنسا ، اللذين بادرا الى عقدها ، قسمت بموجبها تلك البلدان الى مناطق نفوذ ، خاضعة لتلك الدول ، منفردة او مجتمعة (١٦) · وبموجب هذه الاتفاقية (انظر الخريطة ، ص ٢٧٧) ، خصصت اسطنبول ومضيق البوسفور والاراضي المحيطة بهما ، وكذلك المناطق الارمنية في ترييبزوند وارزيروم وبيتليس ، الواقعة الى جنوب البحر الاسود ، مع اراض اخرى ، تقع في شمال شرق تلك المناطق ، وغير مأهولة بالعرب ، لتكون منطقة نفوذ لروسيا ، التي منحت بريطانيا وفرنسا ، في مقابل ذلك ، حرية التصرف في المناطق الاخرى ، شرط المحافظة على الحقوق الدينية لطائفة الروم الارثوذكس في فلسطين · اما جنوب منطقة الاناضول ، في اسيا الصغرى ، وبلدان المشرق العربي ، فقد قسمت الى خمس مناطق منفصلة ، لكل منها وضعه الخاص · فقد نصت الاتفاقية على ان تقام في المنطقتين «أ» و «ب» دولة ، او اتحاد دول ، عربية مستقلة ، تلتزم بعلاقات تبعية مع فرنسا وبريطانيا ، على التوالي ، وعلى ان تمنح كل من الدولتين حق الاولوية في منح القروض لتلك الدولة ، او الدول ، العربية او تزويدها بالخبراء والموظفين الاجانب ، بينما اخضعت المنطقتان ، الزرقاء والحمراء ، على التوالي ، لحكم فرنسا وبريطانيا المباشر · اما بالنسبة للمنطقة البنية ، التي تضم الجزء الشمالي من فلسطين ، بحدودها أيام الانتداب البريطاني، الواقع بين نهر الاردن شرقا والبحر المتوسط غربا ، ومنطقة الجليل شمالا وخط القدس ـ غزه جنوبا ، فقد تقرر ان يخضع لادارة دولية ، تشكل بعد استشارة روسيا ، وباقي دول الحلفاء وممثلين عن الشريف حسين· وقد جاء هذا الاتفاق بالنسبة لذلك الجزء من فلسطين ، كحل وسط بين موقفي بريطانيا ، التي طالبت باخضاع المنطقة لنفوذها المباشر ، لتأمين سيطرتها على قناة السويس، وفرنسا التي طالبت بضم فلسطين الى المناطق الخاضعة لسيطرتها · ونصت الاتفاقية ايضا على وضع مينائي حيفا وعكا ، في فلسطين ، تحت السيطرة البريطانية (١٧) · وقد عدلت الاتفاقية ، في نيسان (ابريل) ١٩١٧ ، بعد دخول ايطاليا الحرب ، الى جانب الحلفاء ، ومطالبتها بحصتها ، فأعطيت المنطقة الشمالية الغربية من الاناضول · وكان القصد من وراء هذه الاتفاقية ، بلغة بسيطة ، تقسيم بلدان الشرق العربي بين الاستعمارين البريطاني والفرنسي ، للتحكم في مصير اهلها واستغلال خيراتها · ووجدت هذه المطامع تعبيرا عنها ، مع نهاية الحرب ، في اقامة دول عربية عدة ، منفصلة عن بعضها ، في المشرق : العراق وسوريا ولبنان وفلسطين وشرق الاردن · وفي

اواخر سنة ١٩١٧ ، نشر البولشيفيك ، بعد نجـاح ثورتهم في روسيا ، هذه الاتفاقية السرية ، معلنين عدم التزامهم بها ٠

مع استكمال مفاوضات الشريف حسين ـ مكماهون من جهة ، وتوقيع اتفاقية سايكس ـ بيكو ، المناقضة لها ، في اكثر من بند ،من جهة اخرى، خلقت اول عقدة ، في موقف الدول الغربية الكبرى ، من مصير المشرق العربي عامة وفلسطين خاصة ، بعد انتهاء الحرب العالمية ٠ وكانت هذه العقدة ، في البداية ، في غير صالح الصهيونيين ، اذ ان الحكومة البريطانية قطعت المفاوضات معهم ، لمدة سنة كاملة ، بعد ان تبلور التزامها في مراسلات حسين ـ مكماهون ، ووقعت على اتفاقية سايكس ـ بيكو ، لان كلا من المراسلات والاتفاقية ، رغم التناقض فيما بينها ، تتعارض مبدئيا مع الطلبات الصهيونية بشأن فلسطين ٠ ولكن هذا الوضع تغير في الشهر الاخير من سنة ١٩١٦ ، عندما استقالت حكومة اسكويت البريطانية ، وحلت بدلا منها حكومة اخرى ، ترأسها لويد جورج ، وعين بلفور وزيرا للخارجية ٠ وكان هذا التغيير في الحكومة البريطانية ذا مغزى كبير ، بالنسبة للصهيونيين ، اذ حل لويد جورج الذي كان على استعداد للتعامل معهم ، في رئاسة الحكومة ، بدلا من اسكويت المعادي لهم ٠ وكان لويد جورج من المؤيدين للمذكرتين اللتين تقدم بهما هربرت صموئيل الى الحكومة البريطانية ، في النصف الاول من سنة ١٩١٥ ، بشأن الاحتفاظ بالسيطرة البريطانية على فلسطين ، بعد الحرب ، والسماح لليهود بالهجرة اليها ٠ وازداد لويد جورج تمسكا برأيه هذا ، بعد توقيع اتفاقية ساكيس ـ بيكو ، علـه يستطيع بواسطة تأييد طلبات الصهيونيين من جهة ، وحملهم على طلب الحماية البريطانية من جهة اخرى ، التحرر من الالتزامات التي فرضتها بريطانيا على نفسها ، تجاه حلفائها ، بموجب تلك الاتفاقية بشأن فلسطين ، واخضاع البلد ، مع انتهاء الحرب ، لسيطرة بريطانيا وحدها (١٨) ٠

كذلك كان لويد جورج ، من ناحية ثانية ، قد تعرف ، قبيل تعيينه رئيسا للحكومة ، عن كثب الى الدكتور وايزمان ٠ وقد تم ذلك في اوائل سنة ١٩١٦ ، عندما حدث نقص في نوع من المتفجرات ، الضرورية لصناعات حربية معينة ، فاستدعى لويد جورج ، بصفته مسؤولا عن التسليح ، وايزمان ، وذلك بتوصية من سكوت ، محرر مانشستر غارديان ، وكلفه بايجاد طريقة لانتاج ذلك النوع من المتفجرات ، بناء على الطريقة التي استنبطها وايزمان (٢٠) ٠ ويروي لويد جورج في مذكراته عن الحرب ، انه شعر بتقدير عميق لوايزمان ، بعد نجاحه في مهمته ، وانتاج

ذخائر كانت ضرورية للغاية للمجهود الحربي البريطاني ، وابلغه انه سيطلب من السلطات المختصة مكافأة له ، الا ان وايزمان اخبره انه لا يريد مكافأة « لنفسه ، بل لشعبه » • ويمكن الاستنتاج من كلام لويد جورج ، في مذكراته ، عن وايزمان ، ان وعد بلفور جاء ، الى حد ما ، بمثابة مكافأة لوايزمان ، من قبل لويد جورج على الاقل ، بسبب الخدمات التي قدمها للمجهود الحربي البريطاني (٢١) • وبعبارة اخرى ، يمكن القول انه عند تشكيل الحكومة البريطانية الجديدة ، في شهر كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٦ ، برئاسة لويد جورج ، كانت الظروف مناسبة للغاية ، بالنسبة لوايزمان وصحبه ، بسبب المواقف السياسية لرئيس الحكومة الجديد ، المتعاطفة مع الصهيونية من جهة ، وعلاقات الصداقة الحميمة مع وايزمان من جهة اخرى، لاستئناف الاتصالات مع تلك الحكومة بشأن طلبات الصهيونيين • وساعد على الاسراع في اجراء تلك الاتصالات ، التحرك العسكري البريطاني في الشرق الاوسط ، اذ كانت القوات البريطانية ، المرابطة في مصر ، قد قامت في الشهر نفسه ، الذي تشكلت فيه الحكومة البريطانية الجديدة ـ كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٦ ـ بشن هجوم على القوات التركية في شبه جزيرة سيناء ، واحتلت بعض المواقع التركية المتقدمة في الجزء الشمالي الغربي من شبه الجزيرة، وذلك تمهيدا لشن هجوم شامل على فلسطين واحتلالها • وفي اذار (مارس) ١٩١٧ ، هاجمت تلك القوات مدينة غزة ، ولكنها دحرت (٢٢)• ولهذا كان من المناسب الاسراع في الاتصال بالصهيونيين واستغلال نفوذهم ، في محاولة للاستعانة بهم ، والتوصل معهم الى اتفاق قد يساعد البريطانيين على وضع فلسطين تحت نفوذهم وحدهم ، وبعد استبعاد باقي حلفائهم ، بحجة ان السيطرة البريطانية على البلد ، بعد انتهاء الحرب ، ضرورية لتنفيذ طلبات الصهيونيين ، الذين يطالبون بدورهم بان تحكم بريطانيا وحدها فلسطين • وما ان وصلت السلطات البريطانية الى هذا الموقف ، حتى قررت التخلي عن سياستها السابقة، التي كانت تتأرجح بين موقف اللامبالاة تجاه الصهيونية من جهة ، او التفكير في الاعلان عن شبه تأييد لها من جهة اخرى ، واستبدالها بسياسة اخرى ، اساسها التحالف العلني مع الصهيونية ، ومحاولة احتوائها او استغلالها لخدمة مآرب بريطانيا ، في تأمين سيطرتها على فلسطين من ناحية ، وكسب تأييد يهود العالم ، خاصة في روسيا واميركا ، من ناحية اخرى • ولم يمر اكثر من شهرين على تشكيل تلك الحكومة في بريطانيا ، حتى استؤنفت الاتصالات بين ممثليها وبين الصهيونيين •

وكان الصهيونيون خلال هذا الوقت ، قد قاموا ، من ناحيتهم ، بتقديم مذكرة اخرى الى الحكومة البريطانية ، في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٦ ، يشرحون فيها مخططاتهم بالنسبة لفلسطين ، طالبين الاعلان عن البلد وطنا قوميا لليهود ، يحق لهم الهجرة اليه ، من اي مكان في العالم ، والتمتع فيه بحقوق سياسية ، قومية ومدنية ، كاملة ٠ اما الوسيلة لذلك فهي منح امتياز استيطان في البلد لشركة يهودية ،والسماح لليهود الذين يفدون الى هناك بأقامة حكم ذاتي ، والاعتراف باللغة العبرية كلغة رسمية (٢٣) ٠ وكانت هذه المذكرة الاساس الذي انطلق منه سايكس ، عندما ارسل ، في نهاية كانون الثاني (يناير) ١٩١٧ ، في طلب الزعيمين الصهيونيين ، وايزمان وسوكولوف ، واعلمهما ان بريطانيا تنظر بعين العطف الى المساعي الصهيونية ، وتفتش عن طريقة لمساعدة هذه الحركة على تحقيق اهدافها ، وانه ينبغي اجراء مفاوضات بين الطرفين حول ذلك ٠

بدأت المفاوضات الرسمية ، في مرحلتها الجديدة ، بين الصهيونيين والحكومة البريطانية ، في اجتماع عقد في ٧ شباط (فبراير) ١٩١٧، في بيت الحاخام الدكتور موشي غاستر ، رئيس اتحاد الطوائف السفارادية في بريطانيا ٠ وحضر الاجتماع عن الجانب الصهيوني ، بالاضافة الى غاستر ، ٨ اشخاص اخرين ، كان بينهم اللورد روتشيلد ، جيمس روتشيلد ، ابن البارون روتشيلد الفرنسي ، وصموئيل وسوكولوف ووايزمان ، بينما مثل بريطانيا ، « بصفته الخاصة » فقط ، الكولونيل السير مارك سايكس ، عضو مجلس الحرب البريطاني (٢٤) ٠ وخلال الاجتماع ، اعرب معظم الصهيونيين عن معارضهتم لاقامة اي حكم دولي في فلسطين ، ورغبتهم في ان تحكم بريطانيا البلد وحدها ، « لان اليهود ــ على حد تعبير وايزمان ــ في كل انحاء العالم ، يثقون ببريطانيا ، ويعلمون ان القانون والنظام سيسودان في ظل الحكم البريطاني ، الذي لن يتدخل في النشاط الاستيطاني او التطور الثقافي » (٢٥) لليهود هناك ، وذلك بعكس فرنسا ، مثلا ، التي تحاول فرض « الروح الفرنسية » في البلدان الخاضعة لحكمها (٢٦) ٠ واكد وايزمان ايضا ، في هذه الجلسة ، ان اليهود سيهاجرون الى فلسطين « لتأسيس امة يهودية فيها ، ويكونون هناك يهودا مائة بالمائة ، لا عربا او دروزا او بريطانيين » ، وان اي حكم في البلد لن يفرض اية قيود على الهجرة اليهودية اليه (٢٧) ٠ والواضح ان الصهيونيين ، باصرارهم على اقامة حكم بريطاني صرف في فلسطين ، دون اشراك اية قوة من

الحلفاء فيه ، كسبوا ثقة سايكس ، في اول جولاتهم معـه ٠ ورد سايكس، بدوره ، على ما طرح في الاجتماع من طلبات وآراء ، فأوضح ان « فكرة فلسطين اليهودية » تحظى بعطفه التام ، وانه لا يتوقـع صعوبات بسبب اصرار الصهيونيين على استعمال تعبير « القومية اليهودية » ٠ ولكـن المشكلة بالنسبة لفلسطين ، تتعلق بالدول الكبرى ، وخصوصا فرنسا ، التي تصر عـلى الاستيلاء عـلى سوريا ، ومن ضمنها فلسطين ، وانـه (اي سايكس) لا يستطيع ان « يفهم » الفرنسيين ، لاصرارهم على موقفهم هذا (ولـم يكن الزعـماء الصهيونيون عـلى عـلم بوجود اتفاقية سايكس ـ بيكو ، ولم يصل الى مسامعـهم اي خبر بشأنها ، الا في منتصف نيسان ـ ابريل ١٩١٧) (٢٨) ٠واخيرا اقترح سايكس على الزعماء الصهيونيين، بحث هذه المسألة مع الحكومة الفرنسية ٠ ولم يفت سايكس تحذيـر الزعـماء الصهيونيين من الحركة القومية العربية في فلسطين والبلـدان المجاورة لها ، التي قد تقاوم مخططاتهم ، ونصحـهم بمحاولة الوصـول الى اتفاق مع العـرب ، مما قد يسهـل عـملهم في فلسطين (٢٩) ٠

ولم يتحمس وايزمان وسوكولوف كثيرا لفكرة بحث مستقبل فلسطيـن مع الحكومة الفرنسية ، واعـلنا انهما يفضلان ان تقـوم الحكومـة البريطانية بذلك ، خصوصا وانها هي ايضا معـنية بفلسطين يهوديـة ، قد تساعدها على احتواء اي تأثير فرنسي في سوريا ٠ الا ان سايكس اعـلن ان الحكومة البريطانية استطاعـت بصعوبة ، ابقاء مسألة فلسطين معلقة ، في اتصالاتها مع الحكومة الفرنسية ، وكرر طلبه بشأن ضـرورة قيام مندوب عـن الصهيونيين بمقابلة بيكو ، ممثل وزارة الخارجـية الفرنسية ، وشرح المطالب الصهيونية له ٠ وازاء اصرار سايكس عـلى طلبه هذا ، اضطر سوكولوف الى الذهاب لمقابلة بيكو ، الذي كان موجـودا في العاصمة البريطانية بعـد ان قدم سايكس الواحد منهما للاخـر ٠ ولم يكن الفرنسيون من ناحيتهم ، عـلى جهـل بحقيقة الحركـة الصهيونيـة واهدافها ، اذ يروي نورداو ، في احدى مقالاته ، انه كان قد اجتمع سنـة ١٩١٣ بمدير عـام وزارة الخارجية الفرنسية ، بيشون ، وبحث معـه في اوضاع حركته ٠ ويؤكد نورداو ايضا ان بيشون هو الذي اقترح علـى سايكس اقامة اتصالات مع الصهيونيين ، ومحاولة استغلالهم لخدمـة اغراض الحلفاء (٣٠) ٠ واجتمع سوكولوف مع بيكو مرتين ، يومي ٨ و٩ شباط (فبراير) ١٩١٧ ، وحاول في بداية تلك الاجتماعات جس نبـض الحكومة الفرنسية ، لمعـرفة موقفها من المشاريع الصهيونية ، وذلـك بعـد ان ابلغ بيكو ان الحركة الصهيونية تفضل ان تكون فلسطين تحـت

الحكم البريطاني ، بدلا من اي حكم آخر ، بما في ذلك الفرنسي · واجاب بيكو أن المسألة لا تتعلق ببريطانيا وفرنسا وحدهما ، اذ ان هناك ايضا حليفتيهما روسيا وايطاليا ، فرد سوكولوف ان روسيا غير معنية كثيرا بما يحدث في فلسطين ، « وفي ايطاليا اصدقاء للصهيونيين » يستطيعون تدبير المسألة ، ولهذا لم تبق الا بريطانيا وفرنسا · وأجاب بيكو على ذلك ، معلنا انه سيبذل كل ما في وسعه لشرح وجهة النظر الصهيونية للحكومة الفرنسية ، ولكن على اليهود ، الموجودين في الدول المحايدة على الاخص ، ان يظهروا تعاطفهم مع دول الحلفاء ـ مما دفع سوكولوف الى التعليق بقوله انه لو استجاب الحلفاء لطلبات الصهيونيين، لاصبح الامر اكثر سهولة ـ ثم يجب استطلاع وجهة نظر ايطاليا في المسألة ، وعلى الصهيونيين القيام بذلك (٣١) · ولكن وايزمان وسوكولوف قررا ، بعد استشارة سايكس ، التريث ، حتى يتضح الموقف الاميركي ، اذ كان برانديس وليفين يسعيان الى حمل الرئيس ولسون على الاعلان عن تأييده للصهيونية ·

ولكن الصهيونيين لم ينتظروا طويلا ، فلم تمض الا ١٠ ايام على آخر لقاء بين سوكولوف وبيكو في لندن ، في ١٠ آذار (مارس) ١٩١٧ ، حتى كان سوكولوف يتجه الى باريس ، ويعقد اول اجتماع مع بيكو، في العشرين من الشهر نفسه ، لاستكمال مفاوضاتهما · وردا على استفسارات سوكولوف ، اعلن بيكو ، في هذا الاجتماع ، انه ليس لدى الحكومة الفرنسية اي اعتراض على الفكرة الصهيونية ، او مشاريع الصهيونيين في فلسطين ، عدا مسألة الامتياز لاستيطان البلد ، الذي يطالب الصهيونيون بمنحه لشركة يهودية ، اذ لا تستطيع فرنسا الموافقة عليه · كذلك اوضح بيكو ان فرنسا تطالب بمنحها حق حكم فلسطين وحدها ،وانها لن توافق على اشتراك بريطانيا معها ، ولا حتى الولايات المتحدة ، ولكنه اوحى لسوكولوف ، في مقابل ذلك ، ان باستطاعة الصهيونيين الاعتماد على فرنسا (٣٢)، لو احسنوا التصرف معها ، واقترح عليه، مرة اخرى الذهاب الى ايطاليا ، واستطلاع موقف حكومتها · وبهذا العمل ـ هكذا اعتقد بيكو ـ تكون فرنسا ، ان استطاع سوكولوف حمل الايطاليين على تأييد طلبات الصهيونية ، قد ارتاحت من منافسة ايطاليا ، وبقيت امامها بريطانيا وحدها ، لتقاسمها السلطة في فلسطين ، ولن تعدم وسيلة تتخلص بها ، في المستقبل ، من هذه المشاركة · اما بالنسبة لروسيا ، الشريك الرابع في اتفاقية سايكس ـ بيكو فقد بدا واضحا انها راحت تبتعد تدريجيا عن الاهتمام بشؤون المشرق ، بعد ان بدأت الثورة المعادية للحكم القيصري

تنتشر فيهـا ٠

غير ان سوكولوف ، من ناحيته ، لم يستسغ طلب بيكو القيام بمقابلـة المسؤولين الايطاليين ، وابدى لوايزمان استياءه من ذلك ٠ ولكن بعـد استشارة سايكس ، الذي اصر على ان يقوم سوكولوف بتنفيذ المهمة التي طلبها منه بيكو ، سافر سوكولوف الى روما ، في اوائل نيسان (ابريـل) ١٩١٧ ٠ وحتى في روما ، جابه سوكولوف مفاجأة مماثلة ، اذ اصـر المسؤولون في الحكومة الايطالية على ان يقوم بمقابلة البابا، اولا، لاستطلاع رأيه في المشاريع الصهيونية ، حتى يستطيعوا اتخاذ موقفهم ٠ وفي ٤ أيار (مايو) اجتمع سوكولوف مع البابا بنديكت الخامس عشر ، في الفاتيكان وعرض عليه المشاريع الصهيونية ٠ غير ان البابا شدد في حديثه ، بشكل « جعل الرجفة تدخل الى عظام سوكولوف » ، على المحافظة على الاماكن المسيحية المقدسة في فلسطين ، وابدى رأيه في ضرورة عقد معاهدة دوليـة تضمن ذلك ٠ ولما الح سوكولوف على الحصول على « تأييد معنوي » مـن الفاتيكان لمشاريعه ، اجاب البابا : « آمل ان نكون جيرانا طيبين » فـي فلسطين (٣٣) ٠ وبعد مرور ٤ ايام على اجتماعه هذا ، قابل سوكولوف السكرتير الاول لوزارة الخارجية الايطالية ، دي ــ مارتيني ، فأطلعه على نتائج محادثاته مع البابا ، وشرح امامه مبادىء الصهيونية وخططهـا ، طالبا التأييد ٠ ورد دي ــ مارتيني على ذلك بقوله انه يستطيع ان يعلن ، باسم وزير الخارجية ، « ان ايطاليا لن تكون المبادرة في هذا الشأن ، ولكنها ستقدم تأييدا معنويا لطلبات اليهود التاريخية » (٣٤) ٠ وبعد مرور اربعـة ايام اخرى ، اجتمع سوكولوف ايضا برئيس حكومة ايطاليا ، بوزلي ،الذي اعلن انه اطلع على طلبات سوكولوف ، ويسره ان يبدي موافقته عليهـا ، مؤكدا ان حكومته « ستحاول ان تكون مفيدة للصهيونييـن » (٣٥) ٠ وفي نهاية حديثه ، اكد رئيس الحكومة الايطالية على ضرورة المحافظة علـى الاماكن المسيحية المقدمة في فلسطين ، بواسطة اتفاقية دولية تضمن ذلك ، موضحا ان « ايطاليا ستشترك في المفاوضات مع الدول الاخرى ، وتؤيـد الاقتراحات التي قدمها سوكولوف » (٣٦) ، وستبلغ الحكومة الفرنسيـة موقفهـا هـذا ٠

ورجع سوكولوف ، من روما الى باريس ، لاستكمال المفاوضات مـع الحكومة الفرنسية ٠ وكان قبيل ذهابه الى ايطاليا ، قد استطاع اقنـاع البارون روتشيلد بالسعي لدى الحكومة الفرنسية ، بالاشتراك مع زعمـاء يهود آخرين في فرنسا ، وذلك بعد ان ضمن سكوت زعماء الاليانس ، علـى اتخاذ موقف ايجابي واضح من الطلبات الصهيونية ٠ وقد نجح روتشيلد

في مسعاه هذا ، وعندما رجع سوكولوف الى باريس ، واطلع المسؤولين الفرنسيين على نتائج محادثاته مع البابا والمسؤولين الايطاليين ، قرر اولئك الاعلان عن موقفهم ، على شكل رسالة وجهها السكرتير الاول في وزارة الخارجية الفرنسية ، كمبون ، الى سوكولوف ، بتاريخ ٤ حزيران (يونيو) ١٩١٧ · وجاء في هذه الرسالة ، التي كانت بمثابة اول تعهد رسمي يحظى به الصهيونيون ، من احدى دول الحلفاء ، انه « اذا كانت الظروف مناسبة ، واذا اصبح بالامكان تحرير الاماكن المقدسة ، سيكون من العدل ··· ان تؤيد دول الحلفاء بعث الشعب اليهودي في البلد ، الذي نفي منه قبل مئات السنين · ان الحكومة الفرنسية ، التي دخلت هذه الحرب ، لتدافع عن شعب هوجم ظلما ، وهي مستمرة فيها لتأمين انتصار العدل على القوة ، لا تستطيع الا ان تشعر بالعطف على طلباتكم ، التي يتوقف نجاحها على انتصار الحلفاء · ويسعدني ، انه باستطاعتي تقديم تأكيد على ذلك ···» (٣٧)· ولكن السير مارك سايكس كان اكثر سعادة، اذ سرعان ما تسربت نسخة عن هذه الرسالة الى ملفات وزارة الخارجية البريطانية ، لتستعمل عند الضرورة، وتبرز في وجه المسؤولين الفرنسيين، اذا اعلنوا في المستقبل عن معارضتهم للمطالب الصهيونية ، او تبني بريطانيا لها (٣٨) ·

ركز الصهيونيون ، بعد هذه التطورات ، كل ضغوطهم على الحكومة البريطانية ، لحملها على الاعلان عن موقف صريح مؤيد للصهيونية ·ويوم كان سوكولوف يجري مفاوضاته في باريس وروما ، نشط وايزمان في بريطانيا ذاتها ، لكسب تأييد المسؤولين فيها ، فأجتمع في ٢٢ آذار (مارس) ١٩١٧ ، مرة اخرى ، بوزير الخارجية البريطانية ، ارتور جيمس بلفور · وكان وايزمان قد تعرف ، لاول مرة ، على بلفور سنة ١٩٠٦ ، عندما كان الاخير يقوم بجولة انتخابية في مانشستر ، ثم قابله مرة اخرى سنة ١٩١٤· وخلال الاجتماع الاخير ، « كادت الدمعة تفر من عيني بلفور » ، عطفا على مشاريع الصهيونية ودعوتها لتوطين اليهود في فلسطين ، كما عرضها له وايزمان (٣٩) ، وذلك على الرغم من ان بلفور كان رئيسا للحكومة البريطانية التي اصدرت قانون الاجانب لسنة ١٩٠٥ ، بغية تحديد الهجرة اليهودية من روسيا ودول اوروبا الشرقية الى بريطانيا (لكن تلك الحكومة نفسها كانت هي التي قدمت ، من ناحية ثانية ، اقتراح اوغندا للمنظمة الصهيونية العالمية) · وفي نيسان (ابريل) من السنة نفسها ، اجتمع وايزمان ايضا برئيس الحكومة البريطانية ، لويد جورج ، لحثه على الاسراع في اتخاذ موقف علني مؤيد للصهيونية (٤٠) ·

وكان بلفور ، من ناحية ثانية ، قد سافر ، في اواخر نيسان (ابريل) ١٩١٧ ، الى الولايات المتحدة الاميركية ، للبحث في تحسين علاقات حكومتها مع بريطانيا ٠ واثناء وجوده هناك ، اوعز الصهيونيون الى زعيمهم ، القاضي برانديس ، صديق الرئيس الاميركي ولسون ومستشاره ، بمقابلته، فاجتمع به مرتين ، الاولى حال وصول بلفور الى الولايات المتحدة ، في اواخر نيسان (ابريل) ، والثانية في ١٠ ايار (مايو) ٠ واستطاع برانديس خلال هذه الاجتماعات ، كسب ثقة بلفور والتأثير عليه (٤١) ، موحيا له ان استجابة بريطانيا لطلبات الصهيونيين ستحظى بتقدير وشكر اليهود في اميركا (ومن بينهم برانديس نفسه)٠ وفي المقابل سيبذل اولئك مساعيهم الحميدة، لدى الحكومة الاميركية، لحملها علىتوثيق علاقاتها مع بريطانيا وتقديم المساعدات الاقتصادية لها ، وهي المساعدات التي كانت بريطانيا بحاجة ماسة اليها ، خصوصا خلال مرحلة الحسم الاخيرة من الحرب العالمية الاولى، التي بدأت انذاك٠ واستطاع برانديس ايضا التأثير على الرئيس الاميركي ولسون (٤٢) ، وحمله على ابداء تأييده لطلبات الصهيونيين ، امام بلفور ، وتمنياته على الحكومة البريطانية الاستجابة لها ٠ غير ان الرئيس ولسون ، رغم ذلك ، كان يسعى من ناحية ثانية الى انهاء الحرب بعقد صلح مع دول المحور ، المانيا وتركيا ٠ ولتنفيذ خطته هذه ، قرر ولسون ايفاد هنري مورغنتاو ، اليهودي الاصل ، السفير الاميركي السابق لدى تركيا ، على رأس بعثة اميركية ، كان من بين اعضائها ممثلين عن الصهيونيين ايضا ، فيلكس فرانكفورتر ، القاضي في المحكمة العليا الاميركية ، وليفين ـ ابشتاين ، الى جبل طارق ، لاجراء اتصالات مع ممثلين عن دول المحور ٠ وهناك انضم اليهم ممثل فرنسا،فيل، اليهودي الاصل ايضا ٠ ولم تكن بريطانيا او فرنسا او الصهيونيون ، راضين عن خطط ولسون هذه ، لان اجراء صلح دون حسم عسكري ، مع تركيا على الاقل ، قد يؤدي الى استمرار السيطرة التركية على المشرق العربي ، وباقي المناطق الخاضعة للحكم العثماني ، التي كان البريطانيون والفرنسيون والصهيونيون ، يطمعون فيها ٠ ولكنهم لم يستطيعوا ابداء معارضة علنية لمشاريع ولسون هذه ، ورأوا انه من الافضل العمل على افشالها بطريق غير مباشرة ٠ وانتدبت بريطانيا ، لهذه الغاية ، الدكتور وايزمان الذي سافر الى جبل طارق للقاء اعضاء البعثة ، حيث عقد هناك « اجتماعا يهوديا ، كان من المفترض ان يقرر بشأن الصلح المنفرد مع تركيا » (٤٣) ٠ وقد استطاع وايزمان ، خلال اجتماعه مع اعضاء البعثة ، اقناعهم بضرورة التخلي عن مهمتهم والعودة الى بلادهم ، ولكنه ـ على

غير عادته ـ لا يورد شيئا ، في مذكراته ، حول المبررات التي قدمها ،لاقناع الاخرين بوجهة نظره (٤٤) ٠

ومع افشال محاولات عقد الصلح المنفرد مع تركيا ، وعودة بلفور من اميركا ، دخلت المفاوضات بين الصهيونيين والحكومة البريطانية ، حول اصدار تصريح بريطاني يتبنى المطالب الصهيونية ، مرحلة متقدمة ٠ وفي ١٨ تموز (يوليو) ١٩١٧ ، قدم اللورد روتشيلد ، بالنيابة عن المجموعة الصهيونية ، الى بلفور ، بناء على طلبه، مشروع قرار بهذا الشأن ،لعرضه على الحكومة ، طلب بموجبه من بريطانيا ان تعلن عن « قبول مبدأ الاعتراف بفلسطين وطنا قوميا للشعب اليهودي ، وحق هذا الشعب في بناء حياته القومية في البلد » ٠ كذلك طالب مشروع القرار « بمنح القومية اليهودية حق الحكم الذاتي في فلسطين ، وحرية هجرة اليهود اليها ،واقامة شركة استيطان يهودية قومية ، لاعادة تأسيس البلد وتطويره اقتصاديا »، على ان توضع التفاصيل لتنفيذ ذلك مع ممثلي المنظمة الصهيونية (٤٥) ٠ وقبل ان تبحث الحكومة البريطانية هذا الاقتراح ، نشأت مصاعب جديدة، كان سببها معارضة اليهود غير الصهيونيين في بريطانيا ، لاصدار اي تعهد بريطاني يتحدث عن « وطن قومي » لليهود في فلسطين ، موضحين ان اليهودية دين ، وليست شعبا ٠ وكان لهؤلاء اليهود « ممثل » في مجلس الحرب البريطاني ، هو ادوين مونتاغو ، حاكم الهند ، الذي عارض بشدة طلبات الصهيونيين ، معلنا انه « قد قضى حياته كلها في السعي للخروج من الغيتو » (٤٦) ، ولا يريد العودة اليه ثانية ٠ وقبل ان يتقدم مونتاغو باعتراضاته ، كان كل من دافيد الكسندر ، رئيس « لجنة المبعوثين » اليهودية الانكليزية ، وكلود مونطفيوري ، رئيس الجمعية الانكليزية اليهودية ، قد اصدرا بيانا ، في ايار (مايو) ١٩١٧ ، اعلنا فيه تحفظهما من البرنامج الذي تبناه الصهيونيون ، موضحين انهما كانا قد تعاونا مع المنظمات الصهيونية ، في المجال الثقافي ، ولكنهما لا يستطيعان الاستمرار في هذا التعاون ، بسبب الاهداف السياسية التي سعى الصهيونيون اليها٠ وعارض الكسندر ومونطفيوري، في بيانهما، البرنامج الصهيوني في نقطتين اساسيتين ، اولاهما انه لا يجوز اضفاء طابع قومي ـ سياسي على اليهود في فلسطين ، وخلق قومية يهودية علمانية في البلد ، لان اليهود ليسوا الا طائفة دينية ، والثانية انه لا يجوز منح الشركة الاستيطانية ، التي قد يؤسسها الصهيونيون ، امتيازات سياسية واقتصادية ، لان هذا يضر بمبدأ المساواة ، وقد يؤثر على الحقوق المدنية والسياسية التي اكتسبها اليهود في البلدان التي حررتهم (٤٧) ٠

ولم تؤثر الاعتراضات التي تقدم بها مونتاغو والكسندر ومونطفيوري، على اسس السياسة التي قررت الحكومة البريطانية اتباعها تجاه الصهيونيين ، خصوصا بعد ان اضطر الكسندر ومونطفيوري الى الاستقالة من منصبيهما اثر الضجة التي اثارها الصهيونيون ضدهما · ولكن تلك الاعتراضات كانت كافية ، من ناحية ثانية ، لتقليص الالتزامات التي قررت الحكومة تقديمها للصهيونيين، وفرض القيود عليها · ففي ٣ ايلول (سبتمبر) ١٩١٧ ، بحثت الحكومة البريطانية الطلبات الصهيونية ، وقررت مبدئيا الاستجابة لها ، وعرضت على الصهيونيين اصدار تصريح من قبلها ، يتبنى طلباتهم · ولكن الحكومة ادخلت تغييرات جوهرية على مشروع التصريح الذي قدمه الصهيونيون لها ، آخذة بالاعتبار مشاريع تعديل عدة ، قدمت اليها من اشخاص مختلفين (٤٨) ، واقترحت التعهد بتسهيل اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين ، بدلا من اعتبار البلد باكمله وطنا قوميا لليهود ، وعلى ان لايمس ذلك بحقوق الطوائف غير اليهودية في فلسطين ، او بحقوق اليهود المكتسبة في اي مكان خارجها (٤٩) · ولكن بسبب ظروف الحرب ، تأجل الاعلان عن التصريح المقترح (٥٠) ·

ولم يرتح الصهيونيون ، بالطبع ، لتأجيل اعلان التصريح ،واستأنفوا ضغوطهم · وفي ٣ تشرين الاول (اكتوبر) ، قدم وايزمان وروتشيلد مذكرة اخرى الى الحكومة البريطانية (٥١)· أما وايزمان فقد أبرق في التاسع من الشهر نفسه الى براندیس ، ليبلغه « انه من الضروري ليس فقط الحصول على موافقة الرئيس [الاميركي] ··· وتوصياته لاصدار التصريح دون تأخير » ، وانما ينبغي على براندیس نفسه والصهيونيين الاميركيين ،وكذلك بعض اللا ـ صهيونيين البارزين في اميركا ، أعلان تأييدهم ايضا (٥٢) · وكانت هذه هي المرة الثانية ، التي يتصل فيها وايزمان ببرانديس للغاية ذاتها ، اذ كان قد ابرق له ، للمرة الاولى ، في ١٩ ايلول (سبتمبر) ، وابلغه نص مشروعي التصريح ، المقدمين من قبل الصهيونيين والحكومة البريطانية · وكان البريطانيون انفسهم قد اتصلوا ، من ناحيتهم ،بالرئيس الاميركي ، لاستطلاع رأيه ، وذلك في اليوم التالي ـ ٤ ايلول (سبتمبر) ـ لجلسة الحكومة البريطانية ، التي اقرت فيها السياسة المبدئية تجاه الطلبات الصهيونية · ولكن ولسون نسي المذكرة التي قدمها له احد مساعديه حول ذلك ، في جيبه . ولم يجدها الا في ١٣ تشرين الاول (اكتوبر) فأعلن انه يؤيد النص الذي اقترحته الحكومة البريطانية ، وطلب ابلاغها بذلك (٥٣) ، فوصلها الخبر بعد ثلاثة ايام · واعلن ولسون في بيان للشعب الاميركي ، بعد ذلك بمدة قصيرة ، عن موافقته على « ارساء اسس

كومنولث يهودي في فلسطين » (٥٤) ٠

وفي ٣١ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ ، اجتمعت الحكومة البريطانية، واقرت موقفها النهائي من طلبات الصهيونيين ٠ وفي ٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ، اصدر بلفور ، بصفته وزيرا للخارجية ، التصريح التالي (المعروف منذ ذلك الوقت باسم وعد بلفور) ، على شكل رسالة وجهها ، بناء على نصيحة وايزمان ، الى اللورد روتشيلد :

« ان حكومة جلالته تنظر بعين العطف الى تأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين، على ان يفهم بجلاء بأنه لا يؤتى امر من شأنه ان يجحف بالحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية الموجودة الان في فلسطين ، او بالحقوق والاحوال السياسية التي يتمتع بها اليهود في اية بلاد اخرى » ٠

وبعد ان صادقت الحكومة البريطانية على هذا القرار ، خرج سايكس من الجلسة ، واتجه نحو وايزمان ، الذي كان ينتظر بالقرب من مكان الاجتماع ، مبشرا : « دكتور وايزمان ، انه صبي ! » ٠ ويصف وايزمان ردود فعله على هذه البشرى بقوله : « حسنا ـ لم احب هذا الصبي في البداية ٠ انه لم يكن كما توقعت » (٥٥) ٠ والحقيقة ان التصريح لم يصدر بالشكل الذي توقعه الصهيونيون ، الذين كانوا قد طالبوا باعتبار فلسطين كلها وطنا قوميا لليهود ، بينما يتحدث التصريح عن « اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين » ٠ كما كانت الحركة الصهيونية قد طالبت حكومة بريطانيا ببذل كل جهودها ، لتسهيل انشاء هذا الوطن ، بعد بحث الوسائل الضرورية لذلك والتشاور بشأنها مع المنظمة الصهيونية ، ولكن بلفور تحدث ، بدلا من ذلك ، عن « الحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية الموجودة في فلسطين » ٠ وقد جاء وعد بلفور ، بنصه هذا ، نتيجة للاعتبارات العديدة التي وضعتها الحكومة البريطانية نصب عينيها ، عند اصداره ٠ فقد سعت ، من ناحية ، الى كسب تأييد الصهيونيين ، لابعاد النفوذ الفرنسي عن فلسطين ، واستغلال النفوذ اليهودي في العالم ،واساسا في اميركا وبين البولشيفيك في روسيا ، لصالحها خاصة ، ولصالح الحلفاء عامة ، في الفترة الاخيرة ، الحاسمة ، من الحرب العالمية الاولى، ثم منع المانيا من اصدار تصريح مماثل (٥٦) ٠ ولكن الحكومة اضطرت ، من ناحية ثانية، الى مراعاة مواقف اليهود غير الصهيونيين، والاوضاع التي كانت قائمة في فلسطين (٥٧) ٠ ولهذا جاء وعد بلفور ـ على حد تعبير الدكتورة فيرا وايزمان ، زوجة وايزمان ـ « مثل معظم الوثائق الدبلوماسية التي حاولت ارضاء اناس كثيرين ، ولكنها نجحت في ارضاء قليلين منهم فقط ! » (٥٨) ٠ وعلى الرغم من ذلك ، كان هذا التصريح ، على كل حال،

اول اعتراف دولي بالصهيونية « السياسية » ومشاريعها ، بحسب مفهوم هرتسل ، ومتطابقا مع صهيونية وايزمان « المركبة » · وكان وايزمان قد بذل ، من ناحيته ، جهودا كبيرة ، لاقناع المسؤولين البريطانيين ، على اختلاف وجهات نظرهم ، بالمنافع التي ستعود على بلادهم لقاء تبنيهم للحركة الصهيونية ومطالبها ، وهو يتحدث مع كل شخص منهم ـ مثل هرتسل قبله ـ بلغته الخاصة به (٥٩) ·

ويلاحظ ان وعد بلفور يكتفي بالاشارة الى العرب في فلسطين بعبارة « الطوائف غير اليهودية » ، التي حاربت ، بحسب رأي لويد جورج ،رئيس الحكومة البريطانية التي اصدرت وعد بلفور ، « من اجل الاتراك » (٦٠)· وكانت هذه « الطوائف غير اليهودية » تشكل ، يوم اصدار وعد بلفور ، نحو ٩٠٪ من سكان فلسطين ، وتملك معظم اراضيها ، ولذلك لم يكن الحديث عن « عدم الاجحاف » بحقوقها « الدينية والمدنية » ، دون ذكر حقوقها السياسية ، الا بمثابة نذير للمصير الذي اعد لعرب فلسطين في ظروف اقامة الوطن القومي اليهودي · ولا بد من التنويه ايضا الى ان وعد بلفور صدر يوم لم تكن لبريطانيا اي سلطة ، عمليا او قانونيا ، على فلسطين ، ولم تكن تملك بالتالي حق التحدث باسم سكانها العرب ، اواتخاذ اي قرار يتعلق بمصيرهم · ووصف احدهم ، وعن حق ، وعد بلفور بانه « مستند وعدت امة بموجبه ، امة اخرى ، باعطائها بلاد امة ثالثة » (٦١)· ولعل هذا هو السبب الذي منع بريطانيا من نشر وعد بلفور ، رسميا ، في فلسطين حال صدوره ، فلم تقم بذلك الا بعد مرور نحو سنتين ونصف السنة على ذلك التاريخ (٦٢) ·

[٢]

كان عدد اليهود في فلسطين قد وصل ، عشية اندلاع الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤ ، الى نحو ٨٥ الف نسمة · ومع نشوب الحرب ، وجدت فئات عديدة ، من اولئك اليهود ، نفسها في وضع حرج ، لان اعدادا كبيرة منهم ، خصوصا الذين قدموا من روسيا ، اعتبروا مواطني دولة معادية ، كانت في حالة حرب مع تركيا · وكانت تركيا قد قامت ، في ١١ ايلول (سبتمبر) ١٩١٤ ، اي بعد نحو اسبوعين من دخولها الحرب ضد دول الحلفاء ، بالغاء امتيازات نظام الحماية (١) ، التي كان المواطنون الاجانب ، ومن ضمنهم المهاجرون اليهود ، يتمتعون بها · وكان نظام الحماية ، في حينه ، بمثابة قلعة تحصن المستوطنون الصهيونيون وراءها

للتمتع بحقوق استثنائية ، استغلت كثيرا لدعم نفوذهم في فلسطين ، علـى حساب سكانها العرب · وأدى الغاء تلك الامتيازات الى خروج تظاهرات تأييد عربية في يافا والقدس ، قام المتظاهرون في احداها بوضع قبعة ، من ذلك النوع الذي يستعمله المستوطنون الصهيونيون،على رأس كلب ورجموه بالحجارة ، وهم ينشدون « الحماية مثل الصرماية » (الحـذاء) (٢) · كذلك ادت الحرب بين روسيا وتركيا ، الى اغلاق مضيقي الدردنيـل والبوسفور ، وتوقف السفن الروسيـة ، التي كانت تحمـل المساعـدات الاقتصادية والبريد للمستوطنين من عائلاتهم ومنظماتهم في روسيا ، عن المجيء الى فلسطين ، فوجد اولئك انفسهم ، بالاضافـة الى وضعهم السياسي الحرج في البلد ، في اوضاع اقتصادية صعبة ايضا (٣) ·

ولكن قيادة المنظمة الصهيونية العالمية ، التي كانت رئاستها في برلين ،في ذلك الوقت ، لم تعدم وسيلة لايجاد حل لهذه المشاكل ، واستطاعت التأثير على المسؤولين الالمان ، لحملهم على الطلب من حلفائهم الاتراك ، معاملة المستوطنين في فلسطين بالحسنى · واستطاع الدكتور روبين ، مدير «المكتب الفلسطيني» في يافا ، اقناع سفير الولايات المتحدة في اسطنبول ، هنـري مورغنتاو ، بحمل بلاده على التوسط لدى الحكومة العثمانية واقناعها بحل مشكلة المستوطنين من مواطني الدول المعادية لتركيا ، الموجودين فـي فلسطين، بواسطة تقديم خيارين لهم: الحصول على الجنسية العثمانية ، والتمتع بالتالي بكافة الحقوق التي تمنح لحامليها ، وتأدية واجباتهم (بما في ذلك التطوع للجيش التركي) ، او ترك البلـد (٤) · وفي الوقت نفسه . ارسل روبين ، بواسطة مورغنتاو ، نداء استغاثة عاجلا الى المنظمـات اليهودية في الولايات المتحدة ، لمساعدة اليهود في فلسطين (٥) · وبناء على هذا النداء ، اقيمت في اميركا لجنة خاصة لجمع التبرعات ، تراسهاالقاضي برانديس (٦) ، وارسلت اول دفعة من المساعدات المالية للمستوطنين مـع احدى السفن الحربية الاميركية ، « نورث كارولينا » ، التي وصلت الـى فلسطين، في اواخر ١٩١٤ (٧)· وعملت السفينة بعد وصولها الى فلسطين فى تهجير المستوطنين ، الذين رفضوا التقدم بطلبات للحصول على الجنسية التركية ، وفضلوا ترك البلد ، فسافر بواسطتها من فلسطين نحو ١١ الف مستوطن ، خلال سنة ١٩١٥ فقط ، توجه معظمهم الى الاسكندرية في مصر· واستمرت السفينة في القيام بعملها هذا ، حتى اواخر سنة ١٩١٦ ، عندما توقفت عن المجيء الى فلسطين ، بسبب حرب الغواصات التي اشتـدت حينذاك (٨) ـ فتوقفت المساعدات الاقتصادية من يهود اميركا ايضا · ولكن روبين ، الذي كان قد نفي من فلسطين الى تركيا ، في اواخر ايلـول

(سبتمبر) ١٩١٦ ، استطاع ، اثناء وجوده هناك ، اقامة علاقات دائمة مع رئاسة المنظمة الصهيونية العالمية في برلين ، التي امنت بواسطته استمرار ارسال المساعدات المالية لليهود في فلسطين (٩) ٠ وعمل روبين ايضا ، اثناء وجوده في اسطنبول ، بواسطة السفارة الالمانية في المدينة ،على تخفيف حدةالاجراءات المعادية لليهود، التي كان جمالباشا، القائد التركي قد اتخذها ضدهم في فلسطين (١٠)٠ وكان الالمان، في ذلك الوقت، يضغطون على السلطات العثمانية، لحملها على اتخاذ موقف ودي تجاه اليهود عامة، لتحييد نشاط دول الحلفاء في هذا المجال ، فاضطر الاتراك لتقديم تعهدات « غير واضحة » ، لبعثة يهودية ، كان روبين عضوا فيها (١١) ، شبيهة بتلك التي كانت حكومة بريطانيا تقدمها للصهيونيين ، قبل اصدار وعد بلفور ٠

ونتيجة لهذا النشاط السياسي ، واستمرار المساعدات الاقتصادية ، كانت اوضاع اليهود في فلسطين ، خلال الحرب العالمية الاولى ، احسن على وجه العموم من اوضاع باقي السكان ٠ وكان المستوطنون الصهيونيون انفسهم قد اتخذوا ، خلال الحرب ، عددا من الاجراءات الكفيلة بتخفيف ضائقتهم ، مثل اعادة توزيع العمل المتوفر لديهم ، بحسب حاجات كل فئة منهم ، وانشاء الجمعيات التعاونية الاستهلاكية ٠ وكان من اشهر تلك الجمعيات ، « هامشبير » ، التي اقيمت اصلا لشراء الحبوب الغذائية من منتجيها ، ثم بيعها للافراد بسعر الكلفة (١٢) ٠ وكبرت هذه الجمعية ، مع مرور الوقت ، واصبحت من اكبر الجمعيات التعاونية الاستهلاكية بيناليهود في فلسطين ٠ ولم تخل فترة الحرب من نشاط استيطاني ايضا ، اذ قام اعضاء هاشومير ، سنة ١٩١٦ ، بتأسيس مستوطنة جديدة في اقصى شمال فلسطين ، بالقرب من المطلة ، اطلقوا عليها اسم كفار غلعادي ، فوصل بذلك عدد المستوطنات الصهيونية ، التي كانت قائمة في فلسطين ، عشية اصدار وعد بلفور ، الى ٤١ مستوطنة (١٣) ٠ وعلى الرغم من ذلك، استمرت الهجرة اليهودية من فلسطين الى خارجها ، خلال فترة الحرب كلها ، واسفرت عن نزوح نحو ٣٠ الف مستوطن صهيوني من البلد ، التي وصل عدد السكان اليهود فيها ، مع نهاية الحرب ، الى نحو ٥٦ الفنسمة، بدلا من ٨٥ الفا ، عند بدايتها (١٤) ٠ ونال اليهود ايضا في فلسطين نصيبهم من سياسة الاضطهاد ، التي انتهجها جمال باشا في سوريا الكبرى ، الذي طارد العناصر القومية العربية في المناطق الخاضعة لحكمه ، واعدم شنقا، يوم ٦ أيار (مايو) ١٩١٦ ، ٢١ زعيما عربيا في بيروت ودمشق ، بينهم ثلاثة من الفلسطينيين ، واتخذ اجراءات قمعية عديدة للمحافظة على

السيطرة التركية على المشرق العربي · واستمرارا لهذه السياسة ، قامت السلطات العثمانية في فلسطين ، بحظر النشاط الصهيوني في البلد ، وامرت بحل كل المنظمات اليهودية ، العاملة فيه ، صهيونية كانت او غير صهيونية (١٥) · وقام جمال باشا بنفي عدد من الزعماء الصهيونيين البارزين من فلسطين، خصوصا اولئك الذين حضروا المؤتمرات الصهيونية، وكان من بينهم دافيد بن ـ غوريون ويتسحاق بن ـ تسفي ، زعيما حزب بوعالي تسيون ، والحاخام فيشمان ، ويوسف اهرونوفيتش ، محرر مجلة « هابوعيل هاتسعير » ، ويسرائيل شوحاط ، مؤسس منظمة هاشومير ، ويهوشواع حنكين ، احد كبار العاملين في شراء الاراضي · وفي مرحلة لاحقة ، نفي ايضا الدكتور روبين ، والبرت عنتيبي ، « صديق » جمال باشا (١٦) ·

وكانت الاجراءات التركية المضادة لليهود في فلسطين قد اشتدت ، بشكل خاص ، في اواخر سنة ١٩١٧ ، عندما اكتشفت السلطات شبكة تجسس ، كانت تعمل بين يهود فلسطين لصالح بريطانيا ، اطلقت على نفسها اسم نيلي (١٧) · وكان رئيس هذه الشبكة ، اهرون اهرونسون ، مدير محطة التجارب الزراعية في عتليت ، على شاطىء البحر المتوسط ، من المقربين في حينه ، الى جمال باشا ، فعينه رئيسا لهيئة مكافحة الجراد ، الذي غزا فلسطين وجوارها خلال سني الحرب (١٨) · غير ان اهرونسون ترك فلسطين في صيف ١٩١٦، واتصل بالبريطانيين، الذين نقلوه الى مقر قيادة قواتهم في مصر ، ليتولى عملية التنسيق بينهم وبين شبكته ، التي تجدد الاتصال بها في مطلع سنة ١٩١٧· وكلفت الشبكة بجمع المعلومات العسكرية والسياسية وغيرها ، التي قد تفيد المجهود العسكري البريطاني ، وذلك بعد ان وصل عدد المنضمين اليها الى نحو ٤٠ شخصا · وفي اواخر سنة ١٩١٧ اعتقل الاتراك بعض افراد الشبكة ، الذين افضوا بمعلومات كشفت امرهم، ففرضت القوات التركية حصارا حول بعض المستوطنات اليهودية ، ونكلت بسكانها ، واعتقلت اعدادا كبيرة منهم ، واعدمت بعض قادة نيلي (١٩) · وزاد من حدة الاجراءات التي اتخذت ضد سكان المستوطنات اليهود ، الاضطراب الذي ساد في صفوف القوات التركية، مع بدء الهجوم البريطاني، من سيناء ، على جنوب فلسطين ·

غير ان نيلي كشفت ، من ناحية ثانية ، خلافا عميقا بين المستوطنين الصهيونيين في فلسطين ، حول الخط السياسي الذي ينبغي عليهم اتباعه خلال الحرب ، والمراهنة على انتصار الحلفاء او تركيا ، وبالتالي وضع مسألة الوجود اليهودي في فلسطين في الميزان · وقد احتدم الخلاف ، بشكل

حاد ، بين هاشومير ، التي كانت تنادي بالتعاون مع الاتراك ، من جهة ، وبين نيلي ، التي وقفت الى جانب البريطانيين من جهة اخرى · وكان اعضاء هاشومير قد حاولوا قتل يوسف ليشانسكي ، زعيم نيلي في فلسطين (٢٠) ، اثر انفضاح امر الشبكة ، خشية من ان يقع في ايدي الاتراك ، الذين اعتقلوه واعدموه فيما بعد ، فينكلوا بالمستوطنين بسببه · وابدى معظم زعماء المستوطنين في فلسطين تحفظهم من نيلي ، ومعارضتهم لنشاطها ، خوفا من النتائج الوخيمة التي قد تترتب على ذلك · وكانت نيلي قد استطاعت ، اثناء فترة نشاطها ، كشف خطة التحصينات والدفاعات التركية في جنوب فلسطين ، ونقلها الى البريطانيين ، ما اثار الهلع لدى زعماء المستوطنين في البلد، خوفا من ان يوقع الاتراك باليیشوف ما ارتكبوه بحق الارمن من مذابح · ولكن كان لهذا الخلاف ناحية اخرى ايضا ، عقائدية · فقد كان « جماعة نيلي من ابناء المستوطنات [الموشافوت] ، وهاشومير من الهجرة الثانية · وجماعة الهجرة الثانية يعتبرون ابناء المستوطنات يهودا مستغلين ، اصحاب املاك يستخدمون العرب ، وغرباء عن الجماهير اليهودية في المهجر · اما ابناء المستوطنات فقد اعتبرواجماعة الهجرة الثانية ، لاجئين من التجنيد [في روسيا] ، دخلوا البلد حديثا، ويريدون تلقين القدماء ، اصحاب الخبرة ، دروسا » (٢١) · واستمرت اصداء هذا الخلاف ، على كل حال ، نحو ٦٠ سنة ، كان اسم نيلي خلالها يرفق « باللعنة » عند ذكره من قبل المستوطنين الصهيونيين في فلسطين او زعمائهم · ولم يعاد لهذه المنظمة « اعتبارها » الا في اواخر سنة ١٩٦٧ ، عندما قلد رئيس اسرائيل ، اخت ساره اهرونسون ، احدى زعيمات نيلي التي انتحرت في السجن ، بعد القاء القبض عليها ، وساما ، بالنيابة عن اختها · ومن ناحية ثانية ، كشفت تجربة نيلي ، واستعداد زعماء اليیشوف في فلسطين حتى لتسليم اعضاء الشبكة ، التي كانت تناوئهم سياسيا وتنظيميا ، الى السلطات العثمانية ، المدى الذي يمكن ان يصل اليه اولئك الزعماء ، بسبب عصبيتهم التنظيمية من جهة ، وسعيهم الى الاحتفاظ بنفوذهم داخل اليیشوف من جهة اخرى· وبدا ذلك كأنه مقدمة للعلاقات التي سادت بين مختلف الاحزاب او المنظمات الصهيونية العسكرية في فلسطين ، ايام الانتداب ·

ولم يتوقف الخلاف في وجهات النظر ، بين الفئات والقيادات الصهيونية المختلفة ، داخل فلسطين وخارجها ، بشأن الموقف من الدول المشتركة في الحرب العالمية ، عند هذا الحد · ففي الوقت الذي قررت فيه القيادة الصهيونية الرسمية ، في كوبنهاغن ، المحافظة على الحياد بين المعسكرين

المتصارعين ، عمل وايزمان وصحبه ، في بريطانيا ، على استصدار وعد بلفور، بينما اتخذ بعض اليهود في فلسطين موقفاً مغايراً للموقفين السابقين فانضموا الى الجيش التركي ، من خلال اقتناعهم ان واجبهم يفرض عليهم الدفاع عن الامبراطورية العثمانية • وكانت بعض الفئات ، بين المستوطنين اليهود في فلسطين ، قد تحمست في حينه للقرار الذي اصدرته السلطات العثمانية ، بعد نشوب الحرب ، واعلنت بموجبه انها ستمنح الجنسية العثمانية لكل مستوطن يتقدم بطلب للحصول عليها ، فقامت بحملة دعاية واسعة ، لحث اكبر عدد ممكن من اليهود، حاملي الجنسيات الاجنبية ،على القيام بذلك• ثم زادت من حماسها فراحت تسعى الى اقامة كتائب يهودية في الجيش التركي • ولم يسفر هذا النشاط ، على كل حال ، عن انشاء اية قوة يهودية تابعة للجيش التركي ، ولكنه كان كافيا ، من ناحية ثانية ، الى دفع بضع عشرات من اليهود في فلسطين ، معظمهم من طلاب المدارس الثانوية ، الى التطوع في الجيش (٢٢) • وقد خرج من بين اولئك المتطوعين فيما بعد ، اثنان من كبار زعماء الهاغاناه في فلسطين ، ايام الانتداب ، الياهو غولومب ، ودوف هوز (٢٣) •

ولكن المساعي لاقامة قوات عسكرية يهودية، التي لم تنجح في فلسطين، نجحت في اماكن اخرى • فبعد نشوب الحرب العالمية الاولى ، ترك الاف من اليهود فلسطين ، كما اشرنا ، واتجهوا الى مصر ، حيث حددت السلطات البريطانية اقامة اكثريتهم في الاسكندرية • وقد طالب عدد من اولئك اليهود بالانضمام الى الجيش البريطاني • وتزعم هذه الحركة يوسف ترومبلدور، وهو ضابط يهودي في الجيش الروسي سابقا ، هاجر الى فلسطين سنة ١٩١٢ ، وخرج منها الى مصر ، مع الدفعات الاولى من اليهود الذين تركوا البلد ، في اواخر سنة ١٩١٤ • وانضم الى ترومبلدور في مطلبه هذا ، فلاديمير جابوتينسكي ، الذي حضر الى مصر ، في ذلك الوقت ، بصفته صحفيا • وحاول الاثنان اقناع قيادة القوات البريطانية ، بتجنيد عدد من اللاجئين اليهود في البلد ، الا ان طلبهم هذا رفض ، واقترح عليهم ، بدلامن ذلك اقامة كتائب يهودية تعمل في النقل والمواصلات ، فرفض جابوتينسكي وغادر البلد ، ليحاول تنفيذ خطته هذه في اماكن اخرى ، اما ترومبلدور فقد وافق • وفي اوائل سنة ١٩١٥، انشأت قيادة القوات البريطانية في مصر ما اسمته «كتيبة سائقي البغال الصهيونية» (Zion Mule Corps)، التي انضم اليها نحو ٦٥٠ متطوعا يهوديا• وفي منتصف نيسان (ابريل) ١٩١٥، نقلت هذه الكتيبة الى غاليبولي ، فعملت في نقل الذخائر والمؤن للقوات البريطانية، التي هاجمت المنطقة • وبعد فشل الهجوم، اعيدت الكتيبة الى

الاسكندرية ، وهناك حلت في اواخر سنة ١٩١٥ (٢٤) ٠ غير ان نحو ١٥٠ من المتطوعين انضموا الى الجيش البريطاني ، واصبحوا النواة للفيلق اليهودي (Jewish Legion) ، الذي اقيم سنة ١٩١٧ ٠

وجاءت اقامة الفيلق اليهودي ، في الجيش البريطاني ، الى حد ما،نتيجة لنشاط جابوتينسكي (٢٥) ، الذي توجه الى بريطانيا ، بعد ان ترك مصر،عن طريق اوروبا ، وقام بالدعاية لاقامة كتائب يهودية ، في كل مكان زاره ٠وبعد وصول جابوتينسكي الى بريطانيا، تبعه ترومبلدور، ثم الكولونيل بيترسون قائد كتيبة سائقي البغال ، لمساعدته في دعايته ٠ وقد حظي الثلاثة بتأييد وايزمان ويوسف كووين ، رئيس اتحاد صهيونيي بريطانيا ، لمساعيهم هذه٠ ولكن الحكومة البريطانية امتنعت عن الاستجابة لطلباتهم ، ولم تغير موقفها الا في اوائل شهر آب (اغسطس) ١٩١٧ ، بعد ان كانت قد وضعت الخطط النهائية لمهاجمة فلسطين واحتلالها ، فاصدرت انذاك امرا باقامة اول كتيبة في الفيلق اليهودي (٢٦) ، التي كان من المفروض ان تشترك ، بحسب تخطيط الصهيونيين على الاقل ، مع الجيش البريطاني في احتلال فلسطين٠ غير ان هذه الكتيبة، الاولى، لم تقم بأي نشاط من هذا النوع ، اذ لم يمض اكثر من شهرين على الاعلان عن تأسيسها ، حتى شن الجيش البريطاني، على حدود فلسطين الجنوبية ، هجوما بالمدفعية على مدينة غزة ، في ٢٠ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ ، كان تغطية للهجوم الرئيسي الذي شن يوم ٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٧ على المنطقة الواقعة بين غزة وبئرالسبع٠ وانتهى هذا الهجوم يوم ٩ كانون الاول (ديسمبر) بدخول الجيش البريطاني الى مدينة القدس ٠

وفي ١١ كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٧ ، اي بعد مرور ٤٠ يوما على اصدار وعد بلفور ، دخل الجنرال اللنبي ، قائد القوات البريطانية ، الى مدينة القدس ـ وبدأت مرحلة جديدة في تاريخ فلسطين ، والصهيونية ٠

المراجــع

بالعبريــة

ابن ـ شوشان ، تسفي ـ « **تولدوت تنوعات هابوعاليم بايرتس ـ يسرائيل** » ، (« تاريخ حركة العمال ارض ـ اسرائيل ») ، تل ابيب : عام عوفيد ، ١٩٦٣ (٣ اجــزاء) .

أحاد هعام ـ « **كل كتفي احاد هعام ـ عل برشات دراخيم** » ، (« مؤلفات أحاد هعام الكاملة ـ على مفترق الطرق ») ، تل ابيب : دفير ، ١٩٦٥ .

آساف ، ميخائيل ـ « **هاياحاسيم بين يهوديم فيعرفيم بايرتس ـ يسرائيل** ، ١٨٦٠ ـ ١٩٤٨ » ، (« العلاقات بين اليهود والعرب في ارض ـ اسرائيل، ١٨٦٠ ـ ١٩٤٨»)، تل ابيب : تربوت فيحينوخ ، ١٩٧٠ .

اسكولي ، اهرون زئيف ـ « **هاتنوعوت هامشيحيوت بيسرائيل** » ، (« الحركات المسيائية بين اليهود ») ، القدس : مؤسسة بياليك ، ١٩٥٦ (جزءان) .

أشبل ، ع . (رئيس التحرير) ـ «**شيشيم شنــوت هاخشارات هاييشوف** » ، (« ستون سنة لشركة تطوير اراضي فلسطين ») ، القدس : شركة تطوير اراضي فلسطين ، ١٩٧٠ .

اطينغر ، شموئيل ـ « **تولدوت عام يسرائيل بعيت هيحاداشاه** » ، (« تاريخ اليهود في العصر الحديث ») ، تل ابيب : دفير ، ١٩٦٩ .

اهرونوفيتش ، يوسف ـ « **هاعام فيهآرتس** » ، (« الشعب والبلد ») ، تل ابيب : تربوت فيحينوخ ، ١٩٧٠ .

اوفير ، يهوشواع ـ « **سيفر هاعوفيد هليئومي** » ، (« كتاب العامل القومي ») ، تل ابيب : اللجنة القومية لنقابة العمال القوميين ، ١٩٥٩ .

بار ـ ايلان (برلين) ، الحاخام مئير ـ « **ميفوليزين عاد يروشلايم**» ، (« من فوليزين الى القدس ») ، تل ابيب : لجنة اصدار مؤلفات مئير بــار ـ ايلان ، ١٩٧١ (جزءان) .

باين ، الكس ـ « **تيودور هرتسل ـ بيوغرافيا** » ، (« تيودور هرتسل ـ سيــرة حياته ») ، الجزء العاشر (والاخير) من « **كتفي هرتسل** » ، (« مؤلفات هرتسل »)، القدس : المكتبة الصهيونية ونيومان ، ١٩٦١ .

باين ، الكس ـ «**تولدوت هاتيشفوت هاتسيونيت** » ، (« تاريخ الاستيطـــان الصهيوني ») ، رامات غان : مساده ، ١٩٧٠ ٠

براسلافسكي ، موشي ـ «**تنوعات هابوعاليم هايرتس ـ يسرائيليت** » ، (« حركة العمال في ارض ـ اسرائيل »)، تل ابيب : هاكيبوتس هاميئوحاد، ١٩٦٦ (٤ اجزاء)٠

بروخوف ، بير ـ « **كتافيم** » ، (« المؤلفات ») ، تل ابيب : هاكيبوتس هاميئوحاد وسفريات بوعاليم ، ١٩٥٥ (٣ اجزاء) ٠

بلوي ، عمرام ـ « **عل حوموتيخ ، يروشلايم** » ، (« على اسوارك ، يا قدس ») ، بني براك : نيتساح ، ١٩٦٧ ٠

بن ـ تسفي ، يتسحاق ـ « **ايرتس ـ يسرائيل فيشوفاه بيمـــي هاشيلطـــون هاعوتوماني** » ، (« ارض ـ اسرائيل ومستوطنيها ايام الحكم العثماني ») ، القدس: مؤسسة بياليك ، ١٩٦٣ ٠

بن ـ ساسون ، حاييم هيليل ـ « **تولدوت عام يسرائيل بيمي هابينايم** » ، (« تاريخ اليهود في العصور الوسطي ») ، تل ابيب : دفير ، ١٩٦٩ ٠

بن ـ ساسون ، حاييم هيليل ـ « **براكيم بتولدوت هايهوديم بيمي هابينايـم** » ، (« فصول في تاريخ اليهود في العصور الوسطى ») ، تل ابيب : عام عوفيد ، ١٩٦٩٠

بن ـ ساسون ، حاييم هيليل (رئيس التحرير) ـ «**تولدوت عام يسرائيل بيمـي كيدم** » ، (« تاريخ اليهود في العصور القديمة ») ، تل ابيب : دفير ، ١٩٦٩ ٠

بن ـ غوريون ، دافيد ـ «**زخرونوت** » ، (« مذكرات ») ، تل ابيب : عام عوفيد ، ١٩٧١ (الجزء الاول) ٠

بن ـ نحمان ، الحاخام موشي (رمبان) ـ « **كتفي رمبان** » ، (« مؤلفات الحاخام موشي بن ـ نحمان ») ، القدس : مؤسسة الحاخام كوك ، ١٩٦٣ (جزءان) ٠

بودنهايمر ، هنرييتا ـ «**تولدوت تخنيت بازل** » ، (« تاريخ برنامـج بـازل ») ، القدس : رؤوفين ماس ، ١٩٤٧ ٠

بينسكر ، ليو ـ «**اوتوايمنسيباتسياه** » ، (« التحرير الذاتي ») ، الترجمة العبرية لاحاد هعام ، كما اوردها شموئيل يفنيئيلي في « **فترة هوى صهيون** » ، الجزء الثاني، ص ٣ ـ ٢١ ٠

تسيدون ، آشر ـ «**بيت هنفحاريم** » ، (« مجلس النواب ») ، القدس : آحيأساف، ١٩٧١ (الطبعة السادسة) ٠

التوراة ، العهـد القديم ٠

دوفنوف ، شمعون ـ «**ديفري يامي عام عولام** » ، (« تاريخ اليهود ») ، تل ابيب : دفير ، ١٩٦٩ ٠

دينور ، بن ـ تسيون ـ « **بنيامين زئيف هرتسل** » ، (« بنيامين زئيف هرتسل »)، رامات غان : مساده ، ١٩٦٨ ٠

روبين ، آرتور ـ «**بركي حياي** » ، (« فصول حياتي ») ، تل ابيب : عام عوفيد ، ١٩٦٨ (٣ اجزاء) ٠

روزنهايم ، يعقوب ـ «**كتافيم** » (« مؤلفات ») ، القدس : منظمة اغودات يسرائيل العالمية ، ١٩٧٠ (الجزء الاول) ٠

روتشيلد ، مئير مناحم ـ «**هيحالوكاه** » ، (« التقسيم ») ، القدس : رؤوفين ماس، ١٩٦٩ ٠

ريفلين ، حاييم ـ «**معلات هآرتس ـ ايرتس ـ يسرائيل ببيروش هارمبان لتوراه**»، (« مزايا البلد، ارض ـ اسرائيل في تفسير الحاخام موشي بن ـ نحمان للتوراة »)، القدس : المنظمة الصهيونية العالمية ، ١٩٦٩ ٠

زهافي ، تسفي ـ «**ميهيحاتام سوفير عاد هرتسل** » ـ (« من هيحاتام سوفير حتى هرتسل ») ، القدس : المكتبة الصهيونية ، ١٩٦٧ ٠

سلوتسكي ، يهودا ـ «**مفوا لتولدوت تنوعات هاعفوداه هايسرائيليت** » ، (« مقدمة لتاريخ حركة العمل الاسرائيلية ») ، تل ابيب : عام عوفيد ، ١٩٧٣ ٠

سلوتسكي، يهودا ـ «**هاعيتونوت هايهوديت ـ روسيت بميئاه هاتشاع ـ عيسريه**»، (« الصحافة اليهودية ـ الروسية في القرن التاسع عشر ») ، القدس : مؤسسة بياليك، ١٩٧٠ ٠

سمولينسكين ، بيرتس ـ « **بيرتس سمولينسكين ـ مفحار ماماراف** » ، (« بيرتس سمولينسكين ـ مختارات من مقالاته ») ، تل ابيب : شرافراك ، بدون تاريخ ٠

سميلانسكي ، موشي ـ « **براكيم بتولدوت هاييشوف** » ، (« فصول في تاريخ الييشوف ») ، تل ابيب : دفير ، ١٩٥٩ (جزءان) ٠

سوكولوف ، فلوريان ـ « **آفي ، ناحوم سوكولوف** » ، (« والدي ، ناحوم سوكولوف ») ، القدس : المكتبة الصهيونية ، ١٩٧٠ ٠

سوكولوف ، ناحوم ـ « **هاتسوفيه لبيت يسرائيل** » ، (« المتطلع نحو بيتاسرائيل») القدس : المكتبة الصهيونية ، ١٩٦١ ٠

سيركين ، ماري ـ « **آفي ، نحمان سيركين** » ، (« والدي ، نحمان سيركين ») ، القدس : المكتبة الصهيونية ، ١٩٧٠ ٠

شابيرا ، يوسف ـ « **ميئاه شناه مكفيه يسرائيل** » ، («مائة سنة لمكفيه يسرائيل»)، تل ابيب : تربوت فيحينوخ ، ١٩٧٠ ٠

شرشفسكي ، بن ـ تسيون ـ «**ديني مشبحاه** » ، (« قوانين العائلة ») ، القدس ٠ رؤوفين ماس ، ١٩٧١ ٠

شفايد ، اليعيزر ـ « **هاياحيد ، عولامو شل ٠أ د٠ غوردون** » ، (« الوحيد ، عالم أ٠ د٠ غوردون ») ، تل ابيب : عام عوفيد ، ١٩٧٠ ٠

شموئيلي ، موشي ـ « **تولدوت هاتسيونوت فيتنوعات هعفوداه** » ، (« تاريخ الصهيونية وحركة العمل ») ، تل ابيب : تربوت فيحينوخ ، ١٩٦١ (الجزءان الاول والثانـي) ٠

« الصهيونية » ـ « **هاتسيونوت ، ميئاسيف لتولدوت هاتنوعـاه هاتسيونيت فيهاييشوف هايهودي بايرتس ـ يسرائيل** » ، (« الصهيونية ، مجموعة لتاريخ الحركة الصهيونية والييشوف اليهودي في ارض ـ اسرائيل ») ، (رئيس التحرير : دانيئيل كاربي) ، تل ابيب : جامعة تل ابيب وهاكيبوتس هاميئوحـاد ، ١٩٧٠ ـ ١٩٧٣ (٣ اجزاء) ٠

طوطكوفر ، آرييه ـ « **عام فيعولامو** » ، (« شعب وعالمه ») ، القدس : م٠ نيومان، ١٩٦٣ ٠

طلمون ، يعقوب ـ « **بعيدان هآليموت** » ، (« في عصر العنف ») ، تل ابيب : عام عوفيد ، ١٩٧٥ ٠

طوكتشينسكي ، نيسان اهرون ـ « **هآرتس لغفولوتيها ، يروشلايم بتمونـوت** » ، (« البلاد بحسب حدودها ، القدس في صور ») ، القدس ، ١٩٧٠ ٠

« عودة صهيون » ـ « **شيفات تسيون** » ، (رئيس التحرير : بن ـ تسيون دينور ـ دينبورغ) ، القدس : المكتبة الصهيونية ، ١٩٥٠ ـ ١٩٥٦ (٤ اجزاء) ٠

غات ، بن ـ تسيون ـ « **هاييشوف هايهودي بايرتس ـ يسرائيل بشنوت هتـر ـ هترما** » ، (« الييشوف اليهودي في ارض ـ اسرائيل خلال سنوات ١٨٤٠ ـ ١٨٨١»)، القدس : مجلس امناء الكلية العبرية ، ١٩٦٣ ٠

غرينباوم ، يتسحاق ـ « **هاتنوعاه هاتسيونيت** » ، (« الحركة الصهيونيـة ») ، القدس : المنظمة الصهيونية العالمية ورؤوفين ماس ، ١٩٥٦ (٤ اجزاء) ٠

غوردون ، اهرون دافيد ـ « **هآوماه فيهاعفوداه** » ، (« الامة والعمل ») ، القدس: المكتبة الصهيونية ، ١٩٥٢ ٠

غورني ، يوسف ـ « **براكيم نفحاريم بتكوفات هاعلياه هاشنياه** » ، (« فصـول مختارة من فترة الهجرة الثانية ») ، تل ابيب : جامعة تل ابيب ، ١٩٦٧ ٠

فالخ ، يهودا ـ « **اطلس كرتا لتولدوت ايرتس يسرائيل** » ، (« اطلس كرتا لتاريخ ارض ـ اسرائيل ») ، القدس : كرتا ، ١٩٧٢ ٠

فيتكين ، يوسف ـ « **كتفي يوسف فيتكين** » ، (« مؤلفات يوسف فيتكين ») ، تـل ابيب : عام عوفيد ، ١٩٦١ ٠

فيدرفوش ، شمعون (رئيس التحرير) ـ « **هيحاسيدوت فيتسيون** » ،(«الحسيدوت

وصهيون ») ، القدس ونيويورك : مؤسسة الحاخام كوك وموريا ، ١٩٦٣ ٠

كاتس ، بن ـ تسيون ـ « **ربنــوت ، حسيدوت ، هسكلاه** » ، (« حاخــامية ، حسيدوت وهسكلاه ») ، تل ابيب : اتحاد الكتاب اليهود ودفير ، ١٩٥٦ (جزءان)

كاليشر ، الحاخام تسفي هيرش ـ « **دريشات تسيون** » ، (« البحث عن صهيون»)، القدس : مؤسسة الحاخام كوك ، ١٩٦٤ ٠

« كتاب اوسيشكين » ـ « **سيفر اوسيشكين** » ، القدس : لجنة كتاب اوسيشكين ، ١٩٣٤ ٠

« كتاب تاريخ الهاغاناه » ـ « **سيفر تولدوت هاهاغاناه** » ، (رئيس التحرير : بن ـ تسيون دينور ـ دينبورغ)، تل ابيب : معرخوت، ١٩٥٤، الكتاب الاول (جزءان)٠

« كتاب المؤتمر » [الصهيوني الاول] ـ «**سيفر هاكونغرس** » ، (رئيس التحرير: ليف يافيه) ، القدس : الوكالة اليهودية ، ١٩٥٠ ٠

« كتاب هاشومير » ـ « **سيفر هاشومير** » ، (رئيس التحرير : يتسحاق بــن ـ تسفي) ، تل ابيب : دفير ، ١٩٥٧ ٠

« كتاب الهجرة الثانية » ـ « **سيفر هاعلياه هاشنياه** » ، (رئيسة التحريـر : براخاه حاباس) ، تل ابيب : عام عوفيد ، ١٩٤٧ ٠

كريسل ، غيتسل ـ « **فرانز اوبينهايمر** » ، (« فرانز اوبينهايمر ») ، تــل ابيب : يافنة ، ١٩٧٢ ٠

كلاوزنر ، يوسف ـ « **منيحي هايسود شل مدينات يسرائيل** » ، (« مؤسسو دولة اسرائيل ») ، القدس : آحيأساف ، ١٩٥٥ ٠

كلويزنر ، يسرائيل ـ « **هاتنوعاه لتسيون بروسيا** » ، (« الحركة الصهيونية فــي روسيا ») ، الجزء الاول : « **بيهيتعورير عام** » ، (« عندمــا يستيقظ الشعب ») ، والجزءان الثاني والثالث : « **ميكاتوفيتش عاد بازل** »، (« من كاتوفيتش الى بازل»)، القدس : المكتبة الصهيونية ، ١٩٦٢ ٠

كلويرنز ، يسرائيل ـ « **حيفات تسيون برومانيا** »، (« هواة صهيون في رومانيا »)، القدس : المكتبة الصهيونية ، ١٩٥٨ ٠

كوهين ، اهرون ـ « **يسرائيل فيهاعولام هاعرفي** »، (« اسرائيل والعالم العربي»)، تل ابيب : سفريات بوعاليم ، ١٩٦٤ ٠

كوهين ، يوناه ـ « **براكيم بتولدوت هاتنوعاه هادتيت هاليئوميت** » ، (« فصول في تاريخ الحركة الدينية القومية ») ، تل ابيب : الحزب الديني القومي ، ١٩٧٣ ٠

كويفمان ، يحزكيئيل ـ « **تولدوت هاايموناه هايسرائيليت** » ، (« تاريخ العقيــدة اليهودية ») ، تل ابيب : مؤسسة بياليك ودفير ، ١٩٧٢ (٤ اجزاء) ٠

لادور (ليدرمان) يتسحاق ـ « **هيتيشفوتينو بارتس ، ١٨٧٠ ـ ١٩٥٢ ، تولدوتيها**

فيتسوروتيها » ، (« استطاننا في البلد ، ١٨٧٠ ــ ١٩٥٢ ، تاريخه واشكاله ») ، تل ابيب : اوفك ، ١٩٥٢ ٠

ليستشنسكي ، يعقوب ــ « **هاتفوتساه هايهوديت** » ، (« التشتت اليهـودي ») القدس : مؤسسة بياليك ، ١٩٦٠ ٠

ليفنه ، اليعيزر ــ « **نيلي ــ تولدوتيها شل هيعازاه مدينيت** » ، (« نيلي ــ تاريخ جرأة سياسية ») ، تل ابيب : شوكن ، ١٩٦١ ٠

«محاضر المؤتمر الصهيوني ٠٠»، « **هابروتوكول شل هاكونغرس هاتسيوني** ٠٠٠» ــ « ٠٠٠ **هـــاريشـــون** » ، (« ٠٠٠ الاول ») ، القدس : رؤوفين ماس ، ١٩٤٦ ــ و« ٠٠٠ **هايود ــ طيط** » ، (« ٠٠٠ التاسع عشر ») ، القدس : الوكالة اليهوديـة ، ١٩٣٧ ٠

مدزيني ، موشي ــ « **هامدينيوت هاتسيونيت** » ، (« السياسة الصهيونيـــة ») ، القدس : شختر ، ١٩٣٤ ٠

مرحاف ، بيرتس ــ « **تولدوت تنوعات هابوعاليم بايرتس يسرائيل** » ، (« تاريخ حركة العمال في ارض ــ اسرائيل ») ، تل ابيب : سفريات بوعاليم ، ١٩٦٧ ٠

مرحفياه ، حن ــ ميلخ ــ « **عام فيموليدت** »، (« شعب ووطن ») ، القدس : هليفي، ١٩٤٨ ٠

ملاخي ، اليعيزر رفائيل ــ « **براكيم بتولدوت هاييشوف هاياشان** » ، (« فصول في تاريخ الييشوف القديم ») ، تل ابيب : جامعة تل ابيـــب وهاكيبوتس هاميئوحاد ، ١٩٧١ ٠

ميئور ، يتسحاق ــ « **هاتنوعاه هاتسيونيت بروسيا** » ، (« الحركة الصهيونية في روسيا ») ، القدس : المكتبة الصهيونية ، ١٩٧٤ ٠

ميلشتاين ، اورى ــ « **بيدام فيايش ، يهودا** » ، (« بالدم والنار ، يهودا ») ، تل ابيب : ليفين ــ ابشتاين ، ١٩٧٣ ٠

« الموسوعة العبرية » ــ « **هانتسيكلوبيدياه هاعفريت** » ، القدس وتـــل ابيب ، ١٩٥٧ (المجلد السادس) ٠

ناخون ، ش ٠١ ــ « **موشي مونطفيوري** » ، (« موشي مونطفيوري ») ، تل ابيب : دفير ، ١٩٦٩ ٠

« نبوءة التوراة وصهيون » ــ « **حازون توراه فيتسيون** » ، (« رئيس التحريـر : شمعون فيدرفوش) ، نيويورك : موريا ، ١٩٦٠ ٠

نورداو ماكس ــ « **كتفي نورداو** » ، (« مؤلفات نورداو ») ، القدس : المكتبـــة الصهيونية ، ١٩٥٤ (٤ اجزاء) ٠

نوروك ، مردخاي ــ « **فعيدات تسيوني روسيا بمينسك** » ، (« مؤتمـر صهيونـي

روسيا في مينيسك »)، القدس : المكتبة الصهيونية ، ١٩٦٣ ·

هايمان ، ميخائيل ـ « **هاتنوعاه هاتسيونيت فيهاتوخنيوت ليبشوف ارام نهرايم بتكوفاه شيليآحار هرتسل** » ، (« الحركة الصهيونية ومشاريع استيطان ما بين النهرين في فترة ما بعد هرتسل ») ، تل ابيب : جامعة تل ابيب ، ١٩٦٥ ·

هرتسل ، تيودور (بنيامين زئيف) ـ « **كتفي هرتسل** » ، (« مؤلفات هرتسل »)، الجزء الاول : « **مدينات هايهوديم** »، « **التنويلاند** » ، (« دولة اليهود » ، « البلاد القديمة ـ الجديدة ») والاجزاء الثاني والثالث والرابع : «**هايومان**» ، («اليوميات») والجزءان السابع والثامن : « **بفني عام فيعولام** » ، (« امام الشعب والعالم ») والجزء العاشر : من تأليف الكس باين ، « **هرتسل ـ بيوغرافيا** » ، (« هرتسل ـ سيرة حياته ») ، القدس : المكتبة الصهيونية ، ١٩٦٠ ـ ١٩٦١ ·

هلبرين ، يحيئيل ـ « **هامهبيخاه هايهوديت** » ، (« الثورة اليهودية ») ، تل ابيب: عام عوفيد ، ١٩٦١ (جزءان)

« الوقائع الاسرائيلية » ـ « **رشوموت** » (الجريدة الرسمية الاسرائيلية) ·

يافيه ، هيليل ـ « **دور معفيليم** » ، (« جيل من المهاجرين ») ، القدس : المكتبة الصهيونية ، ١٩٧١ ·

يرديني ، غاليه ـ « **هاعيتونوت هاعفريت بايرتس ـ يسرائيل** » ، (« الصحافة العبرية في ارض ـ اسرائيل ») ، تل ابيب : جامعة تل ابيب وهاكيبوتس هاميئوحاد، ١٩٦٩ ·

يفنيئيلي ، شموئيل ـ « **تكوفات حيبات تسيون** » ، (« فترة هوى صهيون ») ، القدس وتل ابيب : مؤسسة بياليك ودفير ، ١٩٦١ (جزءان)·

بالانكليزية

كتب :

Antonius, George ; *The Arab Awakening* , London : Hamish Hamilton , 1961 .

A Survey of Palestine ; Prepared in December 1945 and January 1946 for the information of the Anglo-American Committee of Inquiry , Government Printer , Palestine . 3 Vols.

Avnery , Uri *; Israel Without Zionists ,* New York : Macmillan , 1968 .

Chaim Weizman , A Biography by Several Hands , London : Weidenfeld and Nicholson , 1962 .

El Kodsy , Ahmed ; Lobel , Eli ; *The Arab World and Israel* , New York : Monthly Review Press , 1970 .

Encyclopaedia Judaica , New York : The Macmillan Company , 1971 . .

Herzl , *Diaries ... ; The Complete Diaries of Theodor Herzl* , Edited by Raphael Patai , New York and London : The Herzl Press and Thomas Yoseloff , 1960. 5 Vols.

Herzl , Theodor ; *The Jewish State , An Attempt at a Modern Solution of the Jewish Question* (Translated by Sylvie D'Avigdor), London : Central Office of the Zionist Organization , 1934 .

Herzl , Theodor ; *Old - New Land* (« Altneuland ») , (Translated by Lotta Levinshon) , New York : Bloch Publishing Company and Herzl Press , 1960 .

Hess , Moses ; *Rome and Jerusalem* , New York : Bloch Publishing Company , 1945 .

Hyamson , Albert ; *The British Consulate in Jerusalem* , London: The Jewish Historical Society of England , 1939-1941 . 2 Vols.

Keren Kayemet Leisrael ; *Report on the Legal Structure , Activities , Assets , Income and Liabilities of Keren Kayemet Leisrael* , Jerusalem , 1963.

Khalidi , Walid (Ed.) ; *From Haven to Conquest* , Beirut : The Institute for Palestine Studies , 1971 .

Laqueur , Walter ; *A History of Zionism* , London : Weidenfeld and Nicholson , 1972.

Leon , Abram ; *The Jewish Question ; A Marxist Interpretation,* New York : Pathfinder Press , Inc . 1970 .

Lloyd George , David ; *The Truth About The Peace Treaties* , London : Victor Gollanez Ltd . , 1938 . 2 Vols .

Lloyd George , David ; *War Memoirs* , London : Odhams Press Ltd . , 1938 . 2 Vols .

Marmorstein , Emile ; *Heaven at Bay , The Jewish Kulturkamph in the Holy Land* , London : Oxford Univesity Press , 1969.

Marx , Karl , Frederick Engles ; *Collected Works* , Moscow : Progress Publishers , 1975 . Vol . 3 (1843 - 1844) .

Mendelshon , Erza ; *Class Struggle in the Pale ; The Formative Years of the Jewish Workers Movement in Tzarist Russia* , London Cambridge University Press , 1970 .

Samuel , Viscount ; *Memoirs* , London : The Creeset Press , 1945 .

Schechtman , Joseph B . ; *Rebel and Statesman , The Vladimir Jabotinsky Story* , London and New York : Thomas Yoseloff , 1961 .

Smith , Gary V . (Ed.) ; *Zionism The Dream and the Reality — A Jewish Critique* , New York : Barnes and Noble Books , 1974 .

Sokolow , Nahum ; *A History of Zionism , 1600-1918* , London: Longmans , Green And Co . , 1919 . 2 Vols .

Stein , Leonard ; *The Balfour Declaration* , London : Vallentine , Mitchell and Co. , 1961.

Sykes , Cristopher ; *Crossroads to Israel* , London : Collins , 1965 .

Talmon , J.L. ; *Israel Among the Nations* , London : Weidenfeld and Nicholson , 1970.

Weizmann , Chaim ; *Trial and Error* , London : East and West Library , 1950 .

Weizmann , Vera ; *The Impossible Takes Longer* , London : Hamish Hamilton , 1967 .

تقارير ومقالات :

Great Britain , *Parliamentary Papers , 1939 , Command 5957 :* Correspondence Between Sir Henry McMahon , His Majesty's High Commissioner at Cairo , and The Sherif Hussein of Mecca , July 1915 - March 1916 .

Great Britain . *Parliamentary Papers , 1939 , Command 5974 :* Report of a Committee Set up to Consider Certain Corresp-

ondence Between Sir Henry McMahon and the Sherif of Mecca in 1915 and 1916 .

Mandel , Neville ; Attempts at an Arab - Zionist Entente , 1913-1914 , *Middle Eastern Studies* , Vol . 1 , No . 3 , April 1965 .

Mandel , Neville ; Ottoman Policy and Restrictions on Jewish Settlement in Palestine , 1881-1908 , *Middle Estern Studies* , Vol. 10 , No. 3 , October 1973.

Mandel , Neville ; Ottoman Practice as Regards Jewish Settlement in Palestine , 1881-1908 , *Middle Eastern Studies* , Vol. 11, No. 1 , January 1975 .

Ro'i , Yacov ; The Zionist Attitutde to the Arabs , 1908-1914, *Middle Eastern Studies* , Vol . 4 , No . 3 , April 1968 .

Ussishkin , Anne ; The Jewish Colonisation Association and a Rothschild in Palestine , *Middle Eastern Studies* , Vol . 9 , No. 3 , October 1973 .

المصادر

التوطئة

(ص ١٣ ـ ٧٠)

[١]

(١) اطينغر ، ص ١٣ ·

(٢) دوفنوف ، ص ٣٨٩ ـ ٣٩٠ ·

(٣) بن ـ ساسون ، « تاريخ ··· » ، ص ٢٤٣ ـ ٢٤٥ و ٢٦٧ ـ ٢٦٩ ، ودوفنوف ص ٤٠٥ ـ ٤٠٧ و ٥١٦ ـ ٥١٧ ·

(٤) دوفنوف ، ص ٤٠١ ·

(٥) هلبرين ، ص ١٤٥ ·

(٦) بن ـ ساسون ، « تاريخ ··· » ، ص ٢٥٥ ·

(٧) دوفنوف ، ص ٤٢٠ و ٤٢٢ و ٤٩٧ ـ ٤٩٨ ·

(٨) المصدر نفسه ، ص ٥٠٥ ·

(٩) المصدر نفسه ، ص ٤٤٠ ـ ٤٤٤ و ٥١٨ ـ ٥١٩ ·

(١٠) بن ـ ساسون ، « تاريخ ··· » ، ص ٨٦ و ٢٥٦ ·

(١١) دوفنوف ، ص ٤٤٤ ـ ٤٤٦ و ٥٠٨ ـ ٥١٠ ·

(١٢) المصدر نفسه ، ص ٤٤٦ ـ ٤٥١ و ٥١٩ ـ ٥٢١ واطينغر ، ص ٢٤ ·

(١٣) دوفنوف ، ص ٤٢٦ ـ ٤٣٤ ·

(١٤) المصدر نفسه ، ص ٤٣٦ ـ ٤٣٩ و ٤٧٢ و ٤٧٥ ـ ٤٧٧ ·

(١٥) المصدر نفسه ، ص ٤٣٢ و ٤٨٨ ـ ٤٨٩ ·

[٢]

(١) شموئيل سفراي ، « فترة المشناه والتلمود » في : بــن ـ ساسون (رئيس التحرير) ، ص ٢٢٧ ـ ٢٢٩ ٠

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٦٤ ـ ٣٦٥ ٠

(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٤٢ ـ ٣٤٣ ٠

(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٠٦ ـ ٣١٠ ٠

(٥) بن ـ ساسون ، « تاريخ ٠٠٠ » ، ص ٢٦٢ و ٢٦٦ ٠

(٦) المصدر نفسه ، ص ٢٦٧ ٠

(٧) دوفنوف ، ص ٣٩٦ ٠

(٨) هلبرين ، ص ١٣٣ ٠

(٩) اسكولي ، الجزء الاول ، ص ١٥ ـ ١٧ و ٧٩ ـ ٨٣ و ٩٢ ـ ١٠٣ ٠ وانظر ايضا كويفمان ، الجزء الثالث ص ٦٩٠ ـ ٦٩١ ٠

(١٠) انظر ايضا كويفمان ، الجزء الثالث ، ص ٦٢٦ ـ ٦٥٦ ٠

(١١) دوفنوف ، ص ٣٩٧ ٠

(١٢) المصدر نفسه ، ص ٣٩٨ ـ ٣٩٩ ٠

(١٣) بن ـ ساسون ، « تاريخ ٠٠٠ » ، ص ٢٩٧ ـ ٣٠٣ ٠

(١٤) كاتس ، الجزء الثاني ، ص ٨٢ ـ ٨٤ ٠

(١٥) دوفنوف ، ص ٤٨٢ ـ ٤٨٤ ٠

(١٦) المصدر نفسه ، ص ٥٠٢ ـ ٥٠٤ ٠

(١٧) كاتس ، الجزء الاول ، ص ٢١٧ ـ ٢٢٠ ٠

(١٨) المصدر نفسه ، ص ٢٢٠ ـ ٢٢٩ ٠ .

(١٩) دوفنوف ، ص ٥٠٦ ٠

(٢٠) المصدر نفسه ٠

(٢١) هلبرين ، الجزء الاول ، ص ١٣١ ٠

(٢٢) دوفنوف ، ص ٤٠٨ و ٤٣٨ ٠

(٢٣) انظر عرض المجموعة في كاتس ، الجزء الاول ، ص ٢٤٨ ـ ٢٦٦ ·

(٢٤) انظر ايضا دوفنوف ، ص ٥٧٩ ـ ٥٨٤ ·

[٣]

(١) دوفنوف ، ص ٥٣٨ ـ ٥٤٠ ·

(٢) اطينغر ، ص ٨٦ ·

(٣) انظر ، للتفاصيل ، دوفنوف ، ص ٥٤٢ ـ ٥٤٦ ·

(٤) المصدر نفسه ، ص ٥٤٨ ·

(٥) المصدر نفسه ، ص ٥٥٠ و ٦١٤ و ٦٤٢ ·

(٦) المصدر نفسه ، ص ٦٤٥ ـ ٦٤٦ ·

(٧) اطينغر ، ص ٤٦ ·

(٨) المصدر نفسه ، ص ٤٧ ·

(٩) دوفنوف ، ص ٦١٥ ـ ٦١٧ و ٦٤٤ ·

(١٠) المصدر نفسه ، ص ٥٥٢ و ٥٧٥ ـ ٥٧٦ و ٦٢١ ـ ٦٢٢ ·

(١١) المصدر نفسه ، ص ٥٣٢ و ٥٥٨ ـ ٥٦١ و ٥٩٠ ـ ٥٩٤ و ٦٢٥ ـ ٦٢٧ ·

(١٢) هلبرين ، ص ١٥٠ و ١٦٤ ·

(١٣) اطينغر ، ص ١١٥ ·

(١٤) دوفنوف ، ص ٥٥٤ ـ ٥٥٦ · وانظر ايضا . Laqueur , pp. 3-39

(١٥) دوفنوف ، ص ٦١٤ ·

(١٦) اطينغر ، ص ٧٦ ـ ٨٥ ، وانظر ايضا هلبرين ، ص ١٤٥ ـ ١٥٣ ·

(١٧) اطينغر ، ص ٢٥ ـ ٢٧ ·

(١٨) بن ـ ساسون ، « فصول ··· » ، ص ٦٥ ـ ٧٣ ·

(١٩) دوفنوف ، ص ٦١٢ ـ ٦١٤ و ٦٤١ ـ ٦٤٢ ·

(٢٠) المصدر نفسه ، ص ٦٤٢ ·

(٢١) اطينغر ، ص ٢١٤ ·

(٢٢) المصدر نفسه ، ص ٢١٢ ·

[٤]

(١) ليستشنسكي ، ص ٨٩ ٠

(٢) فالخ ، ص ١٢ ، خارطة ٣ والمصادر المذكـــورة هناك ٠ وانظر ايضـــا ليستشنسكي ، ص ١٤٦ و ١٤٨ و ١٥١ و ١٥٨ و ١٦٠ ، وكذلك اطينغر ، ص ٧٦ و ٧٨ ـ ٧٩ و ١٤٧ ـ ١٤٨ و ١٥٠ ـ ١٥١ ٠

(٣) دوفنوف ، ص ٥٦٥ ٠

(٤) *Encyclopaedia Judaica* , Vol. 13 , p. 26

(٥) ليستشنسكي ، ص ٩٠ ٠

(٦) اطينغر ، ص ٤٥ ـ ٤٦ و ودوفنوف ، ص ٥٦٦ ـ ٥٦٩ ٠

(٧) دوفنوف ، ص ٥٩٧ ـ ٦٠٢ و ٦٣٠ ـ ٦٣٥ ، واطينغر ، ص ١٠٠ ـ ١٠٨ ٠

(٨) دوفنوف ، ص ٦٤٦ ـ ٦٤٨ و ٦٨٧ ـ ٦٨٩ ٠

(٩) المصدر نفسه ، ص ٥٧١ ـ ٥٧٤ ٠ وانظر ايضا هلبرين ، ص ١٨٢ ٠

(١٠) هلبرين ، ص ١٦١ ٠

(١١) دوفنوف ، ص ٦١٠ ٠

(١٢) هلبرين ، ص ١٦٢ ٠

(١٣) ليستشنسكي ، ص ١٢٧ ٠

(١٤) دوفنوف، ص ٦١٠ ٠ وانظر ايضا كاتس، الجزء الثاني ، ص ٢٠٨ ـ ٢١٣٠

(١٥) سلوتسكي ، « الصحافة اليهودية ٠٠٠ » ، ص ٢٦ ٠

(١٦) ليستشنسكي ، ص ١٢٦ ٠

(١٧) سلوتسكي ، « مقدمة ٠٠٠ » ، ص ٣٣ ـ ٤٢ ٠

(١٨) ليستشنسكي ، ص ١٠٢ ٠

(١٩) المصدر نفسه ، ص ١٠١ ٠

(٢٠) المصدر نفسه ، ص ١٠٩ ٠

(٢١) سلوتسكي ، « الصحافة اليهودية ٠٠٠» ، ص ٢٣ ـ ٢٥ ٠

(٢٢) المصدر نفسه ، ص ٢٧ ٠ وانظر ايضا ليستشنسكي ، ص ١١٩ ٠

(٢٣) ليستشنسكي ، ص ١٢٤ ·

(٢٤) المصدر نفسه ، ص ١٢٩ ·

(٢٥) المصدر نفسه ، ص ١٣٠ ·

(٢٦) المصدر نفسه ، ص ١٣١ ·

(٢٧) المصدر نفسه ، ص ١٤٦ ·

(٢٨) دوفنوف ، ص ٦٣٦ ـ ٦٣٧ ·

(٢٩) سلوتسكي ، « الصحافة اليهودية ··· » ، ص ٣٧ ـ ٥٥ ·

(٣٠) Getzel Kressel *in Encyclopaedia Judaica* , Vol. 1 , pp. 193-219.

(٣١) انظر ايضا دوفنوف ، ص ٦٣٨ ـ ٦٤٠ ، واطينغر ، ص ١٣٣ ـ ١٣٤ ·

(٣٢) انظر ، للتفاصيل ، Mendelsohn, pp. 1-26.
وانظر ايضا Leon, pp. 159-224.

(٣٣) المصدر نفسه · وانظر ايضا اطينغر ، ص ٣٢ ·

(٣٤) فالخ، ص ١٢ ، وليستشنسكي ، ص ١٤٦ و١٤٨ و ١٥١ و١٦٠، واطينغر، ص ٧٦ و٧٨ ـ ٧٩ و١٤٧ ـ ١٤٨ و١٥٠ ـ ١٥١ ، و
Encyclopaedia Judaica , Vol. 5 , p. 1493-1502

(٣٥) اطينغر ، ص ٧٦ و٧٨ ـ ٧٩ و١٤٧ ـ ١٤٨ و١٥٠ و١٥١ ·

[٥]

(١) انظر ايضا طرطكوفر ، ص ١٤٢ ـ ١٤٧ ·

(٢) « عودة صهيون » ، الجزء الاول ، ص ٢٠ ·

(٣) اطينغر ، ص ١٥٨ ·

(٤)

(٥) طلمون ، ص ٢٣٧ ـ ٢٣٩ ·

(٦) Eli Lodel in *Ahmed EL Kodsy* ..., p. 100

(٧) اطينغر ، ص ٨٢ ـ ٨٤ ·

(٨) المصدر نفسه ، ص ٩٢ ـ ٩٣ و١٦٠ ·

(٩) انظر ، للتفاصيل ، طلمون ، ص ١٨٣ ـ ٢٦٤ ٠

(١٠) اطينغر ، ص ٣٣ ـ ٣٤ و١٥٨ و١٦٢ ٠

(١١) دوفنوف ، ص ٦٥١ ٠

(١٢) المصدر نفسه ، ص ٦٥٣ ٠

(١٣) المصدر نفسه ، ص ٦٥٤ ـ ٦٥٥ ٠

(١٤) اطينغر ، ص ٢٦٤ ـ ٢٦٥ ٠

(١٥) المصدر نفسه ، ص ١٦٣ ـ ١٦٥ ، ودوفنوف ، ص ٦٥٨ ـ ٦٦٠ ٠

(١٦) دوفنوف ، ص ٦٨٣ ـ ٦٨٥ ٠

(١٧) Marris R. Cohen in *Gary V . Smith (Ed.)* , pp. 50-51 .

[٦]

(١) ٠أ ٠ي ٠ برافر في « الموسوعة العبرية » ، المجلد السادس ، ص ٢ ٠

(٢) التوراة ، سفر التكوين ١٥ : ١٨ ٠

(٣) المصدر نفسه ، ٣:٢٣ ٠

(٤) سفر الخروج ٣١:٢٣ ٠

(٥) سفر التثنية ١ : ٧ ٠

(٦) المصدر نفسه ١١ : ٢٤ ٠

(٧)سفر يشوع ٤:١ ٠

(٨) برافر ، ص ٢٧ ـ ٣١ ، وكويفمان ، الجزء الاول ، ص ١٩٠ ـ ١٩٤ ٠ وانظر ايضا طوكتشينسكي ، ص ٤٦ ـ ٤٧ ٠

(٩) كويفمان ، الجزء الاول ، ص ١٩٠ ـ ١٩١ ٠

(١٠) التوراة ، سفر الخروج ٢٩:٢٣ ـ ٣٠ ٠

(١١) سفر التثنية ، ٢٢:٧ ـ ٢٤ ٠

(١٢) المصدر نفسه ، ١:٣٤ ـ ٤٠

(١٣) سفر يشوع ٦:١٣ ـ ٧ ٠

(١٤) سفر التثنية ١٢:٣ ـ ١٣ ٠

(١٥) سفر يشوع ، الاصحاحات ١٥ ـ ٢٤ ٠

(١٦) برافر ، ص ٣٠ ، وطوكتشينسكي ، ص ٤٦ ـ ٤٧ ٠

(١٧) برافر ، ص ٣١ ٠

(١٨) انظر مثلا ، للتفاصيل ؛ الخرائط في « الموسوعة العبرية »، المجلد السادس، ص ٢٧٠ و٢٨٧ و٣٠٢ و٣١٥ و٣٦٤ و٣٦٦ و٤٢٣ و٤٤٦ و٤٥٨ و٤٦٢ ٠

(١٩) المصدر نفسه ، ص ٢٧٠ ٠

(٢٠) المصدر نفسه ، ص ٥٢٦ ٠

(٢١) التوراة ، سفر اللاويين ٤٢:٢٦ و٤٥ و٤٦ ٠

(٢٢) سفر الخروج ١٣:٣٢ ٠

(٢٣) سفر التكوين ٧:١٧ ـ ٨ ٠

(٢٤) سفر الخروج ٢٠ ـ ٣ والتثنية ٧:٥ ٠

(٢٥) سفر التثنية ٥:٩ ٠

(٢٦) سفر عاموس ١٥:٧ و٨ ٠

(٢٧) المصدر نفسه ، ٢:٨ و١٤:٩ ٠

(٢٨) بن ـ نحمان ، الجزء الاول ، ص ٢٥٢ ٠

(٢٩) المصدر نفسه ، ص ٢٠٠ ٠

(٣٠) ريفلين ، ص ٦١ ٠

(٣١) المصدر نفسه ، ص ٤٦ ٠ وانظر ايضا *Encyclopaedia Judaica*, Vol. 5, pp. 760-772 .

(٣٢) بن ـ نحمان ، ص ٢٠٤ ٠

(٣٣) ريفلين ، ص ٤٦ ٠

(٣٤) شرشفسكي ، ص ١٤٦ ـ ١٤٧ ٠

(٣٥) انظر ، مثلا ، هلبرين ، الجزء الاول ، ص ١٢ـ٣٤ ، وكذلك حاييم تدمور ، « ايام المملكة الاولى وعودة صهيون » في : بن ـ ساسون (رئيس التحرير)، ص ١١١ ـ ١١٤ ٠

[٧]

(١) آساف ، ص ٢٤٠ ـ ٢٤١ ٠

(٢) غات ، ص ٢٢ و١٥٩ ـ ١٦٠ ٠

(٣) فيدرفوش ، ص ١٦ ٠

(٤) غات ، ص ٢٦ ـ ٢٩ ٠ وانظر ايضا ملاخي ، ص ٩٠ ـ ٩٧ ٠

(٥) غات ، ص ٢١ ـ ٢٢ ٠

(٦) بن ـ تسفي ، ص ٣٦١ ـ ٣٦٢ ٠

(٧) انظر ، مثلا ، دوفنوف ، ص ٥٢٥ ـ ٥٢٧ ٠

(٨) « الموسوعة العبرية » ، ص ٥٥١ ، وغـات ، ص ١٩ ـ ٢٠ و ١٦٠ و ١٦٩ و١٧٤ و١٨١ و١٨٥ ـ ١٨٦ و١٨٨ ـ ١٩٠ والمصادر المثبتة هناك ، وبـن تسفي ، ص ٣٦١ ـ ٣٦٢ و٣٦٥ ـ ٣٦٦ و٣٦٩ ـ ٤٠٠ ٠

(٩) بن ـ تسفي ، ص ٢٣٥ ـ ٢٣٦ ، ودوفنوف ، ص ٦٤٨ ـ ٦٤٩ ٠

(١٠) غات ، ص ٢٣ ٠

(١١) المصدر نفسه ، ص ٧٢ ـ ٧٤ ٠

(١٢) Hyamson, Vol. 1, p. XXXIII

(١٣) المصدر نفسه ، ص XXXIV

(١٤) المصدر نفسه ، ص ٣٥ ـ ٣٩ ٠

(١٥) مردخاي الياف ، « القنصلية الالمانية في القدس والييشوف اليهودي في القرن التاسع عشر » في « الصهيونية ٠٠٠ » ، الجزء الاول ، ص ٥٩ ٠

(١٦) غات ، ص ٨٧ ٠

(١٧) غات ، ص ٨٦ ـ ٩٢ ، وبن ـ تسفي ، ص ٣٦٣ ـ ٣٦٥ ٠

(١٨) غات ، ص ٩٣ ٠

(١٩) روتشيلد ، ص ١٦ ـ ١٨ ٠ وانظر ايضا غات ، ص ٩٣ ـ ١٠٠ ٠

(٢٠) ملاخي ، ص ٩٨ ـ ١٠٤ ٠

(٢١) روتشيلد ، ص ٣٠ ـ ٣٣ و٣٧ ٠

(٢٢) المصدر نفسه ، ص ٤٤ و٤٨ و٥٣ ـ ٥٥ و٥٧ ٠

(٢٣) غات ، ص ٩٣ ٠

(٢٤) المصدر نفسه ، ص ١١٢ ـ ١٢٥ ٠

(٢٥) المصدر نفسه ، ص ٣٢ ·

(٢٦) ناخون ، ص ٣٦ ـ ٤١ و٤٥ ـ ٥٥ ·

(٢٧) انظر نص الفرمان في المصدر نفسه ، ص ٣٢ ـ ٣٤ ·

(٢٨) المصدر نفسه ·

(٢٩) المصدر نفسه ، ص ٦٦ و٦٩ ·

(٣٠) غات ، ص ٦٤ ـ ٦٦ وناخون ، ص ٦٦ ·

(٣١) ناخون ، ص ٧٢ ·

(٣٢) Hyamson , Vol. 1, pp. 261-267.

(٣٣) غات ، ص ٢٨٦ ـ ٣٠٠ ·

(٣٤) المصدر نفسه ، ص ٣٠٠ ـ ٣٠٢ ·

(٣٥) شابيرا ، ص ٦٥ ·

(٣٦) المصدر نفسه ، ص ٦٧ ـ ٦٨ ·

(٣٧) المصدر نفسه ، ص ٧٦ ·

(٣٨) انظر نص الفرمان في المصدر نفسه ، ص ٤٤٣ ـ ٤٤٤ ·

(٣٩) انظر نص الاتفاق في المصدر نفسه ، ص ٤٤٤ ـ ٤٤٦ ·

(٤٠) غات ، ص ٢٥٨ ·

(٤١) يرديني ، ص ١٧ ـ ١٩ ·

(٤٢) المصدر نفسه ، ص ٤٢٠ ـ ٤٢٤ ·

(٤٣) انظر ايضا غات ، ص ٢٥٩ ـ ٢٦٦ ·

(٤٤) يفنيئيلي ، الجزء الاول ، ص ١٨٤ ـ ١٨٧ · وانظر ايضا ، غات ، ص ٣٣٤ ـ ٣٤٢ ·

(٤٥) يفنيئيلي ، الجزء الثاني ، ص لب ـ لد (٣٢ ـ ٣٤) ·

(٤٦) الياف في « الصهيونية ··· » ، الجزء الاول ، ص ٧١ ·

(٤٧) غات ، ص ٤٩ ـ ٥٠ و٩٠ و٣٣٥ ·

(٤٨) Hyamson, Vol. 2, pp. 312-313.

(٤٩) يفنيئيلي ، الجزء الاول ، ص ٧ـ٩ و٩٦ ـ ٩٨ ، وغات ، ص ٣٤٢ ـ ٣٤٣ ·

(٥٠) ملاخي ، ص ١٩٥ ·

الفصل الاول

(ص ٧١ ـ ٩٩)

[١]

(١) انظر ، للتفاصيل Sokolow , Vol. 1, pp. 40-46 , 55-59 , 91-94. 133-139 , 176-183, 202-212 and 241-247.
وانظر ايضا مدزيني ، ص ٢١ ـ ٤٨ ٠

(٢) انظر مقالة يعقوب كاتس ، « توضيحا لمفهوم مبشري الصهيونية » في « عودة صهيون » ، الجزء الاول ، ص ٩١ ـ ١٠٥ ٠

(٣) للاطلاع على عرض لاراء الحاخام الكلعي ونشاطه ، انظر مقالة يعقوب كاتس ، « مسيائية وقومية في تعاليم الحاخام يهودا الكلعي » ، في المصدر نفسه ، الجزء الرابع ، ص ٩ـ٤١ ٠ وانظر ايضا الجزءان الثاني ـ الثالث، ص ٤٢ ـ ٦٢ ٠

(٤) زهافي ، ص ١٥٠ ٠

(٥) كاتس في « عودة صهيون » ، الجزء الرابع ، ص ١٤ ٠

(٦) زهافي ، ص ١٥٧ ـ ١٥٨ ٠

(٧) المصدر نفسه ، ص ١٦٦ و١٦٩ ٠

(٨) كاتس في « عودة صهيون » ، الجزء الرابع ، ص ١٦ ٠

(٩) المصدر نفسه ٠

(١٠) المصدر نفسه ، ص ٣٧ ٠

(١١) المصدر نفسه ، ص ٣٤ ٠

(١٢) زهافي ، ص ١٥٣ و١٦٩ ٠

(١٣) المصدر نفسه ، ص ١٥٨ ـ ١٦٤ ٠

(١٤) المصدر نفسه ، ص ١٧٨ ٠

(١٥) ٠أ برمبيرغ في « نبؤة ٠٠٠ » ، ص ٣٥ ـ ٣٧ ٠

(١٦) المصدر نفسه ، ص ٣٧ ـ ٣٨ و٥٥ ٠

(١٧) المصدر نفسه ، ص ٥٧ و٦٣ ٠

(١٨) كاليشر ، ص ٨٨ و١١٥ و١١٩ و١٧٥ ـ ١٧٦ ٠

(١٩) المصدر نفسه ، ص ٧٩ و١٧٩ ٠

(٢٠) المصدر نفسه ، ص ١٨١ ٠

(٢١) المصدر نفسه ، ص ٧٧ و٨٣ ـ ٨٤ ٠

(٢٢) المصدر نفسه ، ص ٨٦ ٠

(٢٣) المصدر نفسه ، ص ١١٤ ٠

(٢٤) المصدر نفسه ، ص ٩٠ و ١١٧ ٠

(٢٥) انظر ايضا مقالة يعقوب كاتس ، « طابع الحاخام تسفي هيرش كاليشر التاريخي » في « عودة صهيون » ، الجزءان الثاني ـ الثالث ، ص ٢٦ ـ ٤١٠

(٢٦) انظر ايضا طرطكوفر ، ص ١٦٠ ـ ١٦٢ ٠

(٢٧) كاتس في « عودة صهيون » ، الجزء الرابع ، ص ٤١ ٠

(٢٨) المصدر نفسه ٠

(٢٩) هلبرين ، الجزء الاول ، ص ٢٢٦ ـ ٢٤٧ ٠

(٣٠) Hess, pp. 49-51, 61-62, 65, 68, 79-80, 107, 130, 138 and 141.

(٣١) المصدر نفسه ، ص ٣٥ و١٢٣ ٠

(٣٢) المصدر نفسه ، ص ٣٥ ٠

(٣٣) المصدر نفسه ، ص ٣٨ ٠

(٣٤) المصدر نفسه ، ص ٩٧ و١٤٥ ٠

(٣٥) المصدر نفسه ، ص ٨٨ و١٢١ ٠

(٣٦) المصدر نفسه ، ص ٥٥ و٦٦ ـ ٦٧ ٠

(٣٧) المصدر نفسه ، ص ١٢٩ ٠

(٣٨) المصدر نفسه ، ص ١٢٩ و١٣٢ و١٤٢ و١٤٧ ـ ١٥٠ ٠

(٣٩) المصدر نفسه ، ص ١٠٣ و١٣٣ و١٥٣ ٠

(٤٠) المصدر نفسه ، ص ١٣٩ ـ ١٤٠ ٠

(٤١) المصدر نفسه ، ص ١٥٣ ـ ١٥٥ ٠

(٤٢) انظر ايضا Talmon, pp. 94-103.

[٢]

(١) انظر ايضا دوفنوف ، ص ٦٦٥ ٠

(٢) يفنيئيلي ، الجزء الاول ، ص ١٤ـ١٥ ٠

(٣) دوفنوف ، ص ٦٦٧ ٠ وانظر ايضا شموئيلي ، الجزء الاول ، ص ٦١ ٠

(٤) كلويزنر ، الجزء الاول ، ص ٩١ ـ ٩٣ ٠

(٥) يفنيئيلي ، الجزء الاول ، ص ١٩ـ٢٠ و ٣٥ ٠

(٦) المصدر نفسه ، ص ٤٠ـ٤١ ٠

(٧) كلويزنر ، الجزء الاول ، ص ٩١ ـ ٩٣ ٠

(٨) انظر المصدر نفسه ، ص ١٣٣ والمصادر المثبتة هناك ٠

(٩) المصدر نفسه ٠

(١٠) دوفنوف ، ص ٦٧١ ٠

(١١) المصدر نفسه ، ص ٦٧٢ ٠

(١٢) المصدر نفسه ، ص ٦٧٤ ـ ٦٧٥ و٦٧٨ ٠

(١٣) المصدر نفسه ، ص ٦٧٧ ٠

(١٤) دينور في « عودة صهيون » ، الجزء الاول ، ص ٢٩ ٠ وانظر ايضا براسلافسكي ، الجزء الاول ، ص ١٧ ـ ١٨ ٠

(١٥) انظر ايضا كلويزنر ، الجزء الثاني ، ص ١٤٠ ـ ١٤٢ والجزء الثالث ، ص ١٣ ـ ١٦ ٠

(١٦) كلويزنر ، الجزء الاول ، ص ٩٤ ـ ١٠٠ و١٠٤ ـ ١١٨ و١٣٥ ـ ١٥٥ ٠

(١٧) المصدر نفسه ، ص ٦٥ ٠

(١٨) شموئيلي ، الجزء الاول ، ص ٤٧ ٠

(١٩) كلويزنر ، الجزء الاول ، ص ٣٩ ٠

(٢٠) المصدر نفسه ، ص ٤٠ ٠

(٢١) المصدر نفسه ، ص ٤٢ و ٧٧ ـ ٧٩ ٠

(٢٢) المصدر نفسه ، ص ٤٥ـ٤٧ ٠ وانظر ايضا شموئيلي ، الجزء الاول ،

ص ٥١ ـ ٥٢ ٠

(٢٣) كلويزنر ، الجزء الاول ، ص ٥١ ـ ٥٩ ٠

(٢٤) المصدر نفسه ، ص ٦١ ٠

(٢٥) انظر ايضا شموئيلي ، الجزء الاول ، ص ٦٢ ـ ٦٦ ٠

[٣]

(١) انظر مقالته « جرائم الهسكلاه » في سمولينسكين ، ص ٣٧ـ٤٣ ٠

(٢) كلاوزنر ، ص ٩ ٠

(٣) سمولينسكين ، ص ٢٨ ٠

(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٠ ٠

(٥) انظر مقالة ش ٠ برايمان ، « التغيير في التفكير الجماهيري اليهودي في بداية الثمانينات » في « عودة صهيون » ، الجزءان الثاني ـ الثالث ، ص ١٣٨ ـ ١٤٢ ٠

(٦) المصدر نفسه ، ص ١٤٢ و١٥٦ ـ ١٥٧ ٠

(٧) كلاوزنر ، ص ١٠ ٠

(٨) برايمان في « عودة صهيون » ، الجزءان الثاني ـ الثالث ، ص ١٤٤ ـ ١٤٥ ٠

(٩) المصدر نفسه ، ص ١٤٩ ٠

(١٠) المصدر نفسه ٠

(١١) سمولينسكين ، ص ٣٢ ٠

(١٢) المصدر نفسه ، ص ٦٨ ٠

(١٣) برايمان في « عودة صهيون » ، الجزءان الثاني ـ الثالث ، ص ١٥٠ ـ ١٥٢ ٠

(١٤) يفنيئيلي ، الجزء الاول ، ص ١١٨ ٠

(١٥) المصدر نفسه ، ص ١٢١ ٠

(١٦) المصدر نفسه ٠

(١٧) سمولينسكين ، ص ٧٤ ٠

(١٨) المصدر نفسه ، ص ٧٥ ٠

(١٩) المصدر نفسه ، ص ٧٦ ٠

(٢٠) يفنيئيلي ، الجزء الاول ، ص ١٤١ ٠

(٢١) المصدر نفسه ٠

(٢٢) المصدر نفسه ، الجزء الثاني ، ص ١٠٨ ٠

[٤]

(١) برايمان في « عـودة صهيون » ، الجزءان الثاني ـ الثالث ، ص ٨٣ـ٨٥ و٨٩ـ٩٠ ٠ وانظر ايضا كلاوزنر ، ص ٩٢ ٠

(٢) برايمان ، ص ٩٤ ٠

(٣) انظر هلبرين ، الجزء الاول ، ص ٢١١ ٠

(٤) برايمان في « عودة صهيون » ، الجزءان الثاني ـ الثالث ، ص ٩٩ ـ ١٠٠ ٠

(٥) المصدر نفسه ، ص ١٠٣ ـ ١٠٤ ٠

(٦) انظر النص في يفنيئيلي ، الجزء الثاني ، ص ١١٦ ـ ١٣٣ ٠

(٧) المصدر نفسه ، ص ١١٧ ٠

(٨) المصدر نفسه ، ص ١١٨ ٠

(٩) المصدر نفسه ، ص ١٢٥ ٠

(١٠) المصدر نفسه ٠

(١١) المصدر نفسه ، ص ١٢٧ ٠

(١٢) المصدر نفسه ٠

(١٣) المصدر نفسه ، ص ١٢٨ ٠

(١٤) المصدر نفسه ٠

(١٥) المصدر نفسه ، ص ١٣١ ٠

(١٦) المصدر نفسه ، ص ١٣٣ ٠

[٥]

(١) انظر ايضا كلاوزنر ، ص ٥٤ ـ ٥٦ ٠

(٢) المصدر نفسه ، ص ٥٨ · وانظر ايضا يفنيئيلي ، الجزء الثاني ص ٩ـ١٣·

(٣) انظر ايضا برايمان في « عـودة صهيون » ، الجزءان الثاني ـ الثالث ، ص ٢١٣ ـ ٢١٤ ·

(٤) كلاوزنر ، ص ٦٢ ـ ٦٥ ·

(٥) المصدر نفسه ، ص ٦٦ ـ ٦٧ ·

(٦) انظر النص في يفنيئيلي ، الجزء الثاني ، ص ٣ ـ ٢١ ·

(٧) هرتسل ، الجزء الثاني ، ص ٢٢٢ ·

(٨) بينسكر ، ص ٣ ·

(٩) المصدر نفسه ، ص ٤ ·

(١٠) المصدر نفسه ، ص ٥ ·

(١١) المصدر نفسه ، ص ٧ ·

(١٢) المصدر نفسه ، ص ٨

(١٣) المصدر نفسه ، ص ١٣ ·

(١٤) المصدر نفسه ، ص ١٥ ·

(١٥) المصدر نفسه ، ص ١٨ ·

(١٦) المصدر نفسه ، ص ١٦ ـ ١٧ ·

[٦]

(١) كلاويزنر ، الجزء الاول ، ص ٦٨ ـ ٦٩ ·

(٢) انظر مقالته في يفنيئيلي ، الجزء الثاني ، ص ١٥٩ ـ ١٦٠ ·

(٣) كلويزنر ، الجزء الاول ، ص ٦٩ والجزء الثاني ، ص ١٦٠ ·

(٤) نقلا عـن يفنيئيلي ، الجزء الاول ، ص ٨٢ ·

(٥) المصدر نفسه ، ص ٨٤ـ٨٥ ·

(٦) المصدر نفسه ·

(٧) كلاوزنر ، ص ٤٤ ·

(٨) من مقدمة « قاموس اللغة العبريـة » لا ليعيزر بن يهودا ، نقـلا عـن يفنيئيلي ، الجزء الثاني ، ص ١٥٩ ـ ١٦٣ ·

(٩) كلاوزنر ، ص ٤٨ ٠

[٧]

(١) يسرائيل شتسيفانسكي في « نبؤة ٠٠٠ » ، ص ١٣ ٠

(٢) المصدر نفسه ٠

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٢٣ ٠

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٣٧ ٠

(٥) المصدر نفسه ، ص ١٤٦ ـ ١٤٩ ٠

(٦) انظر ، للتفاصيل ، كلويزنر ، الجزء الاول ، ص ١٣٥ ـ ١٥٥ ٠

الفصل الثاني

(ص ١٠١ ـ ١٤٢)

[١]

(١) انظر كلويزنر ، الجزء الاول ، ص ٩٣ ـ ١٠٠ و ١١٨ ـ ١٢٢ و ١٥٥ ـ ١٦٤٠

(٢) انظر ، للتفاصيل ، المصدر نفسه ،ص ١٥٥ ـ ١٦٤ و٣٦٤ ـ ٣٨٥ ٠ وانظر ايضا يفنيئيلي ، الجزء الاول ، ص ٥١ ـ ٥٥ ٠

(٣) انظر مذكراته في يفنيئيلي ، الجزء الاول ، ص ١٨٨ ـ ١٩٧ ٠

(٤) كلويزنر ، الجزء الاول ، ص ١٢٣ ـ ١٢٤٠

(٥) يسود هامعله ـ حرفيا : « اساس الصعود » وذلك تيمنا برجوع اليهود من سبي بابل الى فلسطين ايام المملكة الثانية ، « لانه في الشهر الاول ابتدأ يصعد من بابل وفي اول الشهر الخامس جاء الى اورشليم حسب يد الله الصالحة عليه » ـ التوراة ، سفر عزرا ٧ : ٩ ٠

(٦) انظر محاضر تأسيس اللجنة وانظمتها في يفنيئيلي، الجزء الاول ، ص ١٩١ـ ١٩٧ و ٢٦١ ـ ٢٦٣ ٠

(٧) انظر مذكرات ليفونتين ، كما اوردها يفنيئيلي ، الجزء الاول ، ص ٢٢١ ـ ٢٢٢ ٠

(٨) المصدر نفسه ، ص ٦٠ ٠

(٩) سميلانسكي ، الجزء الاول ، الكتاب الاول ، ص ٢٦ ٠

(١٠) شموئيلي ، الجزء الاول ، ص ١١٤ ٠ وانظر ايضا كلويزنر ، الجزء الاول ص ٢٣٩ ـ ٢٤٠ ٠

(١١) التوراة ، سفر اشعيا ٤١ : ٢٧ ٠

(١٢) كلويزنر ، « هواة صهيون ٠٠٠» ، ص ١٧ ـ ١٨ و ٤٤ ـ ٤٥ ٠

(١٣) المصدر نفسه ، ص ٦٠ و ٧٧ و٨٥ ٠

(١٤) المصدر نفسه ، ص ٢٠ ٠

(١٥) المصدر نفسه ، ص ٢٧ ـ ٣٩ ٠

(١٦) المصدر نفسه ، ص ٤٥ و ٦٣ ٠

(١٧) المصدر نفسه ، ص ٦٨ ٠

(١٨) سميلانسكي ، الجزء الاول ، الكتاب الاول ، ص ٣٢ ـ ٣٦ ٠

(١٩) انظر مذكرات شوف في يفنيئيلي ، الجزء الاول ، ص ٢٢٧ ـ ٢٢٩ ، وكذلك ص ٢٣٨ ـ ٢٤٢ ٠

(٢٠) انظر انظمة تأسيس المستوطنة في المصدر نفسه ، الجزء الثاني ، ص ٢٠٢ ـ ٢٠٦ ٠

(٢١) « الحجر الذي رفضه البناؤون قد صار رأس الزاوية » ـ المزامير ١١٨ : ٢٢ ٠

(٢٢) كلويزنر ، « هواة صهيون ٠٠٠ » ، ص ٨٩ ـ ٩٤ و ١٢٩ ـ ١٣٧ ٠

(٢٣) المصدر نفسه ، ص ١٢٩ ٠

(٢٤) سميلانسكي ، الجزء الاول ، الكتاب الاول ، ص ٣٧ ٠

(٢٥) كلويزنر ، « هواة صهيون ٠٠٠» ، ص ٣٨ ٠

(٢٦) المصدر نفسه ، ص ١٣٢ ٠

(٢٧) يفنيئيلي ، الجزء الثاني ، ص ٣٢ ٠

(٢٨) انظر نص الانظمة في يفنيئيلي ، الجزء الاول ، ص ٢٤٣ ـ ٢٥٣ ٠

(٢٩) كلويزنر ، الجزء الاول ، ص ١٠٠ ـ ١٠٢ و ٢١٣ ـ ٢١٤ ٠

(٣٠) سميلانسكي ، الجزء الاول ، ص ٦٦ ـ ٦٨ ٠

(٣١) كلويزنر ، الجزء الاول ، ص ٢٨٤ ـ ٢٨٥ ٠

(٣٢) سميلانسكي ، الجزء الاول ، الكتاب الاول ، ص ٥٧ ٠

(٣٣) كلويزنر ، الجزء الاول ، ص ٣٠٥ ٠

(٣٤) التوراة ، سفر ارميا ٤ : ٦ ٠

(٣٥) سميلانسكي ، الجزء الاول ، الكتاب الاول ، ص ٧٧ ـ ٧٨ ٠

(٣٦) المصدر نفسه ، ص ٦٢ ـ ٦٣ ٠

(٣٧) كلويزنر ، الجزء الاول ، ص ٢٩٨ ٠

(٣٨) المصدر نفسه ، ص ٤٣٥ ٠

[٢]

(١) كلويزنر ، الجزء الاول ، ص ٢٤٤ ، ويفنيئيلي ، الجزء الاول ، ص ٧٤ ٠

(٢) انظر ايضا « كتاب تاريخ الهاغاناه » ، الكتاب الاول ، الجزء الاول ، ص ١١٤ ـ ١١٦ ٠

(٣) المصدر نفسه ، ص ١١٣ ٠

(٤) المصدر نفسه ٠

(٥) المصدر نفسه ، ص ٥٨

(٦) Mandel, «*Ottoman Policy..* », pp. 312-314.
وانظر ايضا كلويزنر ، الجزء الاول ، ص ١٩٨ ٠

(٧) كلويزنر ، الجزء الاول ، ص ١٩٩ و ٣٣٩ ٠

(٨) المصدر نفسه ، ص ٢٠٠ ٠

(٩) المصدر نفسه ، ص ٣٣٩ ٠

(١٠) يفنيئيلي ، الجزء الثاني ، ص ٦٩ ٠

(١١) كلويزنر ، الجزء الاول ، ص ٣٤٠ ٠

(١٢) يفنيئيلي ، الجزء الثاني ، ص ٦٩ ـ ٧١ ٠

(١٣) انظر ايضا المصدر نفسه ، ص ٧١ ـ ٧٣ ٠

(١٤) كلويزنر ، الجزء الثاني ، ص ٣٠٢ ٠ وانظر ايضا « كتاب تاريخ الهاغاناه» الكتاب الاول ، الجزء الاول ، ص ١١٣ ٠

(١٥) كلويزنر ، الجزء الثاني ، ص ٣٠٠ و ٣٠٣ ـ ٣٠٤ ٠

(١٦) انظر ، للتفاصيل ، المصدر نفسه ، ص ٣٠٦ ــ ٣١٤ والمصادر المثبتةهناك٠

(١٧) Mandel , « *Ottoman Practice* ... » , p. 37.

(١٨) كلويزنر ، الجزء الثالث ، ص ١٠٨ ــ ١٠٩ ٠

(١٩) المصدر نفسه ، ص ١١٢ و «كتاب تاريخ الهاغاناه» ، الكتاب الاول ، الجزء الاول ، ص ٦٦ ٠

(٢٠) انظر ايضا المصدر نفسه ، ص ١١٣ ــ ١٢٦ و «كتاب تاريخ الهاغاناه» ، ص ٥٢ ــ ٥٤ ٠

(٢١) انظر ، للتفاصيل ، Mandel, «*Ottoman Policy* ...» , pp. 321-328.

(٢٢) آساف ، ص ٣٤٩ ــ ٣٥٣ ٠

(٢٣) المصدر نفسه ، ص ٣٥٤ ٠

(٢٤) « كتاب تاريخ الهاغاناه » ، الكتاب الاول ، الجزء الاول ، ص ٦٣ ٠

(٢٥) المصدر نفسه ، ص ٦٣ ــ ٦٤ ٠

(٢٦) المصدر نفسه ، ص ٦٤ ٠

[٣]

(١) يفنيئيلي ، الجزء الاول ، ص ٧٠ والجزء الثاني ، ص ٣٥ ــ ٣٦ ٠

(٢) المصدر نفسه ٠

(٣) جمع « بيلو » ، وهي الاحرف الاولى من كلمات الترجمة العبرية لعبارة « يابيت يعقوب هلم فنسلك في نور الرب » ــ التوراة ، سفر أشعيا ٢ : ٥ ٠

(٤) من بيان للبيلوييم ، كما اورده كلوزنر ، الجزء الاول ، ص ١٦٧ ٠

(٥) المصدر نفسه ، ص ١٦٤ ــ ١٧٠ و ٢١٩ ــ ٢٢٦ ٠

(٦) ابن ــ شوشان ، الجزء الاول ، ص ١٦ ٠

(٧) انظر نص انظمة جمعية البيلوييم في براسلافسكي ، الجزء الاول ، ص ٢٩٣ ــ ٢٩٦ ٠

(٨) كلويزنر ، الجزء الاول ، ص ١٥٥ ــ ١٦٤ و ٢٦١ ــ ٢٦٢ ٠

(٩) انظر ، للتفاصيل ، المصدر نفسه ، ص ٣٦٤ ــ ٣٨٥ و ٣٩٨ ــ ٤٠٥ ٠

(١٠) انظر ايضا . يفنيئيلي ، الجزء الثاني، ص ١٦ ــ ٢٥ والمصادر المثبتةهناك٠

(١١) كلويزنر ، الجزء الاول ، ص ٢٦٤ ـ ٢٦٦ ويفنيئيلي ، الجزء الثاني ، ص ١٩ ـ ٢٠ ·

(١٢) كلويزنر ، الجزء الاول ، ص ٢٦٩ ـ ٢٧١ ·

(١٣) المصدر نفسه ، ص ٢٧٣ ـ ٢٧٤ ·

(١٤) كلويزنر ، « هواة صهيون ···» ، ص ٢٤٠ ـ ٢٤١ ·

(١٥) المصدر نفسه ، ص ٢٤٢ ـ ٢٤٣ · وانظر ايضا نص الاتفاق في يفنيئيلي ، الجزء الثاني ، ص ١٤٢ ·

(١٦) يفنيئيلي ، الجزء الثاني ، ص ٦٩ ·

(١٧) كلويزنر ، الجزء الاول ، ص ٢٩٤ والجزء الثاني ، ص ١٨٤ ـ ١٨٥ ·

[٤]

(١) انظر ، للتفاصيل ، كلويزنر ، الجزء الاول ، ص ٤٤٠ ـ ٤٧٤ ·

(٢) شموئيلي ، الجزء الاول ، ص ١٠٠ ـ ١٠٤ ·

(٣) المصدر نفسه ·

(٤) كلويزنر ، الجزء الاول ، ص ٤٦٤ ·

(٥) المصدر نفسه ، ص ٤٥٦ ·

(٦) انظر ، للتفاصيل ، المصدر نفسه ، ص ٤٠٩ ـ ٤٣٩ ·

(٧) شموئيلي ، الجزء الاول ، ص ١٠٢ ·

(٨) كلويزنر ، الجزء الثاني ، ص ٢٣ و ٥١ و ٧٧ ·

(٩) المصدر نفسه ، ص ٢٦ ·

(١٠) شموئيلي ، الجزء الاول ، ص ١٣٤ ·

(١١) كلويزنر ، الجزء الثاني ، ص ٥١ و ٧١ و ٨٩ و ٩٤ ـ ٩٥ · وانظر ايضا شموئيلي ، الجزء الاول ، ص ١٤٠·

(١٢) كلويزنر ، الجزء الثاني ، ص ١٠٦ ·

(١٣) شموئيلي ، الجزء الاول ، ص ١٤٣ ـ ١٤٤ ·

(١٤) المصدر نفسه ، ص ١٤٤ ـ ١٤٦ · وانظر ايضا كلويزنر ، الجزء الثاني ، ص ١٣٠ ـ ١٤٠ ·

(١٥) كلويزنر ، الجزء الثاني ، ص ٣٦٣ ·

(١٦) المصدر نفسه ، ص ٣٥٨ و ٣٦٦ ـ ٣٦٧ ٠

(١٧) المصدر نفسه ، ص ٣٨٠ ـ ٣٩١ ٠

(١٨) المصدر نفسه ، الجزء الاول ، ص ٢٩٤ و ٢٩٨ والجزء الثاني ، ص ١٧٦ ـ ١٧٧ و ١٨٥ و ٢١٠ ـ ٢١١ ٠

(١٩) سميلانسكي ، الجزء الاول ، الكتاب الثاني ، ص ١٣١ ٠

(٢٠) شموئيلي ، الجزء الاول ، ص ٢٠٧ ٠

(٢١) كلويزنر ، الجزء الثاني، ص ١٧٧ ـ ١٨٠ ٠ وانظر ايضا، للتفاصيل،رسائل روتشيلد في شموئيلي ، الجزء الثاني ، ص ٦٨ ـ ٩٢ ٠

(٢٢) شموئيلي ، الجزء الاول ، ص ٢٠٩ ٠

(٢٣) المصدر نفسه ، ص ٢١١ ٠

(٢٤) سميلانسكي ، الجزء الاول ، الكتاب الاول ، ص ٩٨ـ٩٩ ٠

(٢٥) المصدر نفسه ، ص ٩٩ و ١٠١ ٠

(٢٦) كلويزنر ، الجزء الثاني ، ص ١٨٥ ـ ٢٠٨ ، وشموئيلي ، الجزء الاول ، ص ٢١٤ ٠

(٢٧) كلويزنر ، الجزء الثاني ، ص ٣١٨ ـ ٣٢٢ ٠

(٢٨) شموئيلي ، الجزء الاول ، ص ٢١٨ ٠

(٢٩) كلويزنر ، الجزء الثاني ، ص ٣٤٨ ـ ٣٥٠ ٠ وانظر ايضا سميلانسكي ، الجزء الاول ، الكتاب الاول ، ص ٨٢ ـ ٨٥ ٠

(٣٠) سميلانسكي ، الجزء الاول ، الكتاب الثاني ، ص ٧٢ ـ ٧٥ ٠

(٣١) كلويزنر ، الجزء الثاني ، ص ٣٥٧ ٠

(٣٢) سميلانسكي ، الجزء الاول ، الكتاب الاول ، ص ٩٩ ٠

(٣٣) نقلا عن كلويزنر ، الجزء الثاني ، ص ٣٥٥ ٠

[٥]

(١) آحاد هعام ، ص ١١ ـ ١٤ ٠

(٢) المصدر نفسه ٠

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٤ ٠

(٤) انظر مقالة ش٠ برايمان، « النقاش بين آحاد هعام ، وبين ليلينبلوم ودوفنوف»

في « عودة صهيون » ، الجزء الاول ، ص ١٣٨ ـ ١٦٨ ·

(٥) المصدر نفسه ، ص ١٤٥ ـ ١٤٦ والمصادر المثبتة هناك ·

(٦) المصدر نفسه ، ص ١٦٤ ·

(٧) آحاد هعام ، ص ١٨١ ·

(٨) للاطلاع على آراء آحاد هعام في الصهيونية واليهودية ، ومجمل نشاطه ، انظر ايضا غرينباوم ، الجزء الاول ، ص ٥٣ ـ ٦٤ ، وكلاوزنر ، ص ٩٥ ـ ١٠٣ ، وهلبرين ، الجزء الاول ، ص ٢١٦ ـ ٢٣٥ ·

(٩) كلويزنر ، الجزء الثاني ، ص ٣٨٦ ·

(١٠) آحاد هعام ، ص ١٩ ·

(١١) كلويزنر ، الجزء الثالث ، ص ٢٢٦ ·

(١٢) المصدر نفسه ، ص ٢٢٧ ـ ٢٣٦ و ٣٢٥ ـ ٣٢٦ ، وآحاد هعام ، ص ٤٣٧ · وانظر ايضا ، للتفاصيل ، ملاخي . ص ٣٤٦ ـ ٣٨٤ ·

[٦]

(١) كلويزنر ، الجزء الثاني ، ص ٣٩٣ ·

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٩٤ ـ ٤٠٧ ·

(٣) انظر ايضا المصدر نفسه ، ص ٣٢٤ ـ ٣٤٧ ·

(٤) سميلانسكي ، الكتاب الاول ، الجزء الاول ، ص ١٤٣ ـ ١٥٤ ، وكلويزنر ، الجزء الثالث ، ص ٣١ ـ ٤٧ ·

(٥) كلويزنر ، الجزء الثالث ، ص ٦٩ ـ ٧٢ ·

(٦) شموئيلي ، الجزء الاول ، ص ١٧٨ ـ ١٨٥ ·

(٧) المصدر نفسه ، ص ١٨٥ ـ ١٩٧ و ٢٠٠ ـ ٢٠٢ ·

(٨) كلويزنر ، الجزء الثالث ، ص ٨١ ـ ٨٤ ·

(٩) المصدر نفسه ، ص ٨٤ ـ ٩٤ و ١٦٨ ـ ١٨٢ ·

(١٠) آحاد هعام ، ص ٢٣ ـ ٤٠ ·

(١١) كلويزنر ، الجزء الثالث ، ص ٤٠ و ٧٥ و ١٦٣ ·

(١٢) المصدر نفسه ، ص ٢٤٦ ـ ٢٤٧

(١٣) من مقال ليتسحاق اشتاين ، « مسألة مجهولة » ، في مجلة « هاشيلواح »،

١٩٠٧ ، ص ١٩٣ ـ ٢٠٢ ، كما اورده غورني ، ص ٥٢ د ـ ٥٢ و ٠

(١٤) « محاضر المؤتمر الصهيوني الاول » ، ص ١٤٨ ٠

(١٥) يافيه ، ص ١٥٤ ـ ١٥٥ ٠ وانظر ايضا
Ussishkin , « *The Jewish Colonisation* ... » , pp. 347-348.

(١٦) كلويزنر ، الجزء الثالث ، ص ١٢٦ ـ ١٣٥ ٠ وانظر ايضا سميلانسكي ، الجزء الاول ، الكتاب الثاني ، ص ١٣٩ ـ ١٤١ ٠

(١٧) « كتاب تاريخ الهاغاناه » ، الكتاب الاول ، الجـــزء الاول ، ص ٣٧ ، وشموئيلي ، الجزء الاول ، ص ٢٢٤ و Ussishkin, pp. 348-349.

(١٨) Ussishkin, pp. 350-353.

(١٩) آحاد هعام ، ص ٣٠٥ ـ ٣٠٨ ٠

(٢٠) « كتاب تاريخ الهاغاناه » ، الكتاب الاول ، الجزء الاول ، ص ٤١ ٠

(٢١) Ussishkin, p. 353.

[٧]

(١) آحاد هعام ، ص ٢٣٠ و ٢٣٩ و « كتاب تاريخ الهاغاناه » ، الكتاب الاول . الجزء الاول ، ص ٣٢ ٠

(٢) شموئيلي ، الجزء الاول ، ص ٢١٣ ٠

(٣) انظر مقالته « البيشوف والاوصياء عليه » في آحاد هعام ، ص ٢١١ ـ ٢٤٥٠

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٨ و ١٩ ٠

(٥) المصدر نفسه ، ص ١٤ ٠

(٦) راجع النص في غورني ، ص ٥٢ أ ـ ٥٢ ي د٠

(٧) المصدر نفسه ، ص ٥٢ أ ٠

(٨) المصدر نفسه ، ص ٥٢ ب ـ ٥٢ د ٠

(٩) انظر ، للتفاصيل ، « كتاب تاريخ الهاغاناه » ، الكتاب الاول ، الجزءالاول، ص ٧٥ ـ ٧٨ ٠

(١٠) انظر ، للتفاصيل ، المصدر نفسه ، ص ٩٣ ـ ١١١ ٠

(١١) كلويزنر ، الجزء الثاني ، ص ١٤٢ و ١٥٢ و ١٥٦ و ١٦٣ ـ ١٦٤ و ١٨١، وآحاد هعام ، ص ٢٢٣ و ٣٢٥ ، وسميلانسكي ، الجزء الاول ، الكتاب الثاني ، ص ٨٣ ، وآساف ، ص ١٥ ـ ١٦ ،ملاحظة ٣٥ ، وص ٢٧ ـ ٢٩ ٠

الفصل الثالث

(ص ١٤٣ ـ ١٩٤)

[١]

(١) زهافي ، ص ٢٦٧ و ٢٧٢ ـ ٢٧٣ و ٢٧٥ ٠

(٢) باين ، « هرتسل ٠٠٠» ، ص ١٥ ٠

(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٠ و ٣١ و٣ ٣ و ٣٧ و ٤٩ ٠

(٤) دينور ، ص ١٤ ٠

(٥) زهافي ، ص ٢٦٤ ـ ٢٦٥ ٠

(٦) Herzl , *Diaries* , Vol. 1, p. 300 , Vol. 2, p. 490

(٧) زهافي ، ص ٢٦٨ ـ ٢٩٦

(٨) Herzl , *Diaries* , Vol. 2, p. 589.

(٩) باين ، « هرتسل ٠٠٠» ، ص ١٧ ـ ١٨ ٠

(١٠) هرتسل ، الجزء الثامن ، ص ١٢ ـ ١٣ ٠

(١١) كلاوزنر ، ص ١٥٩ ـ ١٧٨ ٠

(١٢) باين ، « هرتسل ٠٠٠» ، ص ١٤٣ ـ ١٤٤ ٠

(١٣) Herzl , *Diaries* , Vol. 1, p. 143, Vol. 2, p. 584.

(١٤) المصدر نفسه ، الجزء الثالث ، ص ١٠٩٠ ٠

(١٥) المصدر نفسه ، الجزء !الاول ،ص ٤ ٠

(١٦) المصدر نفسه ، الجزء الاول ، ص ٦ ٠

(١٧) المصدر نفسه ، ص ٧ ٠

(١٨) هرتسل ، الجزء الثامن ، ص ٤٤ ٠

(١٩) Herzl , *Diaries* , Vol. 1, p. 7, 9-10.

(٢٠) المصدر نفسه ، ص ١٨ ــ ٢٤ ·

(٢١) انظر نص الخطاب في المصدر نفسه ، ص ١٢٩ ــ ١٨٣ ·

(٢٢) المصدر نفسه ، ص ١٤٨ ·

(٢٣) كلاوزنر ، ص ١٩٢ ·

(٢٤) Herzl, *Diaries,* Vol. 1, p. 208.

[٢]

(١) Herzl , *The Jewish State,* p. 14.

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٥ ·

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٥ ــ ٢٦ ·

(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٣ ·

(٥) المصدر نفسه ، ص ١٥ ·

(٦) المصدر نفسه ، ص ٢٧ ·

(٧) المصدر نفسه ، ص ٢٨ ·

(٨) المصدر نفسه ، ص ٣٠ ·

(٩) المصدر نفسه ، ص ٢٨ ·

(١٠) المصدر نفسه ، ص ٦٦ ــ ٦٧ ·

(١١) المصدر نفسه ، ص ٣٢ ·

(١٢) Herzl , *Diaries* , Vol. 2, pp. 765-766 , 793; Vol. 3, p. 1169, 1193-1195, 1265.

(١٣) Herzl, *The Jewish State,* p. 33.

(١٤) Herzl, *Diaries,* Vol. 1, p. 252.

(١٥) المصدر نفسه ، ص ١٩١ و ١٩٦ و ٢١٣ ·

(١٦) آحاد هعام ، ص ١٧١ ·

(١٧) نشرت ترجمة عبرية لهذه الرواية في هرتسل ، الجزء الاول ، ص ٨٥ ــ ٢٨٨· وهنــاك ايضا ترجمة انكليزية لها بعنوان Theodor Herzl, *Old-New Land* («Altneuland»)

[٣]

(١) Herzl, *Diaries,* Vol. 1, pp. 299-309.

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣١٠ ٠

(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٢١ ـ ٣٤٠ ٠

(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٥٢ ٠

(٥) المصدر نفسه ، ص ٣٦٦ ـ ٣٩٩ ٠

(٦) المصدر نفسه ، ص ٤٢٦ ـ ٤٣١ ٠

(٧) المصدر نفسه ، ص ٢٢٥ والجزء الثاني ، ص ٥٤٦ و ٥٥٧ ٠

(٨) انظر ، للتفاصيل ، باين ، ص ١٤٧ ٠

(٩) Herzl, *Diaries,* Vol. 1, pp. 306-308, 314, Vol. 2, p. 589.

(١٠) مدزيني ، ص ١٠٢ ٠

(١١) انظر ، للتفاصيل ، باين « هرتسل ٠٠٠ » ، ص ١٧١ ـ ١٧٦ ، وكذلك « كتاب المؤتمر » ، ص ٤٠٣ ـ ٤٠٥ ٠

(١٢) نص الرسائل في « كتاب المؤتمر » ، ص ٤٠٧ ـ ٤١٤ ٠

(١٣) كلويزنر ، الجزء الثالث ، ص ٣٥٨ ـ ٣٥٩ ٠

(١٤) المصدر نفسه ، ص ٣٥٦ ٠

(١٥) كلويزنر ، «هواة صهيون » ، ص ٣٠١ ـ ٣٢٣ ٠

(١٦) كلويزنر ، الجزء الثالث ، ص ٣٦٦ ٠

(١٧) المصدر نفسه ، ص ٣٦٠ ٠

(١٨) « كتاب المؤتمر » ، ص ٤٠٥ ـ ٤٠٦ ٠

[٤]

(١) انظر قائمة المندوبين للمؤتمر الصهيوني الاول في « محاضر المؤتمر الصهيوني الاول » ، ص ١٦٤ ـ ١٦٦ ٠ وانظر ايضا « كتاب المؤتمر » ، ص ٤٤٣ ـ ٤٤٧ ٠

(٢) « محاضر المؤتمر الصهيوني الاول » ، ص ١١ ـ ١٢ ٠

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٥ ـ ٢٤ ٠

(٤) انظر نص خطب نورداو في المؤتمرات الصهيونية (الثاني ـ السادس) في نورداو ، الجزء الاول ، ص ١٠٨ ـ ١١٩ و ١٥٢ ـ ١٦١ و ١٩٩ ـ ٢١٠ والجزء الثاني ، ص ٥٧ ـ ٧٤ و ١٤٩ـ١٥٧ ٠

(٥) نص التقارير في « محاضر المؤتمر الصهيوني الاول » ، ص ٢٥ ـ ٧٠ ٠

(٦) المصدر نفسه ، ص ٧٢ ٠

(٧) المصدر نفسه ، ص ٧٤ ٠

(٨) النص في المصدر نفسه ، ص ٨٠ـ٩١ ٠

(٩) المصدر نفسه ، ص ٩٧ و ١٠٢ ٠

(١٠) المصدر نفسه ، ص ١٠٥ و ١٠٦ ٠

(١١) انظر ، لمزيد من التفاصيل ، حول هذا الاقتراح وحول اهداف الحركة الصهيونية عامة ، المراسلات التي سبقت عقد المؤتمر الاول بين بودنهايمر وشابيرا في بودنهايمر ، ص ٤٦ ـ ٨٥ ٠

(١٢) « محاضر المؤتمر الصهيوني الاول » ، ص ١١٧ ٠

(١٣) انظر مقالة ع٠ شوحاط ، « الشيكل » ، في « عودة صهيون » ، الجزء الاول، ص ٢٢١ ـ ٢٢٤ ٠

(١٤) « محاضر المؤتمر الصهيوني الاول ، ، ص ١٢٨ ـ ١٢٩ ٠

(١٥) Herzl, *Diaries,* Vol. 2, p. 581.

[٥]

(١) مدزيني ، ص ١٢١ ٠

(٢) انظر ايضا « محاضر المؤتمر الصهيوني التاسع عشر »، ص ١١ ٠ وشموئيلي الجزء الاول ، ص ٢٨٤ ٠

(٣) Herzl, *Diaries,* Vol. 2, pp. 593-594.

(٤) غرينباوم ، الجزء الثاني ، ص ٢٠ ٠

(٥) انظر خطاب هرتسل امام المؤتمر الصهيوني الثاني ، في هرتسل ، الجزء السابع ، ص ٢٣٦ ٠

(٦) « محاضر المؤتمر الصهيوني الاول » ، ص ١٢ ـ ١٣ ٠

(٧) Herzl, *Diaries*, Vol. 2, p. 629.

(٨) هرتسل ، الجزء الثامن ، ص ١١٥ ٠

(٩) نورداو ، الجزء الاول ، ص ١٦٧ ـ ١٦٨ ٠

(١٠) المصدر نفسه ، الجزء الثالث ، ص ١٤٨ ٠

(١١) المصدر نفسه ، الجزء الرابع ، ص ١٦٦ ٠

(١٢) Herzl, *Diaries*, Vol. 2, p. 797.

(١٣) انظر ملخص سيرته في « كتاب اوسيشكين » ، ص ١١ ـ ٢٨ (المقدمة)

(١٤) Herzl, *Diaries*, Vol. 2, pp. 654-655.

(١٥) هرتسل ، الجزء الثامن ، ص ٢٦ و ٢٨ ٠

(١٦) Herzl, *Diaries*, Vol. 2, p. 605, 620, 3, p. 1152.

(١٧) المصدر نفسه ، الجزء الرابع ، ص ١٣٨٥ ـ ١٣٨٦ ٠

(١٨) المصدر نفسه ، الجزء الثاني ، ص ٧٨٧ و ٨٢٧ ٠

(١٩) انظر نص عقد تأسيس البنك وانظمته في مرحفياه ، ص ٢١٠ ـ ٢١٨ ٠

(٢٠) Herzl, *Diaries*, Vol. 3, pp. 914, 948-949, 1083-1084.

(٢١) المصدر نفسه ، الجزء الثاني ، ص ٧٨٦ و ٨١٢ ٠

(٢٢) مرحفياه ، ص ٢١٨ ـ ٢١٩ ٠

(٢٣) خطاب هرتسل الافتتاحي امام المؤتمر الصهيوني الثاني ، في هرتسل ،الجزء السابع ، ص ٢٣٧ ٠

(٢٤) نورداو ، الجزء الرابع ص ١٨٨ ٠

(٢٥) « محاضر المؤتمر الصهيوني الاول » ، ص ١٤٢ ـ ١٤٤ ٠

(٢٦) مرحفياه ، ص ١٧٨ ٠

(٢٧) المصدر نفسه ٠

(٢٨) هرتسل ، الجزء الثامن ، ص ١٣٥ ـ ١٤٢ ٠

(٢٩) مرحفياه ، ص ١٧٨ ٠

(٣٠) المصدر نفسه ، ص ١٧٩ ٠

(٣١) Keren Kayemet Leisrael, p. 17. وانظر ايضا مقالـــة ه٠

بودنهايمر ، « حول تبلور دستور الكيرن كاييمت ليسرائيل » في « عودة صهيون »، الجزءان الثاني ــ الثالث ، ص ٤٩٥ ــ ٥٠٥ ·

(٣٢) انظر المادة ٣ (أ) من عقد تأسيس الشركة في « الوقائــع الاسرائيلية » ، مجموعة النشرات ٣٥٤ ، ١٠ــ٦ــ١٩٥٤ ، ص ١١٩٦ · وانظر ايضا المصدر نفسه ، كتاب القوانين ١٣٨ ، ٣ــ١٢ــ١٩٥٣ ، ص ٢٦٤ ·

(٣٣) انظر نموذج عقود ايجار الشركة في مرحفياه ، ص ١٩٣ ــ ١٩٤ ·

[٦]

(١) طلمون ، ص ١٧٥ ·

(٢) Herzl, *Diaries*, Vol. 2, p. 639.

(٣) المصدر نفسه ، ص ٦٥٥ و ٦٦٢ ــ ٦٦٤ و ٦٦٥ ــ ٦٦٩ و ٧٠١ ــ ٧٠٥ ·

(٤) المصدر نفسه ، ص ٦٥٨ ·

(٥) المصدر نفسه ، ص ٦٨٨ ·

(٦) المصدر نفسه ، ص ٧٠١ ــ ٧٠٢ ·

(٧) المصدر نفسه ، ص ٦٩٣ ·

(٨) المصدر نفسه ، ص ٧١١ ·

(٩) المصدر نفسه ، ص ٧٣٤ ·

(١٠) المصدر نفسه ، ص ٧٥٦ ــ ٧٥٧ ·

(١١) المصدر نفسه ، الجزء الثالث ، ص ١٠٢١ ·

(١٢) المصدر نفسه ، ص ٩٢٨ ــ ٩٣٤ ·

(١٣) نص الخطاب في هرتسل ، الجزء الثامن ، ص ٤ ــ ٥ ·

(١٤) انظر ، للتفاصيل Herzl, *Diaries*, Vol. 3, pp. 847-924, 1090-1091.

(١٥) المصدر نفسه ، ص ٩٦١ ·

(١٦) المصدر نفسه ، ص ١٠٩٢ ·

(١٧) انظر محضر مقابلة هرتسل مع السلطان في المصدر نفســه ، ص ١١١٢ ــ ١١١٨ ·

(١٨) المصدر نفسه ، ص ١١٣٤ ·

(١٩) المصدر نفسه ، ص ١٢١٨ ــ ١٢١٩ ·

(٢٠) المصدر نفسه ، ص ١٢٢١ ـ ١٢٢٤ ٠

(٢١) المصدر نفسه ، ص ١٢٢٥ ٠

(٢٢) المصدر نفسه ، ص ١٢٥١ ٠

(٢٣) المصدر نفسه ، الجزء الرابع ، ص ٢٧٥ ١ ٠

(٢٤) تفاصيل المفاوضات في المصدر نفسه ، ص ١٣١٣ ـ ١٣٤٨ ٠

(٢٥) ميئور ، ص ١٨٠ ٠

(٢٦) Herzl, *Diaries,* Vol. 3, p. 976.

(٢٧) المصدر نفســـه ، ص ٩٨١ ـ ٩٨٢ ٠

(٢٨) راجع نص الشهادة في هرتسل ، الجزء الثامن ، ص ١٦٤ ـ ٢٠٤ ٠

(٢٩) Herzl, *Diaries,* Vol. 3, p. 1361.

(٣٠) المصدر نفسه ٠

(٣١) المصدر نفسه ، ص ١٣٦٧ ٠

(٣٢) المصدر نفسه ، ص ١٣٨١ ـ ١٣٨٢ ٠

(٣٣) النص في مدزيني ، ص ٣٢٠ ـ ٣٢١ ٠

(٣٤) انظر ايضا المصدر نفسه ، ص ٣٢٢ ـ ٣٢٩ ٠

(٣٥) نص التقرير في المصدر نفسه ، ص ٣٣٠ ـ ٣٣٢ ٠

(٣٦) Herzl, *Diaries,* Vol. 4, pp. 1446-1447.

(٣٧) انظر ايضا نص محادثة هرتسل مع تشمبرلين في المصدر نفســـه ، ص ١٤٧٣ ـ ١٤٧٥ ٠

(٣٨) ميئور ، ص ٢٠٩ ٠

(٣٩) انظر ، ايضا ، المصدر نفسه ، ص ٢١٠ ٠

(٤٠) Herzl, *Diaries,* Vol. 4, pp. 1480-1481, 1486-1487.

(٤١) المصدر نفسه ، ص ١٤٨٧ و ١٤٩١ ـ ١٥٠٠ ٠

(٤٢) انظر ، للتفاصيل ، ميئور ، ص ٢٢٠ ـ ٢٢٢ ٠

(٤٣) Herzl, *Diaries,* Vol. 4, p. 1525.

(٤٤) المصدر نفسه ، ص ١٥٣٠ ٠

(٤٥) المصدر نفسه ، ص ١٥٢١ ٠

(٤٦) نص الرسالة في ميئور ، ص ٢٢٨ ·

(٤٧) هرتسل ، الجزء الثامن ، ص ٢٢٤ ·

(٤٨) المصدر نفسه ، ص ٢٢٤ ـ ٢٢٥ ·

(٤٩) نورداو ، الجزء الثاني ، ص ١٥٧ ·

(٥٠) نص الخطاب في المصدر نفسه ، ص ١٤٩ ـ ١٥٧ ·

(٥١) ميئور ، ص ٢٤٩ ـ ٢٥٣ ·

(٥٢) انظر ، للتفاصيل ، مدزيني ، ص ٢٧٨ ـ ٢٩٠

(٥٣) نص الرسالتين في هرتسل ، الجزء الثامن ، ص ٢٧٠ ـ ٢٧٥ ·

(٥٤) ميئور ، ص ٢٦٠ ـ ٢٦٥ ·

(٥٥) المصدر نفسه ، ص ٢٦٥ ـ ٢٦٧ ·

(٥٦) Herzl, *Diaries*, Vol. 4, pp. 1595-1600.

(٥٧) المصدر نفسه ، ص ١٦٠٤

[٧]

(١) ميئور ، ص ١٥١ و ١٨٩ و ٢٣٨ ـ ٢٣٩ ·

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٥٤ ·

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٥٢ ـ ١٥٣ ·

(٤) مدزيني ، ص ١٢٦ ـ ١٢٧ ·

(٥) المصدر نفسه ، ص ١٢٧ ·

(٦) المصدر نفسه ، ص ١٨١ ـ ١٨٢ ·

(٧) Herzl, *Diaries*, Vol. 1, p. 358.

(٨) مدزيني ، ص ٣٠٢ ·

(٩) المصدر نفسه ، ص ٣٠٢ ـ ٣٠٣ ·

(١٠) Herzl, *Diaries*, Vol. 1, pp. 127-134.

(١١) المصدر نفسه ، الجزء الثاني ، ص ٦١٧ ·

(١٢) المصدر نفسه ، ص ٥٧٣ ـ ٥٧٤ ·

(١٣) المصدر نفسه ، ص ٦٢٨ ٠

(١٤) المصدر نفسه ، ص ٦٣٢ ـ ٦٣٣ ٠

(١٥) Weizmann, C., p. 62.

(١٦) المصدر نفسه ، ص ٦١ ٠

(١٧) المصدر نفسه ، ص ٦٣ ٠

(١٨) المصدر نفسه ، ص ١٥٨ ٠

(١٩) المصدر نفسه ، ص ٧٢ ٠

(٢٠) المصدر نفسه ، ص ٧٢ ـ ٧٥ ٠

(٢١) ميئور ، ص ١٨٢ ـ ١٨٥ ٠

(٢٢) مرحفياه ، ص ٤٠٧ ٠

(٢٣) المواد ٢ و ٣ و ٤ و ٢٧ من البرنامج ، المصدر نفسه ، ص ٤٠٧ ـ ٤٠٩ ٠

(٢٤) المصدر نفسه ، ص ٤١٢ ٠

(٢٥) مدزيني ، ص ٢٠٠ ٠

(٢٦) ميئور ، ص ١٨٩ ـ ١٩٠ ٠

(٢٧) المصدر نفسه ، ص ١٩١ ٠

(٢٨) كوهين ، يوناه ، ص ١٢ ٠

(٢٩) غرينباوم ، الجزء الاول ، الكتاب الثاني ، ص ٣٥ ٠

(٣٠) ميئور ، ص ١٩٦ ٠ وانظر ايضا مرحفياه ، ص ٤١٥ ـ ٤١٦ ٠

(٣١) كوهين ، يوناه ، ص ١١ ٠

(٣٢) مرحفياه ، ص ٤١٧ ٠

(٣٣) المصدر نفسه ، ص ٤١٨ ٠

(٣٤) نوروك ، ص ٣١ و ٣٣ ٠

(٣٥) المصدر نفسه ، ص ٧٥ ٠

(٣٦) ميئور ، ص ١٦٣ ٠

(٣٧) المصدر نفسه ، ص ١٦٠ ـ ١٦٢ ٠

(٣٨) هرتسل ، الجزء الثامن ، ص ٣١ ٠

(٣٩) المصدر نفسه ، ص ١٢٧ ـ ١٢٨ ، وميثور ، ص ١٩٢ ٠

(٤٠) يافيه ، ص ١٨١ ـ ١٨٣ و ١٨٩ ٠

(٤١) المصدر نفسه ، ص ١٧٨ ٠

(٤٢) « محاضر المؤتمر الصهيوني الاول » ، ص ١٤٥ ـ ١٥٦ ٠

(٤٣) كما اوردها مدزيني ، ص ١٢٥ ، ملاحظة ٢ ٠

(٤٤) ميثور ، ص ١٦٠ ٠

(٤٥) هرتسل ، الجزء الثامن ، ص ١١٦ ٠

(٤٦) كريسل ، ص ٣٨ ـ ٤٠ ٠

(٤٧) يافيه ، ص ١٩١ و ٢٠٠ و ٢٢٢ ـ ٢٢٥ ٠

(٤٨) المصدر نفسه ، ص ٢٣٨ ـ ٢٤١ ٠

[٨]

(١) Herzl, *Diaries*, Vol. 1, p. 272.

(٢) المصدر نفسه ، الجزء الثاني ، ص ٦٧٣ ٠

(٣) Weizmann, C., p. 65.

(٤) Herzl, *Diaries*, Vol. 3, p. 856.

(٥) نورداو ، الجزء الثالث ، ص ١٥٢ ـ ١٥٣ ٠

(٦) المصدر نفسه ، الجزء الرابع ، ص ١٦٨ ـ ١٧٠ ٠

(٧) المصدر نفسه ، الجزء الثاني ، ص ٩٢ ٠

(٨) المصدر نفسه ، الجزء الاول ، ص ١٤٣ ٠

(٩) المصدر نفسه ، ص ١٤٥ ٠

(١٠) المصدر نفسه ، الجزء الرابع ، ص ١٧٨ ٠

(١١) المصدر نفسه ، ص ١٩٨ ٠

(١٢) المصدر نفسه ، الجزء الثالث ، ص ١٦٢ ٠

(١٣) المصدر نفسه ، الجزء الرابع ، ص ١٥٩ ـ ١٦٠ و ١٨٥ ٠

(١٤) المصدر نفسه ، الجزء الثاني ، ص ١٥٢ ٠

(١٥) انظر ، ايضاً ، كلاوزنر ، ص ١٩٢ ٠

(١٦) نورداو ، الجزء الثاني ، ص ٩٢ ـ ٩٣ ٠

(١٧) المصدر نفسه ، الجزء الاول ، ص ١٠٣ ٠

(١٨) المصدر نفسه ، ص ١٠٤ ٠

(١٩) من مقالة بعنوان « الصهيونية ومعارضيها » في المصدر نفسه ، ص ٨٤ ـ ١٠١ ٠

(٢٠) من محاضرة بعنوان « الصهيونية ، كبار الرأسماليين والطبقة العاملة بين اليهود » ، في المصدر نفسه ، ص ١٣٣ ٠

(٢١) المصدر نفسه ، ص ١٤٠ ٠

(٢٢) المصدر نفسه ، ص ١٤١ ـ ١٤٢ ٠

(٢٣) Herzl, *Diaries*, Vol. 2, p. 804.

(٢٤) Herzl, *Old-New Land*, p. 115-126 ، وانظر ايضا نص رسالة هرتسل الى يوسف ضيا الخالدي ، في Khalidi (Ed.), pp. 91-93.

(٢٥) كما اوردها كوهين ، اهرون ، ص ٧٤ ٠

(٢٦) نورداو ، الجزء الثالث ، ص ٣٢ ـ ٣٣ ٠

الفصل الرابع

(ص ١٩٥ ـ ٢٦٩)

[١]

(١) انظر ، للتفاصيل ، طلمون ، ص ٢٠٩ ـ ٢٢٦ ٠

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٢٦ ـ ٢٣٤ ٠

(٣) ميثور ، ص ٢٧٣ ـ ٢٧٥ ٠

(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٧٦ ٠

(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٨٠ ـ ٢٨٦ ٠

(٦) المصدر نفسه ، ص ٢٨٠ ٠

(٧) دوفنوف ، ص ٧١٣ ٠

(٨) المصدر نفسه ، ص ٧١٤ ٠

(٩) ميئور ، ص ٣٤٢ ٠

(١٠) دوفنوف ، ص ٧١٩ ٠

(١١) ميئور ، ص ٣٤٣ ٠

(١٢) المصدر نفسه ، ص ٣٤٣ ـ ٣٤٤ ٠

(١٣) المصدر نفسه ، ص ٣٤٥ ـ ٣٤٦ ٠

(١٤) دوفنوف ، ص ٧١٩ ٠

(١٥) ميئور ، ص ٣٦٨ ٠

(١٦) المصدر نفسه ، ص ٣٧٠ ٠

(١٧) انظر مذكراته عن سفرته تلك في « كتاب اوسيشكين » ، ص ٢٤ ـ ٦٩ ٠

(١٨) المصدر نفسه ، ص ٧٧ ـ ٧٨ ٠

(١٩) المصدر نفسه ، ص ٩١ ٠

(٢٠) يافيه ، ص ٢٥٧ ٠

(٢١) المصدر نفسه ، ص ٢٥١ ـ ٢٥٤ ٠

(٢٢) النص في « كتاب اوسيشكين » ، ص ٩٧ ـ ١٢٥ ٠

(٢٣) المصدر نفسه ، ص ٩٧ ـ ٩٨ ٠

(٢٤) المصدر نفسه ، ص ٩٩ ـ ١٠٢ ٠

(٢٥) المصدر نفسه ، ص ١٠٣ ـ ١٠٧ ٠

(٢٦) المصدر نفسه ، ص ١١٥ ـ ١١٨ ٠

(٢٧) المصدر نفسه ، ص ١٢٣ ٠

(٢٨) المصدر نفسه ٠

(٢٩) المصدر نفسه ، ص ١٢٥ ٠

(٣٠) ميئور ، ص ٢٩٤ ٠

(٣١) المصدر نفسه ، ص ٢٩٦ ـ ٢٩٧ ٠

(٣٢) النص في فيتكين ، ص ٢٣ ـ ٣١ ٠

(٣٣) المصدر نفسه ، ص ٢٦ ٠

(٣٤) المصدر نفسه ٠

(٣٥) المصدر نفسه ، ص ٣٠ ٠

[٢]

(١) ميئور ، ص ٢٩٧ ٠

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٩١ ٠

(٣) غرينباوم ، الجزء الثالث ، ص ٢٤ ٠

(٤) ميئور ، ص ٣٠١ ٠

(٥) النص في غرينباوم ، الجزء الثالث ، ص ٣٦ ـ ٣٧ ٠

(٦) انظر ، للتفاصيل ، هايمان ، ص ٧ ـ ٥٣ ٠

(٧) سوكولوف ، ناحوم ، ص ٦١ ـ ٦٢ ٠

(٨) ميئور ، ص ٣٢٠ ـ ٣٢٢ ٠

(٩) Weizmann, C., p. 157.

(١٠) المصدر نفسه ٠

(١١) المصدر نفسه ، ص ١٥٨ ٠

(١٢) ميئور ، ص ٣٢٧ ـ ٣٢٨ ٠

(١٣) المصدر نفسه ، ص ٣٢٨ ٠

(١٤) روبين ، الجزء الثاني ، ص ٩ ٠

(١٥) باين ، « تاريخ ٠٠٠ » ، ص ٣٥ ـ ٣٦ ٠

(١٦) المصدر نفسه ٠

(١٧) روبين ، الجزء الثاني ، ص ٣٨ ـ ٤٣ ٠

(١٨) انظر للتفاصيل ، غرينباوم ، الجزء الثالث ، ص ١٢٧ ـ ١٤١ ٠

(١٩) المصدر نفسه ، ص ٢٢١ ـ ٢٢٢ ٠

(٢٠) ميئور ، ص ٣٥١ ـ ٣٥٧ ٠

(٢١) المصدر نفسه ، ص ٣٥٧ ـ ٣٦٣ ٠

(٢٢) نورداو ، الجزء الرابع ، ص ١٨٥ ـ ١٨٦ ٠

(٢٣) ميئور ، ص ٣٨٧ ـ ٣٩١ ٠

Wε Weizmann , C., p. 152-155 , 174-176 , 180-182. (٢٤)

(٢٥) انظر ، للتفاصيل ، كريسل ، ص ٤٩ ـ ٥٨ ٠

(٢٦) انظر ، للتفاصيل ، مقالة شلومو ايدلبرغ ، «تبلور فكرة [المزراحي] حتى الحرب العالمية الاولى » ، في « نبوءة ٠٠٠ » ، ص ١٧٧ ـ ٢٠٠ ٠

(٢٧) المصدر نفسه ، ص ١٩٢ ٠

(٢٨) بلوي ، ص ١٣٩ ٠

(٢٩) بار ـ ايلان (برلين) ، ص ٣٨٦ ـ ٣٩٠ ٠

(٣٠) روزنهايم ، الجزء الاول ، ص ٩٨ ـ ١٠٠ ٠

(٣١) المصدر نفسه ، ص ١٠٢ ـ ١٠٤ ٠

(٣٢) المصدر نفسه ، ص ١٠٥ ٠

(٣٣) مرحفياه ، ص ٣٨٨ ٠

(٣٤) انظر ، للتفاصيل . Marmorstein , pp. 80-90

(٣٥) روزنهايم ، الجزء الاول ، ص ١٣٥ ٠

(٣٦) المصدر نفسه ، ص ١٩١ ـ ١٩٢ ٠

(٣٧) بلوي ، ص ١٤٥ ـ ١٤٦ ٠

[٣]

(١) ميئور ، ص ٣٢٩ ـ ٣٣٠ ٠

(٢) سلوتسكي ، « مقدمة ٠٠٠ » ، ص ٥٦ ـ ٦٢ ٠

(٣) ابن ـ شوشان ، الجزء الاول ، ص ٣٧ ـ ٣٩ ٠

(٤) انظر ، ايضا ، انظمة الجمعية في مرحفياه ، ص ٣٤٩ ـ ٣٥٠ ٠

(٥) انظر النص في Marx, Karl; Frederick Engels, Vol, 3 (1843-1844), pp. 145-174.

(٦) المصدر نفسه ، ص ١٧٠ ٠

(٧) المصدر نفسه ، ص ١٧١ ٠

(٨) المصدر نفسه ، ص ١٧٠ و ١٧٤ ٠

(٩) سلوتسكي ، « مقدمة ٠٠٠ » ، ص ٧٦ ـ ٧٩ ٠

(١٠) دوفنوف ، ص ٧٠٦ ٠

(١١) النص في مرحفياه ، ص ٣٥٣ ــ ٣٥٤ ٠

(١٢) المصدر نفسه ، ص ٣٥٤ ٠

(١٣) دوفنوف ، ص ٧٠٧ ــ ٧٠٨ ٠

(١٤) مرحفياه ، ص ٣٥٦ ٠

(١٥) المصدر نفسه ، ص ٣٥٥ ٠

(١٦) المصدر نفسه ، ص ٣٥٤ ٠

(١٧) المصدر نفسه ، ص ٣٥٥ ٠

(١٨) ميثور ، ص ٨١٩ ٠

(١٩) مرحفياه ، ص ٣٩٨ ٠

(٢٠) النص في سيركين ، ص ١٥٥ ــ ١٩٨ ٠

(٢١) المصدر نفسه ، ص ١٥٧ ــ ١٦٢ ٠

(٢٢) المصدر نفسه ، ص ١٦٤ ــ ١٧٠ ٠

(٢٣) المصدر نفسه ، ص ١٧٣ ــ ١٧٩ ٠

(٢٤) المصدر نفسه ، ص ١٨٠ ــ ١٨٧ ٠

(٢٥) المصدر نفسه ، ص ١٨٨ ٠

(٢٦) المصدر نفسه ٠

(٢٧) للاطلاع على مبادىء هذه الاحزاب وانظمتها ومواقفها ، انظر مرحفياه ، ص ٣٦٥ ــ ٣٧٧ و ٣٨١ ــ ٣٨٧ ٠

(٢٩) المصدر نفسه ، ص ٤٩٥ ٠

(٣٠) المصدر نفسه ٠

(٣١) سلوتسكي ، ص ١٠٠ ٠

(٣٢) المصدر نفسه ، ص ١٠١ ــ ١٠٣ ٠

(٣٣) ميثور ، ص ٢٩٤ ٠

(٣٤) النص في بروخوف ، الجزء الاول ، ص ١٨ ــ ١٥٣ ٠

(٣٥) المصدر نفسه ، ص ١٥٣ ٠

(٣٦) ميثور ، ص ٣١٠ ٠

(٣٧) المصدر نفسه ، ص ٢٦٥ ٠

(٣٨) النص في بروخوف ، الجزء الاول ، ص ١٩٣ ـ ٢١٠ ٠

(٣٩) المصدر نفسه ، ص ١٩٣ و ١٩٧ و ٢٠١ و ٢٠٢ و ٢٠٩ ٠

(٤٠) المصدر نفسه ، ص ٢١٠ ـ ٢١١ ٠

(٤١) المصدر نفسه ، ص ٢١١ ٠

(٤٢) المصدر نفسه ، ص ٢٨٢ ـ ٢٨٣ ٠

(٤٣) انظر ايضا ، للتفاصيل ، سلوتسكي ، « مقدمة ٠٠٠ » ، ص ١١١ ـ ١٢٠ ٠

(٤٤) انظر نص الخطاب في شموئيلي ، الجزء الثاني ، ص ٨٣ ـ ٨٤ ٠

(٤٥) النص في مرحفياه ، ص ٥٠٢ ـ ٥٠٣ ٠

(٤٦) المصدر نفسه ، ص ٥٠٧ ـ ٥٠٨ ٠

(٤٧) المصدر نفسه ، ص ٥٠٦ ـ ٥٠٧ ٠

(٤٨) شموئيلي ، الجزء الثاني ، ص ٨٩ ـ ٩٠ ٠

(٤٩) مرحفياه ، ص ٥٢٦ ٠

(٥٠) انظر ابن شوشان ، الجزء الاول ، ص ٥٨ ـ ٥٩ ، وشموئيلي ، الجـــزء الثاني ، ص ٨٥ ـ ٨٦ ٠

[٤]

(١) يافيه ، ص ٢٥٠ ٠

(٢) اوفير ، ص ١٣ ـ ١٤ ٠

(٣) يافيه ، ص ١٤٢ ـ ١٤٩ ٠

(٤) « كتاب تاريخ الهاغاناه » ، الكتاب الاول ، الجزء الاول ، ص ٣٩ ٠

(٥) يافيه ، ص ٢١٨ و ٢٢٨ ٠

(٦) براسلافسكي ، الجزء الاول ، ص ٥٩ ـ ٦٠ ٠

(٧) انظر ، للتفاصيل ، « كتاب الهجرة الثانية » ، ص ١٦١ ـ ٢٩٧ ٠

(٨) سلوتسكي ، « مقدمة ٠٠٠ » ، ص ١٧٥ ٠

(٩) « كتاب الهجرة الثانية » ، ص ٦١٦ ٠

(١٠) المصدر نفسه ٠

(١١) ابن شوشان ، الجزء الاول ، ص ٨٩ ــ ٩١ ٠

(١٢) سلوتسكي ، « مقدمة ٠٠٠ » ، ص ١٧٧ ٠

(١٣) مرحفياه ، ص ٥١٣ ــ ٥١٤ ٠

(١٤) المصدر نفسه ، ص ٥١٤ ــ ٥١٥ ٠

(١٥) سلوتسكي ، « مقدمة ٠٠٠ » ، ص ١٨٥ ٠

(١٦) براسلافسكي ، الجزء الاول ، ص ١١٤ وابن ــ شوشان ، الجزء الاول ، ص ١٨٧ ــ ١٨٨ ٠

(١٧) سلوتسكي ، « مقدمة ٠٠٠ » ، ص ١٩٤ و ٢٢٣ ، وابن شوشان ، الجـزء الاول ، ص ٢٢٤ ــ ٢٢٨ ٠

(١٨) سلوتسكي ، « مقدمة ٠٠٠ » ، ص ١٩٤ و ٢٨٨ ٠

(١٩) ابن شوشان ، الجزء الاول ، ص ١٧١ ــ ١٧٣ ٠

(٢٠) المصدر نفسه ، ص ١٧٣ ــ ١٨٦ ٠

(٢١) المصدر نفسه ، ص ١٨٨ ــ ١٩١ ٠

(٢٢) المصدر نفسه ، ص ١٩١ ــ ٢٠٨ ٠

(٢٣) المصدر نفسه ، ص ٢١٦ ــ ٢١٨ ٠

(٢٤) *A Survey of Palestine,* Vol. 1, p. 372, 376.

(٢٥) سميلانسكي ، الجزء الاول ، الكتاب الرابع ، ص ٩٥ ٠

(٢٦) اساف ، ص ٣٩ ٠

(٢٧) « كتاب تاريخ الهاغاناه » ، الكتاب الاول ، الجزء الاول ، ص ١٥٠ ٠

(٢٨) سميلانسكي ، الجزء الاول ، الكتاب الرابع ، ص ٨ ــ ٩ ٠

(٢٩) انظر باين ، « تاريخ ٠٠٠ » ، ص ٦٨ ٠

(٣٠) روبين ، الجزء الثاني ، ص ٧٨ ٠

(٣١) نص الاتفاق في المصدر نفسه ، ص ٧٨ ــ ٧٩ ٠

(٣٢) للاطلاع على اشكال الاستيطان الصهيوني في فلسطين وانواعها ، عامة ، انظر لادور (ليدرمان) ، ص ٢٢٨ ــ ٢٧٤ ٠

(٣٣) اشبل ، ص ١٣ ٠

(٢٤) روبين ، الجزء الثاني ، ص ١٤٠ ٠

(٣٥) المصدر نفسه ، ص ١٤٤ ــ ١٥٢ ، وأشبل ، ص ٣٩ ٠

(٣٦) اشبل ، ص ٣٩ ٠

(٣٧) روبين ، الجزء الثاني ، ص ١٦٢ ـ ١٦٧ ، والجزء الثالث ، ص ٨٦ ٠

(٣٨) المصدر نفسه ، الجزء الثاني ، ص ١٥٣ و ١٦٠ ـ ١٦٢ ، وأشبل ، ص ٣٩ ٠

[٥]

(١) « كتاب هاشومير » ، ص ٤ ، وميئور ، ص ٢٧٨ ـ ٢٨١ ٠

(٢) « كتاب هاشومير » ، ص ٥ ٠

(٣) المصدر نفسه ، ص ٧ ٠

(٤) « كتاب تاريخ الهاغاناه » ، الكتاب الاول ، الجزء الاول ، ص ٢٠٢ ٠

(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣ ٠

(٦) « كتاب هاشومير » ، ص ١٥ ٠

(٧) المصدر نفسه ، ص ١٧ ٠

(٨) المصدر نفسه ، ص ٤٥١ ٠

(٩) المصدر نفسه ، ص ٣٢ ٠

(١٠) المصدر نفسه ، ص ٢٦ ـ ٢٧ و ٣٣ ٠

(١١) المصدر نفسه ، ص ٤٧٦ ـ ٤٧٧ ٠

(١٢) آساف ، ص ٧٨ ـ ٧٩ و ٨٢ ٠

(١٣) « كتاب تاريخ الهاغاناه » ، الكتاب الاول ، الجزء الاول ، ص ٣٨٧ ـ ٣٨٩ ٠

(١٤) انظر ايضا ، ميلشتاين ، ص ٢٤ ـ ٣٠ ٠

[٦]

(١) كوهين ، اهرون ، ص ٧٠ ٠

(٢) فيتكين ، ص ٤٢ ٠ وانظر ايضا ، لمزيد من التفاصيل ، مقالة يعقوب روئي، « علاقات رحوفوت مع جيرانها العرب » ، في « الصهيونية » ، الجزء الاول ، ص ١٥٠ ـ ١٧١ ٠

(٣) سلوتسكي ، « مقدمة ٠٠٠ » ، ص ١٩٤ ٠

(٤) فيتكين ، ص ٤٢ ـ ٤٥ ٠

(٥) اهرونوفيتش ، ص ٥٦ ـ ٦٥ ٠

(٦) نقلا عن غورني ، ص ٢٠ ـ ٢٧ ٠

(٧) المصدر نفسه ، ص ٢٧ ـ ٢٩ ٠

(٨) المصدر نفسه ، ص ٣٠ ٠

(٩) ابن ـ شوشان ، الجزء الاول ، ص ٧٥ ٠

(١٠) غوردون ، ص ١٣٤ ٠

(١١) المصدر نفسه ، ص ٢٢٦ و ٢٦١ ٠

(١٢) المصدر نفسه ، ص ٢٠٢ و ٢٦١ و ٤٣٣ ٠

(١٣) المصدر نفسه ، ص ١٥٤ و ٢٠١ و ٥١٣ و ٥٢١ ٠

(١٤) شفايد ، ص ١٧٥ ٠

(١٥) غوردون ، ص ٩٦ و ١٠٤ و ١٥٠ و ٤٧٢ ٠

(١٦) المصدر نفسه ، ص ٢٠٣ ٠

(١٧) المصدر نفسه ، ص ٢٢٤ ـ ٢٢٥ و ٥٥٣ ٠

(١٨) المصدر نفسه ، ص ١٥٥ و ٢٤٢ و ٥٤٦ ٠

(١٩) المصدر نفسه ، ص ٥٦٠ ٠

(٢٠) انظر ، للتفاصيل ، هلبرين ، الجزء الثاني ، ص ٤٢٧ ـ ٤٤٧ ٠

(٢١) انظر ايضا ، المصدر نفسه ، ص ٤٠٢ ـ ٤٢٦ ٠

(٢٢) سلوتسكي ، « مقدمة ٠٠٠ » ، ص ١٩٧ ٠

(٢٣) غرينباوم ، الجزء الثالث ، ص ١٢١ ٠

(٢٤) المصدر نفسه ، وسلوتسكي ، « مقدمة ٠٠٠ » ، ص ١٩٧ ٠

(٢٥) سلوتسكي ، « مقدمة ٠٠٠ » ، ص ١٩٨ ـ ٢٠٠ ٠

(٢٦) آرييه يودفات في « الصهيونية » ، الجزء الثالث ، ص ٥٢١ ـ ٥٢٢ ٠

(٢٧) روبين ، الجزء الثاني ، ص ١٤٧ ٠

(٢٨) « كتاب تاريخ الهاغاناه » ، الكتاب الاول ، الجزء الاول ، ص ١٣٥ ٠

(٢٩) روبين ، الجزء الثاني ، ص ١٠٣ ٠

(٣٠) انظر مذكرات يفنيئيلي في براسلافسكي ، الجزء الاول ، ص ٣٤٤ ـ ٣٤٧ ٠

(٣١) انظر نص الرسالة في روبين ، الجزء الثاني ، ص ١٠٤ ـ ١٠٥ ٠

(٣٢) آحاد هعام ، ص ٤٧٤ ـ ٤٧٥ ٠

(٣٣) نقلا عن غورني ، ص ٢٨ ٠

(٣٤) المصدر نفسه ، ص ٢٢ ٠

(٣٥) انظر ايضا سميلانسكي ، الجزء الاول ، الكتاب الثالث ، ص ١٢٠ ـ ١٢١ ٠

(٣٦) نقلا عن غورني ، ص ٣٤ ٠

(٣٧) المصدر نفسه ، ص ٣٥ ـ ٤٣ ٠

(٣٨) يافيه ، ص ١٦٩ ٠

(٣٩) النص في غورني ، ص ٥٥ ـ ٥٦ ٠

(٤٠) بن ـ غوريون ، الجزء الاول ، ص ٥٢ ـ ٥٧ ٠

(٤١) مرحاف ، ص ٣٥٦ ـ ٣٥٧ ٠

(٤٢) كوهين ، اهرون ، ص ٨٨ ٠

(٤٣) انظر ايضا الوثائق التي اوردها يودفات في « الصهيونية » ، الجزء الثالث ، ص ٥٢٣ ـ ٥٢٦ ٠

(٤٤) Ro'i , «*The Zionist Attitude* ... », p. 207 , 216 , 228 .

(٤٥) انظر ، للتفاصيل ، مقالة ف ٠ السبرغ ، « المسألة العربية في سياسة الادارة الصهيونية قبل الحرب العالمية الاولى » ، في « عودة صهيون » ، الجزء الرابع ، ص ١٦٥ ـ ١٧٠ ٠

(٤٦) « كتاب تاريخ الهاغاناه » ، الكتاب الاول ، الجزء الاول ، ص ١٨٧ ٠

(٤٧) Ro'i pp. 203, 206, 224-227. وانظر ايضا السبرغ ، ص ١٦٥ و ١٦٨

(٤٨) Ro'i p. 228.

(٤٩) Mandel , « *Attempts* ...» p. 250 ; Ro'i p. 212.

(٥٠) Ro'i, p. 222.

(٥١) المصدر نفسه ، ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥ ٠

(٥٢) Mandel, p. 257.

(٥٣) المصدر نفسه ، ص ٢٥٣ ٠

(٥٤) كوهين ، اهرون ، ص ١٠١ ٠

(٥٥) انظر ، للتفاصيل ، Mandel, pp. 240-264.

(٥٦) السبرغ ، ص ١٧٤ ·

(٥٧) المصدر نفسه ، ص ١٧٧ و .Mandel, p. 258, 264

(٥٨) .Ro'i, pp. 205, 214, 218-219, 221, 223 وانظر ايضا كوهين ، اهرون ، ص ١٠٣ ـ ١٠٨ ·

[٧]

(١) انظر مقالة يوسف غورني ، « التغييرات في التركيب الاجتماعي والسياسي للهجرة الثانية ، ١٩٠٤ ـ ١٩٤٠ » في « الصهيونية » ، الجزء الاول ، ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥ ، واوفير ، ص ١٤ ·

(٢) بن ـ تسيون دينور في « عودة صهيون » ، الجزء الاول ، ص ٣٦ ـ ٣٧ ·

(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٩ ·

(٤) غورني في « الصهيونية » ، الجزء الاول ، ص ٢٤٥ ·

(٥) تسيدون ، ص ٣٨٢ ـ ٣٩١ ·

(٦) انظر ، لمزيد من التفاصيل .Avnery, pp. 166-179

(٧) « كتاب تاريخ الهاغاناه » ، الجزء الاول ، الكتاب الاول ، ص ١٤٢ ـ ١٤٣ ·

الفصل الخامس

(ص ٢٧١ ـ ٢٩٦)

[١]

(١) غرينباوم ، الجزء الرابع ، ص ١٣ ـ ١٧ ·

(٢) ميئور ، ص ٤٠٧ ·

(٣) المصدر نفسه ، ص ٤٠٧ ـ ٤٠٨ ·

(٤) غرينباوم ، الجزء الرابع ، ص ١٦ ·

(٥) المصدر نفسه ، ص ١٦ ـ ١٧ ·

(٦) شموئيلي ، الجزء الثاني ، ص ٣٨٤ ـ ٣٨٨ ·

(٧) المصدر نفسه ، ص ٣٨٠ ـ ٣٨٤ ·

(٨) Weizmann, C. p. 210-211.

(٩) المصدر نفسه ، ص ١٢٣ ـ ١٢٤ ·

(١٠) المصدر نفسه ، ص ١٩٠ ـ ١٩٢ · وانظر ايضا Samuel, pp. 139-145.

(١١) Weizmann, C., p. 193-194; Stein, pp. 103-116.

(١٢) Antonius, p. 245.

(١٣) Great Britain, *Parliamentary Papers, 1939, Command 5957:* «Correspondence ...».

(١٤) Great Britain, *Parliamentary Papers, 1939, Command 5974* : « Report ...».

(١٥) A *Survey of Palestine,* Vol. 1, p. 50.

(١٦) Antonius, p. 428-430.

(١٧) المصدر نفسه ، ص ٢٤٤ ـ ٢٤٨ ·

(١٨) انظر ايضا
Lloyd George, «*The Truth* ...», Vol. 2, pp. 1115-1116

(١٩) Lloyd George , «*War*...» , Vol. 1, p. 348 .

(٢٠) Weizmann, C., pp. 220-222.

(٢١) Lloyd George , «*War*...» , Vol. 1, p. 348-349 .

(٢٢) انظر ايضا Stein, pp. 386-393.

(٢٣) المصدر نفسه ، ص ٣٦٩ ·

(٢٤) غرينباوم ، الجزء الرابع ، ص ١٧٨ ـ ١٧٩ ·

(٢٥) وايزمان ، ص ٢٤٢ ·

(٢٦) غرينباوم ، الجزء الرابع ، ص ١٩٧ ـ ١٩٨ ·

(٢٧) المصدر نفسه ، ص ١٨٠ ·

(٢٨) Weizmann, C., p. 241.

(٢٩) غرينباوم ، الجزء الرابع ، ص ١٨٢ ـ ١٨٣ ·

(٣٠) نورداو ، الجزء الرابع ، ص ١٢٢ ـ ١٢٤ و ١٩٣ ·

(٣١) غرينباوم ، الجزء الرابع ، ص ١٨٤ ـ ١٨٨ ·

(٣٢) Stein, p. 399.

(٣٣) انظر سوكولوف ، فلوريان ، ص ١٤٨ ـ ١٥١ .

(٣٤) غرينباوم ، الجزء الرابع ، ص ١٩٣ .

(٣٥) المصدر نفسه ، ص ١٩٤ .

(٣٦) المصدر نفسه .

(٣٧) المصدر نفسه ، ص ١٩٥ ، و Stein, pp. 416-417.

(٣٨) انظر ، لمزيد من التفاصيل حول هذه المفاوضات ، Stein, pp. 394-421.

(٣٩) Stein, p. 157.

(٤٠) غرينباوم ، الجزء الرابع ، ص ١٩٦ ـ ١٩٨ .

(٤١) شموئيلي ، الجزء الثاني ، ص ٣٩٨ .

(٤٢) المصدر نفسه ، ص ٤٠٢ .

(٤٣) غرينباوم ، الجزء الرابع ، ص ٢٠١ .

(٤٤) Weizmann, C., pp. 246-251.

(٤٥) المصدر نفسه ، ص ٢٥٦ .

(٤٦) Lloyd George, «*The Truth* ...», p. 1133-1134

(٤٧) غرينباوم ، الجزء الرابع ، ص ٢٠٥ .

(٤٨) انظر النصوص في Stein, p. 664.

(٤٩) النص في Weizmann, C., p. 260 وانظر ايضا Lloyd George, « *The Truth* ...», p. 1136.

(٥٠) Lloyd George, «*The Truth* ...», p. 1117.

(٥١) T. R. Fyvel in *Chaim Weizmann* , p. 160.

(٥٢) Weizmann, C., p. 260.

(٥٣) غرينباوم ، الجزء الرابع ، ص ٢٠٩ ـ ٢١٠ .

(٥٤) Lloyd George, «*The Truth*», p. 1139.

(٥٥) Weizmann, C., p. 262.

(٥٦) Lloyd George, «*The Truth* ...», pp. 1120-1122.

(٥٧) انظر ايضا Sykes, pp. 27-28.

(٥٨) Weizmann, V., p. 77.

(٥٩) T. R. Fyvel in *Chaim Weizmann*, p. 167.

(٦٠) Lloyd George, «*The Truth ...*», p. 1119.

(٦١) Koestler, p. 4

(٦٢) Sykes, p. 34.

[٢]

(١) « كتاب تاريخ الهاغاناه » ، الكتاب الاول ، الجزء الاول ، ص ٣٢٢ ٠

(٢) سميلانسكي ، الجزء الاول ، الكتاب الرابع ، ص ١٢ ٠

(٣) « كتاب تاريخ الهاغاناه » ، الكتاب الاول ، الجزء الاول ، ص ٣١٥ ٠

(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٢٥ ، وشموئيلي ، الجزء الثاني ، ص ٣٣٥ ٠

(٥) روبين ، الجزء الثاني ، ص ٢٢٨ ٠

(٦) « كتاب تاريخ الهاغاناه » ، الكتاب الاول ، الجزء الاول ، ص ٣٢٠ ٠

(٧) روبين ، الجزء الثاني ، ص ٢٢٨ ـ ٢٢٩ ٠

(٨) « كتاب تاريخ الهاغاناه » ، الكتاب الاول ، الجزء الاول ، ص ٣٢١ ؛

(٩) روبين ، الجزء الثاني ، ص ٢٥٧ ـ ٢٥٨ و ٢٦٣ و ٢٧١ ٠

(١٠) المصدر نفسه ، ص ٢٧٢ ٠

(١١) المصدر نفسه ، ص ٢٧٥ ٠

(١٢) شموئيلي ، الجزء الثاني ، ص ٣٦٢ ـ ٣٦٣ ٠

(١٣) « كتاب هاشومير » ، ص ٣٤٤ ـ ٣٤٥ ٠

(١٤) « كتاب تاريخ الهاغاناه » ، الكتاب الاول ، الجزء الاول ، ص ٣١٥ ٠

(١٥) المصدر نفسه ، ص ٣٢٨ ٠

(١٦) المصدر نفسه ، ص ٣٢٩ ٠

(١٧) «نيلي» ـ الاحرف الاولى من الترجمة العبرية لكلمات « نصيح اسرائيل لا يكذب» ـ التوراة ، سفر صموئيل الاول ١٥ : ٢٩ ٠

(١٨) « كتاب تاريخ الهاغاناه » ، الكتاب الاول ، الجزء الاول ، ص ٣٥٤ ٠

(١٩) انظر ، لمزيد من التفاصيل ، المصدر نفسه ، ٣٥٣ ـ ٣٨٦ ٠ وللاطلاع على قصة نيلي كاملة ، انظر ايضا اليعيزر ليفنه ، « **نيلي ـ تولدوتيها شل هيعـــازاه**

مدينيت» ، (« نيلي ـ تاريخ جراة سياسية »)، تل ابيب : شوكن ، ١٩٦١ ، ٤٠٨ ص٠

(٢٠) ميلشتاين ، ص ٢٥ ٠

(٢١) المصدر نفسه ، ص ٣٤ ٠

(٢٢) انظر ، للتفاصيل ، « كتاب تاريخ الهاغاناه » ، الكتاب الاول ، الجـــزء الاول ، ص ٣٣٣ ـ ٣٤٤ ٠

(٢٣) ميلشتايـن ، ص ٢٦ ـ ٢٧ ٠

(٢٤) شموئيلي ، الجزء الثاني ، ص ٤٠٥ ـ ٤١٠ ٠

(٢٥) انظر ، للتفاصيل Schechtman, pp. 201-257.

(٢٦) المصدر نفسه ، ص ٤١١ ـ ٤١٤ ٠

الفهرس

ب